المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة

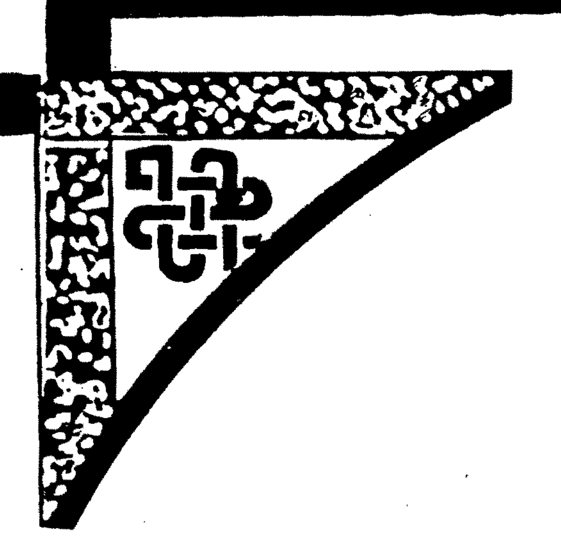
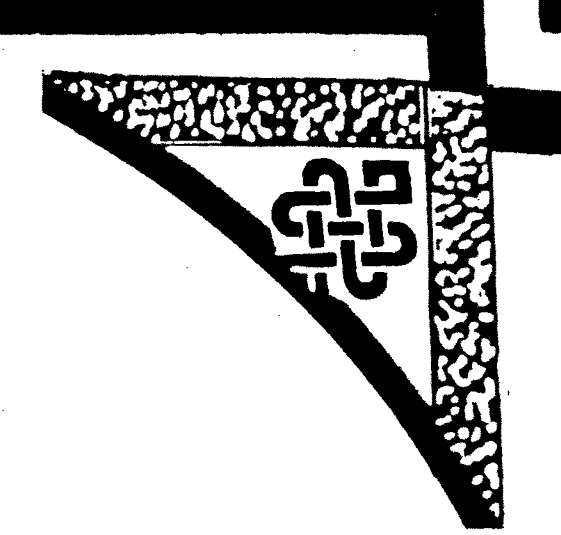
العلاقة بين التشيع والتصوف

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية
«الدكتوراه»

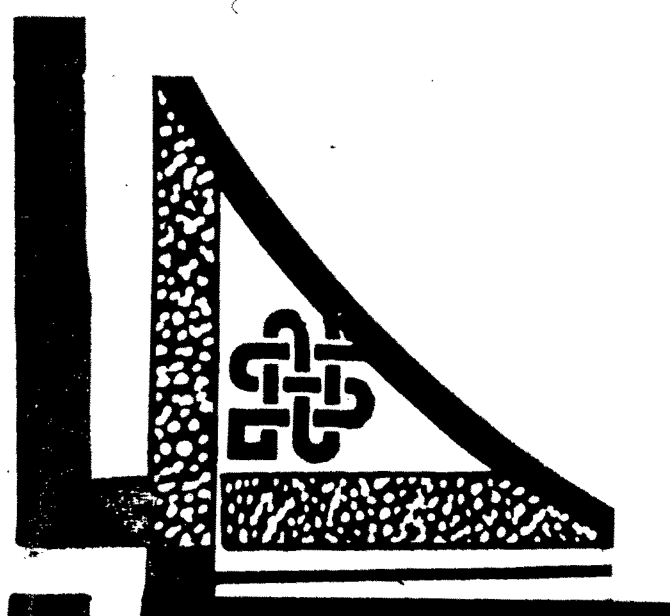
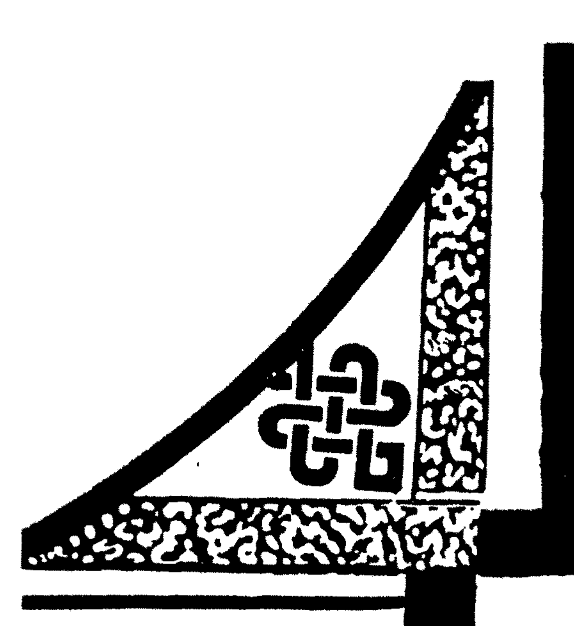
إعداد الطالب
فلاح بن إسماعيل بن احمد

إشراف الشيخ
عبد الله بن محمد الغنيمان
رئيس قسم الدراسات العليا

سنة ١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

شكر وتقدير

أشكر الله تبارك وتعالى وأحمده عز وجل على توفيقه إياى أولا ثم على منحه إيـــاى شرف الانتساب الى طلب العلم الشرعى على منهج أهل السنة والجماعة فى هذه الجامعـــــــة المباركة فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لجميع أساتذتى ومشايخى الأفاضل الذين كان لهم دور وفضل فى غرس محبة العلم وأهله فى نفسى، ومن كان له إسهام جميل فى مساعدتى فى تحقيـــــق هذا الجهد واخراجه كرسالة علمية .

وأخص بالشكر فضيلة الدكتور محمد أمان بن على الجامى الذى أشرف على هـــذه الرسالة منذ بداية عملي فيها، وحتى تركه الجامعة ، فجزاه الله عنى وعن الاسلام كل خير.

ثم أشكر فضيلة شيخى وأستاذى الشيخ عبد الله الغنيمان ، الذى تولى الاشـــراف بعده ، وحرص حفظه الله ووفقه كل الحرص على إخراج هذه الرسالة بالصورة اللائقة، وبـــذل فى ذلك من وقته الكثير رغم كثرة أعماله وادارته لقسم الدراسات العليا ، فالله أسأل أن يجزل له الثواب والأجر ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

ثم أشكر جميع القائمين على قسم الدراسات العليا، والمخلصين فى هذه الجامعـــــة من أساتذة ، واداريين ، وغيرهم ممن يبذلون وسعهم لرفعة مستوى هذه الجامعة فى جميـــع جوانبها.

وأخيرا أشكر كل من ساعدنى خلال عملى أو سهل لى أمرا فى عملي هذا من إخوانـــى وزملائى ، فجزاهم الله عنى خير الجزاء، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلـــــى آله وصحبه جميعا.

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ". (١)

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ". (٢)

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ". (٣)

أما بعد :

فان أصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار.

قال الله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا " (٤) يمتن سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين باكمال دينهم وشرعهم ، ويخبرهم بارتضائه لهم مسلكا ومنهجا فى حياتهم. وفى هذه الآية الكريمة شهادة من الله تعالى لرسوله ومصطفاه بقيامه بواجبه ، وأدائه لمهمته على خير وجه، وكما أراده منه مولاه تبارك وتعالى. وتتضمن الآية أيضا الشهادة لصحابته رضى الله عنهم .

لقد أخذ الصحابة الكرام هذا الدين غضا طريا من فيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أخذوا ما أتاهم الله بقوة وأمانة وصدق ، وضربوا أروع الأمثلة فى امتثال أمر الله تعالى وأمر رسوله فى حياتهم ، وفى حب الله تعالى وحب رسوله وتقديمها على المال والنفس والولد، وفى بذل الأموال والأرواح رخيصة فى سبيل هذا الدين واعلاء كلمته، حتى أعجزوا الباحثين فى تاريخ البشرية أن يجدوا لذلك الجيل مثيلا. كيف لا يكون ذلك ، وقد شهد الله تعالى بفضلهم وصدقهم فى آيات كثيرات، ويكفيهم أن مولاهم قد شهد بصدقهم فيما

---

(١) سورة آل عمران / ١٠٢.

(٢) سورة النساء / ١.

(٣) سورة الأحزاب / ٧٠-٧١.

(٤) سورة المائدة / ٣.

عاهدوا الله تعالى عليه ، في الالتزام بشرعه والجهاد في سبيله .

إنهم قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وحبيبه، واقامة دينه وشرعه في زمن طغت فيه المنكرات والضلالات ، وكثر فيه الشر والفساد ، وكما ذكر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود : " إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه... " (١)

عاش الرعيل الأول من رجال هذه الأمة العظيمة ، وسلفها الصالح، قلبا واحدا عاضين على دينهم بالنواجذ ، باذلين في سبيل طاعة الله ورسوله، ومرضاتهما كل ما يملكون، ملتفين حول خير خلق الله التفافا لم يجعل الله تعالى فيهم ولابينهم منفذا للشيطان ، لينال من التفافهم وتمسكهم وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. الأمر الذى كافأهم المولى عليه فألف بين قلوبهم ، وأنزل السكينة عليهم، فكانوا إخوانا متحابين ، لم تفرق بينهم الأنساب، والألوان ، والأعراف ، ولا غيرها من عصبيات الجاهلية. عاش المسلمون الأوائل حياة خالية من الفرقة ،وحتى الاختلافات التى من شأنها إيجاد الفرقة، وتكون الفرق والأحزاب والمذاهب ، عاشوا حول إمام الهدى والرحمة ، أمة واحدة، وكلمة واحدة. نعم ، كانت تطرأ بعض الاختلافات في بعض المسائل ، ولكن سرعان ما كانت تتلاشى برجوعهم الى نبي الرحمة، وعرضهم تلك المسائل . هكذا عاش سلف هذه الأمة ، وبهذه الروح الطيبة ، وقد جاءت آيات كثيرات، وأحاديث كثيرة تشهد لهم بالفضل ، والمنزلة الرفيعة لواقع حالهم ، وحسن امتثالهم، وصدق إيمانهم ، وعظيم تضحيتهم في سبيل هذا الدين ، حتى شهد الله تعالى بالرضى عنهم ، وكذلك قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض .

وان مما يشهد على صدق إيمانهم وبذلهم ، وتحقيقهم مراد ربهم في أخوتهم واتحادهم، ونبذ عصبيات الجاهلية، أنجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك الرجال جيوشا إيمانية، ترفع ألوية ربانية، قليلة العدد والعدد المادية ، لمواجهة قوى الكفر والطغيان بأعدادها ، وعددها العظيمة . نعم اطمئن رسول الله لحال أولئك، وصدق إيمانهم ، وصدقهم مع ربهم، فخرجوا مجاهدين لنشر دين الله في أرض الله ، هجروا الأهل والأوطان ،وجابوا البراري والقفار ، وتحملوا الصعاب والمشاق ، إرضاء لمولاهم وخالقهم عز وجل ، ولقد علم الله

---

(١) رواه الامام أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩) ،وقال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح . وقد أورده في تحقيقه للمسند برقم (٣٦٠٠).

تعالى صدقهم، فصدقهم ، وأخضع لهم الجبابرة والملوك ، وانهزمت جيوش الكفر، وانتصر الحق وأهله، وفتحوا البلاد ، وأخرجوا العباد من عبادة العباد والأوثان، الى عبادة الملك الديان، ودانت لهم الدنيا شرقها وغربها، وشمالها وجنوبها. ومكنهم الله تعالى من إقامة أعظم دولة ، وأقوى مملكة تحكم كتاب الله وشرعه، وترفرف عليها سحائب العدل والأمان .

استمر السلف على تلك الحالة الصافية النقية من كل شوائب الفرقة والاختلاف ، والبغض والكراهية طيلة أيام خليفة رسولهم أبي بكر الصديق الذى حمل اللواء، وسار بالركب على نهج وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كاد خلاف ينشب ويظهر، حتى يسوى. وان أعظم ما يدندن الناس حوله الى يومنا هذا زاعمين أنه خلاف، وهو ما جرى حول الامامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه من أعظم الكذب والتزوير فى تاريخ هذه الأمة . لقد علم الله تعالى ، والمؤمنون جميعا أن ما طرح من آراء حول الامامة يوم السقيفة، وان سمى خلافا أو نزاعا، فانه لم يبق، ولم يستمر، بل سوي فى مهده، فما كاد يصل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الى مكان الاجتماع حتى سوي الأمر، واتفق المسلمون، وأجمعوا على أمرهم، والفضل لله وحده ثم لجهود أولئك الرجال المخلصين الذى خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيادة هذه الأمة ، وسائر أمم الأرض .

ثم جاء الخليفة الثانى رضى الله عنه ، والأمة كلها على اتفاق، لا اختلاف بينها ولا فرقة، واستمروا كذلك فترة خلافتهحتى انتقل الى جوار ربه تعالى بعد أن قاد الأمة ، وسار بها على نهج سلفه ، وعلى سنة وهدي رسوله ونبيه ، وكما أراد الله تعالى منه .

ثم جاء الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فانتهج نهج سلفيه السابقين، أبي بكر وعمر، وعلى وفق سيرة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم. مازاغ عن ذلك كله قيد شبر، ولا غير ولا بدل رضي الله تعالى عنه ، بل سلك بالأمة المسلك القويم رغم كثرة الفتن ، وخاصة فى أخريات أيامه حين لاحت بوادر الفرقة والاختلاف فى حياة الأمة الاسلامية. وارتفعت أصوات أهل الشر والفساد.

لقد عمل هؤلاء المجرمون من أيام الفتوحات الاسلامية التى أخضعت رقابهم وأذلت سلاطينهم، وبددت دولهم ، ومزقت جموعهم ،وحطمت أصنامهم وأوثانهم . إن هذا الفتح العظيم أقلق أهل الشر من أهل تلك النحل والملل، وسيف الاسلام العظيم أرعدهم، فأظهروا لدولة الاسلام والمسلمين خلاف ماكانوا يبطنونه من الكفر والنفاق حقنا لدمائهم وحفاظا على أرواحهم.

هكذا عاش هذا الصنف الخبيث فى صفوف المسلمين، وأخذوا يعملون فى ظلام الليل

ما يكيدون به هذا الدين العظيم وأهله بدافع من الحقد والحسد والبغضاء. ولمّا فشلت سيوفهم وجنودهم ، ولمّا رأوا من قوة الاسلام، اتجهوا بسهامهم ومكرهم وكيدهم الى جوانب الاسلام العلمية والاعتقادية، لافسادها فاتجهوا الى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، بأنواع من المكر والكيد. ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون. "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" (١) فكم زعموا أن فى آيات القرآن من تناقض وتعارض وتحريف وتبديل ، الى غير ذلك من مزاعم شيطانية يلقيها عليهم إبليس . وكما قالوا فى كتاب الله، قالوا مثله وأكثر منه أضعافاً في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وما علم أولئك الأقزام أن الله تعالى قد تكفل بحفظ دينه من أيدى العابثين، ومكر الماكرين ، من الكفرة والزنادقة الملحدين ، ومن نحا نحوهم. " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (٢)

كلما فشل إفسادهم فى جانب من جوانب هذا الدين ، لجأوا الى أسلوب آخر ، وسلاح جديد لمقاومة هذا الدين ، وهذا المد الاسلامي العظيم. ولقد تعددت أسلحتهم. وكثرت أساليبهم الماكرة التى استعملوها . ورأوا أنهم قد وجدوا بغيتهم فى أسلوب جابهوا فيه الدين وحاربوه به، وهومحاربة الدين من داخله، بتبني بعض أفكاره ، وعقائده، وسلوكياته، والتظاهر بها ، والعمل تحت شعارها والتحمس فى الدعوة إليها مع تجاوز الحد الشرعى فيها باسم الدعوة إليها ، وبحجة هجر الناس لها، وانكارها، والبعد عنها.

إن هذا الأسلوب كان ، ومازال من أخطر أساليب هدم الاسلام، والفتك بأهله . وقد وجد الأقزام المنحرفون فيه بغيتهم ، وضالتهم . وان حركة الغلو هذه استطاعت الصمود ومواصلة معركتها مع الحق وأهله فى حين سقوط كثير من الأساليب والحركات الأخرى، ذلك لأن الغلو لا يبدى معارضته للاسلام ، وانما يسير مع أفكاره وعقائده متظاهرا بالحرص عليه، والرجوع الى أصوله.

لقد استطاع الغلاة فى أواخر أيام الخليفة الثالث من تحقيق بعض أغراضهم ، فأحدثوا فتنة عظيمة أمسى الحليم فيها حيرانا. ولقد اختار الخليفة عدم مقاومتهم موءثرا اعتزال الفتنة، ولزوم الصمت والصبر رغبة منه في حقن دماء المسلمين ، وحبا منه أن تنقضي أيامه ، وهو على طريق من سبقه، وحتى يتحقق فيه وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة. واستمرت الفتنة، وظهر بين المسلمين واشتهر بعض دعاة الشر والفرقة، وواصلوا عملهم ، وجهدهم فى بث روح الفرقة، ونشر الفتن ، باسم المصلحة الدينية ، والسياسة الشرعية ،

---

(١) سورة الأنفال / ٣٠.

(٢) سورة الحجر / ٩.

وغيرها من الشعارات الدينية التى ستروا بها كفرهم، وحقدهم للاسلام والمسلمين· ثم ازداد أمرهم وخطرهم، وعمت فتنتهم حتى استشهد فيها عثمان رضي الله عنه ولحق بالنبي ورفيقيه فى رضوان الله تعالى·

ثم بدأت الفرقة والاختلاف تدب بين المسلمين ، وظهرت الفرق والأحزاب، الواحدة تلو الأخرى ، وتشيّع لكل منها طائفة من أهل القبلة، وأظهرت بعض تلك الفرق أفكارا وعقائد تخالف فى جملتها ما كان عليه سلف هذه الأمة·

وكان من أول ماحدث فى هذه الأمة من هذه الفرق، فرقتان ، تشيّع لكل منهما جماعة من أهل القبلة، وهما : فرقة الخوارج ، وفرقة الشيعة · وكانت كل فرقة محلا وموطنا لأنواع من البدع والمنكرات ·وعملوا جميعا تحت ظل الغلو ومجاوزة الحد· فغلا الخوارج فى بغض علي بن أبي طالب، وتكفيره، وغلت الشيعة الرافضة فى حبه وولايته، وحتى نبوته وألوهيته· وكانت الفرقتان متقابلتان فى جميع أفكارهما، وعقائدهما، فلا يزعم هؤلاء قولا، إلا ويدعى أولئك ضدا له·

واستمر الشيعة فى غلوهم ، فتظاهروا بحب آل البيت وستروا تحته غلوهم فى علي وفاطمة والحسن والحسين، وأولاده· وبدأوا يوجهون سهام كفرهم لهذا الدين من هذا المنطلق الذى جذبوا اليه عاطفة فئة كبيرة من المسلمين· فطعنوا فى الصحابة طعونا عظيمة، تحز والله فى نفوس أهل الايمان، وتذوب لها قلوبهم كمداً وحزناً، وتثور فيها الآلام والشجون، وتزداد حسرتهم، ويتولون وأعينهم تفيض من الدمع ألا يجدوا ما يقمعوا به تلك الأصوات الصادرة من تلك الحناجر النتنة· إن بدعتهم وغلوهم مازال يفتك بالاسلام وأهله منذ أكثر من أربعة عشر قرناً مستخدما أخبث ما عرفته البشرية فى تاريخها من فنون المكر والكيد والدس والتزوير والتشويه، وغير ذلك من أنواع التآمر ماتتزلزل له الجبال الراسيات · ولولا وعد الله بحفظ هذا الدين ، وبقائه وأهله الى يوم الدين، لكان الاسلام منذ قرون من الأخبار والأساطير المدونة فى كتب التاريخ ، أو رسوما فى متاحف الشرق والغرب· ذلك لأنه لم يتعرض دين من الأديان الى محاولات التشويه والتزوير كما تعرض له هذا الدين مع قلة ما نعيه، وضعف أهله، وعجزهم عن الذب عنه·

ولكن، ورغم كثرة قوى الشر والعدوان، وقوة حيلتهم فى حربهم الاسلام بمبادئه، ومن داخله بسلاح الغلو· فقد قام رجال من هذه الأمة المباركة بواجب الذب عن دين الله وشرعه، وعن الأعلام الشامخين من أوائل هذه الأمة، إن هذه الجهود المباركة التى بدأت

مبكرة من حين ظهور بدعهم تمثل صورة من صور حفظ الله تبارك وتعالى لدينه. فقد قبض سبحانه وتعالى رجالا مؤمنين ، علماء عاملين ، أمدهم بالتوفيق ، وأعانهم فى معركتهم أمام قوى الشر والفساد. وهؤلاء الاعلام يتعاقبون على مر القرون ، يذبون عن دين الله ما ينتحله المجرمون ، ويستمر هؤلاء ما دامت المعركة قائمة بين الحق والضلال حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، يتصدون لكل زيف وباطل ، وتحريف وتأويل ، كم تصدوا للحكام والسلاطين ؟ وكم ضحوالهذه المهمة العظيمة بأوقاتهم ، وجهودهم ، وحتى بأرواحهم ؟ وكم بذلوا لله تعالى حتى وصل الينا هذا الدين العظيم ، وهذه النعمة العظيمة ، كماأنزلها ربنا تبارك وتعالى ؟ وها هى مؤلفاتهم لا تكاد تعد ولا تحصى خدمة لله تعالى ولدينه . فرحمهم الله رحمة واسعة ، وجعلنا من الذين يعرفون حقهم ، وفضلهم ، ويسلكون مسلكهم ، ويكملون مسيرتهم المباركة فى الدفاع عن هذا الدين ، وعن حملته الأوائل رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، تحقيقا لوعد الله تبارك وتعالى فى قوله : " إن الله يدافع عن الذين آمنوا " . (١)

---

(١) سورة الحج / ٣٨ .

سبب اختيار
الموضوع

سبب اختيار الموضوع

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ، أنهم يشهدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بلغ رسالة ربه، وأدى أمانته ، وأنه نصح للأمة · ومن كمال نصحه لهم أنه ما ترك خيرا إلا ودلهم عليه، ولا شرا إلا وحذرهم منه وإن مما حذرهم منه: الغلو، في جميع صوره وأشكاله، في عقائدهم ، وعباداتهم ، وحتى آدابهم وسلوكهم ، ولعظيم أمر الغلو، وشدة خطره على الأديان، أنزل الله تعالى فى شأنه آيات تحذيرا لهذه الأمة من ركوب هذه المطية، ومن السير فى هذا المنزلق الخطر ·

قال الله تعالى :" يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق" · (١)

وقال تعالى:" قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا وأضلوا كثيرا عن سواء السبيل" · (٢)

يعاتب المولى تبارك وتعالى أهل الكتاب في غلوهم في دينهم ، واتباعهم الأهواء، ويحذر أمة القرآن من اتباع سنن وأهواء من قبلهم·

ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الغلو ما حل فى أمة إلا كان سببا لهلاكها، وذلك أثناء بيانه مقدار ما يجب أن يكون قدر حصى رمي الجمرات ، وتحذيره للصحابة من الغلو حتى فى قدر حصيات الرمي· فروى ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال : " · · أمثال هؤلاء فارموا · يا أيها الناس !إياكم والغلو في الدين ، فانه أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين · (٣)

كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن إطرائه، والمبالغة فى ذلك، خشية منه وقوعهم فى الغلو، وحماية منه لاستقامتهم على المنهج الحق ، وتحذيراً لهم من مشابهة النصارى في غلوهم في نبيهم عيسى عليه السلام، فروى البخارى رحمه الله من حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تطرونى ، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده · فقولوا : عبد الله ورسوله" · (٤)

---

(١) سورة النساء/ ١٧١·

(٢) سورة المائدة / ٧٧·

(٣) رواه الامام أحمد فى مسنده(١/ ٢١٥) ،والنسائي فى سننه، كتاب المناسك باب التقاط الحصى(٥/ ٢١٨)· وابن ماجة فى سننه، كتاب المناسك باب قدر حصى الرمي(٢/ ١٠٠٨) ـ كلهم من حديث ابن عباس· واللفظ لابن ماجة ·

(٤) [illegible]

ذلك لأن الغلو مطية الشرك بالله تعالى ، وهو أعظم ما عصي الله تعالى بــه. ولقد أهلك الله القرون الأولى ، والأمم السابقة كقوم نوح ، وغيرهم لغلوهم فى صالحيهم حتى وقعوا فى الشرك .

ويذكر التاريخ الاسلامى أن الغلو فى هذه الأمة ، رغم وضوح المنهج ، وصراحــة النصوص فى التحذير منه، قد وقع مبكرا فى حياة هذه الأمة ، يشوه صفاء دينها، وينخر فــى حنيفيتها ، ويصرفها عن اعتدالها ذات اليمين، وذات الشمال، وعن استقامتها على منهج اللـه وصراطه العظيم، الى تلك السبل المتعددة التى من حول ذلك الصراط .

ولقد رأيت أن أعظم ما حورب به المسلمون فى دينهم، أن فتح لهم باب الغلو فــى قيمه وآدابه وحتى عقائده . وتبين كتب الفرق والعقائد أن معظم انحرافات الفرق الاسلامية، والمنتسبين إليه، إنما كان بسبب الغلو .

ورأيت أن فرقة الرافضة ما استطاعت أن تحقق شيئا من أهدافها فى حربها هــذا الدين وأهله، إلا بعد أن أحسنت استغلال هذا المبدأ الخبيث ، والتوسع فى بثه بيــن الناس.

ورأيت أن التصوف، والدعوة الى التزهد والتنسك ، من أهم المطايا التى امتطتهــا الرافضة فى سبيل تحقيق مآربها، ففتحوا أعظم أبواب الغلو فى هذا الدين وتعاليمه وعباداتــه وعقائده باسم التزهد والتنسك والتصوف، والتجرد الى الله تعالى وحده ، الى غير ذلك مــن الشعارات الاسلامية التى فتكت بهذه الأمة منذ قرون ، ومازالت ، ومازال فئام عظيمة مــن الناس مخدوعين بهذه البدعة الخبيثة .

ورأيت أن من انخدع من أهل السنة والجماعة، بالتصوف ، وانحرف عن الجــادة القويمة بسببه، أعظم عددا ممن انخدع بالتشيع وانحرف عن دينه بسببه ، وذلك لأن التشيع قد باين مذهب أهل الحق مباينة لم تعد بعدها قادرة على إنفاذ حيلها ومكرها بين المسلمين، اللهم إلا من لم يزل غارقا فى ظلمات جهله ، أو أولئك المنتفعين الذين باعوا دينهــم بدنياهم ، فيرددون بين الحين والآخر شعارات الرافضة فى التقارب والوحدة الاسلاميــة ، وعلم الله تعالى أنهم كاذبون.

وأما التصوف فقد نجح الأعداء فى زرعه ، شوكة عظيمة فى جسد هذه الأمــة ، وداءً عضالا فى قلبها. حتى أن كثيراً من أهل العلم والفضل قد انخدع بالتصوف والصوفية، فتــراه يحسن الظن بهم، وبطقوسهم، وعباداتهم ، وعقائدهم ، وحتى شطحاتهم ومنكراتهم التــى

يسعى جاهدا فى تأويلها ، وحملها على بعض وجوه الخير ، وبحثا عن وجوه من المعاذير لتلك الشطحات القولية والفعلية التى ترفضها الأديان والشرائع ، وحتى الفطر والعقول .

وكم تألمت ، وحز فى نفسي مثل تلك الأقوال والتقريرات من أهل الفضل تجاه أولئك المتصوفة المنحرفين ، لأنها من أعظم ما يتمسك به المنحرفون ، شهادة يعتزون بها ، ووسيلة تعينهم فى إضلال الخلق عن منهج الحق الى سبلهم التى قعدوا عليها دعاة الى نار جهنم .

كان هذا من أهم الأسباب والدوافع وراء اختيارى هذا الموضوع تبيانا للحق وربطا بين هذه البدعة ، وبين أهم أصولها ، أعني التشيع الذى كان حظيرة هذة البدعة ، ومزرعتها ، فساهموا فى نشأتها ، وتربيتها ، وتغلغلها فى صفوف أهل السنة والجماعة . ثم دفاعا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولئك الأبطال وعمالقة التاريخ ، الذين مازال يتطاول الى مقامهم هؤلاء الأقزام الأدعياء ، أبناء المتعة وأحفاد المجوس . راجيا أن أكون من الذابين عن دين الله ، السالكين مسلك السلف الكرام فى مسيرتهم العظيمة فى الصراع بين الحق والباطل .

خطة البحث

خطة البحث

قسمت الرسالة الى ثلاثة أبواب بعد هذه المقدمة • ثم خاتمة فى آخرها •

جعلت الباب الأول فى التشيع ورتبته كالاتى :

الشيعة فى اللغة •

الشيعة فى القرآن •

الشيعة فى السنة •

الشيعة فى الاصطلاح•

نشأة التشيع وتطوره • وهو مبحث تاريخى يبحث فى تاريخ التشيع وتطور أفكـــاره وعقائده ، وميله وانحرافه عن جادة الحق والصواب على مر التاريخ •

والباب الثانى فى التصوف ، ورتبته كالاتى :

التصوف فى اللغة والاصطلاح•

أصل كلمة التصوف واشتقاقه•

تعريف التصوف •

نشأة التصوف وتطوره •

مراحل التصـــوف •

وبحثت فى تاريخ الصوفية والتصوف، وتحديد مبدء نشأتها ، ثم تطور انحرافهـــا وبعدها عن مذهب أهل الحق •

والباب الثالث فى بيان العلاقة بين التشيع والتصوف ورتبته كالاتى :

الفصل الأول : وحدة المنشـأ

المبحث الأول : أوائل الصوفيـة •

المبحث الثانى : ذكر الصوفية وعلاقتهم بالشيعة والتشيع •

المبحث الثالث : ذكر الشيعة وعلاقتهم بالتصوف •

الفصل الثانى: وحدة المناهج التعليمية والتربوية •

المبحث الأول : تقسيمهم الدين الى ظاهر وباطن•

المبحث الثانى : العلم اللدنى •

المبحث الثالث : موقفهم من القرآن والسنة •

المبحث الرابع : التقيـــة•

المبحث الخامس : الامامة والولاية ٠

المبحث السادس : تقديس القبور والأضرحة٠

المبحث السابع : الحلول والإتحاد٠

ثم خاتمة تشتمل على أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال بحثي فى هاتين الفرقتين ، وما بينهما من علاقة وصلة من خلال معرفة تاريخهما ، والمباحث العلمية والتربوية التى تشتمل عليها الرسالة٠

وقد بذلت جهدي فى ذكر مذاهبهم وعقائدهم من مراجعهم المعتمدة ، وأصولهم المعتبرة عندهم ، وحاولت أن أربط أقوال المتأخرين منهم ، وحتى المعاصرين ، بأقوال المتقدمين من أئمتهم وشيوخهم الموثوق بهم وبدينهم عندهم ، وعند أهل نحلتهم٠ ذلك لأبين أن متأخريهم صورة ونسخة عن متقدميهم ، يعتقدون جميع معتقداتهم، ويتبنون كل ضلالتهم وانحرافاتهم ، ردا على المزاعم التي تحاول تخفيف حدة الكفر والنفاق ، ومجاملة أهل البدع والأهواء على حساب ديننا ومذهبنا بحجة وحدة الصف المزعوم ٠ فكلما أظهر الله تعالى من فضائح أئمتهم وأساطين مذهبهم على أيدي علماء أهل السنة والجماعة ، زعموا بأن ذلك من مذاهب قدمائهم ، ومتطرفيهم ، وغلاتهم٠ ويقولون إنهم أمة قد خلت ، متظاهرين بأن من بعدهم أقل شرا وغلوا ، وإنهم لكاذبون ٠

الباب الأول
التشيع

الفصل الأول

فى

معانى الشيعة والتشيع

- الشيعة فى اللغة
- الشيعة فى القرآن
- الشيعة فى السنة
- الشيعة فى الاصطلاح

الشيعة فى اللغة

قال أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: " .. والمشايعة: متابعتك إنسانا على أمر، والشيعة : قوم يتشيعون،أي يهوون أهواء قوم ويتابعونهم . وشيعة الرجل : أصحابه وأتباعه. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. (١)

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: " .. والشيع الفرق من الناس. وشيّعت الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعنته عليه. وفلان من شيعة فلان أي ممن يرى رأيه. والجمع أشياع. (٢)

وقال أبو ابراهيم إسحاق بن ابراهيم الفارابي : " وشيعة الرجل أنصاره وأتباعه". (٣) وقال : وشايعه: من الشيعة كما تقول والاه من الولي " (٤) وقال : " وتشيع أي ادعى دعوى الشيعة". (٥)

وقال أبو منصور الأزهري: " والشيعة أنصار الرجل وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، والجماعة شيع وأشياع". (٦)

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: " والشيعة : الأعوان والأنصار". (٧)

وقال على بن اسماعيل بن سيده: " والشيعة القوم يجتمعون على الأمر. والشيعة أتباع الرجل وأنصاره وجمعها شيع،وأشياع جمع الجمع. والشيعة الفرقة، والشيعة يرون رأى غيرهم. وشايعه أي تابعه". (٨)

وقال إسماعيل بن حماد الجوهري: " وشيعة الرجل : أتباعه وأنصاره. يقال شايعه كما يقال والاه من الولي. وتشيع الرجل : إذا ادعى دعوى الشيعة. وتشايع القوم، من الشيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع". (٩)

وقال الفيروز ابادى: " وشيعة الرجل : أتباعه وأنصاره. ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث .

---

(١) كتاب العين (٢/١٩٠) .
(٢) جمهرة اللغة (٣/٦٣) .
(٣) ديوان الأدب (٣/٣٢٩) .
(٤) نفس المصدر (٣/٤٤٢) .
(٥) المصدر السابق (٣/٤٥٧) .
(٦) تهذيب اللغة (٣/٦١) .
(٧) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٣٥) .
(٨) المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة (٢/١٥٤) .
(٩) الصحاح للجوهرى (٣/١٢٤٠) .

وزاد الزبيدى : " ٠٠ كل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة، وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهى المطاوعة والمتابعة" ٠ (١)

وجاء فى المعجم الوسيط ما نصه: " الشيعة الفرقة والجماعة، وفى التنزيل : " ثمّ لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا" ٠ (٢) والشيعة الأتباع والأنصار، وفى التنزيل "فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه" (٣) ٠ ويقال هم شيعة فلان وشيعة كذا من الآراء ٠٠٠٠ وتجمع على شيع وأشياع" ٠ (٤)

فالشيعة تطلق على الجماعة ويراد بها الفرقة من الناس ، وتطلق على الأفراد بمعنى الأنصار والصحب والأتباع والأعوان ٠ وتطلق على المفرد والمثنى والجمع، وتطلق أيضا على المذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد ٠

---

(١) تاج العروس (٤٠٥/٥) ٠

(٢) سورة مريم / ٦٩ ٠

(٣) سورة القصص / ١٥ ٠

(٤) المعجم الوسيط (٥٠٣/١) ٠

الشيعة فى القرآن

جاءت هذه اللفظة فى عدة مواضع من القرآن الكريم وعلى عدة اشتقاقات ٠

قال الله تعالى :" فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه" (١) ومثله قوله تعالى :" فاستغاثه الذى من شيعته" (٢) ومثله أيضا قوله تعالى:" وان من شيعته لابراهيم" (٣) وهى تعني هنا أنه من حزبه وأنصاره وأتباعه فى الملة والدين والمنهاج٠

وقال الله تعالى :" ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا" (٤)، "ومثله قوله تعالى": ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين" (٥) ٠ ومثله قوله تعالى : " أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض" (٦) ٠ ومثلهأيضا :" إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا" (٧) وقوله أيضا :" إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا" (٨)، ومثله قوله تعالى :" من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا" (٩) ٠ وفى هذه الآيات الكريمات تعني الفرقة والطائفة المتعاونة فيما بينها والمتشيع بعضها لبعض،أو الفرق والطوائف والأحزاب ٠

وقال الله تعالى :" ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر" (١٠) ومثله قوله تعالى: " وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل" (١١) ٠ والمعنى هنا الأشباه والأمثال والنظائر فى الكفر والتكذيب ٠

فالمعنى يدور حول المشايعة والمطاوعة والاتفاق فى الرأى أو الملة بين شخص وآخر او بين جماعة وأخرى فيكون بعضهم يتبع بعضا ويناصره ويعاونه للاتفاق والتشابه الفكرى اوالدينى الذى يربط بينهم فى غالب أمرهم وحالهم٠

---

(١) (٢) سورة القصص /١٥٠

(٣) سورة الصافات / ٨٣٠

(٤) سورة مريم/ ٦٩٠

(٥) سورة الحجر /١٠٠

(٦) سورة الأنعام/ ٦٥٠

(٧) سورة الأنعام /١٥٩٠

(٨) سورة القصص /٤

(٩) سورة الروم/٣٢٠

(١٠) سورة القمر/ ٥١٠

(١١) سورة سبأ/ ٥٤٠

الشيعة فى السنة

وردت كلمة الشيعة فى عدة أحاديث مرفوعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أذكر منها ما تمكنت من الوقوف عليه فيما توفر لدي من مصادر السنة المطهرة. فمنها :

حديث حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ان لكل أمة مجوسا... وفيه ... وهم شيعة الدجال ، حقا على الله عز وجل أن يلحقهم به." (١)

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فى قصة ذي الخويصرة التميمي الذى زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل ، فهم عمر رضي الله عنه بقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "..... دعوه، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية..." (٢)

وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فى قصة الدجال وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "..... ثم يسلط الله المسلمين عليه، فيقتلونه، ويقتلون شيعته حتى أن اليهودى ليختبئ...." (٣)

فى هذه الأحاديث تعني كلمة الشيعة الأتباع والأنصار ، فشيعة الدجال هم أتباعه الذين يصحبونه ويطيعون أمره ونهيه فيما يأمرهم وينهاهم ، وهم أنصاره الذين يناصرون دعوته وملته. وكذلك شيعة التميمي فإنهم الذين أطاعوه فى بدعته وتعمقه فى الدين الذى أدى به وبأتباعه الى الانحراف التام والخروج عن الدين الحق. وشيعته قد أطاعوه فى ذلك التعمق وناصروه فى مذهبه وملته. ومن هذه الأحاديث أيضا :

حديث خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه قال : راقبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة صلاها.... – وفيه .. وسألت ربي تبارك وتعالى أن لايلبسنا شيعا فمنعنيها". (٤)

---

(١) رواه أبو داود فى سننه فى كتاب السنة باب فى القدر (٥/ ٦٧) ، وفى مسند الامام أحمد (٥/ ٤٠٧). وقال فيه المنذري رحمه الله: فيه عمر مولى عفرة: لايحتج بحديثه. ويروي عن رجل من الأنصار : مجهول.

(٢) رواه الامام أحمد فى المسند (٢/ ٢١٩). وقال عنه أحمد شاكر رحمه الله: إسناده صحيح، وهو برقم (٧٠٣٨) فى (١٢/ ٣).

(٣) رواه الامام أحمد فى مسنده (٢/ ٦٧). وقال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح، وهو برقم ٥٣٥٣ (٧/ ٢١٧–٢١٨).

(٤) رواه النسائى فى سننه فى كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب إحياء الليل (٣/ ١٧٦–١٧٧) ، ورواه الامام أحمد فى مسنده (٥/ ١٠٨–١٠٩). يرويه النسائى عن عمرو بن عثمان وهو صدوق ، عن أبيه عثمان بن سعيد وهو ثقه. ويرويه الامام أحمد عن علي ابن عياش الحِمْصي وهو ثقة ثبت. ثم يرويه عثمان بن سعيد وعلي بن عياش كلاهما

وحديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ٠٠ـ وفيه ـ٠٠٠ وأن لايلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض٠٠٠" (١)

وحديث ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بنحو حديث شداد المتقدم (٢) .

وحديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر صلى سبحة الضحى ثمان ركعات ٠٠٠ـ وفيه ـ ـــ وسألته أن لا يلبسهم شيعا فأبى علي" . (٣)

ومعنى الشيع فى هذه الأحاديث الفرق التى يجتمع أفرادها على رأي أو أمر، وغالبا ما يتبع بعضهم بعضا، ويناصر بعضهم بعضا ٠

فالحاصل أن الشيعة فى اللغة وفى النصوص الشرعية معناها يدور حول المتابعة والمناصرة والتحزب حول ملة أو مذهب، أو حول شخص معين، يتخذ كامام ويتبعه الأفراد فى الأمر والنهى والنصرة٠ فالمدلول اللغوي موافق للمدلول الشرعي تماما ٠

= عن شعيب بن أبي حمزة وهو ثقة عابد عن الزهرى الامام الحجة عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث وهو ثقة، عن عبد الله بن خباب بن الارت وهو ثقة عن أبيه رضي الله عنه٠ فإسناد الحديث جيد، ورجاله من أهل القبول ٠

(١) المسند (٤/١٢٣) . رواه الامام أحمد عن عبد الرزاق الصنعانى صاحب المصنف ، عن معمر ابن راشد وهوثقة ثبت فاضل ، عن أيوب السختيانى وهو ثقة ثبت حجة، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد وهو ثقة فاضل ، عن أبي الأشعث الصنعاني شراحيل بن آده وهو ثقة، عن أبي أسماء الرحبي عمرو بن مرثد وهوثقة عن الصحابي شداد بن أوس رضي الله عنه٠ وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات. والحديث صحيح وأصله فى صحيح مسلم فى كتاب الفتن وأشراط الساعة باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض (٤/٢٢١٥) إلا أنه ليس فيه لفظ "شيعا".

(٢) رواه ابن ماجة فى سننه فى كتاب الفتن باب مايكون من الفتن (٢/١٣٠٤) ، يرويه عن هشام بن عمار وهو صدوق ، عن محمد بن شعيب بن شابور وهو صدوق ، عن سعيد بن بشير وهو ضعيف عن قتادة وهو ثقة ثبت ، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد وهو ثقة فاضل عن أبي أسماء الرحبي وهو ثقة، عن ثوبان الهاشمي رضي الله عنه٠ وهذا إسناد فيه ضعف من جهة الراوى سعيد بن بشير ولكن يشهد لهذا الحديث حديث شداد عند الامام أحمد، وأصله فى صحيح مسلم٠

(٣) رواه الامام أحمد فى المسند (٣/١٤٦، ١٥٦) عن هارون بن معروف وهو ثقة، عن عبد الله بن وهب وهو ثقة حافظ، عن عمرو بن الحارث وهو ثقة فقيه، عن بكير بن عبد الله الأشج وهو ثقة، عن الضحاك بن عبد الله القرشي: قال عنه الحافظ فى تعجيل المنفعة: ذكره ابن حبان فى الثقات ، عن الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه٠ وهذا إسناد جيد، ورجاله ثقات إلا الضحاك ولم يذكر فيه جرح٠

الشيعة في الاصطلاح

قال أبو منصور الأزهرى بعد تعريفه للشيعة من حيث اللغة: " والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويوالونهم". (١)

وقال الفيروزابادي : "... وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا" (٢)

وقال ... فاذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم. وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم". (٣)

وقال أبو الحسن الأشعرى: " وانما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم". (٣)

وقال الشهرستاني : "الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، واما خفيا ، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده". (٤)

وقال أبو محمد بن حزم: " ومن وافق الشيعة فى أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحقهم بالامامة، وولده من بعده فهو شيعي، وان خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا ليس شيعيا". (٥)

تبين فيما سبق أن التشيع لغة وشرعا يتضمن فى معناه ومدلوله النصرة والصحبة والأتباع من قوم وجماعة لرجل من الناس عامة ، فيكونون عونا له على ما يريد، ويتحزبون له ويبذلون جهدهم فى مشايعته ومطاوعته ومتابعته .وأما فى مدلوله الاصطلاحي كما نص عليه علماء اللغة وعلماء المقالات فى كتبهم فانه أخص من المدلول اللغوي والشرعي حيث تختص المشايعة والمطاوعة والمتابعة فيمن تحزب وصحب عليا رضي الله عنه خاصة. فالمدلول اللغوي والشرعي أعم من المدلول الاصطلاحي.

---

(١) تهذيب اللغة (٣/٦١).
(٢) القاموس المحيط (٣/٤٩).
(٣) لسان العرب (٨/١٨٩).
(٣) مقالات الاسلاميين (١/٦٥).
(٤) الملل والنحل (١/١٤٦).
(٥) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٢/٢٧٠).

والحقيقة أن ما ذكره العلماء فى تعريفهم الاصطلاحى للشيعة وهو تقديمهم لعلي على سائر الصحابة، قيد يخرج به الشيعة الأوائل من شيعة علي رضي الله عنه، لأنهم كانوا يقدمون أبا بكر وعمر على علي، وهؤلاء يصدق وصفهم بأنهم شيعة علي، لأنهم تابعوه وطاوعوه وشايعوه فيما يعتقد ويرى من اعتقادات وآراء فى دين الله، فقدموا من كان يقدمه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقولوا فى أحد منهم إلا ما كان يقوله علي ٠

روى ابن جرير الطبري رحمه الله بسنده الى علي بن أبي طالب أنه جمع الناس فى الكوفة فخطبهم فذكر الجاهلية وشقاءها والاسلام وسعادته ثم " إنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه، ثم حدث هذا الذى جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا" ٠ (١) ويقصد بالأقوام هناقتلة عثمان رضي الله عنه بدليل ما ذكره ابن كثير رحمه الله أن عليا قام خطيبا فقال : " إن الله أعزنا بالاسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا ٠٠٠ فجرى الناس على ذلك ماشاء الله ، الاسلام دينهم، والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة ٠٠٠٠ ثم قال : ٠٠٠٠ ألا وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تحبنى ولا تعمل بعملي، وقد أدركتهم ورأيتهم، فالزموا دينكم واهتدوا بهديي فإنه هدي نبيكم ٠٠ " (٢) ٠ وذكر ابن كثير رحمه الله ما روي عن علي لما ظهر على الناس أنه قال : " يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يعهد إلينا فى هذه الامارة شيئا ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبابكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ٠٠ " (٣) وروى ابن سعد بسنده إلى على أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال : كانا إمامى هدى راشدين مرشدين مصلحين ومُنْجِحَين ، خرجا من الدنيا خميصين " ٠ (٤)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " وكان السلف متفقين على تقديمهما – أي أبي بكر وعمر – حتى شيعة علي رضي الله عنه" ثم ذكر عن ابن بطة بسنده الى حدير بن كريب الحضرمي قال : " قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، فقال لنا شمر بن عطية : قوموا اليه ،

---

(١) تاريخ الطبرى (٣ / ٣٢) ٠

(٢) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٦) ٠

(٣) نفس المصدر (٥ / ٢٨٢) ٠

(٤) طبقات ابن سعد (٣ / ٢١٠) ٠

فجلسنا اليه فتحدثوا ، فقال أبو إسحاق : خرجت من الكوفة وليس أحد يشك فى فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما ، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ،ولا واللهما أدرى ما يقولون ." ثم ذكر عن ليث بن أبى سليم قوله : " أدركت الشيعة الأولى ومايفضلون على أبي بكر وعمر أحدا. " ثم قال شيخ الاسلام : " وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر ، وقد تواتر عن علي ابن أبي طالب أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر (١) " وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة ، قيل إنها تبلغ ثمانين طريقا . ثم قال : وقد رواه البخاري من حديث سفيان الثوري عن منذر عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي : يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : يابني أوما تعرف؟ فقلت : لا . قال : أبو بكر. فقلت : ثم من ؟ قال : عمر" (٢) . وهذا يقوله لابنه ،بينه وبينه ، ليس هو مما يجوز أن يقوله تقية" (٣) ثم يقول رحمه الله : ولهذا كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليا أو كانوا فى ذلك الزمان ، لم يتنازعوا فى تفضيل أبي بكر وعمر ، وانما كان نزاعهم فى تفضيل علي وعثمان . وهذامما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر ، حتى ذكر مثل ذلك أبو القاسم البلخي قال : " سأل سائل شريك بن عبدالله بن أبي نمرة فقال له : أيهما أفضل أبو بكر أو علي ؟ فقال له : أبو بكر . فقال له السائل : أتقول هذا وأنت من الشيعة ؟ فقال : نعم ، إنما الشيعى من قال مثل هذا ـ وفى رواية : من لم يقل هذا فليس بشيعي ـ والله لقد رقى على هذه الأعواد فقال : ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر . أفكنا نرد قوله؟ أكنا نكذبه ؟ والله ماكان كذابا" (٤) انتهى كلام شيخ الاسلام رحمه الله . ويقول ابن كثير رحمه الله : " وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة فى أيام خلافته ودار إمارته فقال : " أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت ، وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر : ثم عثمان ، ثم عثمان" . (٥)

---

(١) الأثر فى مسند الامام أحمد (١/١١٠) ، وفى كتاب فضائل الصحابة للامام أحمد . باب سئل عن قول علي وغيره "خير الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر" (١/٧٦ـ٩٧) وقد جمع طرق الأثر وألفاظه .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب فضائل الصحابة . باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، الفتح (٧/٢٠) عن محمد بن الحنفية وفيه زيادة : "... وخشيت أن يقول عثمان ، قلت ثم أنت ، قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين" .

(٣) منهاج السنة النبوية (٦/١٣٥ـ١٣٧) .

(٤) نفس المصدر (١/١٣ـ١٤) .

(٥) البداية والنهاية (٨/١٤) .

وقال ابن كثير رحمه الله: " وثبت عنه من غير وجه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم: "ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين" (١)
وقال عنه أيضا: كان عثمان رضي الله عنه خيرنا، وأوصلنا للرحم وأشدنا حياء، وأحسننا طهورا، وأتقانا للرب عز وجل". (٢)

هذه مواقف علي رضي الله عنه وأقواله في إخوانه واضحة لا لبس فيها ولاغموض، وهذا هو الظن به وبجميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله قولا ولا فعلا. لأن غايتهم في هذه الدنيا مرضاة الله تعالى، وهدفهم هو نشر دين الله بين عباده، وقد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ورسوله ولهذه المهمة العظيمة لما علم سبحانه وتعالى من صدق سرائرهم فلا يُظن بأحد منهم فضلا عن فضلائهم، أن يشهد على أحد من أهل الاسلام والايمان غير الحق، أو يقول فيه قولا بلا علم، فكيف يظن بعلي أن يقول في الشيخين شيئا لا يرضي الله تعالى، حاشاه ذلك رضي الله تعالى عنه وعن الصحابة أجمعين. فمن كان متشيعا لعلي بن أبي طالب فلا يجوز له أن يخالفه في معتقده في أبي بكر وعمر وعثمان، بل يجب أن يتولاهم ويحبهم ويترحم عليهم ويترضى عنهم متابعا في ذلك كله علي ابن أبي طالب، وموافقا لما كان عليه سلف هذه الأمة.

ويؤكد هذه الحقيقة أبو سعيد نشوان الحميري المتوفى سنة٥٧٣ هـ - وهو من الشيعة الزيدية فيقول بعد تعريفه للشيعة: " .... وكانت الشيعة الذين شايعوا عليا على قتال طلحة والزبير وعائشة ومعاوية والخوارج في حياة علي، ثلاث فرق:

١ - فرقة منهم، وهم الجمهور الأعظم، يرون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان...
٢ - وفرقة منهم، أقل من أولئك عددا يرون الامام بعد رسول الله أبا بكر ثم عمر ثم عليا، ولايرون لعثمان إمامه...
٣ - وفرقة منهم يسيرة العدد جدا، يرون عليا أولى بالامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ....

ثم قال: ولم تزل الشيعة على هذه الأقوال الثلاثة الى أن قُتل الحسين بن علي" انتهى كلام أبي سعيد. (٣)

وأماتعريف الشهرستاني فإنه مما فرحت به الرافضة وطربت له لموافقته هواهم وباطلهم، في أن الخلافة نص ووصية، وأن من عطلها ظالم، وأن التقية حق الى غير ذلك من

---

(١) سورة الحجر/٤٧.
(٢) البداية والنهاية (٧/٢١٢).
(٣) الحور العين (ص /٢٣٢-٢٣٥).

مزاعم الرافضة وباطلهم. و الشهرستاني إن لم يكن شيعيا فإنه مداهن لهم. يقول عنه شيخ الاسلام ابن تيمية أنه" يظهر الميل الى الشيعة، إما بباطنه وإما مداهنة لهم، فان هذا الكتاب"الملل والنحل" ـ صنفه لرئيس من روءسائهم" (١) . وهو بهذا التعريف يوافق ما يزعمه أهل الرفض في تعريفهم لباطلهم وتزيينه للناس والعامة. يقول شيخهم المفيد ، وهو من أعلامهم وقد هلك سنة٤١٣هـ في المعنى الاصطلاحي للشيعة: " ... فهوعلى التخصيص لامحالة لأتباع أمير الموءمنين على سبيل الولاء والاعتقاد لامامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل ، ونفي الامامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء.. " (٢) ثم يزيد في بيان اعتقاده المنحرف فيقول: " كما يستحق اسم التشيع،ويغلب عليه من دان بامامة أمير الموءمنين على حسب ما قدمناه، وان ضم الى ذلك من الاعتقاد ما ينكره كثير من الشيعة ويأباه". (٣)

ما ذكره الشهرستاني والمفيد من شروط وقيود في تعريفهما للتشيع والشيعة،أمور لم يعلمها حتى علي بن أبي طالب ، لأنه بايع كما بايع الناس عامة لأبي بكر، بل قد نص كما سبق ذكره أن استخلاف أبي بكر كان رأيا رآه هو والصحابة رضي الله عنهم. (٤)

روى الطبري رحمه الله بسنده عن حميد بن عبد الرحمن الحميري حديثا طويلا في اجتماع الأنصار في السقيفة،ثم خطبة أبي بكر فيهم،ثم بيعة عمر لأبي بكر،ثم قال : "فبايع الناس واستثبتوا للبيعة ..." (٥) وروى أيضا بسنده عن عمرو بن حريث أنه قال لسعيد بن زيد:" أشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: نعم. قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول اللهصلى الله عليه وسلم ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة. قال: فخالف عليه أحد؟ قال: لا إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد لولا أن الله عز وجل ينقذهم من الأنصار. قال: فهل قعد أحد عنالمهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته، من غير أن يدعوهم". وروى بسنده أيضا عن حبيب بن أبي ثابت قال:" كان علي في بيته إذ أتي فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء، عجلا، كراهية أن يبطئ عنها، حتى بايعه، ثم جلس اليه وبعث الى ثوبه فأتاه فتجلله، ولزم مجلسه". (٦)

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣٠٦/٦).
(٢) أوائل المقالات(ص/٤٢).
(٣) نفس المصدر (ص/٤٥).
(٤) راجع ص /١٨
(٥) تاريخ الطبري (٢٣٤/٢).
(٦) نفس المصدر (٢٣٦/٢).

وذكر ابن كثير رحمه الله ما روي عن أبي سعيد الخدري في قصة بيعة أبي بكر وفيه بيعة الزبير وعلي لأبي بكر [١] ثم قولهما: " ماغضبنا الا لأنا أُخرنا عن المشورة ، وانا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها ، وإنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو حي" [٢] . وقال ابن كثير عقب حديث أبي سعيد: " وفيه فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب . إما في أول يوم ، أو في اليوم الثاني من الوفاة ، وهذا حق ، فان علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه ، وخرج معه الى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة" وقال عقب قول علي والزبير: "ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة ، المهاجرين منهم والأنصار ، على تقديم أبي بكر" . وهذا علي في طاعة أبي بكر والعمل بأمره . فقد روى ابن جرير بسنده الى القاسم بن محمد قال: إن أبا بكر جعل على أنقاب المدينة نفراً: علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود . . . " [٣] جعلهم في حراسة مداخل المدينة من خطر القبائل المرتدة أن تغير على المدينة . وذكر ابن كثير خروج أبي بكر الصديق في الجيوش الاسلامية شاهرا سيفه خارجا الى ذي القصة وعلي بن أبي طالب يقود راحلة الصديق رضي الله عنهما ، ثم أخذ بزمامها وقال: " الى أين يا خليفة رسول الله . . . فوالله لئن فجعنا بك لايكون للاسلام نظام أبدا . . . . ثم ألح عليه علي والصحابة أن يرجع فأجابهم الى ذلك . " [٤] هذه مواقف علي رضي الله عنه من خليفة رسول الله ، أبي بكر الصديق ، فقد بايعه يوم بايع الناس وظل فترة خلافته قريبا منه في طاعته وأمره ، محبا له وناصحا ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، حتى بعد وفاته ، فقد بايع طائعا راضيا من استخلفه بعده ، فبايع عمر بن الخطاب دون تلكؤ أو تردد ، وعاش مع الخليفة الثاني ، قريبا منه في أمور الدولة والرعية . روى ابن جرير الطبري رحمه الله بسنده الى سالم بن عبدالله في قصة الصحابة الذين اجتمعوا واتفقوا على زيادة فرض عمر من بيت المال ، لما رأوا شدة حاجته ، وفيهم علي رضي الله عنه الذي قال لهم: " وددنا قبل ذلك " أي لو زدنا له في رزقه قبل الآن ، ولكن عمر رضي الله عنه رفض قبول تلك الزيادة . [٥] وروى ابن جرير قصة كتابة التاريخ الهجري وأنه استشار الصحابة من أي يوم يكون البدء فأشار علي بيوم الهجرة ، ففعله عمر . [٦] ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علي وعبدالرحمن بن عوف: " إبدأ بنفسك . قال: لا ، بل أبدأ بعم

---

(١) البداية والنهاية (٥ / ٢٨٠) وقال عنه ابن كثير: وهذا إسناد صحيح محفوظ .
(٢) نفس المصدر (٥ / ٢٨١) وقال عنه: وهذا إسناد جيد .
(٣) تاريخ الطبري (٢ / ٢٥٥) .
(٤) البداية والنهاية (٦ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥) .
(٥) تاريخ الطبري (٢ / ٤٥٣ ـ ٤٥٤) .
(٦) نفس المصدر (٢ / ٤٧٦) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب... ثم ألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها: الحسن والحسين وأباذر وسلمان".[١] وروى ابن جرير بسنده عن قيس العجلي في قدوم كنوز كسرى وسيفه الى عمر فقال: إن قوما أدوا هذا لذوو أمانة. فقال له علي: إنك عففت فعفت الرعية"[٢]. هكذا كان علي قريبا من الخليفة عمر، محبا له، ومتبعا هديه، ومتأسيا به حتى بعد وفاته. فقد روى ابن جرير بسنده عن المغيرة بن شعبة قال: " لما مات عمر رضي الله عنه بكته ابنة أبي حثمة، فقالت: واعمراه! أقام الأود، وأبرأ العمد، أمات الفتن، وأحيا السنن، خرج نقي الثوب بريئا من العيب". وروى بسنده الى المغيرة أيضا عن علي ابن أبي طالب أنه قال: " يرحم الله ابن الخطاب! لقد صدقت ابنة أبي حثمة، لقد ذهب بخيرها، ونجا من شرها. أما والله ما قالت، ولكن قُوِّلت".[٣] وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: " لما وُضع عمر على سريره... فاذا علي ابن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ماخلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك. وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر". ويعلق الحافظ ابن حجر فيقول: " إن عليا كان لايعتقد أن لأحد عملا في ذلك الوقت أفضل من عمل عمر."[٤]

وقد انتظم علي في الشورى التي أشار بها عمر في الخليفة من بعده، وبايع عثمان كما بايعه الناس عامة. وقد زوج ابنته من فاطمة، أم كلثوم من عمر سنة ١٧ من الهجرة. وذكر ابن كثير عنه لما دخل الكوفة بعد الجمل قيل له: " انزل القصر الأبيض. فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك، فنزل الرحبة..."[٥]

وكذلك عمر رضي الله عنه كان محبا لأهل بيت رسول الله وقرابته، ولاتستقيم هذه السيرة من علي، مع علمه واعتقاده بأن من سبقه الى الخلافة ظالم مغتصب لحقه الشرعي، ومخالف لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره. بل قد جاءت نصوص كثيرة عنه تبين كذب هذه الدعاوى التي يزعمها الرافضة ومن وافقهم من غيرهم. فقد نص رضي الله عنه في خطبة له أن رسول الله لم يعهد إليهم في هذه الامارة شيئا.[٦] وذلك ليقطع ما كان يتردد

---

(١) تاريخ الطبري (٢/٤٥٢).
(٢) نفس المصدر (٢/ ٤٦٦).
(٣) المصدر السابق (٢/٥٧٥).
(٤) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه. الفتح (٧/٤١-٤٢).
(٥) البداية والنهاية (٧/٢٧٦).
(٦) تقدم ذكره في ص ١٨.

من مزاعم وأكاذيب بين شيعته مما كان يشيعها ويذيعها بعض الزنادقة والملحدين ، ويتناقلها عنهم بعض أهل السذاجة من شيعته حول الوصية وغيرها .

روى ابن جرير رحمه الله بسنده عن محمد بن الحنفية فى قدوم أصحاب رسول الله الى على فى منزله ليبايعوه بالخلافة فقال لهم: "... لا تفعلوا فإنى أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا. فقالوا: لا ، والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففى المسجد فان بيعتى لاتكون خفيا ، ولا تكون الا عن رضا المسلمين". (١) وروى بسنده الى أبي بشير العابدي فى قصة اجتماع الصحابة وفيهم طلحة والزبير الى علي ليبايعوه فقال: " لاحاجة لي فى أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به" وذكر تردد المهاجرين والأنصار اليه مرارا حتى رضي فصعد المنبر وقال: " إنى كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم.." (٢) وروى بسنده عن الشعبي نحوه وفيه يقول لهم: " لاتعجلوا فان عمر كان رجلامباركا ، وقد أوصى بها شورى ، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون ..." (٣)

وذكر ابن كثير أنه: " لما طُعن علي جعلت أم كلثوم تقول: " مالي ولصلاة الغداة، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة، وقتل أبي أمير المؤمنين صلاة الغداة رضي الله عنهما". وقيل لعلى : " ألا تستخلف؟ فقال : لا ، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ، فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم". (٤) وذكر ابن كثير حديث البيهقى عن أبي وائل بنحوه ثم قال إسناده جيد (٥). وذكر ابن جرير وابن كثير ما روي عن جندب بن عبد الله أنه دخل على علي فى مرضه بعد طعنه فسأله: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك — ولا نفقدك — فنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر". (٦)

إن فى هذه الأدلة كفاية لمن وفقه الله تعالى الى اعتقاد سلف هذه الأمة فى الصحابة رضوان الله عليهم ، فهذا علي رضي الله عنه يحاول دفع المهاجرين والأنصار عن مبايعته، وعندما اضطروه لذلك سألهم أن تكون البيعة فى المسجد وعن رضا المسلمين ، ويعلن أنه لم يقبل البيعة إلا بعد إصرارهم وهو كاره لذلك، ويوصيهم أن تكون شورى بين

---

(١) تاريخ الطبرى (٢/٦٩٦).
(٢) نفس المصدر (٢/٦٩٦-٦٩٧).
(٣) المصدر السابق (٢/٧٠٠).
(٤) البداية والنهاية (٨/١٤).
(٥) نفس المصدر (٥/٢٨٢).
(٦) تاريخ الطبرى (٣/١٥٧) ، والبداية والنهاية (٧/٣٥٧).

المسلمين . أهذا شأن من يرى أن خلافته نص ووصية من رسول الله؟ إنهم بزعمهم هـذا يقدحون حتى فى علي بن أبي طالب ويسيئون إليه أعظم إساءة ، فكيف يبايع من كان قبله ، ثم يدفع الخلافة عن نفسه دفعا؟ ثم كيف لايجعلها من بعده فى الحسن؟ وهل بلغت مخالفته لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدرجة ؟

والحق أن القول بالوصاية والنص من أقبح الأقوال التى ينتزعها الرافضة ويدّعون ثبوتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيزعمون أنهم وأئمتهم قد علموا شيئا من الدين كان قد جهله سائر الصحابة حتى علي بن أبي طالب، أو يكون قد علمه علي وجبن فى تنفيذ وصية رسول الله، لما قد ثبت عنه أنه لما بويع له بالخلافة بعد عثمان، جرد سيفه وشهره فى وجوه المعترضين له فى أى حق من حقوق هذه الخلافة، كما روى ابن جرير الطبرى بسنده أنه قال لابنه الحسن : "... فأنا مقاتل من خالفني بمن اتبعنى حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين" (١) أفلا يظن بعلي الذى حمل السيف وقاتل فى سبيل أمر ناله ببيعة المسلمين واختيارهم له، أن يحمل السيف أو يحاول فى سبيل أمر أوصى له به رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن سيرته ودينه وتقواه تؤكد أنه لو علم بالوصية المزعومة لما تأخر لحظة عن أخذها بالسيف والقوة رغم معارضيه، وان فى مبايعته لأبي بكر ثم لعمر ثم لعثمان بالخلافة حجة قاطعة فى رد قول الرافضة ودحض باطلهم. ولا يجوز لمسلم أن يظن بعلي، وهو الصحابى الشجاع أن يتأخر فى تنفيذ وصاية رسول الله ، ليس هذا فقط، بل لايجوز بحال أن يظن السوء بأحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وهم الرجال الذين أثنى الله تعالى عليهم، ورضي عنهم، ورضي عنهم رسوله، وماكانوا يقدمون قول أحد على قول الله تعالى، وقول رسوله، وهم الذين قدموا محبة الله تعالى ومحبة رسوله على كل أحد حتى على النفس والولد، فلا يجوز لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يظن بهؤلاء أى سوء مهما دق أو صغر لأنهم فى جملتهم صفوة الخلق بعد الرسل والأنبياء، هذا فضلا عن أن يظن بهم التواطؤ والاتفاق على مخالفة رسول الله ومعصيته فيما أوصى وأمر. كيف يظن بهم هذا الظن وقد رأيناهم ينقادون لوصية أبي بكر بالخلافة لعمر انقيادا تاما، ثم ينقادون لوصية عمر بالشورى فى الخلافة من بعده إنهم واللطم ينقادوا لخلفائهم طمعا فى الدينار والدرهم ومتاع الدنيا، ولكن ومما لا يشك به عاقل منصف متدبر لسيرتهم فضلا عن مسلم ومؤمن بالله تعالى، انقادوا طمعا فى مرضاة ربهم واجتماع كلمة المسلمين . أفلا يظن بهؤلاء أن يكونوا أشد انقيادا ومتابعة فى تنفيذ أمر رسولهم ووصية نبيهم؟ نعم والله، لا يشك بهذا من وفقه الله وعلم قدر الصحابة رضي الله عنهم، وحفظ لهم منزلتهم، التى أنزلهم إياها الله تعالى فى كتابه الكريم، ورسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته المطهرة. ويقول ابن كثير رحمه الله فى رده على الرافضة فى مسألة الوصاية :

" ... ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة ، فإنهم كانوا أطوع لله، ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه، فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا ! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم الى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومضادتهم في حكمه ونصه، ومن وصل الى هذا المقام، فقد خلع ربقة الاسلام، وكفر باجماع الائمة الأعلام، وكانت إراقة دمه أحل من إراقة المدام" . (١)

فالحاصل أن القول بالوصاية، أو بتقديم علي على أبي بكر وعمر، لم يكن معروفا لدى الشيعة الأوائل الذين كانوا شيعة لعلي، يتابعونه فيما يعتقد، ويطاوعونه فيما يرى من الآراء والأقوال . فمن اعتقد بالوصية ، أو قدم عليا على أبي بكر وعمر، فإنه ليس من شيعة علي وإن زعم ذلك، بل هو من شيعة عبد الله بن سبأ الذى أحدث القول بالوصية وقدم عليا على سائر الصحابة، وأظهر البراءة من الشيخين وغيرهما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأنه ليس من العدل أن ينسب هؤلاء الى علي فيقال إنهم من شيعته، وهم له مخالفون في الملة والاعتقاد . فتعريف الشهرستاني وغيره من أئمة الرفض، هو تعريف للرفض والرافضة، وليس تعريفا للتشيع والشيعة، إذ العبرة بحقائق الألفاظ ومسمياتها، لا بمجرد الأسماء . وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة عند الكلام في نشأة التشيع وتطوره إن شاء الله تعالى.

---

(١) البداية والنهاية (٥ / ٢٨٢) .

الفصل الثانى

فى

تاريخ الشيعة والتشيع

نشاة التشيع

وتطوره

نشأة التشيع وتطوره

عاش المسلمون فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعرفوا اختلافا يؤدي الى الفرقة فيما بينهم فقد كانوا يعرضون أمورهم و أحوالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ينفضون من حوله إلا وقد اتفقوا وزالت عنهم كل اختلافاتهم فى كل مسائلهم وأحوالهم. فقد تنازع المسلمون يوم بدر فى الأنفال ، واختلف الأنصار فيما بينهم فى قصة الافك حتى هموا بالاقتتال ، ولكن لم تكن مثل هذه الاختلافات والنزاعات أن تستمر أو حتى تبقى ولو بعض يوم. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضها وينصرف الصحابة وقد زالت عنهم حتى آثار هذه النزاعات والاختلافات،من شحناء وبغضاء وغيرها. ثم استمروا على هذه الحال العظيمة من الوفاق والاتفاق حتى أواخر عهد عثمان رضي الله عنه حينما كثرت الفتن،وانتشر أهل الشر والفساد فى صفوف المسلمين جاهدين أنفسهم فى تبديل حال المسلمين وتغيير دينهم مستغلين أحداثا تاريخية،وأفرادا سذجا فى سبيل غايتهم التى هي النيل من هذا الدين الذى حطم آمالهم وأمانيهم وبدد دولهم وسلاطينهم. ومع كثرة هذه المحاولات ظهرت أحداث وأمور اختلف فيها المسلمون وتباينت فيها آراؤهم ، الأمر الذى أدىفي النهاية الى افتراق المسلمين وتنازعهم،وتكون الفرق التى تعصب لكل منها طائفة وجماعة من المسلمين. وهكذا كان مبدأ انقسام هذه الأمة الى فرق وشيع استغلها أهل الشر والفساد أسوأ استغلال فى تبديد جهود هذه الأمة واعمال سيفها وبأسها فيما بينهم.

روى ابن سعد بسنده من حديث أبى سهلة مولى عثمان عن عائشة رضى الله عنها ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب عثمان يوماوأسر له بحديث ، وفى آخره يقول أبوسهلة: "لما كان يوم الدار قيل لعثمان ألا تقاتل ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وإنى لصابر عليه . قال أبو سهلة ، فيرون أنه ذلك اليوم." (١)

وروى عمر بن شبة بسنده عن موسى بن عقبة قال حدثنيجدي أبوحبيبة أنه دخل الدار، وعثمان رضي الله عنه محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة – وأذن له عثمان رضي الله عنه في الكلام – فقال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تكون فتنة واختلاف، فعليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير الى عثمان رضي الله عنه". (٢)

---

(١) طبقات ابن سعد (٦٧/٣).
(٢) تاريخ المدينة (١١٠٥/٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعُذ به" . (١)

وروى مسلم من حديث أبي بكرة بنحوه وزاد: " ... ألا فاذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له إبل فليلحق بابله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه... الحديث" . (٢)

وروى الامام أحمد وعمر بن شبه" من حديث عائشة أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يتمنى: " لو كان عندنا رجل يحدثنا" فقيل له أن يبعثوا الى أبى بكر أو عمر ، ثم أنه أرسل من يطلب له عثمان، حتى جاءه، فأكب أحدهما على الآخر، وكان من آخر كلامه: "ياعثمان إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصاً ، فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يا عثمان ، يقولها ثلاثا" . (٣)

في هذه الأحاديث بيان لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن التي ستكون بعده وستبدأ في أواخر عهد عثمان ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بوصايا، منها عدم خلعه الامارة والخلافة عن نفسه، كما أوصاه وأوصى أهل الاسلام عامة بما هو خير للمرء في الفتنة، فالقاعد خير من القائم. ثم ندبهم الى اعتزالها بقوله: فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذبه ، وأكده ماجاء في حديث أبي بكره بأن يلحق أهل الابل بابلهم، وأهل الغنم بغنمهم، وأهل الأرض والزرع بأرضهم وزرعهم، فالشاهد أن الفتنة أول ماتكون في عهد عثمان، ويؤكد هذا ما رواه عمر بن شبة بسنده عن زيد بن وهب قال قال لنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : " أي الفتن تعدون أول ؟ فسكتنا . فقال : أول الفتن الدار، وآخرها الدجال" (٤) .وهذا ليس مما يقال فيه بالرأي والاجتهاد، فهو مع كونه موقوفا سندا

---

(١) البخاري في كتاب الفتن. باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ـ الفتح (١٣/ ٣٠٢٩) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/ ٢٢١٢) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/ ٢٢١٢ـ ٢٢١٣) .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٧٥، ٨٦ـ٨٧، ١١٤، ١٤٩) . وعمر بن شبه في تاريخ المدينة (٣/ ١٠٦٦ـ ١٠٦٧) .

(٤) تاريخ المدينة (٤/ ١٢٤٧) .

الحاصل أن هؤلاء الأحزاب قد اجتمعوا وكانوا نواة الفتنة التى نتج عنها تفرق المسلمين وتشيعهم شيعا وأحزابا ، وكان دعاة الفتنة من أهل النفاق والكفر كما جاء عن رسول الله فيما رواه أحمد وابن شبة (١) ، ومن الملعونين كما جاء عن علي وطلحة والزبير فيما تقدم، ومعلوم أن الذى تولى كبر هذه الفتنة هو عبد الله بن سبأ اليهودى الذى تستر بالاسلام وكان يدس وينشر أفكاره الخبيثة الهدامة لاشاعة الفساد العقائدي والفكري بين المسلمين ، وقد تمكن بعد انتقاله بين الأمصار الاسلامية من تكوين فرقة تؤمن بأفكاره وعقائده ، واستطاع بهؤلاء، وبمن انخدع بالشعارات الدينية التى كان يظهرها ويشيعها بين العامة والخاصة كحب آل البيت، وزعمه أنهم ظُلموا ، وأنه يجب نصرهم ورفع الظلم عنهم . واستطاع بعد استمالة عدد كبير من العامة معه بالشعارات التى روجها بينهم من تسيير جموع كبيرة من عدة أمصار ، الى المدينة ، ثم محاصرة الخليفة فى داره ، ثم قتله بعد ذلك رضي الله تعالى عنه . هذا ملخص لما جاء فى المصادر التاريخية والتى أكدت أن ابن سبأ هو أول من أظهر القول بالوصاية والطعن فى الخلفاء والصحابة، وليس فى مصادر التاريخ السنية فقط ، بل حتى فى مصادر التاريخ الشيعية . يقول سعد بن عبد الله القمى بعد أن ذكر عبد الله بن سبأ : " وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن عليا أمره بذلك" وأضاف أن عليا رضي الله عنه أراد قتله ، ثم نفاه الى المدائن وقال : " وحكى جماعة من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا ، وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون وصي موسى، فقال فى إسلامه بعد وفاة الرسول فى علي بمثل ذلك ، وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة على بن أبي طالب ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم. . . " (٢)

ويقول الحسن بن موسى النوبختى فى ذكره السبأية بنحو قول سعد بن عبد الله القمي وينص على أن الجماعة من أهل العلم الذين وصفوا ابن سبأ ، أنهم من أصحاب علي رضى الله عنه. (٣) والقمى والنوبختى من علماء الشيعة الأوائل الذين صنفوا فى الفرق والمقالات فى المذهب الشيعى ، وهما من علمائهم فى القرن الثالث الهجرى . ويقول أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، وهو من علماء الشيعة فى القرن الرابع الهجرى ، فى كتابه الذى صنفه على ترتيب الطبقات ، بدءً بأصحاب علي وانتهاءً بأصحاب الحسن العسكري ، وقد ذكر ابن سبأ فى الطبقة الأولى ، وأورد عن ابن سبأ أنه ادعى النبوة وزعم أن عليا هو الله ، وأن عليا استتابه ثم أحرقه بالنار ، فى عدة روايات بأسانيده ثم يقول بعد ذلك: " وذكر بعض أهل العلم أن عبدالله ابن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى عليا . . . ثم ذكر نحو ما ذكره القمي والنوبختي. (٤) وذكره

---

(١) أُنظر ص/ ٢٨

(٢) كتاب المقالات والفرق (ص/ ١٩ـ ٢١) .

(٣) فرق الشيعة (ص/ ٢٢ـ ٢٣) .

(٤) رجال الكشى (ص/ ١٠٦ـ ١٠٨) .

فإنه مرفوع حكما، ثم حذيفة هو الصحابي الذى كان له اهتمام بأحاديث الفتن والشر الذى سيقع فى هذه الأمة.

وكان ابتداء أمر هذه الفتنة كما روى ابن جرير الطبرى رحمه الله باسناده الى يزيد الفقعسي قال: "كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ثم بالشام، فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم. فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل: "إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" (١) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء..... ثم أظهر التكلم فى الخلفاء والصحابة، والطعن في عثمان وحرضهم على الخروج عليه قائلا: فانهضوا فى الأمر فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم الى هذا الأمر." (٢)

وذكر ابن كثير رحمه الله هذا اليهودى الذى أظهر الاسلام ليكيد أهله وقال فيه بنحو ما قاله ابن جرير (٣). وقال أيضا: " تكاتب أهل مصر وأهل الكوفة و أهل البصرة، وتراسلوا، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة، وعلى لسان على وطلحة والزبير يدعون الناس الى قتال عثمان ونصر الدين وأنه أكبر الجهاد..... وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجا، ومعهم ابن السوداء..." (٤)، وقال ابن جرير... وكان معهم ابن سبأ.." (٥).

الحاصل أنهم جاءوا الى المدينة فنزل أهل البصرة ذا خُشُب، ونزل أهل الكوفة الأعوص، ونزل أهل مصر بذي المروة. ثم إن أهل مصر أتوا عليا، وأهل البصرة أتوا طلحة، وأهل الكوفة أتوا الزبير، يدعونهم الى الخلافة ويعرضون عليهم الأمر، وان كلا من علي وطلحة والزبير قالوا للثوار قولا واحدا: " لقد علم المؤمنون أن جيش ذى المروة وذى خُشُب والأعوص، ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم"، وطردوهم. (٦)

---

(١) سورة القصص /٨٥.
(٢) تاريخ الطبرى (٢/٦٤٧) فى أحداث سنن خمس وثلاثين.
(٣) البداية والنهاية (٧/١٨٣).
(٤) نفس المصدر (٧/١٩٠).
(٥) تاريخ الطبرى (٢/٦٥٢).
(٦) نفس المصدر (٢/٦٥٣)، والبداية والنهاية (٧/١٩١).

الطوسى، وهو من علمائهم فى القرن الخامس الهجرى ، فى طبقة الرجال الذين رووا عن علي ابن أبى طالب رضى الله عنه فقال : " عبد الله بن سبأ ، الذى رجع الى الكفر وأظهر الغلو" (١)

هذا ما نص عليه علماء الرافضة المتقدمون ، فانهم أثبتوا وجود ابن سبأ اليهودى ، ونصوا على أنه أول من أحدث القول بفرضية إمامة علي وبالوصية ، وأنه أول من طعن فى الخلفاء والصحابة ، والبراءة منهم . ولا عبرة بما يردده المتأخرون من كتاب وأئمة الرفض ، ومن وافقهم من غيرهم ، من مقالات يحاولون بها نفى وجود هذه الشخصية اليهودية ، فيطعنون فى جميع الروايات التاريخية التى نقلها علماء أهل السنة ، وأئمة الرفض المتقدمون ، يريدون بذلك تبرئة مذهبهم ، وستر عوارهم التى دنستها المؤامرات اليهودية .

ومن غريب ما ذكره الشهرستانى عن ابن سبأ قوله : " إنه أول من أظهر القول بالنص بامامة على رضي الله عنه ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة" . مع أنه لما عرف التشيع والشيعة ، نص على أنهم القائلون بامامة علي وخلافته نصا ووصية ، مشيرا أن النص والوصية كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا يحدد أن ابن سبأ هو أول من قال بالنص والوصية . وفى هذا تخليط وعدم تحقيق ، واضح فيه اتباع الهوى والعياذ بالله .

وكما ذكره المؤرخون من أهل السنة ، فقد ذكره أيضا علماء الفرق والمقالات فى كتبهم ومصنفاتهم ، ويكاد يتفق الجميع على أنه كان يهوديا ، وأنه أول من أظهر القول بالوصية والرجعة والبراءة . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " وكان عبد الله بن سبأ شيخ الرافضة لما أظهر الاسلام ، أراد أن يفسد الاسلام بمكره وخبثه ، كما فعل بولس بدين النصارى .... أظهر الغلو فى علي ، والنص عليه ليتمكن بذلك من أغراضه ...... وخبره معروف ، وقد ذكره غير واحد من العلماء" . (٤)

هكذا ظهر هذا اليهودى الحاقد بين المسلمين وأظهر مقالاته الفاسدة التى تعتبر البذرة الأولى للتشيع الاصطلاحى الذى تقدم تعريفه وتفصيله ، وكان الشيعة الأوائل على المعنى الاصطلاحى من المنافقين الملعونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين آمنوا بأفكار ابن سبأ ، وعملوا جميعا جهودهم لتفريق كلمة المسلمين ووحدتهم ، شأن المنافقين المعاندين منذ أيام الاسلام الأولى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كانوا حربا على الوحدة والألفة التى حققها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين

---

(١) رجال الطوسى (ص ٥١/) .
(٢) الملل والنحل (١/ ١٧٤) .
(٣) نفس المصدر (١/١٤٦) .
(٤) منهاج السنة النبوية (٨/ ٤٧٩) .

أصحابه فكانوا يحاولون جهدهم فى الايقاع بين المهاجرين والأنصار، ولكن الله تعالى كان يرد كيدهم فى نحورهم، وكانوا يحاولون إشعال نار الفتنة متى وجدوا لذلك سبيلا، ولكن بفضل الله تعالى وحده، ثم بحلم الرسول وحكمته وسماحته، وبقوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم مات النفاق، وخمدت ناره وفتنته فى تلك الايام.

فالسبئية امتداد لأولئك المنافقين الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وعاصروا أبا بكر الصديق فى حروب الردة التى أخمد الله تعالى فيها الفتنة والعصبية، وأظهر أهل الحق ونصرهم على أعدائهم، واستمروا فى خفائهم وتحت الظلام ينتظرون الفرصة للنيل من الاسلام وأهله. وشاء الله تعالى أن تكون لهم الشوكة فى أواخر أيام عثمان رضي الله عنه، وأمكنهم الله تعالى من قتل الخليفة وفتح باب الفتنة والفرقة بين المسلمين، وذلك بعد أن أقسم عثمان على الصحابة الذين كانوا فى الدار للدفاع عنه أن يتركوه وينصرفوا الى منازلهم، وألا يرفعوا سلاحا كما ذكره ابن كثير وقال: " وسبب ذلك أنه رأى فى المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده وشوقا الى رسول الله وليكون خير ابني آدم" (١) وقد كان رأي الصحابة فى أولئك الأحزاب واضحا أشد الوضوح بما لديهم من أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم. روى ابن جرير الطبري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " يا أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة، اجتمعوا .... ثم ذكرت ما نقموه على عثمان فقالت ... وهى أمور قد سبق بها، لايصلح غيرها، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحا لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا خلجوا وبادوا بالعدوان ونبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام. والله لأصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم..". (٢) وذكر ابن جرير وابن كثير عن الثوار أنهم كانوا طلاب دنيا، فقد انتهبوا ما فى بيت عثمان رضي الله عنه حتى إنهم تناولوا ما على النساء ثم تنادوا وأسرعوا الى بيت المال فانتهبوه، وقد وصفهم علي رضي الله عنه بأنهم قوم يريدون الدنيا. (٣) وروى ابن جرير عن الحسن بن علي قوله: " لادينهم ديني ولا أنا منهم.. " (٤) وروى عمر بن شبة بسنده الى الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قام بعد مقتل عثمان وقال للقتلة: " لا مرحبا بالوجوه ولا أهلا، مشائم هذه الأمة، من فتق فيها الفتق العظيم. أما والله لولا عزمة أمير المؤمنين علينا لكان الرأي فيكم

---

(١) البداية والنهاية (١٩٩/٧).
(٢) تاريخ الطبرى (٣/٦-٧).
(٣) نفس المصدر (٦٧٢/٢) والبداية والنهاية (٢٠٧/٧).
(٤) المصدر السابق (٦٧٤/٢).

ثابتا" .^(١)^ وروى أيضا بسنده عن عائشة والحسن بن علي أنهما يلعنان قتلة عثمان^(٢)^ . وكذلك روي عن علي رضي الله عنهم^(٣)^ . وروي عن ابن عباس أنه خطب بالبصرة فذكر عثمان فعظّم أمره وقال :" لو أن الناس لم يطلبوا بدمه لأمطر الله عليهم حجارة من السماء" .^(٤)^

هؤلاء هم أتباع عبد الله بن سبأ وشيعته، وهم الذين يصدق فيهم تعريف التشيع الاصطلاحى، وهذه آراء الصحابة فيهم فقد لعنوهم وتبرأوا منهم وعزموا على قتالهم لولاأن أقسم عليهم الخليفة رضي الله عنهم أجمعين . فهل يجوز بعد ذلك أن يوصفوا بأنهم شيعة علي رضي الله عنه ؟ كلا ، والله بل إنهم أعداؤه وخصومه، ولايجوز أن يطلق عليهم اسم أو وصف غير شيعة ابن سبأ، لأنهم شايعوه وناصروه وآمنوا به ، وبأفكاره وتابعوه على ملته ومذهبه. أو الرافضة لرفضهم الدين والايمان والحق الذى آمن به الصحابة والسلف الكرام رضي الله عنهم.

هذا بالنسبة لمبدأ نشأتهم ، وأما تطورهم وانتشار مذهبهم فان أحداثا تاريخية ووقائع كثيرة فى تاريخ المسلمين كان لها دور وأهمية فى تطور واشتهار هذه العقائد والأفكار المنحرفة حتى أصبحت تشكل خطرا عظيما على الاسلام وأهله.

بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه انقسم المسلمون الى شيعتين وفرقتين عظيمتين ، شيعة عثمان وهم المطالبون باقامة الحد والقصاص فى قتلة عثمان، وشيعة علي وهم المطالبون باخضاع جميع أجزاء الدولة الاسلامية للخلافة الجديدة قبل كل شئ، وكان اختلافهم فى الرأي والأولويات ، ولم يكن فى شئ من الدين والعقائد.

فظهرت حينئذ كلمة"شيعة" بين المسلمين وكانت تضاف الى الفريقين على السواء فكان يقال :" شيعة عثمان وشيعة علي" ولم يعرف المسلمون هذه الكلمة قبل ذلك، ولم يكن أحد يتسمى بالشيعة فى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، فضلا عن أن تعرف فى أيام النبي صلى الله عليه وسلم. فالمسلمون كانوا كلمة واحدة، لا فرقة بينهم ولا اختلاف، ولكن لما افترقوا بعد مقتل عثمان احتاج الأمر الى تعريف كل فريق منهم وتمييزه عن الآخر، فقيل لهؤلاء شيعة عثمان ، ولأولئك شيعة علي. روى الامام مسلم فى صحيحه وغيره أن سعد بن هشام

---

(١) تاريخ المدينة (٣/١١٣١) .
(٢) نفس المصدر (٤/١٢٤٤-١٢٤٥) .
(٣) المصدر السابق (٤/١٢٦٢) .
(٤) المصدر السابق (٤/١٢٥٤-١٢٥٥) .

أراد أن يغزوا فى سبيل الله فقدم المدينة فأراد أن يبيع عقارا له بها فيجعله فى السلاح والكراع ويجاهد الروم حتى يموت.... وفيه أنه سأل ابن عباس عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يأتي عائشة يسألها، لأنها أعلم أهل الأرض بذلك ثم يخبره بردها عليه فقال: "فانطلقت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها. فقال: ما أنا بقاربها، لأني نهيتها أن تقول فى هاتين الشيعتين شيئا، فأبت فيهما إلا مضيا. قال: فأقسمت عليه فجاء فانطلقنا ....." الحديث.[1] والمراد بالشيعتين: شيعة عثمان، وشيعة علي، ولم يكن لهذه الكلمة دلالة خاصة سوى ما هو معروف فى اللغة والشرع، وكانت الشيعتان على دين واحد ومعتقد واحد، ولم يكن هناك أي انحراف وضلال فى أمور الدين، ولم تكن شيعة علي على المعنى الاصطلاحى المتقدم ذكره، وانما كانوا كاخوانهم فى تفضيل الصحابة، وفى سائر أمور الدين كما تقدم.

ولا يضر وجود ابن سبأ ومن كان على فكره ومنهجه المنحرف فى صفوف شيعة علي لقلتهم وحقارة شأنهم فى ذلك الوقت، ولعدم معرفة شيعة علي بتلك الأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة التى كان يحملها السبأيون، لأنهم قد ستروها عن عامة الناس . وهكذا تمكن هؤلاء المنافقون من العمل بين شيعة علي حتى عمت الفتنة بين المسلمين، ووجد الصحابة أنفسهم فى مقتلة عظيمة بين أهل الاسلام والتوحيد. إنها الفتن التى جعلتهم فى حيرة من أمرهم، وهم الرجال الذين اختارهم الله عز وجل لحمل هذا الدين ونشره بين أهل الأرض كافة، تفرقوا واختلفوا، فطائفة اعتزلت، وطائفتان اقتتلوا فى ظلمة الفتن قتالا عظيما، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: " لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة"[2] . هكذا تمكن شيعة ابن سبأ من إثارة الفتن وبث روح الفرقة والاختلاف بين المسلمين . ومعلوم لدى أهل السنة والجماعة، أنهم هم الذين أنشبوا الحرب يوم الجمل بعد أن كاد الناس أن يفترقوا

---

(١) رواه الامام مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض (١/٥١٢-٥١٤) . ورواه النسائى فى سننه فى كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب قيام الليل (٣/١٦٢-١٦٣) . والامام أحمد فى مسنده (٦/٥٣-٥٤) . والدارمى فى سننه فى كتاب الصلاة باب صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/٢٨٤ - ٢٨٥) وعند أحمد والدارمي: أنه طلق امرأته ثم ارتحل الى المدينة ليبيع عقاراً له....

(٢) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الفتن باب - الفتح (١٣/٨١) . ومسلم فى كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٤/٢٢١٤) .

على الصلح ويعودوا الى أمصارهم • روى ابن جرير بسندة أن عليا أرسل القعقاع الى طلحة والزبير يدعوهم الى الصلح فأجابوه ، وفرح المؤمنون من الشيعتين وأشرفوا على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضية من رضيه (١) • وروى أيضا عن تراسل الفريقين فى شأن الصلح حتى اطمأن الناس واتفقوا على وضع الحرب والعودة ويقول : " وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب فى السر (٢) " • ويفصل ابن جرير هذا الاجتماع برواية أخرى يذكر النفر الذين اجتمعوا وفيهم ابن السوداء والأشتر، الذى قال : "••• أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأي الناس فينا والله واحد، وان يصطلحوا فعلى دمائنا" ثم أشار عليهم بقتل علي بن أبى طالب إشاعة للفتنة والفوضى وإضاعة للحقوق • فقال له ابن السوداء : " بئس الرأي رأيت ، ثم أشار عليهم بمخالطة الناس ومصانعتهم فيما هم فيه، وانشاب القتال عند اللقاء بغتة حتى لايتفرغ أحد للنظر•••" (٣) وهذه المعركة كان لها دور فى تطور السبأية لأنها تمكنت من تقسيم المسلمين الى فئتين تتعصب إحداهما الى علي بن أبى طالب وترى رأيه وتلتف حوله ، وهذه الظروف استغلها المنافقون فى إشاعة الفساد الفكري والعقائدي ببث سموم الغلو فى شخص علي رضي الله تعالى عنه، وبالطعن فى عثمان وشيعته ثم فى سائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم• ثم استمرت الفتنة بين المسلمين حتى كانت معركة صفين بين شيعة علي وشيعة معاوية رضي الله عنهما• ثم استمر إطلاق هذين الاسمين واشتهر، فمن كان تابعا لعلي وموافقا له فى رأيه ونصرته يسمى بشيعة علي، ومن كان مع معاوية فى رأيه ونصرته يقال له شيعة معاوية• وكان الفريقان على دين واحد وعقيدة واحدة، ولم تخرج كلمة شيعة فى مدلولها عن الأصل الذى دلت عليه اللغة العربية والنصوص الشرعية•

ويؤكد هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فى كتابه الذى كتبه لأهل الأمصار، مبينا لهم ما جرى بينه وبين أهل صفين وفيه: "•• ولا نستزيدهم فى الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم ولا يستزيدوننا•••" (٤) وذكر شيخ الاسلام رحمه الله ما روي عن جعفر الصادق عن أبيه قال : سمع على يوم الجمل أو يوم صفين رجلا يغلو فى القول ، فقال : " لا تقولوا إلا خيرا ، إنما هم قوم زعموا أنا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٢٩) •

(٢) نفس المصدر (٣/٣٩) •

(٣) المصدر السابق (٣/٣٢–٣٣) •

(٤) نهج البلاغة (٣/١١٤–١١٥) بشرح محمد عبده – اختيار الشريف الرضي• منشورات المكتبة الأهلية – بيروت •

علينا فقاتلناهم" (١) وذكر أيضا ما روي عن مكحول قال: " إن أصحاب علي سألوه عمن قُتل من أصحاب معاوية ماهم؟ قال: هم موءمنون". (٢)

وذكر أيضا أنه لما مر علي قتلى صفين، فاذا حابس اليمانى مقتول. فقال الأشتر: إنا لله وانا إليه راجعون" هذا حابس اليمانى معهم يا أمير الموءمنين، عليه علامة معاوية، أما والله لقد عهدته موءمنا. قال علي: والآن هو موءمن". (٣) هذا ما يراه علي بن أبي طالب في شيعة معاوية من حيث الايمان، فمن كان من شيعة علي لايسعه إلا هذا المعتقد، وأما من اعتقد غير ذلك فلاشك أنه ليس من شيعة علي، بل هو من شيعة ابن سبأ الذى نشر شره وفساده مستغلا هذه الحوادث والفتن بين المسلمين فى تفريق وحدتهم وكلمتهم وافساد عقائدهم بالغلو فى محبة فريق وبالغلو فى البغض والتكفير فى الفريق الآخر. الحاصل أن كلمة الشيعة فى أيام الخليفة علي بن أبي طالب كانت تطلق على الفريقين على السواء، فشيعة علي فى مقابل شيعة معاوية، ومدلولهما فى الفريقين واحد كما تدل النصوص التاريخية على ذلك. ولا يلتفت الى محاولة بعض الرافضة من تزوير هذه الحقيقة وتغييرها فى محاولتهم إثبات أن التشيع الاصطلاحى المنحرف كان قديما فى الاسلام، وأن كلمة التشيع اشتهر بها أنصار علي دون غيرهم، فيزعمون كذبا أن من كان فى معسكره فى صفين كان يلقب بالشيعي، وأما من كان من أتباع معاوية فانه كان يلقب بالسني، يريدون أن لفظة" الشيعى" كانت تقابل" السني" وأن هذه المقابلة بين اللفظتين كانت مشهورة أيام الصحابة (٤). وهذا كذب وافتراء وتكذيب الحقائق التاريخية من اجتماع الأمة الاسلامية فى الدين والايمان، وتكذيب النصوص التى أوردتها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن كتبهم وموءلفاتهم فضلا عن موءلفات أهل السنة والجماعة. يقول اليعقوبى الموءرخ الشيعي: " ووجه معاوية بسر بن أبي أرطاه، وقيل ابن أرطاه العامري، من بني عامر بن لوءى في ثلاثة آلاف رجل فقال له: سر حتى تمر بالمدينة ... ثم امض حتى تأتي صنعاء، فان لنا بها شيعة". (٥)

ثم انتهت معركة صفين بمسألة التحكيم التى نتج عنها انقسام جيش علي الى فريقين عظيمين، فرقة انحرفت عنه وأنكرت عليه أمر التحكيم ثم نابذوه العداء وطعنوا فيه طعنا شديدا على موافقته للتحكيم والتفاوض والنزول على حكم البشر فى حين أنه لاحكم الا لله بزعمهم.

---

(١) منهاج السنة (٥/٢٤٤-٢٤٥).
(٢) نفس المصدر (٥/٢٤٥).
(٣) المصدر السابق (٥/٢٤٥).
(٤) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات (١/٣٢٢-٣٢٣).
(٥) تاريخ اليعقوبى (٢/١٩٧).

فانشق هؤلاء واجتمعوا فى قرية حروراء وانتخبوا رئيسا لهم خليفة عليهم، وثاروا على علي والمسلمين ثورة عظيمة ، وعظمت بهم الفتنة واشتد بهم الخطر، فقاتلهم علي رضي الله عنه وهزمهم ، ولكن بقت منهم بقية. وأما الطائفة الأخرى فقد بقيت معه مبايعة له على الأمر ، تقاتل معه وهم شيعته، وفيهم شيعة ابن سبأ الذين أفادتهم هذه الحادثة فى نشر غلوهم وباطلهم بين شيعة علي، حتى اشتهرت تلك العقائد المنحرفة وانتشرت . يظهر ذلك واضحا بمقارنة أفكار السبأية بأفكار الخوارج الذين أعلنوا أفكارهم وعقائدهم وأشاعوها بين الناس، وهي تمثل ردة فعل قوية على الأفكار السبأية فالغلو فى علي بن أبي طالب وأهل البيت من جانب السبأية قابلة الطعن فى علي وتكفيره، والعصمة المطلقة لعلي قابلها الخطأ المؤدي الى الكفر والخروج عن الملة عند الخوارج ، والطاعة المطلقة لعلي فى خصومه وأنه المصيب بعينه قابله الخروج عليه ومقاتلته، والقول بالوصاية له بالخلافة، قابله أن الخلافة تكون في أي رجل من الأمة يبايع بالمشورة والانتخاب ، الى غير ذلك من الأمور التى تبين أن الفكر الخارجي جاء مقابلا للفكر الشيعي الاصطلاحي.

المهم أن هذه الأحداث استفاد منها ابن سبأ وأتباعه فى نشر دينهم المنحرف، فقد أشاع مبدأ الغلو وبالغ فيه مستغلا خروج الخوارج وتكفيرهم عليا ، وقد ساعدته الظروف فى استمالة عدد كبير من عوام شيعة علي الى آرائه ومبادئه . ومما يدل على كثرة أتباعه وأنصاره في شيعة علي، ما جاء فى مصادرهم أن عليا سأل ابن سبأ عن آرائه المنكره فأقر بها ، "فأمر بقتله فصاح الناس إليه من كل ناحية: "يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو الى حبكم أهل البيت، والى ولايتك والبراءة من أعدائك ، فسيره الى المدائن" (١) وقال عبد القاهر البغدادي: .... ثم إن عليا رضي الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ الى ساباط المدائن..." (٢) الحاصل أن الفتنة عظمت بعد صفين وافترقت الأمة الى شيع وأحزاب، أعمل المسلمون سيوفهم فى أنفسهم، وقتل منهم خلق عظيم، مما أدى الى ضعف الاسلام وأهله. فى هذه الأجواء نشط هذا الفكر الشيعي المنحرف وواصل جهوده فى إضلال المسلمين ، وتغيير دينهم الحق ، وتفريق جمعهم حتى شاء الله تعالى أن يفترق الناس فى علي بن أبى طالب الى ثلاث فرق ، الأولى أفرطت فى حبة وغلت فيه غلوا شديدا، حتى وصل الأمر ببعضهم أن جعله أعلى منزلة من الأنبياء، وازداد البعض فى غلوه حتى جعلوه إلها يعبد من دون الله. والثانية تقابل هذه وهم الذين أبغضوه وأفرطوا فى ذلك

---

(١) المقالات والفرق (ص/ ٢٠) ، وفرق الشيعة (ص/ ٢٢) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص/ ٢٣٣) .

وغلوا ،حتى وصل ببعضهم أن كفروه. وأما الثالثة وهم أهل الحق الذين التزموا حدود الشرع في حبه وموالاته وجانبوا الغلو وأنقذهم الله تعالى من الإفراط والتفريط . هكذا تمكن هؤلاء السبأية من تفريق هذه الأمة الى هذه الفرق التى انحرفت الى الافراط والتفريط،وغدت النواة الرئيسية للافتراق العظيم الذى حل بهذه الأمة من ذلك الوقت وحتى يومنا هذا والى أن يشاء الله تعالى.

ثم إن السبأية تمكنت من التغلغل فى صفوف أهل الافراط وأخذت تبث مبدأ الغلو ليس فى علي فحسب ، بل فى أهل البيت عامة، ثم كان مقتل الخليفة الرابع رضي الله عنه على أيدي الخوارج المنحرفين، الأمر الذى استغله أهل النفاق فى إذكاء نار الفتنة بين المسلمين فأشاعوا أن معاوية وشيعته وراء تدبير هذا الاغتيال، وصاحوا فى الناس من شيعة علي وتنادوا الى أخذ الثأر من معاوية وأهل الشام، وهذا كله ساعد وساهم فى إشاعة الغلو فى جانب علي رضى الله عنه خاصة،وأهل البيت عامة، وعمل الشيعة المنحرفون عملهم حتى تمكنوا من تجهيز الناس الى قتال معاوية بقيادة الحسن بن على، فسار الحسن فى جيش أهل العراق حتى التقى بمعاوية وجيش أهل الشام، وأراد أهل النفاق والشر ما أرادوا، ولكن الله غالب على أمره سبحانه وتعالى ، فكان من الحسن رضي الله عنه ما كان من أمر الصلح والتنازل لمعاوية رضي الله عنهما رغبة منه فى حقن دماء المسلمين ابتغاء وجه الله تعالى وإظهارا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يقول : " إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" (١) . روى ابن جرير الطبرى عن عوانة،وذكر خطبة الحسن فى مسجد الكوفة بعد تنازله ، وذكر خروجهم الى المدينة وقال : " فلما خرج الى المدينة تلقاه ناس بالقادسية فقالوا : يا مذل العرب! " (٢)
وذكر ابن كثير عن أبي العريف الذى ذكر حالهم وهم فى مقدمة جيش الحسن مستميتين من الجد على قتال أهل الشام، يقول : ... فلما جاءنا بصلح الحسن بن على فكأنما كسرت ظهورنا من الغيظ، فلما قدم الحسن بن على الكوفة قال له رجل منا... السلام عليك يا مذل المؤمنين . ثم ذكر خروج الحسن ومن معه من أرض العراق قاصدين المدينة النبوية فيقول : " وجعل كلما مر بحي من شيعتهم،يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية... " (٣) وقال الحافظ ابن حجر : وأخرج ابن أبى خيثمة من طريق عبد الله بن

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الصلح باب قول النبى صلى الله عليه وسلم للحسن ابن علي رضي الله عنهما "ابنى هذا سيد.." الفتح (٥ / ٣٠٧) ،وفى كتاب فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، الفتح (٧ / ٩٤) ،وفى كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي"إن ابنى هذا السيد.."الفتح (١٣ / ٦١) من حديث الحسن البصري عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) تاريخ الطبرى (٣ / ١٦٨ـ١٦٩) .

(٣) البداية والنهاية (٨ / ٢١) .

شوذب قال : " لما قتل علي سار الحسن بن علي فى أهل العراق ، ومعاوية فى أهل الشـام ، فالتقوا ، فكره الحسن القتال وبايع معاوية... فكان أصحاب الحسن يقولون : يا عـار المؤمنين ، فيقول : العار خير من النار" .(١) من هذه الأدلة يتضح مدى غضب المنافقين من الشيعة المنحرفين من الصلح الذى فرح به أهل الايمان ، وكبروا الله تعالى وحمدوه علـى هذه النعمة العظيمة حتى سمى ذلك العام بعام الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب وبايع معاوية كل من كان معتزلا كابن عمر ، وسعد بن أبى وقاص وغيرهما . غضب هؤلاء من هـذا الاتفاق والاجتماع مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثنى على الحسن لما سيقوم به من جمع كلمة المسلمين ، وهذا يدل على أن الصلح كان أحب الى الله تعالى والى رسوله ، ولكـن هؤلاء الشيعة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم بما حل بهم ، فحاولـوا جاهدين تدارك الأمر فطعنوا فى الحسن رضي الله عنه طعنا شديدا لاثارة الفتنة وانشـاب الحرب بين المسلمين ولكن الله تعالى رد كيدهم فى نحورهم وساد الهدوء والأمن بين المسلمين ، وخمدت بذلك روح التشيع فى نفوس أهل الكوفة وغيرها واجتمع الناس تحت لواء معاوية بـن أبي سفيان رضي الله عنه الذى أعاد الى الاسلام وحدته وهيمنته وقوته أمام كافة الأعـداء ، وعاش المسلمون حياة يسودها التآلف والاجتماع بعد فترة تاريخية حافلة بالفتن والحـروب والاختلاف من أواخر عهد عثمان الى عام الجماعة حين تنازل الحسن لمعاوية ، ووضع حدا لتلـك الحروب الطاحنة والفتن المظلمة التى عمل فيها وتحتها أهل الشر والفساد عملهم ، وانطلـق المسلمون يواجهون أعداء الاسلام من خارج الدولة الاسلامية وينشرون دين الله تعالى فـى خلقه ، واتسعت رقعة دولة الاسلام ، وفتحت العديد من الأمصار وانتشر الاسلام بين أهـل الأرض ولكن ، وبالرغم من هذا كله فقد كان المنافقون والدخلاء يعملون خفية فى صفوف المسلميـن يدعون الناس الى التشيع المنحرف محاولين إعادة الفتنة وبث روح الفرقة بين المسلمين وانهـاء الاجتماع والألفة الذى ساد حياة المسلمين بعد ذلك التنازل الذى أبغضوه وكرهوه أشـد الكراهية لأنه أوقف شرهم وفسادهم وكشف باطلهم وكفرهم ، ذلك التنازل الذى اعتبره أولئـك الشيعة المنحرفون خزيا وعارا ، وطعنوا بسببه فى إمامة الحسن وخلافته ، ثم صرفوا الامامـة التى زعموها بالنص والوصية بعده عن أولاده الى الحسين وأولاده ، فاستمروا فى عملهم وواصلـوا جهودهم محاولين إشاعة كل ما يؤدى الى الفتنة . ومن ذلك ما زعموه بعد موت الحسن رضـي الله عنه مسموما ، بأن معاوية وراء تلك الجريمة ، ثم دعوا الحسين إماما لهم وأحاطوا عملهـم بالسرية التامة وأخذوا يكتبون الى الحسين الكتب الكثيرة يزعمون أنهم من شيعته من المؤمنيـن والمسلمين من أهل الكوفة ويحثونه على الاسراع اليهم ، ولما أكثر عليه القوم من تلك الكتـب

---

(١) الفتح (١٣/٦٥) .

والرسائل، بعث اليهم مسلم بن عقيل يستطلع أمر الشيعة من أهل الكوفة، وأخذت الشيعة تتوافد وتختلف اليه حتى اطمأن لحالهم وأمرهم . فكتب الى الحسين يخبره ببيعة الناس له ويأمره بالقدوم (١) . الأمر الذى حمل الحسين بن علي رضي الله عنه أن يقرر المسير الى الكوفة رغم النصائح التى وجهها اليه المخلصون من أهل الايمان والاسلام كعبد الله بن عباس وابن عمر (٢) وغيرهما (٣)، بعدم الذهاب لأنهم قوم غُدُر وأنهم سيخذلونه، ولا ينصرونه كمافعلوا قبل ذلك بأبيه وأخيه الحسن. ولكن شاء الله تعالى أن يواصل على ما عزم عليه، فسار إليهم فى عدة من أهل بيته مطمئنا لحال أهل الكوفة من الشيعة أهل النفاق والغدر والشقاق، حتى جاءه الخبر بمافعله الشيعة المنحرفون بمسلم بن عقيل الذى أرسل من برد الحسين بعد إلقاء القبض عليه بعد أن خذله أنصاره، وتركوه وحده وأسلموه للقتل، فندب من يسرع لبرد الحسين وكان مما قاله رحمه الله: "... ارجع بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل" (٤) ... وحين أخذ ليقتل كان يقول: "... اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وأذلونا" وفى رواية :- ".. كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا" . (٥) عند ذلك ندم الحسين رضي الله عنه وانحرف عن طريق الكوفة متجها يريد الشام ولكن الأشقياء من جنود عبيد الله بن زياد منعوه، فنزل للصلاة ثم خطبهم مشيرا الى الكتب التى أرسلوها له فقيل له والله ما ندرى ما هذه الكتب، فأمر عقبة بن سمعان أن يخرجها فاذا خرجين مملوءين صحفا، فنشرها بين أيديهم، وكان

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/٢٥٧ ــ ٢٧٩) .

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/٩٢) .

(٣) وممن نصحه بعدم المسير: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومى كما فى منهاج السنة (٢/٩٢)، والفرزدق الشاعر المشهور، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والحر بن يزيد التميمى كما ذكره ورواه ابن جرير فى تاريخه (٣/٢٩٤ــ٢٩٨)، وعبد الله بن مطيع الذى قال له: ".. فاياك أن تقرب الكوفة، فإنها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك، وخذل أخوك .."، كما فى تاريخ الطبرى (٣/٢٧٧) .

(٤) روي عن علي أقوال كثيرة تشير الى هذا كقوله: "..وابتلانى بكم، وبمن لايطيع إذا أمرت، ولايجيب إذا دعوت" . وقوله: ".. والمغرور والله من غررتموه... لاأحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا منيت به منكم؛ عمي لا تبصرون، وبكم لا تنطقون، وصم لا تسمعون، إنا لله وانا إليه راجعون"؛ وقوله بعد أن ذكر خيانتهم وعصيانهم وغدرهم وافسادهم فى الأرض: "اللهم سئمتهم وسئمونى، وكرهتهم وكرهونى، اللهم فأرحهم منى، وأرحنى منهم" . ذكر ذلك ابن كثير فى تاريخه (٧/٣٤٥ــ٣٥٥) ثم قال رحمه الله: " واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه، والخروج عليه، والبعد عن أحكامه وأقواله وأفعاله لجهلهم، وقلة عقلهم، وجفائهم، وغلظتهم، وفجور كثير منهم" .

(٥) تاريخ الطبرى (٣/٢٩٠ــ٢٩٢) .

مما قاله رضي الله عنه: "... وان لم تفعلوا ، ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم ، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم". ثم خاطب الجنود وأخذ يناشدهم الاسلام بأن يتركوه لاحدى ثلاث : أن يسير الى يزيد يبايعه ، أو الى ثغر من ثغور المسلمين ، أو الرجوع من حيث أتى. ولكن الأشقياء أبوا عليه ذلك كله، وقاتلوه حتى قتلوه رضي الله تعالى عنه شر قتلة، هو ونفرا من أهل بيته[(١)]. وهذه الأدلة التاريخية تبين مدى غدر الشيعة وكذبهم وتزويرهم الكتب والرسائل على ألسنة الناس، للوصول بذلك كله الى غاياتهم الخبيثة من بث روح الفتنة والفرقة بين المسلمين وإشاعة الفوضى والوهن في حياتهم. ولقد تمكنوا من الاغرار بالحسين فيما كاتبوه به حتى قدم إليهم فغدروا به، وباعوه بأبخس الأثمان، وتركوه وحيدا يقاتل أعداءه حتى استشهد رضي الله عنه. ثم أخذوا يصيحون في كل مكان يطالبون بالثأر لدم الحسين ورفع الظلم المزعوم عن أهل البيت. وندم طائفة من الشيعة ندما شديدا على تفريطهم في الدفاع عن الحسين وأهل بيته واجتمع قوم منهم بزعامة سليمان بن صُرد ليكفروا عن خطيئتهم وذنبهم في خذلان الحسين وعدم نصرته، بعدما بايعوه وألحوا عليه بالقدوم عليهم ثم تركوه وحيدا حتى قتل، وتسموا بالتوابين ، وتعتبر هذه أول جماعة شيعية دينية. يقول عبد الله فياض: " إن أول شيعي يتزعم جماعة دينية تسمى الشيعة هو سليمان بن صرد[(٢)]، وكان ذلك بعد مقتل الحسين. وذكر اليعقوبي قصة قتل الحسين وفيه: "... وبادر القوم فاحتزوا رأسه ، وبعثوا به الى عبيد الله بن زياد وانتهبوا مضاربه، وابتزوا حرمه، وحملوهن الى الكوفة، فلما دخلن اليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين ، فقال علي بن الحسين : هؤلاء يبكين علينا ، فمن قتلنا ؟"[(٣)]

هذه أدلة من كتبهم ومصنفاتهم تؤكد جريمة الشيعة المنكرة في قتل الحسين، ثم ندم طائفة منهم وتوبتهم، فقد أسلموهم للقتل ثم بكوا عليهم، ومازالوا يبكون الى يومنا هذا تكفيرا عن ذنبهم وجريمتهم في خذلان آل البيت وعدم نصرتهم.

وقد ذكر ابن جرير عن شخوص التوابين الى عبيد الله بن زياد للطلب بدم الحسين ابن علي في أحداث سنة٦٥. فروى من رواية أبي مخنف الشيعي عن أبي صادق قال : " لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه الى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة: " يارب خذلنا ابن بنت نبيك، فاغفر لنا مامضى، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم.." وقال : فأقاموا

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٩٩ـ٣٠٧).
(٢) تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة (ص/ ٥٢).
(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٤٥).

عنده يوما وليلة، يصلون عليه، ويبكون، ويتضرعون ... وقال : فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود". [١]

والخلاصة أن هذه الحادثة تعتبر انطلاقة جديدة فى الفكر الشيعي المنحرف، وقد استغل المنافقون هذه الحادثة،حتى عظمت بها الشحناء بين المسلمين و بذرت فيهم بذور الفتنة، وتوغل المنحرفون الشيعة فى شأنهم حتى تمكنوا من إذكاء نار التشيع فى نفوس الشيعة القدماء،وتوحيد صفوفهم و الميل بهم عن جادة الحق الى التشيع الاصطلاحى المنحرف، وفشا التعصب لأهل البيت بما خرج عن حدود الحق، وتحالف أقوام من الشيعة على بذل نفوسهم وأموالهم فى سبيل فكرهم ومعتقدهم،و اختلفت مذاهب الشيعة فيما بينهم وافترقوا حتى فى الامامة التى يزعمون أنها نص من الله تعالى ورسوله، فظهرت عدة فرق شيعية كل منها قد بايعت سرا من زعمته أحق بالامامة وأنه المنصوص عليه، يقول عبد الله فياض: " إن بذور الفرق الشيعية أخذت تنمو باطراد بعد مقتل الحسين، ويقول: فرقة جعلت الامامة فى محمد ابن الحنفية، وفرقة قالت بانقطاع الامامة بعد الحسين، وفرقة قالت بامامة علي بن الحسين وهم الامامية. [٢] وهكذا تمكن شيعة ابن سبأ من هدم الاتفاق والاجتماع بهذه الحادثة التى اعتبرها انطلاقة جديدة فى تفريق وتشتيت كلمة المسلمين فاجتهدوا فى صفوف المتعاطفين لأهل البيت خاصة وطالبوابحقهم الذى زعموه بالامامة ، وتحركت دعاتهم فى الأمصار حتى تمكنوا من فصل المتشيعين لأهل البيت عن الاسلام السني فصلا يكاد يكون تاما فى الآراء والمعتقدات، وقد استعانوا فى دعوتهم وعملهم بالسرية التامة خوفا من بطش الدولة الأموية بهم،فاخترعوا مبدأ وعقيدة التقية،التى ربطوها بسائر أفكارهم ومعتقداتهم أوثق ارتباط لنشر فكرهم ودينهم بعيدا عن بطش الأمويين . وحتى لا يطّلع عليهم أهل الحق، فيتصدى علماؤهم لكشف باطلهم والرد عليهم، وهم فى دور تأسيس مذهبهم المنحرف.

وهكذا انحرفت الشيعة عن منهجها الذى كان عليه علي بن أبي طالب والشيعة الأوائل، ممن تابع عليا وناصره وكان على ملته ومذهبه ، واشتهر التشيع المنحرف الذى آمن بما كان عليه عبد الله بن سبأ من القول بالوصية والعصمة والبراءة ، ولم يكونوا بحمد الله فرقة واحدة بل فرق وأئمة ، وكل تزعم أنها على الحق وعلى وصية الله ورسوله فى الامامة والخلافة، حتى ظهر فيهم المختار الكذاب الذى زعم أن ابن الحنفية أرسله لأخذ البيعة من أهل العراق بالامامة والخلافة له وأنه وزيره فى ذلك ، ثم إنه اجتمع نفر من أشراف الكوفة يتذاكرون فى عيوب المختار وفيهم شبث بن ربعي الذى قال :" إنه تأمّر علينا بغير رضا

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/ ٤١١) .

(٢) تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة (ص/ ٥٤ـ٥٨) .

منا ، وزعم أن ابن الحنفية بعثه الينا ، وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل ٠٠٠ وأظهر هو وسبئيته البراءة من أسلافنا الصالحين"[١] ٠

هذا يدلنا على انحراف الشيعة عما كانت عليه، واشتهار مذهب ابن سبأ فيهم، وأن التشيع أصبح مأوى وملاذا لكل من أراد هدم الدين وبث الفساد الفكري والعقائدى فيه٠ يقول المستشرق كارل بروكلمان : " والحق أن ميتة الشهداء التى ماتها الحسين ، والتى لم يكن لها أي أثر سياسى، قد عجلت فى التطور الديني للشيعة ، حزب علي، والذى أصبح فيما بعد ملتقى جميع النزعات المناوئة للعرب"[٢] ٠ ويقر بهذه الحقيقة الكاتب الشيعى الدكتور كامل مصطفى الشيبى فيقول : " ٠٠٠ ويتبين بعد ذلك أن تبلور الحركة السياسية تحت اسم الشيعة كان بعد مقتل الحسين مباشرة، وان كانت الحركة سبقت الاصطلاح"[٣] ٠

روى ابن جرير عن أبي مخنف الشيعي عن انحراف الشيعة عن عبد الله بن سعد ابن نفيل قال : " كان أول ما ابتدعوا به من أمرهم سنة احدى وستين وهى السنة التى قتل فيها الحسين رضي الله عنه ، فلم يزل القوم فى جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ، ودعاء الناس فى السر من الشيعة وغيرها الى الطلب بدم الحسين ، فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والنفر بعد النفر"[٤] ٠ كان المنحرفون المنافقون يدعون الشيعة أي شيعة علي رضي الله عنه ، يدعونهم الى التشيع المنحرف المتستر بالمطالبة بدم الحسين ٠ فظهرت العقائد والأفكار المنحرفة ، التى لفقها المنافقون وأحاطوها بالأحاديث الكثيرة والنصوص المختلفة ، التى نسبوها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، لحمل الناس على الايمان بها ، فاظهروا الغلو فى أئمتهم وما ينسب اليهم من أقوال وأفعال ، بأنها تساوى فى عصمتها وحجيتها على الخلق ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطعنوا فى الصحابة لرد أحاديثهم التى رووها عن رسول الله حتى لا يحتج عليهم بها أحد من معارضة ما نسبوه الى الائمة زورا وكذبا ، وزعموا أن أقوال الائمة لا تفتقر الى الأسانيد ٠ وهكذا فتحوا لأنفسهم بابا عظيما يدخلون فيه ماشاءوا على ألسنة الائمة ويجعلونه دينا للناس ، وتمكنوا بذلك من نشر الزندقة والكفر باسم الدين وباسم التشيع لأئمة آل البيت ٠ ولما ظهر فى مذهبهم الاختلاف والتخليط فى أقوال أئمتهم التى لفقوها ونسبوها اليهم ابتدعوا مبدأ التقية سترا لتناقضهم وكذبهم الذى امتلأت به كتبهم

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/٤٥٤) ٠
(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية (ص/١٢٨) ٠
(٣) الصلة بين التصوف والتشيع (١/٢٧) ٠
(٤) تاريخ الطبرى (٣/٣٩٤) ٠

ومؤلفاتهم ،وقد بلغ أمرهم فى الكذب والدس فى دين الله غايته وذروته فى عهد أبي عبد اللـه جعفر بن محمد ــ وهو الامام السادس المعصوم عندهم ــ فانهم أكثروا من الوضع عليـــه ونسبت المؤلفات المنحرفة اليه حتى انحراف المذهب الشيعي عما كان عليه من الحق وانفصل عن الاسلام السنى فى العقائد والعبادات والفكر والأخلاق. وهذا يتضح لكل من يطالع ويقـرأ فى كتبهم ومؤلفاتهم فان مذهب الرافضة اليوم أو دينهم يكاد يكون فى غالبه ينسب الـــى أبـي عبد الله جعفر الصادق سواءكان فى أمور الاعتقاد أو الأحكام والعبادات ، أو التفسير والأخلاق حتى أنه اشتهر بالمذهب الجعفري نسبة اليه. ويقول شيخ الاسلام رحمه الله عن جعفــــر الصادق : " ... فانه ما كذب على أحد ما كذب عليه حتى نسبوا اليه كتاب الجفر والبطاقـة والهفت ..،. حتى زعم بعضهم أن كتاب رسائل إخوان الصفا من كلامه، مع علم كل عاقـــل يفهمها ويعرف الاسلام أنها تناقض دين الاسلام"(١) . ويقول الكاتب محمد جواد مغنية عـن جعفر الصادق : " ... وتشيع له المفكرون ، وحفظوا أقواله ودونوها ، واعتبروها الفصل بيــن الحق والباطل ، وبين الأصيل والدخيل تماما كأقوال جده الرسول " .(٢) ويقول : " فالفضل فـى استقلال المذهب وتركيزه ، كما هو الآن يعود للامام الصادق بعد أن أسعفته الظـــروف، ومهدت له السبيل ، ومن هنا أطلق على الشيعة لفظ الجعفريين ، وعلى فقههم الفقـــه الجعفرى" .(٢) ويقول : " .... فان مذهب أهل البيت تبلور واتخذ صورته واضحـــة جلية ، وثبتت أركانه و دعائمه فى عهد الامام الصادق ، وأصبح للشيعة فقههم المستقـــل ، وعلماؤهم ورواتهم المعروفون ، وآراؤهم الخاصة بالتوحيد والعدل وعصمة الأنبياء وشفاعتهـم ، وبالجبر والاختيار ، وما الى ذلك، وتميز مذهب التشيع عن بقية المذاهب تميزا تاما .. "(٣)

وهكذا أخذ التشيع شكله النهائى وتبلورت معالمه وأصوله وعقائده فى أيام الصـــادق الذى ينسب إليه والى والده كل انحراف وضلال وكذب على الله ورسوله ،ولاشك فى براءتهمـا من هذا المذهب المنحرف،وهذه النحلة الفاسدة التى أحكم صنعها وضبطها مجموعة مـــن المنحرفين من أهل الفلسفة و الكلام ممن ينتسب الى الصادق أو أبيه ويزعم أنه أخذ العلـم منهما ، وهؤلاء هم الذين اخترعوا هذا المذهب ، ونسبوه الى جعفر الصادق وأبيه كذبا وزورا ، وروجوا على عامة المتشيعين لأهل البيت تلك الأصول والمعتقدات التى زعموا أنها ديـــن الائمة من أهل البيت،وأنه الدين الحق ، ومن هؤلاء هشام بن الحكم. قال ابن النديم : "من أصحاب أبي عبد الله جعفر، من متكلمي الشيعة ممن فتق الكلام فى الامامة وهـــذب

---

(١) منهاج ا لسنة(٢/ ٤٦٤ــ٤٦٥) .
(٢) الشيعة فى الميزان (ص/١٠٩) .
(٣) نفس المصدر (ص/١١١) .

المذهب والنظر وكان حاذقا بصناعة الكلام" .[١] وقال عنه أيضا : " من جلة أصحاب أبي عبد الله جعفر ، وهو من متكلمي الشيعة الامامية وبطائنهم. وهو الذى فتق الكلام فى الامامة وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج فيه ، وكان أولا من أصحاب الجهم بن صفوان ثم انتقل الى القول بالامامة بالدلائل والنظر" .[٢]

وذكره ابن حجر رحمه الله فى اللسان وقال : " كان من كبار الرافضة ومشاهيرهم وكان مجسما .. "[٣]

ومنهم محمد بن النعمان الأحول الملقب بشيطان الطاق ، وتلقبه الشيعة بمؤمن الطاق . قال عنه ابن النديم : " من أصحاب أبي عبد الله جعفر ، وكان متكلما حاذقا"[٤] ، وغيرهما من متكلمي الشيعة ممن تعتبرهم الشيعة من تلامذة جعفر الصادق ممن وضع تلك الأصول الكلامية الفلسفية لهذا المذهب ورتبوه وهذبوه ووضعوا له الأدلة الكثيرة التى نسبوها الى أئمتهم والى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد استقر أمر الشيعة ومذهبهم من ذلك الحين الى يومنا هذا مما هو منسوب الى جعفر الصادق فى غالبه ، وهو منه براء. فقد كان فاضلا عالما ، ذكر عنه الذهبى أنه قال : " ولدني أبو بكر الصديق مرتين" لأنه كان جده من جهة أمه" . وقال الذهبى : وكان يغضب من الرافضة ، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ، وسئل هو وأبوه عن أبي بكر وعمر ، فقال أبوه للسائل وهو سالم بن أبي حفصه : " ياسالم تولهما ، وابرأ من عدوهما ، فانهما كانا إمامى هدى" . وقال جعفر : "ياسالم ، أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدى ، لانالتنى شفاعة محمد يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما ، وأبرأ من عدوهما"[٥] . وروى الذهبى بسنده الى عمرو بن قيس الملائي أنه قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : " برىء الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر" . ثم قال : " هذا القول تواتر عن جعفر الصادق" . وروى بسنده الى عبد الجبار بن العباس الهمداني عن جعفر أنه قال : " إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم ، فأبلغوا عني : من زعم أنى إمام معصوم مفترض الطاعة ، فأنا منه بريء ، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر فأنا منه بريء"[٦] من هذه الأخبار يتبين موقف أهل البيت من الخلفاء الراشدين ، ومن الصحابة رضي الله عنهم ، وأنهم كانوا على الحق والهدى ، وأن كل ما ينسب إليهم فى هذا الباب إنما هو من

---

(١) الفهرست (ص/٢٤٩) .
(٢) نفس المصدر (انظر تكملة الفهرست فى آخر الكتاب ص/٧) .
(٣) لسان الميزان (٦/١٩٤) .
(٤) الفهرست(ص/٢٥٠) .
(٥) قال المحقق فى الهامش "وقال المؤلف فى تاريخ الاسلام: هذا إسناد صحيح" . السير (٦/٢٥٩) .
(٦) انظر ترجمة جعفر الصادق فى سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٥ـ٢٦٠) .

الافتراء والكذب عليهم. ويتبين حقيقة مذهب الرافضة أنه من وضع أهل الزندقة والالحاد، ففي أقوال جعفر رحمه الله بيان واضح لنسف أصول أهل الرفض في أعظم مسائلهم، في الامامة والعصمة والبراءة من السلف ، ويتأكد أن ما ينسب اليه رحمه الله في هذه الأبواب إنما هو مما افتراه متكلموا الشيعة كهشام بن الحكم وغيره فانه مشهور عنه أنه أول من فتق الكلام في الامامة وهذب المذهب، والحق أنه أفسد المذهب بما افتراه من أصول وقواعد جعلها دينا للرافضة تدين به وتدافع عنه وتذب عنه بعد أن وضع لهم هو وغيره من أهل الكلام والفلسفة كتبا ومؤلفات اخترع لهم فيها من الأصول والمعتقدات ما يضمن استقلالهم الفكري والسياسي والديني عن كل ما جاء به الاسلام من فكر ودين. وبهذا انتشر مذهبهم واشتهر بين المتعاطفين والمتشيعين لأهل البيت وصدقوهم فيما نسبوه الى الائمة ،وآمنوا بتلك العقائد المنحرفة التي أحاطوها بنصوص كثيرة نسبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الائمة تضمن للسذج صحتها ، وأحاطوها بالطعن في دين الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالطعن في الصحابة ونقلة الدين، وحملوا شيعتهم على التصديق بكل ما جاء عن الأئمة المعصومين الذين لهم حق التشريع ، والنسخ في جميع أمور الشرع. ومن هذا الباب أدخلوا كل ما زعموه أنه دين وحق، حتى فصلوهم عن الدين الحق ونقلوهم الى الكفر والالحاد والعياذ بالله، وذلك بعد أن جعلوا لشيعتهم أصولا في كافة فروع الدين وعلومه، وألفوا وكتبوا في جميع علوم الدين، فآمن أهل الجهل والهوى أن لهم تفسيرا للقرآن يخصهم ، وقواعد في أخذ السنن والآثار وقبول الأخبار تخالف ما عليه أهل الدين والايمان ، وأهل السنة والجماعة، وحتى في العبادات والأخلاق والمعاملات لهم أصول تخصهم، فلا يرجع الشيعي الى شيء من مؤلفات أهل الحق والايمان، ولا يقبل منهم الأخبار ولا يؤمن بشيء من تفسيرهم لآيات القرآن والتنزيل. وجعلوا من أصول دينهم أنهم لا يقرأون ولا يرجعون في أمور دينهم إلا لما كتبه أئمتهم من الزنادقة الملحدين حتى آمنوا واعتقدوا بأنهم وحدهم على الحق، ومن سواهم على الغواية والضلال بما وضعوه على ألسنة الائمة من نصوص في فضل التشيع وغيره مما يبعث فيهم روح الاعجاب بالنفس والاجلال والتعظيم للمنهج والمذهب.

وهكذا تمكن أئمة الرفض والتشيع من حماية مذهبهم ومعتقداتهم المنحرفة ، وضمنوا لها البقاء والاستمرار بما زينوه لأتباعهم من تلك الوعود والعهود في الدنيا والآخرة، وتمكنوا من إضلال فئة عظيمة من الناس عن دين الاسلام وصرفهم الى هذا المذهب المنحرف ليكونوا وسيلة وأداة لهدم هذا الدين واضعافه وايقاف زحفه وتقدمه." قال الله تعالى : " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون" . (١)

---

(١) سورة الصف/ ٨

وهكذا مر التشيع بأدوار ومراحل ، كانت بدايتها على أيدي بعض المنافقين من أمثال عبد الله بن سبأ ومن وافقه من أهل الأغراض والأهواء الذين دخلوا فى الاسلام ليكيدوا له ولأهله، فاندسوا فى صفوف المتشيعين المناصرين لآل البيت، تلك الأرض الخصبة التى بثوا فيها سمومهم وانحرافاتهم. ثم اشتد أمرهم بعض الشيء فى ظل الفتن التى مر بها المسلمون، والتى استغلوها فى نشر باطلهم كيوم الجمل وصفين وما تبعهما من الفتن والاختلافات بين المسلمين. ثم ضعف أمرهم وشأنهم بعد تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما ، وكاد أمرهم أن ينتهى إلا أنهم تمكنوا من إعادة الفتن فى حياة المسلمين بالاغرار بالحسين رضي الله عنه وحمله على الخروج وقتله. الأمر الذى أشاع الفتن والفوضى فى المسلمين من جديد، وتمكنوا بهذه الحادثة من جعل التشيع اتجاها عقائديا يقوم على الولاء والنصرة لأهل البيت والبراءة والانتقام من المخالفين لهم فى انحرافاتهم وضلالاتهم حتى شاع فى المسلمين وجود الشيعة الرافضة التى اختلفت فى تفكيرها ودينها عن عامة المسلمين ، ثم كان دوره الأخير فى عهد جعفر الصادق حيث برز المذهب وله ما يخصه من الأصول والمعالم. واشتهرت بين العامة والخاصة آراؤه الكلامية والفلسفية وقواعده المنطقية الجدلية فى الحجاج مما ينسبه الرافضة الى جعفر الصادق، وهو من وضع واختراع المتكلمين من الزنادقة والفلاسفة ممن تصفهم الرافضة بأنهم تلاميذ الصادق، وهم فى الحقيقة تلاميذ الزنادقة والمنافقين.

وقد اختلف العلماء والمؤرخون فيما كتبوه وقرروه فى نشأة التشيع وتطوره اختلافا بيناً أجمله فيما يلى :

<u>أولا</u> : <u>ما كتبه علماء أهل السنة والجماعة ومن وافقهم من غيرهم</u>.

يتفق علماء أهل السنة والجماعة أن التشيع إنما ظهر وانتشر عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا قدر مشترك بينهم، ثم يختلفون فى تحديد بدء نشأته. وهذا الاختلاف راجع لتعدد وكثرة الحوادث والوقائع التاريخية التى كان لها أثر فى المذهب والفكر الشيعي من حيث الاشتهار والانتشار.

والأصل فى نشأة الفرق والمذاهب أن أحداثا ووقائع سياسية أو اجتماعية أو دينية تنشأ فى حياة أمة من الأمم تتباين فيها الآراء والأقوال وتختلف مواقف أهل الحل والربط إزاءها فتتحزب جماعة لموقف معين، وتتعصب لرأي معين، تكون هى النواة لفرقة أو مذهب فى حياة تلك الأمة.

لذلك تعلق كل باحث أو مؤرخ بحادثه أو واقعة حدثت فى حياة المسلمين وانطلق

منها فى تحديد نشأة التشيع وابتدائه. وقد أخطأ هؤلاء فى هذه المسألة لسببين رئيسيين الأول أنهم نظروا الى التشيع المنحرف على أنه فرقة دينية إسلامية، ومن ثم حاولوا ربطه بحادثة من الحوادث التى وقعت بين المسلمين واختلفوا فيها على أنها كانت وليدة تلك الحادثة أو الواقعة. ومما يؤكد هذا الخطأ اختلافهم فى تحديد الواقعة التى تولد عنها هذا الفكر المنحرف إذ لو كان التشيع كما ظن هؤلاء أنه نتيجة اختلاف بين أهل الحل والربط من المسلمين لاتفق الجميع على تحديد بدايته ونشأته كما هو شأن الفرق التى ظهرت فى الاسلام ، كالخوارج مثلا ، فانه من المتفق عليه أن عقيدة الخوارج إنما ظهرت بعد التحكيم، وأما الشيعة فليسوا كذلك .

والثانى هو ما يقع فيه بعض الباحثين من التقليد لمن سبقهم دون بحث موضوعى ، ونظرة فاحصة ناقدة لأفكار وعقائد هذا المذهب المنحرف.

لذلك قرر ابن خلدون (١) أن مبدأ التشيع كان عقب وفاة النبى وحادثة السقيفة ، ووافقه من المعاصرين كل من أحمد أمين (٢) والدكتور حسن ابراهيم حسن (٣) والمستشرق جولدتسيهر (٤) .

وقد سبق ابن خلدون المؤرخ الشيعى الحسن بن موسى النوبختى من أعلامهم فى القرن الثالث الهجرى الذى زعم أن الأمة افترقت عقب وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى ثلاث فرق ، فرقة منها سميت الشيعة (٥) ، ولا شك أن هذا كذب وافتراء، ومحاولة بائسة من هذا الشيعي وغيره فى جعل التشيع قديما وربطه بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويريد النوبختى بقوله هذا أن هؤلاء الذين ظهروا يوم السقيفة كقوة وفرقة لها وجودها وكيانها عقب وفاة النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة، لاشك أنه كان لهم وجود ودعوة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما يقرره الشيعة عامة . ثم إنه معلوم أن الأمة لم تفترق ، ولم يطرح اسم علي يوم السقيفة ، وما حصل أن الأنصار اختلفوا وناقشوا أمر الخلافة الذى حسم تماما بوصول أبي بكر وعمر الى السقيفة بمبايعة الصحابة لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة. المهم أن ما زعمه هذا الرافضي أخذ به بعض الباحثين على أنه حقيقة فى تاريخ المسلمين.

---

(١) تاريخ ابن خلدون (٣/١٧٠) .

(٢) فجر الاسلام (ص/٢٦٦) .

(٣) تاريخ الاسلام (١/٣٩٤) .

(٤) العقيدة والشريعة فى الاسلام (ص/١٧٤) .

(٥) فرق الشيعة للنوبختى (ص/٢-٣) .

والحق أن التشيع لم يكن ظهوره ونشأته نتيجة اختلاف وتباين آراء المسلمين فى قضية أو حدث كمايحاول الشيعة إثباته ، فيربطه بعضهم بالسقيفة، وبعضهم بيوم الجمل أو صفين أو يوم الطف، ولا نجد أحدا منهم يقرر أنه نشأ فى أواخر عهد عثمان رضي الله عنه لأنه، وكما سبق تقريره، إنما نشأ وظهر نتيجة موامرة دبرها أعداء الاسلام والمسلمين الحاقدين فى أواخر عهد عثمان بعد الفتوح الاسلامية ، ولكنهم أخذوا يتسترون ويختفون وراء الأحداث السياسية والتاريخية إيهاما منهم للعامة أن فكرهم ومعتقداتهم إنما هى وليدة تلك الأحداث .

ثانيا : ما كتبه الرافضة فى مؤلفاتهم :

كتب مؤرخهم الحسن بن موسى النوبختى وهو من أعلامهم القدماء أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم" ... افترقت الأمة ثلاث فرق : فرقة منها سميت الشيعة، وهم شيعة علي بن أبي طالب، ومنهم افترقت صنوف الشيعة كلها، وفرقة منهم ادعت الأمرة والسلطان، وهم الأنصار ودعوا الى عقد الأمر لسعد بن عبادة الخزرجى ، وفرقة مالت الى بيعة أبي بكر ابن أبي قحافة ، وتأولت فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينص على خلف بعينه.." (١) وقال بمثل ذلك حسين بخش (٢) ومحمد على الحسني ولكنه ينص أن انقسام المسلمين كان الى فرقتين وليس الى ثلاث. (٣)

يكذب هذه الأقوال النصوص النقلية التاريخية التى ذكرتُ طائفة منها فيما سبق ،ويكذبهم واقع هذه الأمة التى عاشت فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفى عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم تعرف فرقة ولا اختلافا فيما بينها. وماحدث يوم السقيفة فانه أمر طبيعى جدا ولا يوصف بأنه اختلاف أو فرقة فان الأنصار طرحوا اسم سعد بن عبادة، وكان ذلك قبل وصول أبي بكر وعمر إليهم، و لما وصلا سوي الأمر فى مهده واتفق الصحابة وأجمعوا على مبايعة أبي بكر ، وبايعه حتى علي بن أبي طالب فى اليوم التالي من السقيفة.

وقد اتفق الصحابة كلهم على تقديم أبي بكر وعمر، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كغيره من الصحابة قريبا من أبي بكر وعمر فى خلافتهما ولم يعرف عنه أو ينقل عنه فى أبي بكر وعمر ما يخالف عقيدة السلف بل ورد عنه أنه عند موت عمر بن الخطاب ترحم عليه وقال : ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك..." (٤) ، الى غير ذلك

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى(ص /٢-٣) .

(٢) كما أوردها د.محمد يوسف النجرامى فى كتابه الشيعة فى الميزان (ص/٤٥) نقلا عن حسين بخش الرافضى فى كتابه إمامت وملوكيت وهى باللغة الأردية(ص/٦٦) .

(٣) فى ظلال التشيع(ص /٤٥-٤٦) .

(٤) تقدم فى ص /٢٣

من المواقف الكثيرة من علي مما تدل دلالة واضحة على حبه لأبي بكر وعمر وعثمان ، وقد ذكرت جملة من هذه الأدلة فيما سبق • هذا هو حال الصحابة وهذه سيرتهم فأين الفرق الثلاث التي يذكرها هذا الرافضي ، ثم أين كانت الشيعة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وماذا كانت ردة فعلها تجاه الخلفاء الراشدين ، وقد علمنا أن عليا نفسه قد بايع طائعا مختارا من سبقه ولم يرفع سيفا أو يقل كلمة يحتج ويعارض فيها الخلفاء أويطالبهم بما تزعمه الرافضة بالوصاية والخلافة• وأما الرافضي حسين بخش فانه ينص في كتابه" إن المذهب الشيعي بدأ من نفس اليوم الذي رفض فيه الامام على الاستسلام أمام السلطة وتحدى لشرعية سلطته••" ، والحق أنه لاغرابة في مقالته هذه، لأن هؤلاء دينهم الكذب والتزوير في الحقائق والوقائع، لأنهم يخاطبون خلقا لا عقل له، ويتابعونهم ويؤمنون بكل ما يصدر عن أئمتهم وان كان مخالفا للنص والعقل ومباينا للواقع والتاريخ • كيف رفض علي الاستسلام، وكيف تحدى السلطة وقد علم المسلمون وغيرهم من أهل العقل أنه كان من أهل المشورة والحل والربط في سلطة من سبقه من الخلفاء ، وعلموا أيضا أنه رفض الامامة بعد عثمان ولم يقبلها إلا بعد الحاح شديد ، كما سبق ذكره وبيانه، ولم يعرف عن علي رضي الله عنه إلا كل ما يغضب له الرافضة، والمنافقون•

وأما جمهور الرافضة من المتأخرين فإنهم أظهروا في كتاباتهم قبحا وحماقة ربما خجل من التصريح بها علماؤهم القدماء كالنوبختي وغيره، فان المتأخرين ينصون بكل وقاحة أن التشيع كان هو الدين الذي جاءبه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي دعوته التي كان يدعو بها ، وهو ما أمره الله تعالى بتبليغه للناس كافة، فكان عليه الصلاة والسلام يغذي بأقواله وأفعاله فكرة تشيع الناس لعلي، الى غير ذلك من الكذب والهراء الذي امتلأت به كتب أهل الرفض والنفاق • فيقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء: " إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام، جنبا الى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته" • ثم يزيد في وقاحته وفجوره فيقول: "•• وهكذا كان الأمر، فان عددا ليس بالقليل اختصوا في حياة النبي بعلي ولازموه، وجعلوه إماما كمبلغ عن الرسول ، وشارح ومفسر لتعاليمه ، وأسرار حكمه وأحكامه، وصاروايعرفون بأنهم شيعة على كعلم خاص بهم كما نص على ذلك أهل اللغة" • (١) والجواب على هذا الكذب من وجوه : أولا: إن التشيع فعلا كما نص عليه شيئ غير الاسلام فهي بذرة فاسدة أجنبية زرعها الحاقدون في الاسلام من اليهود والمنافقين • وثانيا: أن الرسول صلى الله عليه جاء بالاسلام والتوحيد، كغيره من الأنبياء والرسل ، فان الدين عند الله تعالى يقوم على التوحيد الخالص له سبحانه

---

(١) أصل الشيعة وأصولها (ص/٤٣-٤٥) •

وعلى المتابعة التامة لرسله وأنبيائه، ولايكون المسلم مسلما حتى يجرد التوحيد والمتابعة، ولم يأت نبى أو رسول بدعوة التشيع والمتابعة والنصرة لأحد من الخلق سواهم. وليس الأمر كما يزعمه هذا الرافضي بأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان ذا ازدواجية فى دعوته بوضع التشيع الى جنب الاسلام والدعوة اليهما سواء بسواء. وثالثا: ما يزعمه من اقتداء البعض بعلي بن أبي طالب واتخاذه إماما وقدوة لهم، فان الصحابة رضي الله عنهم أجل قدرا من أن يقعوا فيما زعمه هذا الكاذب، فمن هذا الذى يلازم عليا فى حياة النبى ويتخذه إماما له؟ خاب والله وخسر من فعل ذلك والصحابة برءاء من هذا، فإنهم كانوا لا يقدمون مالاً ولا ولداً ولا أهلا ولا نفسا على الله تعالى ورسوله، كيف وقد جعل الله تعالى ذلك شرطالصحة إيمانهم، وقد كان علي بن أبى طالب رضي الله عنه من خيرة الصحابة الذين حققوا كمال المحبة والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأى معنى لعاقل أن يقتدي ويأتم بمن هو فى حالة اقتداء وائتمام بغيره. إن هذا ليس له وجود ولايمكن أن يتصوره إلا أصحاب النفوس المريضة والأذهان النتنة، ممن أشربت قلوبهم ونفوسهم حب النفاق والكفر والالحاد. ورابعا قوله" كما نص على ذلك أهل اللغة" من التدليس والكذب على أهل اللغة فانه يوهم بأن أهل اللغة نصوا على ما سبق ذكره من ملازمة بعض الصحابة فى حياة النبي عليا وجعله إماما وأنهم كانوا يُعرفون فى حياة النبي بأنهم شيعة علي، وأهل اللغة برءاء من هذه المقالة الفاسدة، فإنهم بعد ذكرهم التشيع من حيث اللغة يذكرون أنه أصبح فيما بعد يعرف عند إطلاقه لمن تشيع لعلي بن أبى طالب حتى أصبح اسما خاصالهم، ولم يقيدوا ذلك بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، لعلمهم أنه مخالف للواقع ، وقد أنقذهم الله تعالى من الوقوع فى النفاق والكذب والتزوير.

وبنحو قول هذا الرافضي قال أحمد الوائلى الذى يزعم " أن التشيع قد ظهر مبكرا فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، حيث التأمت جماعة من الصحابة تفضل عليا على غيره وتتخذه رئيسا . . . " (١) هكذا يزعم هذا الرافضي ويوءمن بما أملاه عليه أئمة النفاق، ويكفر حتى بما ثبت عن علي بن أبي طالب، فقد تواتر عنه تفضيل أبي بكر وعمر وتهديده وتوعده لمن فضله على أبي بكر وعمر، وثبت عنه أنه كان مروءوسا لأبي بكر وعمر وعثمان طائعا مختارا، وكان محبا لمن سبقه، معظما لهم غاية التعظيم، شأنه فى ذلك شأن أهل الايمان والاسلام، ولكن هوءلاء الرافضة لا يعلمون ولا يعقلون، فقد أبوا إلا نصرة أهل الشر والفساد والنفاق .

ويقول محمد حسين مظفر : " إن الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذى هتف

---

(١) هوية التشيع (ص/ ٢٣ــ٢٦) .

فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه بكلمة لا اله الا الله فى شعاب مكة وجبالها ، فكانت الدعوة للتشيع لأبي الحسين من صاحب الرسالة تمشى جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين ". (١)

وبنحوه قال محمد حسين الزين (٢) وهاشم معروف الحسيني (٣) اللذان يزعمان أن النبي صلى اللهعليه وسلم كان يغذى بأقواله عقيدة وفكر التشيع ويمكّنها فى أذهان المسلمين ويأمر بها فى مواطن ومناسبات مختلفة. إن هذا القول لو تدبره أيعاقل لأيقن أنه فى غاية من الجهل والوقاحة لأنه يوحى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له دعوتان : دعوة عامة وهى الدعوة الى التوحيد ونبذ الشرك، ودعوة خاصة وهى دعوة الناس الى الائتمام بزوج ابنته فاطمة وجعل الامامة والخلافة من بعده فى آل بيته وذريته كما هو حال الملوك و القياصرة، حاشا لرسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الازدواجية فى دعوته المباركة، وحاشاه أن يسعى لشيء من حطام الدنيا لنفسه فضلا عن غيره وهو الذى آثر أن يعيش عبدا لله تعالى عن أن يكون ملكا ، وكان أكثر ما يخشاه على أمته الدنيا ، وقد انتقل الى الرفيق الأعلى بعد أن بلّغ رسالة الله تعالى وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده فى دعوة الناس الى التوحيد ونبذ الشرك والعبودية لغير الله تعالى. وهؤلاء الرافضة بمقالاتهم هذه يسيئون حتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم يريدونها دعوة الى عبودية الناس لعلي بن أبي طالب ومن بعده ممن زعموهم أئمة معصومين بالنص والتعيين ، يفضلون ائتمام الناس بعلي حتى فى حياة النبي صلى الله عليه و سلم ، ويفترون على الصحابة أنهم فعلوا ذلك وأن الرسول أقرهم عليه وأن عليا قبل ذلك ورضيه ليروجوا بذلك كفرهم وضلالهم ويزينوه للناس، والا فالصحابة قد امتدحهم الله تعالى ورضي عنهم تمسكهم بهذا الدين والتوحيد، وتوفى رسول الله وهو عنهم راض لصدق متابعتهم له صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز لمسلم أن يتصور ائتمامهم والتفافهم حول أحد من الناس ونبي الله تعالى بين أظهرهم، إنها ازدواجية فى الحياة الاسلامية لا يقبلها أحد من الصحابة فضلا عن فضلائهم كعلي بن أبي طالب وغيره، ولكن هؤلاء الرافضة لايعلمون حتى حقيقة ما كتبوه لأنهم ألفوا الغلو واتخذوه دينا لهم ، والغلو رأس كل شر فى دين الله.

ويقول أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى الشيعي الاسماعيلى الهالك سنة ٣٢٢هـ. وقد ذكره ابن حجر وقال إنه أظهر القول بالالحاد وكان من دعاة الاسماعيلية (٤). يقول فى كتابه

---

(١) تاريخ الشيعة (ص/ ٨-٩).

(٢) الشيعة فى التاريخ (ص/ ٢٨-٢٩).

(٣) أصول التشيع (ص/ ١٦-١٧).

(٤) لسان الميزان لابن حجر (١/ ١٦٤).

الزينة : " إن هناك ألقابا قديمة ذكرت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت بها الأخبار، وأن أول تلك الألقاب كانت" الشيعة" وزعم أنه كان لقباً لقوم ألفوا عليا في حياة الرسول فكان يقال لهم" شيعة علي وأصحاب علي. ثم عم هذا اللقب كل من قال بتفضيله الى يومنا ." (١) إلى هنا.

يلزم هؤلاء الرافضة حسب أقوالهم أن دعوة الرسول لم تلق نجاحا وقبولا إلا من عدد قليل من الصحابة. وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في كتابه آيات كثيرة، منها قوله تعالى: " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا" (٢) ويقول سبحانه : " اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا" (٣) . يخبر سبحانه وتعالى عن كمال الدين وتمامه، وإتمام النعمة على أهل الايمان بهذا الدين العظيم، ويمتن على عباده بظهور الحق وانتصاره على الباطل ، ودخول الناس أفواجا في ذلك الدين الذى ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده، والذى بلغه رسوله صلى الله عليه وسلم كما أمره ربه وأراد.

والرافضة لا تقر بتمام المنة وكمال الدين، ولا بدخول الناس فيه أفواجا، وتكذب بهذه الآيات وغيرها فدينهم لم يكمل ، ولم يقبله إلا نفر يسير من الصحابة كما ينصون على ذلك في كتبهم، فالدين الحق ، ودعوة الرسول التى جاء من أجلها وهى التشيع لعلي بن أبي طالب بزعمهم، لم تلق قبولا في عهد الصحابة، وهم بهذا يدينون أنفسهم، ويشهدون عليها شهادة صريحة بأنهم ليسوا على الدين الذى رضيه الله تعالى لعباده، وامتن عليهم بكماله، وانتصاره وظهوره. وليسوا على دعوة الرسول التى بذل فيها جهده ووسعه حتى نصره الله تعالى ، ونصر دعوته. حيث أن الله تعالى أرسل رسوله ليجمع القلوب المتفرقة ، ويؤلف بينها بالايمان بالله وحده ، ونبذ الشرك وأمور الجاهلية، والعصبيات، لا ليفرقها شيعا وأحزابا، كما يزعم أهل الرفض ، بل جاءت نصوص كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب ويلح فيها على ربه ومولاه أن لايجعل أمته من بعده شيعا وفرقا، يذيق بعضهم بأس بعض.

ويزعم الرازى الرافضى أن سلمان وبعض الصحابة كانوا يلقبون بالشيعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهم كانوا يقدمون عليا على الصحابة. وقد روى ابن سعد رحمه

---

(١) كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ـ القسم الثالث(ص/٢٥٩)ـ ملحق ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية.

(٢) سورة المائدة /٣.

(٣) سورة النصر/١ـ٢.

الله بسنده الى سلمان الفارسى قال : " دخلت على أبي بكر الصديق فى مرضه، فقلت: ياخليفة رسول الله إعهد الى عهدا ، فإنى لا أراك تعهد إلي بعد يومي هذا ٠ قال : أجل يا سلمان إنها ستكون فتوح ٠٠٠ ثم أوصاه بما يصلح دينه ودنياه" ٠ (١) فهذا سلمان يسمى أبا بكر خليفة رسول الله، ويستوصيه بما يصلح أمور دينه ودنياه، شأنه فى ذلك شأن الصحابة الكرام، وهو منهم٠

إن هؤلاء الرافضة يسيئون الى الصحابة والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكذبون ما جاء فى كتاب الله عن حال الصحابة، ودعوة الرسول ، يقول الله تعالى : "هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم" ٠ (٢) فالرسول قد انتصرت دعوته بالصحابة الذين ألف الله تعالى بين قلوبهم حتى كانوا أمة واحدة لا تشوبها الفرقة والاختلافات٠وهؤلاء الكذابون الأفاكون يزعمون أنه لم يستجب لدعوة الرسول سوى النفرالقليل ٠ وأن الصحابة افترقوا واختلفوا وكانوا شيعا وأحزابا بمجرد وفاة الرسول ، بل كانوا كذلك حتى فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم٠ كل هذا الكذب، وهذه الدعاوى والمزاعم لاثبات وجودهم وأنه كان قديما فى الاسلام ، ولربط باطلهم بالاسلام، وجعله أصيلا قديما فى حياة المسلمين ٠ وإن اتهام بعض الصحابة ووصفهم بأنهم شيعة من أقبح التهم،وأعظم الباطل ٠حاشا أولئك الكرام، والأئمة العظام أن يتدنسوا ببعض المعتقدات والأفكار الشيعية المنحرفة ، كيف يكون ذلك وقد ألف الله تعالى بين قلوبهم ، وجمع بينهم على المحبة والايثار، وها هى سيرتهم تتلألأ بأروع الأمثلة فى ميادين الألفة، والمحبة، والتضحية، والايثار فيما بينهم : كيف يتبرأ أحد ممن هذا حالهم، وهذه شهادة الله تعالى فيهم،ومن خيرهم بعد نبيهم ، فضلاعن سبهم ولعنهم ، ووصفهم بأقبح الأوصاف، واتهامهم بأعظم المنكرات كما هو دين الرافضة، إنهم ، والله ليسيئون حتى الى من زعموهم من الشيعة ٠ كيف يتبرأ سلمان وعمار وغيرهم من أبي بكر وعمر، وقد كان سلمان عاملا لعمر على المدائن، وكان عمار عاملا له على الكوفة٠ إن واقع حال الأمة ، وإجماع السلف على أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر حجة قاطعة على بطلان هذه الدعاوى ، ولكن هؤلاء الرافضة ينظرون الى تاريخ الأمة نظرة ملؤها الحقد والبغض ، فيبغضهم ما يسعد المسلمين من الانتصارات، ويقتلهم غيظا ما تقر به أعين المؤمنين من الفتوح للبلاد والأمصار ، ويزيدهم ذلا وخيبة ما يعز به أهل التوحيد من ارتفاع كلمة الله تعالى وانخفاض الشرك والأوثان ٠

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد(٣/١٩٣-١٩٤) ٠

(٢) سورة الأنفال /٦١-٦٢٠

هذا وهناك طائفة أخرى من الباحثين من أهل الرفض يختلفون عن هؤلاء الذين ذكرت مقالاتهم فى فهم حقيقة التشيع ، فيقررون أن للتشيع مراحل ، وأنه يتميز فى كل مرحلة عن الأخرى بعقائد وأفكار خاصة ، وربما صرح بعضهم أكثر من غيره .

فيقول محمد جواد مغنية بعد زعمه كذبا أن النبى صلى اللهعليه وسلم هو المصدر الأول للتشيع (١) ، وأنه هو الباعث الأول لفكرة التشيع (٢) ، يقول : " إن التشيع مر فى ثلاث مراحل أو أدوار : الدور الأول ويبدأ بوفاة الرسول ، وينتهى بانتهاء العصر الأموى ، والثانى يبدأ بعهد الامام الصادق ، والثالث هو عهد أئمة الرفض كالشيخ المفيد وتلميذه الشريف المرتضى وعلّامة الرفض الحلّي . ثم يصف الدور الأول وهوالذى يَعْنينا هنا فيقول : " وكانت مظاهر التشيع فى هذا الدور غاية فى الوضوح ، غاية فى البساطة ، فلا عيد غدير ، ولا شهادة أن عليا ولى الله فى الأذان ، ولا شئ سوى الايمان بأن الخلافة بعد الرسول حق إلهى لعلي بن أبى طالب" . ثم ذكر دعاة التشيع فى هذه المرحلة فيقول : " وكان أشهرهم وأكثرهم حماسا أربعة : سلمان ، وأبو ذر ، وعمار ، والمقداد...." (٣) .

ويقول عبد الله نعمة ويزعم أن التشيع مر بمرحلتين : الأولى مرحلة التكون والولادة ، وقد طرح قضيتها النبي صلى الله عليه وسلم . والثانية مرحلة المذهب والفرقة بين الفرق الاسلاميةلها نظرياتها ومفاهيمها وهذه يزعم أنها برزت يوم السقيفة كاحدى القوى الثلاث التى ظهرت على مسرح السياسة الاسلامية : " حزب القرشيين ، وحزب الأنصار ، وحزب أهل البيت" . (٤)

وأما الرافضى عبد الله فياض فانه يقسم التشيع الى : تشيع روحي وهو اعتقاد إمامة علي المفروضة من الله تعالى ، وتشيع سياسى وهو الولاء لعلي والذى ظهر يوم السقيفة ، وبلغ أقصى مداه يوم خلافته بعد عثمان ، وأن عوامل عدة أسهمت فى تكون الشيعة أهمها استشهاد الحسين الذى أدى الى تفرق الشيعة الى فرق وأحزاب لاختلافهم فيمن هو أحق بالامامة ، ومن هو المنصوص عليه بزعمهم . (٥)

---

(١) الشيعة فى الميزان (ص/٣٠) .
(٢) نفس المصدر (ص/٦٤) .
(٣) المصدر السابق (ص/٩٦ـ٩٨) .
(٤) روح التشيع (ص/٣٠) .
(٥) تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة (ص/٣٨ ، ٥٢ـ٥٤) .

هذه مزاعم هوءلاء الرافضة وهى تدور حول قضايا طرحها اليهودى عبد الله بن سبأ فى أواخر عهد عثمان رضي الله عنه، ومازال هوءلاء يرددونها وان اختلفت عباراتهم وتغيرت ألفاظهم وأساليبهم • فها هوعبد الله نعمة، وعبد الله فياض يزعمان كما زعم ابن سبأ قديما أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي ولكن بعبارات مختلفة، يقول فياض إنها مفروضة من الله تعالى، والتاريخ يشهد أن الصحابة أجمعوا وفيهم علي بن أبي طالب على الكفر بهذه الفريضة المزعومة ، بل لم يعلموا بها فضلا عن العمل بها• يا أهل الرفض ألا يسعكم ما وسع عليا وسائر الصحابة ما دمتم تزعمون حبه والاقتداء به، فانه قد بايع من سبقه من الخلفاء ونصح لهم فى خلافتهم وتولاهم وتبرأ من أعدائهم، فان أبيتم فاعلموا أنكم من شيعة ابن سبأ اليهودى الذى قد فرض عليكم فرائض وسن لكم سننا وشرائع ، وقد آمنتم بها وعملتم بمقتضاها ومازلتم • وأما محمد جواد مغنية فانه أفصح عن أمور مهمة بوصفه المرحلة الأولى من مراحل التشيع بأنها كانت غاية فى الوضوح والبساطة فلا أعياد خاصة ولا زيادات فى العبادات والعقائد• فنقول له من الذى شرع فيها مالم يكن فى الدور الأول؟ لاشك أن هناك مصادر أخرى غير المصدر الأول الذى هو النبي صلى الله عليه وسلم بزعمك،وأن هذه المصادر لها الحق فى الزيادة والاضافة فى هذا الدين وهذه النحلة الفاسدة ، نعم وإن أهم المصادر هو ذلك المصدر اليهودى الأصل،الذى قدمتم كل ما طرحه لكم من أمور الدين،وقدمتم أقواله وأفكاره حتى على كلام الله تعالى وكلام رسوله، وها أنت تزعم، كغيرك من الرافضة بأن التشيع لم يكن سوى الايمان بأن الخلافة بعد الرسول حق إلهى لعلي بن أبى طالب، وهذه المقالة لم تسمع من أحد قبل عبد الله بن سبأ وهو الذى تولى كبرها وطرحها كما شهدت بذلك المراجع وكتب التاريخ التى ألفها ودونها ليس أهل السنة والجماعة وحدهم، بل حتى أئمتكم وعلماؤكم الأوائل ، فهذا سعد بن عبد الله القمي، والحسن بن موسى النوبختي وهما من علمائكم فى القرن الثالث الهجري، وهذا محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي من علمائكم فى القرن الرابع الهجري، قد أثبتوا جميعا فى موءلفاتهم أن ابن سبأ أول من أحدث القول بفرضية إمامة علي وبالوصية، وأنه أول من طعن فى الخلفاء والصحابة والبراءة منهم [١] •هذا ما تنص عليه مراجعكم المعتمدة ، وما أقره وأثبته علماوءكم المعتبرون عندكم،ثم وبلا حياء تزعم كغيرك أن إمامة علي فرضها الله تعالى ونص عليها رسوله صلى الله عليه وسلم• وقد قيل قديما إذا لم تستح فاصنع ما تشاء• ما طرحه اليهودى عبد الله بن سبأ من كفر وزندقة

---

(١) راجع ما تقدم فى(ص/ ٣٠ـ٣١)من نصوصهم من مراجعهم•

تؤمن به وتعتقده، ثم لا تقف عند هذا الحد فتنسب تلك المقالات الفاسدة الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم . وأمر آخر يردده هو وأهل الرفض وهو اتهام بعض الصحابة بالتشيع المنحرف، وقد تبين لنا موقف الصحابة كلهم من الخلفاء الراشدين، وقد شهد الله تعالى لهم بالألفة والمحبة ، وكفى بها شهادة لمن كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأما الكاتب الدكتور كامل مصطفى الشيبي فانه أطال كثيرا في بيان نشأة التشيع محاولا كغيره بخيله ورجله ربط التشيع بالاسلام ربطا مباشرا مخفيا تعصبه للرفض وأهله بما يردده في ثنايا بحثه بالنزاهة والموضوعية والتجرد العلمي ، ويقرر بعد زعمه أن التشيع هو جوهر الاسلام أنه مر بمراحل فيقول : " وبذلك يمكننا أن نلخص هذا الفصل في كلمة بيانها أن التشيع كان تكتلا إسلاميا ظهرت نزعته أيام النبي، وتبلور اتجاهه السياسي بعد قتل عثمان ، واستقل الاصطلاح الدال عليه بعد قتل الحسين". (١)

هذا هو تجرده للبحث العلمي، فانه يقرر ظهور التشيع في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، يصف عصر الرسول بافتراق المسلمين الى تكتلات مختلفة ، والله تعالى يقول ممتنا على أهل الاسلام بنعمته العظيمة" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا" (٢) وهل تمام النعمة وكمال الدين يوم يكون الناس على فرقتين أو أكثر ؟ أم يوم يكونون على كلمة سواء من الدين والايمان؟ وهل امتنان الله تعالى على عباده يكون عند تأليف قلوبهم وجعلهم أمة واحدة؟ أم عندما يكونون تكتلات إسلامية تفرقها الأهواء وتمزقها الخلافات ؟ إن الحق واضح مسلكه وطريقه ، فان لم يكن فيكم من العقل واللب فقليل من الحياء يا أهل الرفض ، كيف تعتقدون اختلاف الصحابة وتفرقهم وتكتلهم فيما بينهم والرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم يتلو عليهم كتاب ربهم ويتدارسه بينهم،ويسمعهم وحي ربهم غضا طريا؟ والله لم يختلفوا ، وما كان ينبغي لهم ذلك وهم يسمعون قول الله تعالى: " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم". (٣) لقد فهم أولئك الرجال هذه الحقيقة ووعوها فكانوا خير أمة أخرجت للناس، فلم يكونوا وهم كذلك ليقدموا من أخره الله تعالى ورسوله، ولا ليؤخروا من قدمه الله تعالى ورسوله.

إن ما تعلق به الرافضة في أحقية علي بالامامة والخلافة ، تلك المسألة التي فتحت لهم كل أبواب الغلو في الدين حتى أخرجتهم الى دين آخر،وعقائد أجنبية عن الدين

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع (١/ ٢٧).
(٢) سورة المائدة / ٠٣.
(٣) سورة الاحزاب/ ٣٦.

الاسلامى • إن ما تعلق به هؤلاء فى أصل هذه المسألة من أحاديث وأقوال تنقسم الى قسمين :

القسم الأول ما أسند من أحاديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق علي ابن أبي طالب : وهى أحاديث ، وأخبار غاية ما تدل عليه أنها تبين وتؤكد فضله ومكانته التى نالها رضي الله عنه كغيره من الصحابة بتحقيقه التوحيد والمتابعة، وسبقه وتضحيته فى الاسلام والايمان ، وليس فيها الدعوة الى التشيع له، أو النص على خلافته بوجه من الوجوه• ومثل هذه الأحاديث قد ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق عدد من الصحابة، بل ربماجاءت فى حق غيره أكثر مماجاءت فى حقه•

والقسم الثانى هو ما أسنده الكذابون واختلقه الأفاكون من أحاديث وأخبار سواء ما أسندوه منها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو الى علي نفسه، أو الى غيره من الصحابة ، أو ما أسندوه الى الائمة الذين زعموا لهم العصمة وحق التشريع ، أو ما لم يتمكنوا من إسناده الى أحد من هؤلاء فدونوه وتناقلوصلا إسناد• و هذه الأكاذيب التى روجوها هى عمدتهم فى هذه المسألة السبأية، وغيرها من الأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة• وجوابا على ما يتعلقون به فى هذه المسألة وباختصار واجمال لما تقدم تفصيله فانه يتبين بطلان وفساد متعلقهم بما يلى:

إن اسم علي بن أبي طالب لم يطرح يوم السقيفة، وإن الأمة لم تختلف فى ذلك اليوم ولم تتفرق، بل سوي الأمر بفضل الله وحده، ثم بصدق إيمان الصحابة واخلاصهم لهذا الدين، وأجمعت الأمة على مبايعة أبي بكر• ثم مبايعة علي لأبى بكر وطاعته له فى حياته وبعد موته ببيعة عمر الذى رافقه فترة خلافته بالحب والاخاء والطاعة والنصح • ثم إطاعة أمره بعد وفاته بالدخول فى الشورى التى أمر بها عمر، ثم بايع عثمان بن عفان طائعا مختاراً رضي الله عنهم أجمعين• وإن مما يؤكد فساد ما تعلقوا به، الحياة الاجتماعية التى تسودها الألفة والمحبة بين علي وأبنائه، وبين الخلفاء الراشدين ، فقد اشتهرت الأخبار عن علي وأبنائه تسميتهم أولادهم بأسماء الخلفاء الثلاثة ، واشتهر عن علي أنه زوج ابنته من فاطمة ، وهى أم كلثوم لعمر بن الخطاب ، وهذه الأحوال تؤكد حسن العلاقة وقوة الرابطة والألفة فيما بينهم ، فأين هي من مزاعم الرافضة الذين يصورون لأتباعهم أن حياتهم كان يسودها البغض والكراهية وتكفير بعضهم بعضا ؟ ومما يؤكد فساد متعلقهم ما كان من علي فى عدم قبول الخلافة بعد استشهاد عثمان إلا بعد الحاح الناس عليه ثم إصراره على أن تكون بيعة عامة له من أهل الحل والربط • ثم عدم تعيينه خليفة من بعده ، ولو كان الأمر نصا لما جاز له ردها ولما طلب مبايعة الناس له ولاستخلف الحسن من بعده•

ثم تنازل الحسن لمعاوية، أمر لا يتفق مع النص والحق الالهى المزعوم ، ثم خلاف الرافضة أنفسهم وتفرقهم الى فرق تبايع كل فرقة من تراه الامام الشرعى المنصوص عليه والمعصوم لايتفق كذلك مع زعمهم أنه نص الهى . ومما يؤكد فساد متعلقهم ما أثبته مؤرخوهم وعلماؤهم المتقدمون . أن هذه المقالات الفاسدة من اختراع اليهودى عبد الله بن سبأ . هذا وغيره كثير مما فيه بيان فساد متعلقهم وأنه من وضع الزنادقة والمنافقين الذين دسوا مثل هذه الأخبار والأقوال الشاذة للنيل من الاسلام وأهله. فانهم استباحوا الكذب فى دين الله وروجوه بعد تزيينه فى أقوام راجت عليهم تلك الأكاذيب والانحرافات ثم استحسنوها فى دينهم حتى آل أمرهم الى قبول كل باطل والتمسك به . فوضعوا أحاديث فى فضائل علي والأئمة المزعومين من بعده، وقبلوها وبالغوا فى قبولها وترويجها . ووضعوا فى مثالب الخلفاء وبقية الصحابة، وقبلوه وبالغوا فى قبوله ، وما تركوا حديثا أو آية تنص على فضائل غير أئمتهم إلا أولوه وحرفوه عن موضعه، وصوروه لأتباعهم بأنه فى المثالب، وليس فى الفضائل حتى استخلاف أبيبكر فى إمامة الصلاة ومرافقته للنبى صلى الله عليه وسلم فى الغار، كل ذلك عندهم من المثالب والعيوب . بل بلغ بهم الأمر فى الطعن فى نسب رقية وزينب رضي الله عنهما، زوجتي عثمان ابن عفان فزعم أبو القاسم الكوفى الذى هلك سنة ٣٥٢ من الهجرة أنهما لم تكونا ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما نقله عنه الشيخ ابراهيم الجبهان (١) . وبلغ بهم الأمر أن طعنوا فى تزويج علي أم كلثوم لعمر بن الخطاب، فيزعم هذا الرافضي الخبيث أيضا فى كتابه الذى سماه الاغاثة فى بدع الثلاثة، ويزعمه أيضا الكلينى فى رواية رواها الكلينى بسنده الى جعفر الصادق قوله: " إن ذلك فرج غصبناه" (٢) حيث يزعمون أن عمر قد تهددهم وتوعدهم بقطع يد علي أو رجمه أو غير ذلك بعد إلصاق التهم به إن لم يزوجه بأم كلثوم . هكذا ساغ لهم الكذب، وصدقهم الغوغاء من هذه الشيعة لأنهم عطلوا عقولهم وأطلقوا إيمانهم وراء كل ما ينسب الى من زعمه أئمتهم بأنهم معصومون وهكذا عمل أهل النفاق فلا يرد عليهم خبر أو حديث يدل على فضل الخلفاء والصحابة مما قد صح وفيه بيان كذبهم إلا واجهوه بالتكذيب والطعن فى إسناده وصحته، وان لم يتمكنوا واجهوه بالتأويل والتحريف فى معناه وحقيقته لدفع ما قد يظهر لشيعتهم من التناقض والتضاد مما قد يدعوهم الى إعمال عقولهم والنظر فى حقيقة مذهبهم ونحلتهم . الأمر الذى يفتح لهم بابا للخروج من الظلمات الى النور . الى هنا

---

(١) تبديد الظلام وتنبيه النيام(ص/ ٢٦٨) نقلا عن أبى القاسم فى الاغاثة فى بدع الثلاثة .

(٢) فروع الكافى(٥/ ٣٤٦)ـ كتاب النكاح باب تزويج أم كلثوم . ونقله ابراهيم الجبهان عن صاحب الاغاثة فى تبديد الظلام(ص/ ٢٧٠ـ ٢٧١) .

واذكر هنا ما أورده أحد أئمة الرفض الغلاة فى مسألة رقية وأم كلثوم ، وفى مسألة أم كلثوم بنت علي بن أبى طالب لما فى مقالته من بيان منهج هؤلاء الزنادقة وأئمة الكفر والنفاق من الغلو والكذب والتزوير فى الحقائق التاريخية وواقع الأمة الاسلامية ، فيقول هذا الشقي الذى يدعى نعمة الله بن عبد الله الجزائرى الذى هلك سنة ١١١٢هـ — ويعد من كبار أهل العلم ودعاة الرفض — فى كتابه الذى سماه الأنوار النعمانية وهو فى الحقيقة ظلمات شيطانية ، يقول قبحه الله فى مسألة تزوج عثمان رضي الله عنه وأرضاه برقية وأم كلثوم : " وقد اختلف العلماء لاختلاف الروايات فى أنهما هل هما من بنات النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة أو أنهما ربيبتاه من أحد زوجيها الأولين ؟ " ثم يقول ما نصه : " وهذا الاختلاف لا أثر له لأن عثمان فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان ممن أظهر الاسلام وأبطن النفاق ، وهو صلى الله عليه وسلم قد كان مكلفا بظواهر الأمور كحالنا نحن أيضا ، وكان يميل الى مواصلة المنافقين رجاء الايمان الباطنى منهم مع أنه لو أراد الايمان الباطنى لكان أقل القليل ، فان أغلب الصحابة كانوا على النفاق لكن كانت نار نفاقهم كامنة فى زمنه ، فلما انتقل الى جوار ربه برزت نار نفاقهم لوصيّه ورجعوا القهقرى . لذا قال — يعنى عليا — ارتد الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا أربعة : سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وهذا مما لا إشكال فيه " . ثم يتعرض لأم كلثوم بنت علي وزواجها بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه فيقول : " وإنما الاشكال فى تزويج علي أم كلثوم لعمر بن الخطاب وقت تخلفه لأنه قد ظهرت منه المناكير ، وارتد عن الدين ارتدادا أعظم من كل من ارتد ، حتى انه قد وردت فى روايات الخاصة " — يعني بالخاصة أنها تقابل العامة ومراده هنا روايات الرافضة ، ويعنون بالعامة أهل السنة — " أن الشيطان يغل بسبعين غلا من حديد جهنم ويساق الى المحشر ، فينظر ويرى رجلا أمامه تقوده ملائكة العذاب وفى عنقه مائة وعشرون غلا ... " ثم يقول قبحه الله : " فاذا ارتد على هذا النحو من الارتداد فكيف ساغ فى الشريعة مناكحته وقد حرم الله تعالى نكاح أهل الكفر والارتداد واتفق عليه علماء الخاصة " . ثم يجيب عن الاشكال بجوابين : الأول ما هو مشهور عند أهل الرفض عامة وهو ما عبر عنه جعفر الصادق كما زعموا بأنه " أول فرج غصبناه " ثم يورد عليه شبهة أخرى كون عمر زانيا ثم يرده لأنه لا يقبل ليس بالنسبة لعمر طبعا ، بل بالنسبة لأم كلثوم لأنه دخول ترتب على عقد بإذن الولي الشرعي ، ثم يستدرك نفسه فيقول : " وأما فى الواقع وفى نفس الأمر فعليه عذاب الزنى ، بل عذاب كل أهل المساوئ والقبائح " .

وأما الثانى ، فيقول ما نصه : " وأما الثانى وهو الوجه الخاص " — أى الذى يرويه ويقبله أئمة الرفض ، ثم يروى إسناده أجازه عن شيخهم محمد بن النعمان المفيد — وهو من أئمة وطواغيت أهل الرفض المشهورين — الى جعفر الصادق الذى يقول فيما زعمه هؤلاء

"ان الناس يحتجون علينا أن أمير المؤمنين زوج فلانا ابنته أم كلثوم ،وكان متكئا فجلس وقال أتقبلون أن عليا أنكح فلانا ابنته؟ إن قوما يزعمون ذلك،ما يهتدون الى سواء السبيل ولا الرشاد.... الى أن يقول : فلما رأى أمير المؤمنين مشقة كلام الرجل على العباس وأنه سيفعل معه ما قال ، أرسل الى جنية من أهل نجران ، يهودية ، يقال لها سحيفة بنت حريرية ، فأمرها فتمثلت فى مثال أم كلثوم وحجبت الأبصار عن أم كلثوم بها ، وبعث بها الى الرجل فلم تزل عنده...." (١) وقد أوردت نص كلامه لبيان بعض ما فى مناهج هؤلاء من الكذب والغلو فى الأئمة والطعن فى سلف هذه الأمة. والطريف فى أمرهم فى هذه المسألة أن الروايتين المتناقضتين فى مسألة أم كلثوم وعمر تنسبان الى جعفر الصادق ، ولكن وكما سبق القول أنهم أمة لا يعرفون للحياء معنى، فيقول هذا الجزائرى فى هذا الصدد : " وعلى هذا ، فحديث: أول فرج غصبناه محمول على التقية والاتقاء من عوام الشيعة كما لايخفى". هكذا لا تعييهم النصوص والأخبار مهما تعارضت وتناقضت لأنهم قد وضعوا لأنفسهم خطوط رجعة لا تعد ولا تحصى يفزعون اليها تنقذهم من كل ورطة مع جماهيرهم الغوغائية من الهمج والرعاع الذين يصدقونهم ويتابعونهم بلا إعمال عقل أو فهم لما يراد بهم من الشر والفساد.

---

(١) الأنوار النعمانية فى معرفة النشأة الانسانية (١ / ٨٠-٨٤).

الباب الثانى

التصوف

الفصل الأول

فى

معانى التصوف

- التصوف فى اللغة والاصطلاح
- أصل كلمة التصوف واشتقاقه
- تعريف التصوف

التصوف فى اللغة والاصطلاح

قال أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد[١] : " الصوف للضأن وشبهه، وزغبات القفا تسمى صوفة القفا. والصوفانة بقلة زغباء قصيرة . وصوفة: اسم حي من تميم، وآل صوفان الذين كانوا يجيزون الحجاج من عرفات". وقال ابن دريد[٢] : " والصوف معروف يقال أخذ بصوفة قفاه إذا أخذ بالشعر السائل فى نقرته. وصوفة: قوم كانوا فى الجاهلية يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج". وقال ابن زكريا : [٣] " هو الصوف المعروف. وصوفة: قوم كانوا فى الجاهلية. كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج. وحكي عن أبي عبيدة أنهم أفناء القبائل تجمعوا فتشبكوا كما يتشبك الصوف". وبنحو هذه الأقوال قال الأزهري [٤] والجوهري [٥] والفيروزآبادي . [٦]

هذه دلالات واستعمالات هذه الكلمة فى معاجم اللغة العربية، وقد استعمل المتصوفة جميع هذه المعانى والدلالات عند بيان اشتقاق التصوف وسبب إطلاق هذا الاسم عليهم ، كما سيتبين تفصيل ذلك . وقد أغفل جميع المتصوفة معنى أو دلالة واحدة من دلالات هذه الكلمة، فكلمة صوف تطلق فى بعض دلالتها بمعنى الميل والعدل : يقال صاف السهم عن الهدف أى مال عنه ، ويقال صاف عن الشر إذا عدل عنه. والذى يظهر ، والله أعلم ، أنهم لم يذكروا هذا المعنى وهذه الدلالة سترا لتصوفهم وما فيه من ميل وعدل عن الدين الحق وشرائع الاسلام.

---

(١) كتاب العين (٧/١٦١ـ١٦٢) .
(٢) جمهرة اللغة (٣/٨٣) .
(٣) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٢٢) .
(٤) تهذيب اللغة (١٢/٢٤٧) .
(٥) الصحاح . تاج اللغة وصحاح العربية (٤/١٣٨٨ـ١٣٨٩) .
(٦) القاموس المحيط (٣/١٦٩) .

اصل كلمة التصوف واشتقاقه

يقول الدكتور عبد الحليم محمود ــ وهو إمام المتصوفة الأكبر فى هذا العصر ــ فيما ينقله بالمعنى عن بعض الصوفية : إن طائفة الصوفية لوتنزهت عن الفردية والشخصية لنزههم الله عن التسمية تنزيها مطلقا ، ولكن لما شابت الفردية أعمال بعضهم وضع لهم اسم ، واندرجوا تحت عنوان "الصوفية" ·

ثم يقول : وسئل الشبلى ــ وهو كبيرهم من المتقدمين ــ لم سميت " الصوفية" بهذا الاسم؟ فقال : " هذا الاسم الذى أطلق عليهم، اختلف فى أصله وفى مصدر اشتقاقه" · ثم يعقب الدكتور فيقول : " ولم ينته الرأي فيه الى نتيجة حاسمة بعد" ·(١)

يريد المتصوفة ، المتقدمون منهم والمتأخرون ، عدم إخضاع التصوف كله سواء اسمه وما اشتق منه،أو علومه وفنونه الى القواعد المصطلح عليها عند أهل العلم فى تعريف العلوم والفنون أو القواعد الشرعية فى الحكم على ما تتضمنه تلك العلوم والفنون ·

قرر الشبلى أن الاسم محل اختلاف فى أصله وفى مصدر اشتقاقه، فتتابع علماء التصوف بعده يؤكدون هذا الاختلاف غير عابئين بأبسط قواعد اللغة العربية فى التصريف والاشتقاق ، ولا يزالون حتى يومنا مختلفين وفى الحقيقة إنهم يريدون هذا الاختلاف ويقصدونه تبريرا لبدعتهم ومنكراتهم • وهذا الدكتور عبد الحليم محمود الصوفي المعاصر يقرر متألما أنهم اندرجوا تحت اسم التصوف كعقوبة على ذنب ارتكبوه أو ارتكبه بعضهم،ولكن العقاب قد عمهم جميعا ولا أدرى كيف ينزههم الله تعالى عن التسمية ؟ وقد سمى سبحانه وتعالى من اصطفاهم من خلقه وطهرهم وزكاهم بالرسل والأنبياء ، وسمى من اصطفاهم لطاعته وعصمهم عن معصيته بالملائكة ·

وهذا أبو نصر السراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ ــ وهو أقدم مؤرخ للتصوف ــ بوب فى كتابه الذى يعتبر أقدم مرجع للتصوف بابا بعنوان" باب الكشف عن اسم الصوفية ولِمَ سموا بهذا الاسم " ثم يقول : " إن سأل سائل فقال : قد نسبت أصحاب الحديث الى الحديث ، ونسبت الفقهاء الى الفقه فلم قلت: الصوفية ولم تنسبهم الى حال ولا الى علم··· فيقال له : لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم ومحل جميع الأحوال المحمودة

---

(١) انظر المجموعة الكاملة لعبد الحليم محمود، أبحاث فى التصوف · ص /١٥٣ ·

والأخلاق الشريفة سالفاومستأنفا ، وهم مع الله تعالى فى الانتقال من حال الى حال، مستجلبين للزيادة ، فلما كانوا فى الحقيقة كذلك لم يكونوامستحقين اسما دون اسم، ... ثم يقول : فلما لم يكن ذلك ، نسبتهم الى ظاهر اللبسة،لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء" . (١)

فالسراج الصوفي ينص على أن اسم الصوفية مشتق من الصوف ويعلل ذلك بأنهم لم ينفردوا بنوع من العلم بل هم معدن جميع العلوم، هكذا يزعم هذا الصوفي وقد علم المسلمون قديما وحديثا أن الصوفية لم يتركوا تراثا علميا، سوى تلك الكتب والأوراق التى ملؤها بالظلمات والخيالات الفاسدة،التى كانت ولا تزال سببا فى صد كثير من الناس عن دين الله تعالى ، وصرفهم عن المنهج الحق .

ثم جاء أبو بكر محمد الكلاباذي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ وجعل الباب الأول فى سبب تسمية الصوفية،صوفية . فذكر أن هذا الاسم مشتق عند طائفة من الصفاء، وعند آخرين من الصف الأول ، وأنه مشتق عند قوم من الصُفة التى بنيت فى مؤخرة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعند آخرين من الصوف المعروف . ثم أخذ بوجه هذه الأقوال بأن من نسبهم الى الصوف والصُفة فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم،فالصوف قد اتخذوه اختيارا منهم للغليظ الخشن ، ولأنهم لايلبسون لحظوظ النفس مما لان حسه،وحسن منظره ،ولأن الصوف لباس الأنبياء وزي الأولياء بزعمه .

وأما الصُفة فلقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُفة من لباس وخروج عن الديار والأموال . ثم يقول: وأما من نسبهم الى الصفاء والصف الأول فإنه عبر عن أسرارهم وبواطنهم، وأن من صفا سره وطهر قلبه فهو فى الصف الأول مع السابقين . ثم إنه يصحح جميع هذه النسب والمعاني لأن جميع هذه الأوصاف موجودة فى القوم كما يزعم، وأن هذه الألفاظ وإن كانت متغيرة فى الظاهر فإنها متفقة فى المعاني. ثم وكأنه يرجح النسبة الى الصوف المعروف بقوله: " وإن جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة" . (٢)

ثم جاء أبو نعيم الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠هـ وألف للصوفية كتابا كبيرا جمع فيه الكثير من خيالاتهم وأقوالهم الفاسدة التى يسوقها على أنها حكم وأمثال ، بل على أنها هى أصول الدين والايمان، كماشحن كتابه الكثير من شطحاتهم وأفعالهم المنكرة المخالفة لصريح شرائع الاسلام وعقائده . ورحم الله الامام ابن الجوزى حيث يقول عن أبي نعيم :

---

(١) انظر اللمع للطوسي (ص/٤٠) .

(٢) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف(ص ٢٨ـ٣٤) باختصار.

"وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة، ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبابكر وعمر وعثمان وعليا،وسادات الصحابة"[1] . يقول أبو نعيم: " فأما التصوف : فاشتقاقه عند أهل الاشارات،والمنبئين عنه بالعبارات،من الصفاء والوفاء، واشتقاقه من حيث الحقائق التى أوجبت اللغة فإنه تفعل من أحد أربعة أشياء". ثم ذكر أنها من الصوفانه أو من صوفة، القبيلة الجاهلية، أو من صوفة القفا، أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن . ثم أخذ يعلل معاني هذه الاشتقاقات بفلسفة صوفية باردة،ويذكر لكل منها أحاديث وأخبار باطلة، ترويجا للتصوف وبدعه الكثيرة .

وأما امامهم عبد الكريم القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥هـ فقد أدرك ضعف هذه الاشتقاقات والمعاني فكتب فى رسالته يقول: " وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب ، فأما قول من قال : " إنه من الصوف، ولهذا يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه. ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف" . ثم رد الأقوال الأخرى التى تنسب التصوف الى صُفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم،أو الصفاء أو الى الصف الأول. ثم يقول : " ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج فى تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق".[2] فهو أدرك عدم استقامة الاشتقاق، مما زعمه من سبقه من علماء التصوف،كما أدرك صدق نسبتهم الى الصوف ولكنه حاد عن ترجيحه لما علم أن ليس فى الصوف مزية ولا فضيلة ، ثم رجح أن التصوف لقب خاص غير مشتق وأن الصوفية أشهر من أن يبحث لهم عن أصل فى الاشتقاق، الى غير ذلك من هراء المتصوفة المنحرفة، ومن محاولاتهم اليائسة لستر الباطل، وتزيينه. والقشيرى قد ملأ رسالته بعجائب الكلام والنقل والروايات فى مسائل الفناء والبقاء، والغيبة والحضور، والصحو والسكر الى غير ذلك من مسائل الصوفية ومقاماتهم الزائفة، ومقالاتهم المنحرفة .

وجاء عمر بن محمد السهروردى المتوفى سنة ٦٣٢هـ وعقد بابا فى سبب تسمية الصوفية بهذا الاسم وذكر أنهم نسبوا الى الصف الأول لاقبالهم على الله ، أو أنهم كانوا يسمون صفوية من الصفاء ثم قلبت صوفية لاستثقالها، أو نسبة الى صُفة المسجد فإنه صحيح من حيث المعنى،رغم عدم استقامته من حيث الاشتقاق اللغوي لمشاكلة حال الصوفية كما يزعم بحال أولئك الصحابة رضي الله عنهم ، لاجتماعهم فى المسجد كاجتماع الصوفية فى الزوايا والربط ، وعدم رجوعهم الى زرع أو الى ضرع أو الى تجارة ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويجالسهم ويؤاكلهم لأنه عليه الصلاة والسلام قد عوتب فيهم بقرآن

---

(١) تلبيس إبليس (ص/٢٠٤) .

(٢) الرسالة القشيرية (٢/٥٥٠-٥٥١) .

يتلى . وذكر أيضا نسبتهم الى الصوف وقال" وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق "[١] وأنهم اختاروا هذه اللبسة لأنها لباس الأنبياء والصحابة،ولأنه اليق وأقرب الى التواضع،وأنهم إنما نسبوا الى ظاهر اللبسة لتقلبهم فى الأحوال ودوام ارتقائهم الى العلو وحيث أن بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فانه لايقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت الى غير ذلك من الباطل المزخرف الذى شابه فيه قول السراج الطوسي فى اللمع كما تقدم ذكره وبيانه.[٢]

ثم جاء العلامة ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ وتكلم فى هذه المسألة، ولكنه اختلف قوله فيها وتناقض ، ففى مقدمته[٣] يذكر مقالة القشيري الذى يرجح عدم الاشتقاق وأنه كاللقب ثم يرد عليه ويرجح اشتقاق الاسم من الصوف، ويزيد فى رده على القشيري الذى زعم بأن الصوفية لم يختصوا بلبس الصوف بقوله:" وهم فى الغالب مختصون بلبسه".

ونجده فى شفاء السائل[٤] يرجح أن اسم التصوف لقب لهم وعلم خاص بهم.

ثم يقول:" وقد تكلف بعضهم فيه الاشتقاق ولم يساعدهم القياس" ثم ذكر اشتقاقه من الصوف ورده بأن القوم لم يختصوا فى تصوفهم بلباس دون لباس، ثم ذكر الصُفة والصفاء، وردهما من حيث المعنى وقياس اللغة. ثم يقول ما نصه:" فلم يبق إلا أنه لقب وضع لهذه الطائفة،علما يتميزون به ثم تصرفوا فى ذلك اللقب بالاشتقاق منه فقيل:"متصوف وصوفي ، والطريقة تصوف والجماعة متصوفون وصوفيون". فابن خلدون يرفض اختيار القشيرى ويرد عليه فى المقدمة،وفى شفاء السائل يوافقه ويؤيده.

هذه مقالات المتقدمين من المتصوفة، وأما المعاصرون،فيرى الدكتور عبد الحليم محمود أن اختلاف المذاهب فى أصل التصوف من توفيق الله لهذه النحلة،حيث أن هذا الاختلاف أدى الى بيان ومعرفة الكثير من معاني ومظاهر التصوف، وهو يرى أن كل ماقيل فى أصل واشتقاق التصوف يدل على معان وثيقة الصلة به كالصفاء، والصف الأوْل ، وصُفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم،والصفة الجميلة، وحتى سوفيا اليونانية التى تدل على معرفة الغيب بزعمه، مع أنه يرجح نسبتها الى الصوف وأنها كلمة موفقة كل التوفيق.[٥]

ويقول الدكتور زكي مبارك عن اشتقاق كلمة" تصوف" أنها تحتمل أربعة فروض:الأول أن يكون منسوبا الى صوفة الجاهلي،ويزعم أن التصوف والتنسك كان معروفا فى الجاهلية

---

(١) أنظر عوارف المعارف(ص /٦٠ـ٦٥).
(٢) راجع ص /٦٤
(٣) مقدمة ابن خلدون (٢/٥٨٤).
(٤) شفاء السائل (ص/١٥ـ١٨).
(٥) أبحاث فى التصوف ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الحليم محمود (ص/١٥٧ـ١٥٩)

باسمه ورسمه ثم كانت له رجعة في الاسلام وأن هذا قد حصل في كثير من الآراء الأدبية الدينية والاجتماعية · والثاني أن يكون منسوبا الى الصوف، وهو أصح الفروض عنده بعد التعقب والدراسة · وقد أتعب نفسه محاولا استقصاء جميع الآثار والروايات التي وردت فيها كلمة الصوف، فجمع مقالات النصارى، وما نقل عن عيسى بن مريم، أو عن غيره من رهبان النصارى، ثم مقالات أهل الجاهلية ثم ما نقله عن المتقدمين من المتصوفة في الروايات المكذوبة والمصطنعة في فضائل لبس الصوف وانتشاره مما يُسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كرواية : "إلبسوا الصوف وشمروا، وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء" (١) · وغير ذلك مما أسندوه الى الصحابة والتابعين من الكذب الواضح تزيينا منهم لهذه البدعة· والثالث أن يكون منسوبا الى الصفاء، ورده لأنه لم يجد عند النصارى وأهل الجاهلية ما يؤيد هذا المعنى وهذا القول · والرابع أن يكون منسوبا الى سوفيا اليونانية، ورد هذا الفرض بفلسفة صوفية حيث يفترض أن كلمة سوفيا اليونانية قد رحلت الى معابد اليونان عن كلمة" صوف" العربية الأصل لأن التصوف قديم جدا عند العرب· ثم ذكر بقية الفروض التي تنسب التصوف الى الصف الأول ، وصُفة المسجد، والصفة الجميلة وردها بقوله : " إنها فروض لا تقوى على احتمال البحث وأنها لم تعرف الا بعد الصدر الأول، حين استقل الصوفية نسبتهم الى الصوف" · (٢) ويعني بالصدر الأول، صدر الصوفية، ويقرر حقيقة تبرر مدى إطالته في استقصاء كلمات المدح والثناء على مادة الصوف، واتخاذ الصوف لأنه قد اتضح له عدم محبة المتصوفة نسبتهم الى الصوف ·

وأما المتصوف عبد القادر عطا فإنه يرفض نسبة التصوف الى الصوف ويرده، ثم يرجح انتساب التصوف إما الى الصوفة ، أي الخرقة الملقاة ، فالصوفي كالخرقة الملقاة لاتدبير له مع الله، وأما الى صفة المسجد للتشابه بين المتصوفة وبين أهل الصفة في الطبائع والوظائف بزعمه · (٣)

يتحصل من مجموع مقالات هؤلاء المتصوفة وغيرهم أن التصوف مشتق من الصفاء والوفاء والصفوة لأنهم صفوة الخلق وأصفاهم قلوبا وسرائر · أو أنه مشتق من الصف ــ بفتح

---

(١) قوت القلوب· الفصل التاسع والثلاثون · في ذكر رياضة المريدين في المأكول وفضل الجوع (١٦٧/٢) · ذكر أبو طالب أنه من رواية الحسن عن أبي هريرة برفعه·

(٢) التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق (١/ ٤٠ـ٥٢) ·

(٣) التصوف الاسلامي بين الأصالة والاقتباس (ص / ١٨٠ـ١٨٣) ·

الصاد ـ أوالصفة ـ بضمها ـ أوالصفة ـ بكسرها ـ أو مشتق من الصوف المعروف ، أو من صوفة ، القبيلة الجاهلية • أو أنه مشتق من الصوفانة ، وهى البقلة المعروفة • أو من سوفيا اليونانية • أو أن التصوف اسم جامد غير مشتق ، وضع كاللقب والعلم على المتصوفة • كل هذه الأقوال ذكرها المتصوفة فى كتبهم ومؤلفاتهم • وقد تناول كثير من علماء أهل السنة والجماعة رحمهم الله هذه المقالات وكتبوا فى الرد عليها وبيان بطلانها من حيث الاشتقاق والمعنى•

ورجح أكثرهم أن نسبة التصوف واشتقاقه لايصح إلا الى الصوف المعروف• والواقع اننى أرى أنه لا حاجة لذكر تلك الردود خشية الاطالة أولا ثم إن أعلام التصوف غير متفقين ، فنجد أن كل ما ذكر فى أصل واشتقاق التصوف مردود ومرفوض منهم أنفسهم أومن أكثرهم، وهذا الأمر يريحنا من مناقشتهم لأن اختلافهم، ورد بعضهم على بعض يؤكد عدم صحتها وأنها فى الحقيقة ليست إلا عبارات دعائية ، يقصدون بها نشر وترويج هذا الباطل• وقد أصاب بعضهم فى ترجيح انتسابهم الى الصوف ، وأدركوا عدم صحة النسبة الى غيره ، وممن أدرك ذلك الدكتور زكى مبارك الذى تحمس فأخذ يحاول عبثا فى جعل الصوف من أصول الديانات والشرائع ،ومن الفضائل التى دعا إليها الأنبياء، والأولياء ، والصالحون•

والحق الذى لا مرية فيهأن التصوف مشتق من الصوف، وهو القول الراجح الذى لايلتفت من وفقه الله الى غيره• وقد رجحه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ضعف كل الأقوال بأن النسبة الى الصوف هو المعروف(١) ، ولأنهم أضيفوا إليه لكونه ظاهر حالهم فى لبسهم(٢) • وقال رحمه الله: " واسم الصوفية هو نسبة الى لباس الصوف ، وهذا هو الصحيح".(٣) كما رجح هذا القول كثير ممن كتب فى التصوف من علماء وأهل السنة، وغيرهم ممن وافقهم كالمستشرق نيكلسون الذى ذكر أن لباس الصوف اتخذه الزهاد متشبهين برهبان النصارى•(٤)

والمستشرق كارل بروكلمان الذى يقرر أن الصوفية استعاروا من رهبان النصارى أرديتهم الصوفية التى بسببها عرفوا بالصوفية•(٥)

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٦)•

(٢) نفس المرجع (١١/١٦)•

(٣) المرجع السابق (١١/١٩٥)•

(٤) الصوفية فى الاسلام (ص/٣ـ٤)•

(٥) تاريخ الشعوب الاسلامية (٢/٨٣)•

وقد تقدم أنه هو ما رجحه الكلاباذي والسراج الطوسي والسهروردي من متقدميهم ، والدكتور عبد الحليم محمود وزكي مبارك من متأخريهم . وبهذا يكون هؤلاء قد بنوا بنيانهم ومذهبهم على الباطل إذ ليس في لبس الصوف فضيلة شرعية، وليس في الانتساب إليه شرف ولا رفعة ولا كرامة، لا شرعا ولا عقلا عند من أنعم الله عليهم بالعلم والعقل الصحيح . وقد جاء في صحيح البخاري رحمه الله من حديث أنس قال: " كان أحب الثياب الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحِبَرَة" . (١) وجاء عند مسلم رحمه الله بهذا اللفظ أيضا ، وفي رواية أخرى عنده عن قتادة قال: " قلنا لأنس بن مالك : أي اللباس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أعجب الى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "الحِبَرة" (٢) . وقد جاء في شرح الحبرة كما في الفتح: " وقال ابن بطال: هي من برود اليمن تصنع من قطن ، وكانت أشرف الثياب عندهم" (٣) وجاء في هامش صحيح الامام مسلم ما نصه: " الحبرة - بكسر الحاء وفتح الباء وهي ثياب من كتان أو قطن محبرة أي مزينة، والتحبير التزيين والتحسين . (٤)

كما روى الامام أبو داود رحمه الله من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "صنعت لرسول الله صلى الله عليه و سلم بردة سوداء فلبسها، فلما عرق وجد ريح الصوف فقذفها، قال: وأحسبه قال: وكان تعجبه الريح الطيبة" (٥) وروى الامام أحمد رحمه الله من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: " إنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم بردة سوداء من صوف ، فذكر سوادها وبياضه ، فلبسها ، فلما عرق وجد ريح الصوف، قذفها، وكان يحب الريح الطيبة" . (٦)

---

(١) صحيح البخاري كتاب اللباس باب البرود والحبر والشملة. كما في الفتح(١٠/ ٢٧٦- ٢٧٧) .

(٢) صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة باب فضل لباس ثياب الحبرة(٣/ ١٦٤٨) .والحديث رواه الترمذي في سننه كتاب اللباس باب ماجاء في أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤/ ٢٤٩) .والنسائي في سننه كتاب الزينة باب لبس الحبرة (٨/ ١٧٩) .والامام أحمد في مسنده(٣/ ٢٥١ ، ٢٩١). كلهم يرويه من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) فتح الباري (١٠/ ٢٧٧) .

(٤) صحيح مسلم(٣/ ١٦٤٨- الهامش) .

(٥) السنن لأبي داود ، كتاب اللباس باب في السواد(٤/ ٣٣٩) .

(٦) المسند(٦/ ١٣٢ ، ١٤٤ ، ٢١٩ ، ٢٤٩) .

هذا بعض ما رواه الأئمة الأعلام فى الصحاح والسنن والمسانيد مما يتبين به هدى رسول الهدى صلى الله عليه وسلم فى الثياب ، وأحبه وأعجبه اليه، ويتضح مدى بعد المتصوفة عن التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فى لباسهم وثيابهم، ويتأكد مدى تشبههم بأهل الضلال من رهبان النصارى، وغيرهم من المتنسكين قبل الاسلام ، وقد أقر بهذه الحقائق كثير من المتصوفة الذين ملأوا مؤلفاتهم بذكر النصارى وأحوالهم وأقوالهم مظهرين إعجابهم بهم داعين الى التأسى بهم . يقول الدكتور زكى مبارك: "... إن لبس الصوف كان من تقاليد النصرانية ، وهى فى أصلها تصوف وروحانية..." [١] فالقوم لم يقتصروا بعدم التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل راحوا يتأسون بغير المسلمين ويتشبهون بأهل الجاهلية والديانات الأخرى إمعانا منهم فى الهروب عن واقع حال هذه الأمة وهديها حتى فى مظهرهم الخارجي. وقد علم المسلمون أن من وسائل التقرب الى الله تعالى التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الوسائل أيضا مخالفة غير المسلمين من أهل الشرك والأوثان حتى فى لباسهم وزيهم. ولم يقف المتصوفة عند هذا الحد ،ولكنهم كعادتهم وعادة إخوانهم الرافضة فانه لا تعبيهم النصوص الشرعية فيما يذهبون إليه ويدّعون ، وذلك لأنهم معدن الكذب وأصل الوضع ، فيضعون النصوص ولا يخجلون من نسبتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى الصحابة والأعلام من سلف هذه الأمة .

لقد أورد أبو بكر الكلاباذي [٢] والسهروردي [٣] الكثير من الروايات المصطنعة والمكذوبة فى فضائل الصوف ولبسه ، وزاد عليهما وفاق فى الافتراءات الدكتور زكى مبارك الذى ملأ كتابه بالظلمات والطامات ليصل الى تلك النتيجة الكاذبة بأن " النبي محمدا كان يستحب لبس الصوف تواضعا ، وأن النبي عيسى كان يستحب لبسه كذلك تواضعا، وأن الرهبان فى المسيحية والزهاد فى الاسلام كانوا يستحبون لبس الصوف" [٤] . وليس بمستغرب هذا الأسلوب وهذا المنهج لأنه دأب أهل البدع عامة فى محاولاتهم البائسة المكشوفة ربط مذاهبهم ، وما هم عليه بالاسلام وشريعته، وبسلف هذه الأمة تزيينا لباطلهم ، ليروج بين الناس . ورحم الله الزبيدى حيث يقول بعد ترجيحه اشتقاق التصوف من الصوف: " ومن أمثال العامة لو كانت الولاية بالصوف لطار الخروف" . [٥]

---

(١) التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق (١/ ٤٩) .
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/ ٢٩ـ ٣١) .
(٣) عوارف المعارف(ص / ٦٠ـ ٦٢) .
(٤) التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق (١/ ٥١)ـ وانظر فى (ص/ ٤٢ـ ٥١) .
(٥) تاج العروس من جواهر القاموس(٦/ ١٧٠) .

تعريف التصوف

رغم كثرة أقوال الصوفية فى التصوف وماهيته، فان القارئ والباحث لايكاد يصل الى تعريف جامع مانع فى حد التصوف والصوفي . وقد أدرك هذا حتى المتصوفة، ولكنهم يعللون ذلك ويرجعونه الى عظيم قدر التصوف والصوفي، حيث أن التصوف لايدرك جوانبه وجزئياته إذ أنه معدن جميع العلوم والفنون وأنه يفوق الحدود والاحاطة، وأنه لايمكن لأحد مهما بلغ فى التصوف أن يجمع كل جوانب التصوف فى ألفاظ قليلة، بل إن غاية أمر القائل أنه يعبر عما أدركه هو فى التصوف أو عما رآه من مقامات وأحوال وغيرها . فكل يعبر عن حاله وذوقه ومقامه، وغير ذلك من آفاق التصوف كما بزعمه أهله، وإلا فما هو إلا آفات تفتك بأهلها وبالاسلام عامة .

فالصوفية لا بريدون أن يكون التصوف مما يحد بحدود معينة معلومة، بل بريدونه مسالك وطرق، لا تعد ولا تحصى ، إن كره الناس مسلكا أو طريقا منه لبعده عن الشرع، فتحوا مسالك أخرى، وسنوا طرقا جديدة ، تسهم فى صد الناس عن دين الله تعالى وعن شرعه الحنيف . وقد عبر ابن خلدون عن هذه الحقيقة الصوفية بقوله: " إن الطرق الى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق أجمعين ، وكل سالك له طريق يناسبه، وتربية تخصه، وكما اختلفت طرق السلوك فتختلف العلل والأحوال والواردات باختلافها " .(١) والاختلاف فى تعريفاتهم قد تصدر أحيانا من شخص واحد كما يتضح ذلك لمن تتبع أقوال أئمتهم فى كتبهم ، وتعليلهم لذلك بأن المتصوف ينتقل من حال الى حال ، ومن مقام الى آخر، وهويعبر بما ينفعل به حاله، أو يستقر به مقامه ذلك . يقول السراج الطوسي " وقد أجاب عن التصوف جماعة بأجوبة مختلفة ، منهم ابراهيم بن المولد الرقى ،قد أجاب عنها بأكثر من مائة جواب" .(٢) وقد جمع فى كتابه نحوا من ثلاثين تعريفا للتصوف(٣) . وأما محمد الكلاباذي فإنه جمع ما يزيد على العشرين تعريفا من أقوال أئمة التصوف(٤) ، كما عقد بابا فى شرح أركان التصوف العشرة .(٥)

---

(١) شفاء السائل (ص/٨٧-٨٩) .

(٢) اللمع (ص/٤٧) .

(٣) انظر اللمع، باب التصوف ماهو نعته، وماهيته، وباب صفة الصوفية ومن هم . (ص ٤٥-٤٨) .

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/٣٤-٣٥ ، ١٠٩-١١٠) .

(٥) المرجع السابق ، الباب الثاني والثلاثون (ص/١٠٨) .

وهي: تجريد التوحيد، ثم فهم السماع، وحسن العشرة، وايثار الايثار، وترك الاختيار وسرعة الوجد، والكشف عن الخواطر، وكثرة الأسفار، وترك الاكتساب، وتحريم الادخار.

ويقول أبو نعيم الأصبهاني " وذكرنا في غير هذا الكتاب كثيرا من أجوبة مشيختهم في التصوف، واختلاف عباراتهم ،وكل قد أجاب عن حاله". (١) ويقول في موضع آخر إنه جمع أجوبة أهل الاشارة في ماهية التصوف في غير هذا الموضع ثم يقول : وأقرب ما أذكره ما حُدثت عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال : " من عاش في ظاهر الرسول فهو سنّي، ومن عاش في باطن الرسول فهو صوفي". (٢) ولا أدرى أين جمع أقوال أئمة التصوف مع أنه قد شحن كتابه الحلية بأقوالهم المنكرة، وأفعالهم القبيحة، وأحوالهم الشيطانية حتى إنه جعل من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأحوال الصحابة الكرام وأقوالهم أدلة للتصوف وأهله. فيروى بسنده الى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير. يعلم أن عليه رقيبا على سمعه وبصره ولسانه... الحديث"ومفاده إن صح ، مراقبة الله تعالى في جميع أفعاله وجوارحه ، والقيام بحقوق الله وطاعته . ثم روى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان..... الحديث". ثم يقول بعد هذين الحديثين : فقد ثبت بما روينا من حديث معاذ بن جبل وغيره أن التصوف أحوال قاهرة، وأخلاق طاهرة، تقهرهم الأحوال فتأسرهم .... سلكوا مسلك الصحابة والتابعين، ومن نحى نحوهم من المتقشفين والمتحققين العالمين بالبقاء والفناء.... والعارفين بالخطرة والهمة، والعزيمة والنية ، والمحاسبين للضمائر ، والمحافظين للسرائر... ويقول .. لايستهين بحرمتهم إلا مارق ، ولا يدعى أحوالهم إلا مائق، ولا يعتقد عقيدتهم إلا فائق، ولايحن الى موالاتهم إلا تائق ، فهم سرج الآفاق والممدود الى رؤيتهم بالأعناق ، بهم نقتدي،واياهم نوالي الى يوم التلاق". (٣)

وكذلك يفعل في تراجم الصحابة فيقول مثلا في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : " كان من أحواله العزوف عن العاجلة، والأزوف الى الآجلة . وقد قيل إن التصوف تطليق الدنيا بتاتا، والإعراض عن منالها ثباتا". (٤) فهو يحمل النصوص ما لا تحتمل، ويتكلف تكلفا ظاهرا في جعل الأحاديث والآثار المرفوعة والموقوفة أدلة على صحة هذا المذهب الفاسد. وأبو نعيم ذكر في مقدمة كتابه نحوا من خمسة عشر تعريفا على سبيل المثال

---

(١) حلية الأولياء(١/٢٣).

(٢) نفس المرجع (١/٢٠).

(٣) المصدر السابق (١/٢٦ـ٢٨).

(٤) المصدر السابق(١/٣٠).

لانه قد ملأ كتابه بأقوال المتصوفة فهو يذكر فى ترجمة كل رجل قولا من أقواله أو حالا من أحواله ويربطه بالتصوف بقوله: وقد قيل ان التصوف كذا وكذا. والقشيرى جمع نحوا من ستين تعريفا، ويعبر عن اختلافهم وكثرة أقوالهم" بأن كلا قد عبر بما وقع له". (١) ويقول السهروردى: " وأقوال المشايخ تتنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها الى أحوال فى أوقات دون أوقات.

ويقول أيضا: " وأقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على ألف قول، ويطول نقلها." وقد ذكر أكثر من ثلاثين تعريفا عن المتصوفة. (٢) ويقول ابن خلدون: " وقد حاول كثير من القوم العبارة عن معنى التصوف بلفظ جامع يعطى شرح معناه فلم ينص بذلك قول من أقوالهم" ثم يعلل سبب ذلك بأن منهم من عبر بأحوال البداية، ومنهم من عبر بأحوال النهاية، ومنهم من عبر بعلامة من علامات التصوف، ومنهم من عبر بأصوله ومبانيه. ثم يقول: " وأمثال هذه العبارات كثير، وكل واحد منهم يعبر عما وجد، وينطق بحسب مقامه، والحق أن التصوف لا ينطبق عليه حد واحد".

ويعلل هذه الصعوبة بأن المتصوفة ينقسمون فى مجاهداتهم، فمنهم من يتخلق بمجاهدة الاستقامة طلبا للسعادة بعد الموت لا غير، ومنهم من يتخلق بمجاهدة الكشف طلبا لكشف الحجاب فى الحياة الدنيا، وإن الاختلاف بينهما كبير بحيث أنه يعسر اندراجهما فى حد واحد مع أن الكل تصوف. (٣) وقد ذكر عدة أقوال عن أئمة التصوف. والحق أن ما نقله هؤلاء المتصوفة فى كتبهم من أقوال لمشايخ القوم على أنها تعريفات للتصوف ليست إلا أدلة ناطقة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد على بعد هذا المذهب عن الشريعة الاسلامية، والمنهج الحق، الذى بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بأنه سبيل الله وصراطه المستقيم، وتوضح تلك الأقوال وتبين أن التصوف وطرقه الكثيرة، ومناهجه المتعددة ليست إلا بعض تلك السبل التى أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتى على رأس كل منها شيطان يدعو إليها. وأذكر هنا بعض أقوال أئمتهم لبيان هذه الحقيقة.

يقول السراج الطوسى: " قيل لبعضهم من أصحب من الطوائف ؟ قال: اصحب الصوفية، فإن للقبيح عندهم وجوها من المعاذير". (٤) وأما أبو بكر الكلاباذي فقد نسبه

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٥٠-٥٥٧).
(٢) عوارف المعارف (ص/ ٥٤- ٥٩).
(٣) شفاء السائل (ص/ ٤٨).
(٤) اللمع (ص/ ٤٦). وذكره أيضا السهروردي فى عوارف المعارف (ص/ ٥٧).

الى سهل بن عبد الله التسترى ، وذو النون • يقول : وقال يوسف بن الحسين سألت ذا النون من أصحب ؟ فقال : من لايملك ولا ينكر عليك حالا من أحوالك ••" ويقول : "قال رجل لسهل بن عبد الله التستري : من أصحب من طوائف الناس؟ فقال : عليك بالصوفية فانهم لا يستكثرون ، ولا يستنكرون شيئا ، ولكل فعل عندهم تأويل ، فهم يعذرونك على كل حال" • (١)

ويقول القشيرى : " قال حمدون القصار : أصحب الصوفية ، فان للقبيح عندهم وجوهامن المعاذير (٢) • يذكرون هذه المقالات فى تعريفا تهم للتصوف ، فهذا هو التصوف عند أئمة التصوف، فذو النون إمامهم وقد توفى سنة٢٤٥هـ، والقصار كانت وفاته سنة٢٧١هـ ، والتستري كانت وفاته سنة٢٨٣هـ ، فهم من القرن الثالث الهجري ، ودعوتهم التى تلقفها عنهم أذناب التصوف صريحة فى مخالفة ما كان عليه سلف الأمة وصدره الأول ، فالتصوف ليس فيه إنكار لمنكر ، لأنهم قد جعلوا من أصولهم تعدد الطرق والأحوال والأخلاق فى دينهم ومذهبهم" وتأكيدا لهذا الأصل الفاسد يقول حمدون القصار أيضا : " إذا رأيت سكرانا فتمايل " لتوافقه فى حاله ولا تخالفه فضلا عن أن تنكر عليه وترفع أمره الى السلطان ثم يعلل قوله هذا "حتى لا تبغي عليه" • فالصوفي عندهم إن لم يتمايل، فهو باغ ومتعد والعياذ بالله• ويقول أيضا : " من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر" • (٣)

فالمسلم والمؤمن عندهم لا ينبغى أن يعتقد أنه خير وأفضل بايمانه و إسلامه من أهل الكفر والشرك، لان الكل عندهم سواء والقبائح لها وجوه من المعاذير• وهذا الذى قاله القصار هو البعض من قبائحه وقبائحهم التى قد شحنوا بها مؤلفاتهم •

وقال أبو يزيد طيفور البسطامي المتوفى سنة٢٦١هـ فى تعريفه للصوفية : "الصوفية أطفال فى حجر الحق" • (٤) وقال هذه المقالة المنكرة الشبلى (٥) المتوفى سنة٣٣٤هـ، ولعله قلد بها إمامه وأستاذه فى التصوف، وهذا قول فى غاية القبح وسوء الأدب فى حق الله عز وجل ، ولكن الصوفية ليس عندهم قبيح فقد تناقلها المتصوفة ومازالوا الى اليوم فى كتبهم ومؤلفاتهم•

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/٣٥) •
(٢) الرسالة القشيرية(٢/٥٥٣) •
(٣) نفس المرجع (١/١٣٠) •
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/١١٠) •
(٥) الرسالة القشيرية(٢/٥٥٤) •

وأما الجنيد المتوفى سنة٢٩٧هـ ـ وهو سيد الطائفة عندهم ـ فله أقوال كثيرة في التصوف وأهله، منها قوله لما سئل عن التصوف فقال: " أن تكون مع الله بلا علاقة"(١) وهذا القول فيمن الغموض ما لايخفى إن أحسن الانسان الظن به وبقائله، والا فكيف يكون العبد المخلوق بلا علاقة مع الله؟ وقد أنزل سبحانه وتعالى الشرائع وأرسل الرسل بيانا وتحديدا وتوضيحا للعلاقة بين الخالق والمخلوق. ومنها أيضا قوله :" التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع"(٢) يقول إن الذكر مع الاجتماع، وهذه من أصولهم في اجتماعاتهم ورقصهم ، ثم يقول: ووجد مع استماع، وهوما أحدثوه من السماع لأورادهم وأشعارهم الساقطة والهابطة التي أحلوها محل القرآن. ثم ما هو الوجد الذي يدعو إليه الجنيد؟ ثم يختم مقالته بقوله: عمل مع اتباع، ذرا للرماد في عيون السذج من أهل الاسلام وتزيينا لمذهبهم، وإلا فأين الإتباع في الوجد والاستماع والاجتماع ؟ ومن أقواله أيضا: " الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح، ولا يخرج منها إلاكل مليح"(٣) وهذا يؤكد أصلهم في قبول القبائح والمنكرات الشرعية، وهو بدوره يتلقاها بالقبول والرضى، ولا يعترض ولا ينكر بل يوافق ويبحث عن المعاذير.

ويقول سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة٢٨٣هـ :" الصوفي من يرى دمه هدرا، وملكه مباحا". إن الهدر والاباحة حكم الزنادقة والمرتدين، وهذا الصوفي لا يعني بقوله هؤلاء، ولكنه يؤسس مذهبا يقوم على أن أفراده يكونون مع شيوخهم وأئمتهم في حالة مطلقة من الاستسلام والانقياد والطاعة والمذلة، فالامام يتصرف في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، ولايحق للمريدين الاعتراض، بل عليهم أن يفرحوا ويرضوا بكل ما يفعله الامام والشيخ.

ويقول مظفر القرميسني ـ وهو من أصحاب عبد الله الخزاز المتوفى قبل سنة٣١٠هـ: "الفقير هو الذي لايكون له الى الله حاجة"(٤) والفقير هنا هو الصوفي، وقد جعل هذا الامام المنحرف عدم الافتقار الى الخالق أصلا من أصولهم .

وقد علم المسلمون أن من أصول الأديان والشرائع كلها تأصيل مبدأ افتقار المخلوق الى الخالق، واللجوء إليه سبحانه وتعالى، والتوكل عليه في جميع الأمور. ثم يقولون عن تصوفهم إنه عمل مع اتباع، وأنه روح الاسلام ولبه.

---

(١) اللمع(ص/٤٥) ،والرسالة القشيرية(٢/٥٥٢) ، وعوارف المعارف(ص/٥٤) .
(٢) الرسالة القشيرية(٢/٥٥٣) ،وعوارف المعارف(ص/٥٨) .
(٣) نفس المرجع (٢/٥٥٣) .
(٤) عوارف المعارف (ص/٥٤) .

ويقول أبو على الدقاق — وهو من شيوخ الشبلى —: "أحسن ما قيل فى هذا الباب قول من قال: " هذا طريق لايصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل" . ثم قال الدقاق مؤيدا ومعلقا على هذا القول: " لو لم يكن للفقير إلا روح فعرضها على كلاب هذا الباب لم ينظر كلب إليها "[١] هكذا يجعلون من المريد محلا لكل ماهو مستحقر ومهان. وقد كرم الله سبحانه وتعالى بني آدم . ثم إن أقوالهم هذه رموز وألغاز لمعان باطنية خبيثة، يفهم منها المتصوفة ما يقصده هؤلاء المنحرفون من مخططات لهدم أركان هذا الدين، وصد الناس عنه ، فعندهم أن المتصوف أرفع مقاما وأعظم حالا من الفقير، لذا فان الفقير لو عرض روحه على كلاب المتصوفة، كما يقول الدقاق فإنهم يرفضونها، فكيف إذا عرض روحه على أكابر المتصوفة ممن قد انتقل من مقام الكلاب الى من هم أرفع ، وذلك لأن الفقير كما يزعمون الذى رضي بفقره يهدف الدخول الى الجنة قبل الأغنياء، فهو راض بفقره لينال عوضا عنه فى الآخرة، وأما الصوفى فانه لايريد عوضا، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، وذلك كما قرر القرميسني لعدم حاجته الى ربه والعياذ بالله. إن انحرافهم هذا ليس بمستغرب أمام مهارتهم وخبثهم في تزيين الباطل وتحسينه وإظهاره بأسلوب يقبله الناس إلا من رحم الله، وكذا شطارتهم ومكرهم فى تقبيح الحسن وتشنيعه حتى على أهله.

ويقول السراج الطوسي، قلت للحصرى — المتوفى سنة ٣٧١ هـ —" من الصوفى عندك؟ قال: الذى لا تقله أرض، ولا تظله سماء" ثم يعقب الطوسي بلا حياء ولا خجل كالمستدل له بالأثر بقوله: " وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني اذا قلت فى كتاب الله عز وجل برأيي".[٢] وذكر القشيرى هذه المقالة ثم عقب قائلا: " إنما أشار الى حال المحو".[٣] إن أئمة التصوف يطلقون إشارات غامضة مبهمة يفهمها الأتباع والأذناب، فقد فهم القشيرى مراد الحصري بأنه حال من حالات التصوف المنحرف، وهو حال المحو الفاسد ، الذى جعلوه من أصول التصوف وغاياته العظمى ، وهو باب من أبواب الفساد الذى يؤدى بصاحبه الى عقيدة الاتحاد والعياذ بالله.

ويقول ابن الجلاء — هو أحمد بن يحيى بن الجلاء — لما سئل ما معنى قولهم صوفى؟ قال: "ليس نعرفه فى شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيرا مجردا من الأسباب، وكان مع الله تعالى بلا مكان ، ولايمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى "صوفيا".[٤] كما قال إن التصوف ليس داخلا فى العلم ولا فى شروطه لأن العلم

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٥٥٦).
(٢) اللمع (ص /٤٨).
(٣) الرسالة القشيرية (٢/٥٥٥).
(٤) نفس المرجع (٢/٥٥٦).

يدعوالى مخافة الله وحفظ حقوقه،وأما التصوف كما يقول هذا الصوفي فإنه الجرأة على الله تعالى وعلى محارمه. فالتجرد من الأسباب قدح فى الشرع وإهدار للعقل، وأما كون الصوفى مع الله بلا مكان، ومعرفة علم كل مكان، فانه من طلاسم وألغاز المتصوفة مما يدل حتى على فساد عقولهم ومنطقهم .

والأقوال فى هذا الباب كثيرة جدا، لا يدرى المسلم ما ينقل منها ومايذر ، ولكن أختم هذه الأقوال بما نقله إمامهم القشيرى. يقول : وقال بعضهم: " التصوف إسقاط الجاه، وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة". (١) فإنها كلمة إن خلت من الرمزية فإنها تصف التصوف وصفا بليغا ، فإن مذهبهم يقود الى الخسران فى الدنيا والآخرة لما فيه من المخالفة الصريحة لدين الاسلام.

هذا وقد حاول بعض المتقدمين من أئمة التصوف والمتأخرين أن يضع ضابطا ، أو قاعدة يجمع فيها ما تفرق من تعريفات وأقوال فى التصوف والصوفية. فمن المتقدمين السهروردي ، الذى ذكر أن الأقوال تزيد على ألف قول ، وأنه يطول نقلها ثم يقول : " ونذكر ضابطا يجمع جل معانيها ، فإن الألفاظ وان اختلفت متقاربة المعانى، فنقول : "الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية ، لا يزال يصفي الأوقات عن شوائب الأكدار ، بتصفية القلب عن شوب النفس ، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره الى مولاه، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر ، وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته الناقدة، وفر منها الى ربه. فبدوام تصفيته جمعيته ، وبحركة نفسه تفرقته وكدره ، فهو قائم بربه على قلبه، وقائم بقلبه على نفسه. قال الله تعالى: "كونوا قوامين لله شهداء بالقسط" (٢) وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف". (٣)

وحاول ابن خلدون تعريف التصوف فقال فى المقدمة: " وأصل التصوف العكوف على العبادة، والانقطاع الى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة". (٤) ويعرّفه فى شفاء السائل بقوله: " التصوف رعاية حسن الأدب مع الله، فى الأعمال الباطنة والظاهرة، بالوقوف عند حدوده، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب مراقبا خفاياها، حريصا بذلك على النجاة". (٥)

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٥٦).
(٢) سورة المائدة / ٨.
(٣) عوارف المعارف (ص/ ٥٨ـ٥٩).
(٤) المقدمة لابن خلدون (٢/ ٥٨٤).
(٥) شفاء السائل (ص/ ١٨).

وهذه التعريفات لا تعبر عن التصوف ، غاية ما فيها أن تصف حالة الزهد في الدنيا والزهد غير التصوف حتى عند المتصوفة الذين يرون أن الصوفى أعلى درجة وأعظم مقاما من الزاهد، لطمع هذا فى النجاة من عذاب الله والفوز بالجنة، وأما الصوفى فإنه لايقيم وزنا لجنة ولا نار.

ومن المتأخرين الدكتور عبد الحليم محمود، الذى استعرض التعريفات ودرسها ثم قسمها بحسب اتجاهات القائلين . فالكثير يتجه فى تعريف التصوف الى الجانب الاخلاقي، واتجاه آخر أكثر شيوعا هو تعريف التصوف بالزهد، وهناك قسم يخلط بين التصوف والعبادة. وعنده أن الأخلاق من أسس التصوف، وهو فى أسمى صوره ثمرة من ثمار التصوف، لا أكثر، وكذا الزهد فالتصوف فيه الزهد وزيادة. فالصوفى زاهد عابد ولكن شتان بين زهد الصوفى وعبادته وزهد غيره وعبادته. والتفرقة إنما هو فى الهدف، فغير الصوفى يهدف من زهده وعبادته الاستمتاع فى الاخرة ودخول الجنة، فهو يعمل فى الدنيا لأجرة يأخذها فى الآخرة ، وأما الصوفى فانه يتزهد ويتعبد على الأصل الذى وضعه أئمة التصوف وعبرت عنه رابعة العدوية بقولها : "اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك فالقني بها، وإن كنت أعبدك طمعا فى جنتك فاحرمنيها..." فالخلاصة عند هذا الدكتور الصوفى أن التصوف "يتضمن الخلق الكريم والزهد الرفيع والعبادة المتجردة، وهو مع كل ذلك شيء آخر". (١) صدق هذا الصوفى فى قوله "وهو مع كل ذلك شيء آخر". فالخلق الكريم فى الانقياد والخضوع للشيخ فى ماله وعرضه ودمه، والزهد الرفيع فى قتل الجانب الانسانى ، وفى هدر كرامته التى يزهد فيها إرضاء لأئمته، والعبادة المتجردة فى عبادتهم أوليائهم وأئمتهم واتخاذهم أربابا من دون الله .

وخلاصة القول ، إن ما يتناقله المتصوفة المتقدمون منهم و المتأخرون، ويزعمون أنها تعريفات، لم يقصد بها قائلوها تعريف التصوف تعريفا علميا دقيقا بحيث يستوعب كل جزئياته ومتعلقاته ، بل إن العارف منهم قصد التمويه، والتضليل ، والتشتيت، حتى يصعب على المعترضين بيان فساد التصوف كله، بل غاية الأمر إن اعترض معترض أن يقولوا مبررين باطلهم بأن التصوف غير ذلك، وأن الإنكار متجه الى حال من أحوال أحد المتصوفة الذين قد ملكتهم أحوالهم فصدرت عنهم أقوال وأفعال ظاهرها مستبشع وباطنها غير ذلك. وأما غير العارفين بحقيقة هذا الأمر، ومخالفته للاسلام ، فإنهم اغتروا بما زين به أئمتهم باطلهم ، وآمنوا وصدقوا جهلا منهم بحقيقة التصوف، لأنهم أول ما عملوه فيهم أنهم صدوهم عن العلم

---

(١) أبحاث فى التصوف ضمن المجموعة الكاملة للدكتور عبد الحليم محمود (ص/ ١٦٠ـ١٦٨)

وأهله، وأوقعوهم فى ظلمات الجهل والابتداع. فهؤلاء يريدون التصوف مذهبا حرا لا يتقيد بقيود الشرع فى الأصول والفروع، وبالتالى فانه لا ينضبط تحت قواعد النقد العلمى ولا يدخل فى أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالتصوف من خلال تعريفات أهله وواقع حالهم، هى جملة من الرياضات النفسية والعملية التى يقصد بها قتل النفس، وما فطرت عليه بالمخالفة، وحملها على المكروهات الدينية والدنيوية، للوصول بهذه النفس الى جملة من العقائد والطقوس، التى تفتح له بابا من الخيالات الفاسدة، والاتصال بالشياطين التى توحي اليه أنه يشاهد ما يزعمونه بالحضرة الإلهية، والدخول فى بحر المناجاة، ثم الترقي فى المقامات حتى يصل فى النهاية الى درجة الاتحاد مع الله تعالى بزعمهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

يقول المستشرق نيكلسون: " والتعاريف المتعددة للصوفية التى وردت فى الكتب العربية والفارسية، وإن كانت ذات فائدة تاريخية، فإن أهميتها الرئيسية فى أنها تعرض الصوفية على أنها غير ممكن تحديدها". ويقول إنها تفيد أيضا فى بيان صعوبة رسم معالم التصوف الرئيسية لأنها لا تمثل طابعا معينا، وليست هى فرقة، ولم يكن لها مذهب مرسوم فى العقائد، وأن طرقهم التى يبحثون بها عن الله متعددة تعدد أرواح الخلائق، وأنها تختلف الى غير نهاية.(١)

ويقول جولدتسهير: " والتصوف ليس نظاما متجانسا محدودا من حيث نظرياته أو طقوسه، بل لا يوجد تعريف مضبوط مجمع على قبوله تندرج تحته اتجاهات التصوف العامة، فهناك على الأخص فروق لا حصر لها فى تفصيلات أفكاره ووقائعه."

ويقول أيضا: " ومن الطبيعى أن يقابل هذا التباين فى الفكرة الأساسية للتصوف فروق كثيرة فى الفروع والتفصيلات".(٢)

والذى يأسف له المسلم فى هذا الباب، هو قبول بعض علماء أهل السنة هذه الأقوال، أو على الأقل عدم رفضها استنادا منهم، وركونا الى القاعدة الخبيثة التى يدندن حولها المتصوفة قديما وحديثا، وهو أن عذرهم فى هذا الاختلاف، هو أن التصوف متضمن

---

(١) الصوفية فى الاسلام (ص/٢٩).
(٢) العقيدة والشريعة فى الاسلام (ص/١٤٧).

لاحوال ، ومقامات ، واجتهادات لا تعد ولا تحصى ، وأن البعض قد عبر عن التصوف وهـو في بدايات الطريق ، والبعض قد عبر وهو في أواسط الطريق ، والبعض قد عبر وهو في نهاية الطريق ، وغيره قد عبر بعد بلوغ الغاية· وأن أقوالهم هذه تعبيرات عن مواجيدهم، فـي حالاتهم ومقاماتهم، وأن كل واحد منهم يعبر عما وجد لا غير· أقول إنه من المؤسف أن يردد هـؤلاء نحو هذه المقولات الفاسدة ، التي يراد منها قبول التصوف رغم انحرافاتـه، وإلا فالاسلام لم يترك الانسان في عبادته لخالقه، وفي علاقته مع ربه سبحانه وتعالى أن يعتمـد على الخيالات، والمنامات، والمواجيد، والأذواق الانسانية، بل جعل لذلك أصولا وقواعـد وشرائع من تمسك بها والتزمها فاز ، ومن زاغ عنها خاب وخسر·

الفصل الثانى

فى تاريخ التصوف

- نشأة التصوف
- تطور التصوف
- مراحل التصوف

نشأة التصوف

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء، وأنزل الكتب على خلقه تبيانا لهم ، وتفصيلا لما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم. ثم جعل سبحانه وتعالى من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن الكريم خاتمة لهذه المهمة المباركة في توجيه الخلق ورعايتهم. فجاء الاسلام بالحنيفية السمحة، والمنهج الوسط بين الأديان والرسالات ، يمارس الانسان في ظل هذا الدين فطرته الخَلقية، وغرائزه وشهواته التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه ، مع إحياء وتنمية الجانب الروحي فيه. فالاسلام منهج ا عتدال وتوسط في جميع الأمور، ومتكامل لا نقص فيه.

وجاءت التكاليف الشرعية في الاسلام على قسمين : قسم يتعلق بالقلب وأعمال الجوارح الباطنة كالايمان بالله، والاخلاص له ، ومخافته، والتوكل عليه وغير ذلك من الأعمال ، والصفات، والأحوال التي محلها القلب والباطن. وقسم يتعلق بأعمال الجوارح الظاهرة كالشهادتين ، وسائر العبادات وأعمال البر ، والمعاملات، وقد اهتم الاسلام بكلا النوعين اهتماما عظيما ، مع التأكيد والأولوية للقسم الأول ، حيث جعل شرط قبول الأعمال الظاهرة، وصلاحها، صلاح القلب والباطن. روى الشيخان في صحيحيهما من حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه – واللفظ لمسلم – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الحلال بين ، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس .... الى أن قال : ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". (١) وفيه تعظيم قدر القلب بالنسبة لسائر الأعضاء والجوارح، ففي صلاحه صلاحها، وفي فساده فسادها. فالقلب والباطن أصل في التقوى والاستقامة، وأصل في الصلاح أو الفساد لجميع الأعمال.

وروى الامام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ... إن الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم، ولكن ينظر الى قلوبكم". وأشار بأصبعه الى صدره. وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله لاينظر الى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر الى قلوبكم

---

(١) رواه الامام البخاري في صحيحه ، كتاب الايمان باب فضل من استبرأ لدينه. الفتح (١٢٦/١). والامام مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات(١٢١٩/٣ – ١٢٢٠).

وأعمالكم[١] . فالأصل في قبول الأعمال هو صلاح القلب والباطن ؛ من صدق واخلاص في التوجه والقصد، ومن هنا كان الايمان بالله تعالى،والرضا به ربا ومعبودا هو رأس جميع الأعمال والطاعات الظاهرة والباطنة .

• أدرك الصحابة رضي الله عنهم هذه الحقائق الشرعية التي كانوا يتلقونها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانصرفوا بهمة عالية، بما وقر في نفوسهم من نور الايمان والاخلاص، وبما هداهم الله تعالى اليه ووفقهم له الى إصلاح قلوبهم ومقاصدهم.

والرسول صلى الله عليه وسلم يتعاهدهم ويرعاهم بما يكفل صلاح باطنهم قبل كل شيء . وقد وفقهم الله تعالى بمنه وكرمه ثم بما بذلوه من أسباب ومجاهدات فبلغوا أعلى مراتب الايمان والاحسان، وبلغوا أعظم الغايات في جميع الأعمال الباطنة والظاهرة، فتوكلوا على ربهم حق التوكل، وزهدوا في هذه الدنيا حق الزهد مع قيامهم بعمارتها ونشر دين الله تعالى في أرضه ببذل المال والنفس في جهادهم في سبيل الله . جمعوا رضي الله عنهم بين أعلى مقامات العبادة في عبوديتهم لله تعالى ، وبين إقامة أحكام الله تعالى في أرضه وخلقه حتى ورثهم الله تعالى الأرض ومن عليها. مالت اليهم الدنيا بزخرفها وزينتها فجعلوها في أيديهم وأدوا حق الله تعالى ، وحق العباد فيها، ولم يكن لها في قلوبهم وبواطنهم محلا ولا أثرا. وكان الصحابة رضي الله عنهم رغم قيامهم بحق الله تعالى، على خوف ووجل من تغير القلوب والبواطن ، مع استقامة أحوالهم وأعمالهم الظاهرة وانقيادهم التام لأمر الله تعالى ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم . فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أكثر من مسائلة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في أمر باطنه وهل هو في عداد من عدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن قد فسدت بواطنهم مع ما يظهر للناس من صلاح ظواهرهم[٢] . هذا عمر رضي الله عنه، خليفة المسلمين وإمام المتقين في وقته على هذه الدرجة العظيمة من الخوف والحذر الشديد من الخفايا التي تهدم الباطن وتفسده. ولم تكن هذه الحال خاصة بعمر رضي الله عنه وحده، بل هي حال الصحابة عامة رضي الله تعالى عنهم. يقول ابن أبي مليكة رحمه الله: " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله

---

(١) رواه الامام مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٤/١٩٨٦ - ١٩٨٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٤) ، وكنز العمال (١٣/٣٤٤) ، عن زيد بن وهب ، ويعزوه الى رسته في كتاب الايمان.

عليه وسلم ، كلهم يخاف النفاق على نفسه." (١) كيف لا يتخوفون وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائهوأيمانه يتخوف من تقلب القلوب.

روى الامام البخارى رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: " كثيرا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلف: لا ومقلب القلوب". (٢) وروى الامام أحمد رحمه الله من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: " دعوات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر يدعو بها: " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.... الحديث". (٣)

هكذا عاش الصحابة رضي الله عنهم حياة إسلامية متكاملة، تجمع بين سلوك الطريق الأمثل لمرضاة الله تعالى، وبين القيام بدورهم فى الحياة الدنيا بممارسة السلوك السوي، والمنهج الوسط فى جميع الجوانب الاجتماعية ، والنفسية الفطرية فأعطوا كل ذي حق حقه دون إفراط أو تفريط. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعاهدهم ويرعاهم ،فاذا ما أخطأ أحدهم فى اجتهاد أو رأى أو سلوك ، أو أخطأ فى تطبيق بعض النصوص الشرعية، صحح له ذلك الخطأ ، وأعاده الى الجادة القويمة، والحنيفية السمحة، بأسلوب نبوي رحيم لا فضاضة فيه ولا غلظة ، فكانوا يتلقونها بالاستسلام والاذعان المطلق رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، مما يدل على صدقهم فيما عاهدوا الله تعالى عليه فى سمعهم وطاعتهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم . ولذلك وردت آيات كثيرات،وأحاديث كثيرة فى الثناء عليهم وبيان صدقهم وإخلاصهم. وخير مثال على هذا قصة الثلاثة الذين تقالّوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فقرر أحدهم أن يصلى الليل كله، والثانى أن يصوم الدهر كله، والثالث أنيتبتل ، فلا يتزوج النساء. قرروا بعد نظر منهم واجتهاد شخصي هذه القرارات التى تمثل الانحراف والميل عن الصراط ، وتمثل الغلو الذى يهدم الحنيفية السمحة التى جاء بها هذا الدين. اجتهاد يتعارض حتى مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها. إنه الافراط والغلو فى الجانب التعبدى ، والتفريط والاهمال فى الجانب الفطري ، هكذا يزين الشيطان أبواب الشر

---

(١) ذكره البخارى فى صحيحه فى كتاب الايمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر. الفتح(١/١٠٩).

(٢) رواه البخارى فى كتاب القدر باب" يحول بين المرء وقلبه"الفتح(١١/٥١٣)، وفى كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي صلى الله عليه وسلم. الفتح (١١/٥٢٣) بلفظ: " كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم .." وفى كتاب التوحيد باب مقلب القلوب وقول الله تعالى " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم" الفتح (١٣/٣٧٧) بلفظ : " أكثر ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يحلف ...".

(٣) رواه الامام أحمد فى مسنده(٦/٩١).

والفتنة فى الدين بزينة التقوى، ويصبغها بصبغة الخشية. أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الموقف، وعلم الداء، فخاطبهم بقوله: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر ،وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس منى" [١] هذه سنته، وهذا صراط الله تعالى، فيه البعد عن الغلو، والسلامة فى القصد، والتوسط فى الأمور. هذا هو الدين الوسط الذى يدعو الى التوسط فى العبادات والأخلاق، ويدعو الى حياة طبيعية لا تكلف فيها ولا تصنع. طبق الصحابة رضي الله عنهم هذا المنهج القويم، وعضوا عليه بالنواجذ فأدى كل منهم دوره فى هذه الحياة الدنيا، مع زهدهم فيها، حتى أهل الصفة رضى الله عنهم فإنهم لم يقعدوا أو يلتزموا صفة المسجد باختيار منهم، وإنما الحاجة هى التى أقعدتهم، ولم يكن أحد منهم، أو غيرهم يرى أن المكث على صفة المسجد أولى وأفضل وأقرب الى الله تعالى . حاشاهم أن يخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أخذوا منه المنهج والطريق ،وعقلوه عنه صلى الله عليه وسلم. لذا فقد كان أحدهم إذا ما وجد عملا ترك الصفة، ومضى الى سبيله مايشهد على استقامتهم فى إسلامهم وجمعهم بين العلم والعمل، وبين الزهد والكسب، وبين العبادة والجهاد فى سبيل الله.

ثم جاء التابعون يتلقون منهج ا لتوسط والاعتدال عن الصحابة الذين أدوا الأمانة وبلغوا مراد الله وواصلوا المسيرة المباركة من غير تحريف ولا تبديل، وكانوا يتصدون للأخطاء والانحرافات تصحيحا وتعديلا. جاء بعضهم الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يستفتونه فى مقالة معبد الجهنى فى القدَر، الذى كان ابتداعا فى مسائل الايمان، وانحرافا عن الصراط، وإفسادا للأعمال الباطنة. فتبرأ ابن عمر رضي الله عنهما بقوله: "... فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء منى . لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر..... الحديث ". [٢]

هكذا بين المنهج الذى تلقاه عن رسول الهدى صلى الله عليه وسلم وحذر من فساد القلب والباطن الذى بفساده لا تصلح الأعمال الظاهرة من إنفاق وبذل مهما عظم حجمه وقدره.

---

(١) رواه الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب النكاح باب الترغيب فى النكاح – الفتح (٩ / ١٠٤) .والامام مسلم فى صحيحه بنحوه فى كتاب النكاح، باب استحباب النكاح. (٢ / ١٠٢٠)، كلاهما يرويه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الامام مسلم فى صحيحه ، فى كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ووجوب الايمان باثبات قدر الله... (١ / ٣٦).

وبدأت الانحرافات تظهر فى أواخر عصر التابعين مع ظهور الفرق والبدع ، وكان مما ظهر ، جوانب من الغلو فى بعض العبادات المشروعة والزيادة فيها. وكلما بعد العهد عن نور الوحي والنبوة، وقل عدد الصحابة وعز وجودهم ، كلما ازداد الناس من هؤلاء التابعين، وممن جاء بعدهم من أتباع التابعين فى مظاهر الإنحراف والإفراط والتفريط .

ظهرت طبقة من العباد والزهاد، الذين تميزوا بكثرة العبادة والاجتهاد فى الطاعات، وغلب على بعضهم الزهد والتقشف ، وعلى بعضهم الورع والتقوى، وعلى بعضهم شدة الخوف من الله تعالى . وغير ذلك من التميز فى بعض النواحي من الآداب والأخلاق الشرعية مع التزامهم بالمنهج الحق، والصراط المستقيم، فلم يحدثوا فى دين الله ما ليس فيه من أعمال غير مشروعة، أو أقوال وأحوال، لم يتكلم بها الأولون، بل إنهم التزموا منهج الرسول صلى الله عليه وسلم واقتفوا أثر الصحابة رضي الله عنهم فى تطبيق ذلك المنهج فى حياتهم العلمية، والعملية، والروحية. هؤلاء هم الزهاد والعباد والنساك من التابعين وأتباعهم ممن غلب عليهم الزهد والورع والخشية، مع فضلهم وعلمهم الغزير بالسنن والآثار. وقد ذكر عن بعضهم رحمهم الله زيادة فى الأعمال النافلة من صلاة وصيام، وذكر، على كثير من الصحابة رضي الله عنهم، حتى أنه قد ذكر عن بعضهم أحوال اقترنت فى بعض عباداتهم كالغشي والصعق وحتى الموت عند سماع القرآن، أوحال من شدة البكاء، والخوف الذى يترك فى صاحبه أثرا ظاهرا مما لم يكن قد وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته من بعده. وهذه الأحوال قد حكيت عنهم ونقلت إلينا عمن رآهم، ولم يدّعوها لأنفسهم أو يزعموا أنها قد وقعت لهم. ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن هؤلاء وأحوالهم: " إذا كانت أسبابها مشروعة، وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان، محمودا على ما فعله من الخير، وما ناله من الايمان، معذورا فيما عجزعنه، وأصابه بغير اختياره" .ثم يقول: " ولكن من لم يزل عقله مع أنه قد حصل له من الايمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو أفضل منهم، وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم، وهو حال نبينا صلى الله عليه وسلم ...". (١) وهؤلاء لايظن فيهم إلاالصدق والأمانة واتباع الأسباب المشروعة فى عباداتهم وأخلاقهم رحمهم الله، خاصة وأن أحوالهم تلك، قد نقلت وحكيت عنهم من غيرهم، من أهل العلم والفضل، ولم يذكروها هم بأنفسهم على سبيل الفخر ونيل المكانة والمنزلة بين الناس ، كما هو حال من بعدهم من أهل البدع والأهواء من المتزهدين والمتعبدين من المتصوفة. ورغم هذا فقد تصدت طائفة من الصحابة، وكبار التابعين بالإنكار على أولئك ومنهم: أسماء بنت أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن سيرين ونحوهم رضي الله عنهم ـ كماذكره شيخ الاسلام ابن تيمية

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ١٢) .

رحمه الله ـ[1] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يخاطب هؤلاء من أصحابه : "أنتم أكثر صوما وصلاة من أصحاب محمد، وهم كانوا خيراً منكم. قالوا : لم يا أبا عبدالرحمن ؟ قال : لأنهم كانوا أزهد فى الدنيا ، وأرغب فى الآخرة ".[2] فالخيرية والأفضلية لتفوقهم فى الأعمال القلبية الباطنة. ويقول ابن مسعود أيضا رضي الله عنه مبينا سبيل سلوك المنهج الحق : " من كان منكم مستنا ، فليستن بمن قد مات، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة . أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" .[3] إن هذا الإنكار والبيان من الصحابة وأعلام التابعين رضي الله عنهم إنما يدل على حرصهم فى المحافظة على بقاء الهدي النبوي نقيا من كل شائبة تكدر صفوه وصفاءه ، وعلى نبذ كل دخيل مهما بدا وظهر فى صور من البر والصلاح والخير. بذلوا ما فى وسعهم وجهدهم فى الذب عن هذا المنهج الحق فرضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وخلاصة ما تقدم أن الزهاد هؤلاء قد سلكوا مسلك الصحابة فى طريقهم الى الله تعالى، فكانوا أربابا للقلوب ، ملكوا الدنيا ولم تملكهم، وكانوا رحمهم الله هداة دعاة الى الله ورسوله، ولم يكونوا متصوفة فى تعبدهم وتزهدهم أو فى شيء من أخلاقهم. تجنبوا البدع والمحدثات بما عصمهم الله تعالى بمن توفيقه ثم باتباعهم السنن والآثار، مع القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. يقول الامام الذهبى رحمه الله فى ترجمة أحد هؤلاء : " هكذا كان زهاد السلف وعبادهم ، أصحاب خوف وخشوع، وتعبد وقنوع ، لايدخلون فى الدنيا وشهواتها ، ولا فى عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء، والمحو ،والاصطلام، والاتحاد وأشباه ذلك مما لا يسوغه كبار العلماء. فنسأل الله التوفيق والاخلاص ولزوم الاتباع" .[4]

وأما التصوف فقد نشأ وترعرع فى صفوف طائفة من المتعبدين والمتزهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، واتصفوا بشيء من الغفلة أو السذاجة أحيانا مع بعض الجهل فى السنن والآثار ، وإن كانوا فى الجملة محبين للخير راغبين فيما عند الله تعالى، مع خطئهم فى سلوك المنهج والسبيل ، وفى تطبيق شرع الله تعالى .

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٧) .
(٢) المرجع نفسه (٢٢ / ٣٠٣ـ٣٠٤) .
(٣) المرجع السابق (١١ / ٥٧٣) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٦ / ٨٦) .

ولعل أن يشفع لهم صدق توجههم، ومجاهدتهم ومكابدتهم فى الطاعات وسائر العبادات، مع حسن نواياهم وطوياتهم، والله سبحانه وتعالى أعلم بهم وبأحوالهم ٠

الحاصل أن هؤلاء فتحوا فى الاسلام مدخلا عظيما ولج منه طائفة من أهل البدع والأهواء الذين تستروا باصلاح ظواهرهم، وشدة العناية بها، مع إخفاء حقيقة مقاصدهم ، وأهدافهم وراء شعارات مزخرفة بزخارف القول والفعل ٠ كما ولج من هذا المدخل بعد ذلك طائفة من أهل الشر والفساد الذين اندسوا فى صفوف هؤلاء المتعبدين والمتزهدين يرددون أقوالهم ويتظاهرون بصفاتهم ليكونوا مقبولين فى العامة من الناس، وهم قد حملوا على ظهورهم وأكتافهم معاول الهدم للاسلام وأهله ٠

وأما عن مبدأ نشأة التصوف فانه محل خلاف ليس بين العلماء والمؤرخين فحسب ، بل حتى بين المتصوفين المنتسبين الى العلم، ممن كتب فى تاريخ التصوف وفكره، قديما وحديثا ، فاختلفوا فى مبدئهم من الناحية التاريخية، وفى مكان نشأتهم أيضا ٠ ولعل سبب هذا الاختلاف أن الصوفية فى مبدئهم، كانوا أفرادا وأوزاعا ينتشرون هنا وهناك، فى أطراف البلاد الاسلامية، لا تربطهم رابطة ، ولا تجمعهم ضوابط سلوكية أو علمية أو أخلاقية ، ولا يضمهم مكان أو مرجع يؤولون اليه، لأن التصوف كان فى بدايته لا يزيد على التزهد والتعبد ومخالفة عامة الناس، فى ترك المباحات فى المطاعم والملابس والمساكن ، الذى وافق قلة علمهم بالسنن والآثار ، وجهلهم ببعض الأحكام الشرعية، مما أوقعهم فى شيء من الغلو فى بعض الجوانب من العبادات والأخلاق ، وبتتبع واستقراء النصوص التاريخية وجد كثير من الباحثين أن اسم التصوف أطلق فى أول الأمر على أفراد معينين ، فى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، ثم شاع استعماله بعد ذلك بفترة من الزمن ٠ وقد ذكرت المصادر ثلاثة أسماء باعتبارهم أول من أطلق عليهم وعرفوا باسم الصوفية ، وهؤلاء هم: أبو هاشم الكوفى المتوفى سنة ١٥٠هـ ، وجابر بن حيان المتوفى سنة ٢٠٠ هـ، أو سنة ٢٠٨ هـ ٠ وعبدك الصوفى المتوفى سنة ٢١٠هـ .أما أبو هاشم فقد ترجم له أبو نعيم فى الحلية(١) على أنه من الأولياء من أهل الزهد والتصوف ، فى حين أن المصادر الشيعية، تذكره بالطعن والتجريح الشديدين ٠

وأما جابر بن حيان ، فان الشيعة تعده من كبارهم ، وأنه أحد الأبواب من أصحاب جعفر الصادق ، وأنه كان يخدمه، ويتعلم منه، وأنه ألف فى الزهد والمواعظ، كما ألف فى التشيع وعلومه٠

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٢٢٥) ٠

وأما عبدك ، فقد كان زاهدا متصوفا ، وكان شيعيا ، غاليا فى التشيع· وسيأتى ذكر هؤلاء الثلاثة مع شيء من التفصيل فى المبحث الأول من الباب الثالث إن شاء الله تعالى·

وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية ، ذكر هؤلاء الثلاثة على أنهم من أوائل من عرفوا باسم التصوف فى التاريخ الاسلامى·(١)

ويذكر محمد بن يوسف الكندى المتوفى بعد سنة ٣٥٥هـ ، الصوفية فيقول : "···· وظهرت بالإسكندرية طائفة يسمون بالصوفية ، يأمرون بالمعروف ، فيما زعموا ، ويعارضون السلطان فى أمره ، فترأس عليهم رجل منهم ، يقال له : أبو عبد الرحمن الصوفى"· ثم يذكر أن ذلك كان فى سنة ٢٠٠ من الهجرة ويقول : " فولوها أبا عبد الرحمن الصوفي ، فبلغ من الفساد بالاسكندرية ، والقتل ، والنهب ، ما لم يسمع بمثله·····"(٢)

وفى دائرة المعارف الاسلامية ، أن عبدك ، هو أول من لقب بالصوفى ، وكان اللفظ يومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة ، وعلى رهط من الثائرين بالإسكندرية·(٣)

وينص الامام ابن الجوزى رحمه الله أن اسم التصوف ، قد ظهر قبل سنة ٢٠٠هـ·(٤)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عليه : إن لفظ الصوفية" لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك(٥)" ، ويقول أيضا رحمه الله إنه فى أثناء المائة الثانية من الهجرة ، عبر البعض عن الزهد بالتصوف ، وأطلقت كلمة الصوفي على بعض المتزهدين لأن لبس الصوف قد كثر فيهم·(٦)

والحاصل مما تقدم أن التصوف أطلق على بعض الأفراد فى أثناء القرن الثاني من الهجرة ، ولكن اشتهار اللفظ ، والتوسع فى إطلاقه ، لم يكن إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة الأولى· فالتصوف لم يعرف فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، ولا فى زمن التابعين وأتباعهم رحمهم الله · وأوائل المتصوفة الذين اشتهروا بهذا الاسم ولقبهم الناس به ، من أهل الانحراف المطعون فى دينهم وأمانتهم ، وكلهم من أهل الكوفة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية (٥/٢٦٦)·

(٢) كتاب الولاة والقضاة (ص/١٦٢-١٦٤)·

(٣) دائرة المعارف الاسلامية (٥/٢٧٧)·

(٤) تلبيس ابليس (ص/٢٠١)·

(٥) مجموع الفتاوى (١١/٥)·

(٦) نفس المرجع (١١/٢٩)·

وهى بلد التشيع والرفض والغلو ، وهذا الرأي فى تحديد نشأتهم وظهورهم هو قول الباحثين من أهل العلم والمستشرقين إلا من شذ من المنحرفين المتصوفة الذين دأبوا وما زالوا يحاولون يائسين ربط هذه البدعة بعصر النبي صلى الله عليه وسلم٠فالسراج الطوسى المتوفى سنة٣٧٨هـ عقد بابا" للرد على من قال لم نسمع بذكر الصوفية فى القديم وأنه اسم محدث" (١) وبين فيه أن الاسم كان معروفا قبل الاسلام وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح، ثم ظهر فى الاسلام بعد زمن التابعين، وأما اختفاوءه زمن الصحابة، وعدم تسمية الصحابة بالصوفية ، فإنما هو لحرمة الصحبة وشرفها ، فإنهم نسبوا الى الصحبة التى هى أجل الأحوال ٠ وأما أبو بكر الكلاباذي المتوفى سنة٣٨٠هـ فقد كان أكثر جرأة من سلفه الصوفى فإنه ربط الصوفية والتصوف بالصدر الأول المبارك من هذه الأمة فيقول فى وصف الصحابة رضي الله عنهم :

" ٠٠٠٠ فهموا عن الله، وساروا الى الله ، وأعرضوا عما سوى الله، خرقت الحجب أنوارُهم، وجالت حول العرش أبصارهم ، فهم أجسام روحانيون ، وفى الأرض سماويون" ٠٠٠٠ ثم يقول : آذانهم واعية وأسرارهم صافية، ونعوتهم خافية، صفوية صوفية، نورية صفية ، وودائع الله بين خليقته، وصفوته من بريته، ووصاياه لنبيه، وخباياه عند صفيه، هم فى حياته أهل صفته، وبعد وفاته خيار أمته٠٠٠٠ " (٢) هكذا يزعم هذا الصوفي ويزور الحقائق ، فينسب الصحابة الى هذه البدعة التى أُطلت برأسها بعد الصحابة بزمن بعيد٠ ويكذب بقوله أن أهل الصفة كانوا خيار الأمّة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذاقول مخالف لما عليه أهل السنة وا لجماعة فى تفضيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم٠ وأما أبو نعيم فقد صرح فى مقدمة حليته قائلا : " ٠٠٠٠ كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم ، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم، من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق ، وباشر الأحوال والطرائق ٠٠٠ " (٣) ورحم الله ابن الجوزى الذى قال : " ٠٠٠ ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبابكر وعمر وعثمان وعليا وسادات الصحابة" ٠ (٤) ولا أدرى لِم لَم يذكر معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، لعلهما لم يعرفا الأدلة والحقائق ولم يباشرا الأحوال والطرائق مع أنه أتعب نفسه وغيره فى ذكر تراجم الساقطين من المتصوفة المنحرفين٠ وملاحظة أخرى وهي أنه فى ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بالغ فى ذكر الموضوعات التى تفوح منها رائحة الغلو فى فضائله، ومكانته وعلومه، وغير ذلك ولا أدرى هل استفادها من الرافضة أم أفادهم هو وأتحفهم بتلك الآثار المرفوعة والموقوفة التى يستندون اليها

---

(١) اللمع (ص/٤٢ـ٤٣) ٠

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/٢٦ـ٢٧) ٠

(٣) حلية الأولياء(١/٣ـ٤) ٠

(٤) تلبيس ابليس (ص/٢٠٤) ٠

فى ذكرهم عليا رضى الله عنه ؟ وأما القشيرى فيزعم أن الصحابة لم يتسموا بغير الصحابة لشرف هذا الاسم وفضلة ، وكذا التابعين وأتباعهم، وبعد ذلك اختلف الناس فقيل للخواص منهم "الزهاد والعباد" ، ثم ظهرت البدع والفرق، وحصل التداعى، فادعت كل فرقة أن فيهم الزهاد والعباد ، فيقول : " فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم "التصوف" واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة" . (١) تقدم أن الاسم قد ظهر قبل المائتين ، والظهور غير الشهرة التى يزعمها القشيرى .

هذه أقوال المتقدمين من كتاب المتصوفة ، وأما المتأخرون فإنهم فاقوا أسلافهم في قلة الحياء والكذب والتزوير ، فيقول الدكتور زكي مبارك: " ويمكن الحكم بأن أقدم الآثار الصوفية هو" سفر أيوب" الذى شرح البلايا الانسانية وصور حيرة المرء بين السعادة والشقاء ، والهدى والضلال ، وأقرب الآثار الصوفية الى أذهان الناس هو القرآن ، ذلك الكتاب الذى أطال فى وصف الدنيا وذمها ، وثلبها وتحقيرها ، ...." حتى يقول : " القرآن هو أقرب الآثار الصوفية الى أذهان الناس ، وإن جهلوا ذلك ، هم يعدونه كتاب تشريع ، ونراه كتاب تصوف .... " ثم يضيف الى جهله ووقاحته قوله : " وكان الرسول يتقشف تقشفا صوفيا ...." ... ويقول : " وهو نفسه قد عاش فى بيئة صوفية ، يدل على ذلك نهيه عن الرهبانية وعن مواصلة الصوم ، وهو لم يرغب فى الزواج إلا لأنه رأى ناسا يتبتلون ... ويقول : وأول من تلفت الناس الى كلامه فى المعانى الوجدانية وأسرار القلوب هو حذيفة بن اليمان ... وقد قيل له : نراك تتكلم فى هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله ، فمن أين أخذته ؟ فقال : خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم .... ثم يزعم كاذبا " أن الرسول كان يكتم أسرار التصوف ولا يمنحها غير الخواص ...." (٢)

إن عدم الرد على مثل هذا الكذب والوقاحة المتناهية خير من الاشتغال به فإنه لايخفى على العاقل أنه مجرد دعاوى كاذبة لا تستند الى دليل أو برهان .

وأما الدكتور عبدالحليم محمود ، وقد كان شيخا للأزهر فإنه يقول : " إن الشئ قد يوجد قبل اسمه الخاص ، سواء وجد تحت اسم آخر ، أو وجد ولم تكن هناك الحاجة لتسميته ، ..." ويقول : " ان الشريعة والحقيقة كلبهما ينبعان مباشرة من تعليمات الرسول صلوات الله

---

(١) الرسالة القشيرية (١ / ٦١) .

(٢) التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق (٢ / ٧ـ١٠) .

وسلامه عليه، ...". ويقول: "والحق إن التصوف عربي إسلامي كما أن القرآن – الذى يستمد التصوف أصوله منه مباشرة – عربي إسلامي ... وإذا كان التصوف يستمد أصوله من القرآن، فمن الطبيعي ألا يوجد قبل أن يُفهم القرآن ويُفسر ويُتدبر تدبرا تتفجر عنه ينابيع الحقائق التيهى فى الواقع معناه العميق. ولقد فسر القرآن أولا لغويا ، ومنطقيا وكلاميا، ولكن تفسيره صوفيا اقتضى مرور زمن لتأمله فى عمق وشمول". [(١)] هكذا يلبس أهل الكلام والفلسفة على الناس ، فالدكتور الصوفى وضع مقدمات : بأن الشئ قد يوجد قبل اسمه ، ولم يقل إنه يوجد الشئ ثم يحرف ويغير فيه حتى يكون له اسما آخر ، ويقول عن الحقيقة إنها تنبع من السنة، كلمة حق يريد بها الباطل والفساد . إنه وسائر المتصوفة يفرقون بين الحقيقة والشريعة، ويريدون بالحقيقة تصوفهم المنحرف المخالف لأصول جميع الشرائع والأديان ، التى نبعت من مصادر شتى لا تمت الى الاسلام بصلة كالنصرانية واليهودية والمجوسية والهندوسية واليونانية، وما فيها من انحرافات وفلسفات مخالفة للاسلام والفطرة التى فطر الله الناس عليها. ثم ما معنى كون التصوف عربيا إسلاميا، وهل كل شئ يتصف بالعروبة والاسلام،أو يصفه أهله بذلك،يكون صحيحا مقبولا فى الدين الاسلامى، فالفرق المنحرفة والبدع والأهواء،قد ظهرت فيمن ينتسب الى العروبة والاسلام. إن مجرد النسبة الى الاسلام لا يلزم من كون المنتسب مسلما، فقد يتسمى ويتصف بالاسلام وهو متلبس بفعل ما يهدم هذه النسبة ويبطلها ، فالعبرة بحقائق الأشياء وجوهرها لا باسمائها ونسبتها. وليته حدد الزمن الذى اقتضى مروره لتفسير القرآن تفسيرا صوفيا أو ذكر أسماء الذين قاموا بهذا العمل الصوفى الذى لم يتمكن من التصدى له أحد من الصحابة أو التابعين، و لعله يريد المفسر الصوفى أبا عبد الرحمن السلمى الذى قال عنه الذهبى رحمه الله: ".. وفى حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلا، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية..." [(٢)]

وأما الصوفى عبد القادر أحمد عطا فانه يزعم أن التصوف أصيل فى الاسلام ، وأنه يضرب بجذوره الى أهل الصفة ، وأن عناصر التصوف تعود الى رسالات الرسل جميعا. ثم ذكر آيات كثيرة يزعم أنها شواهد قرآنية تدل على أصالة التصوف . وذكر أن خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء تؤكد هذه الأصالة ، ويزعم أن نزول القرآن عليه فى خلوته دليل على أن التصوف ظاهرة إسلامية قرآنية [(٣)] ، الى غير ذلك من الهراء

---

(١) ابحاث فى التصوف – ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته (ص/٢٢٩–٢٣٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/٢٥٢).
(٣) التصوف الاسلامى بين الأصالة والاقتباس (ص/١٨٧).

الذى قد ملأ المتصوفة به كتبهم قديما وحديثا ، ويتناقله لاحقهم عن سابقهم على أنه العلم والحقيقة، ولكن اللاحق منهم أشد من تصوفه وانحرافه بما يتعمده من الكذب والتلبيس على العامة. وأما عبد القادر عيسى الصوفي فإنه يقول : " فالصحابة والتابعون - وان لم يتسموا باسم المتصوفين - كانوا صوفيين فعلا وإن لم يكونوا كذلك اسما " (١) ثم ينقل فتوى لمحمد صديق الغمارى الذى سئل عن أول من أسس التصوف فأجاب : " أما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي فى جملة ما أسس من الدين المحمدي .... " (٢) هذا هو دأب المتصوفة ، وهذا هو علمهم الذى يصفونه بالحقيقة، وما هو إلا الكذب وتزوير الحقائق وتسمية الأشياء بغير اسمها ترويجا لبدعتهم المنكرة.

وأنقل هنا كلام مستشرق خدم التصوف ونشر مؤلفاتهم القديمة حيث يقول : " والظاهر أن استعمالها قد شاع آخر القرن الثاني الهجري ، أى فى عصر الانتقال من دور الزهد الى دور التصوف الحقيقى ، ولا عبرة بالأخبار الضعيفة التى يراد الدلالة بها على أن الكلمة كان لها وجود فى عصر النبي أو قبل الاسلام ، فان متصوفة القرنين الثالث والرابع الذين اعتبروا أنفسهم الورثة الروحيين للنبي ، لم يترددوا فى اصطناع الأدلة التى تؤيد دعواهم... " (٣)

هكذا أدرك هذا المستشرق حقيقة هؤلاء فى تعمدهم الكذب ، فى الصاق هذه البدعة بالصدر الأول من هذه الأمة ، وبالقرن المبارك من حياة هذه الأمة. تماما كما فعل إخوانهم الرافضة فى إثبات أصالة نحلتهم وكفرهم بما اخترعوه واصطنعوه من أدلة ظنوا أنها تؤيد دعاواهم.

---

(١) حقائق عن التصوف (ص/ ٢٠) .
(٢) نفس المرجع (ص/ ٢٢) .
(٣) التصوف الاسلامى لنيكلسون (ص/ ٦٨) .

تطور التصوف

إن الفرق التى ظهرت فى الاسلام تنشأ فى أول أمرها متسترة بمظهر من مظاهر الشرع ، أو بأصل من الأصول الدينية ، أو بخلق من الأخلاق الاسلامية الرفيعة، ثم تبدأ مظاهر الغلو فى هذا المظهر أو الأصل أو الخلق ، ثم الانحراف شيئا فشيئا حتى تنشأ فى نهاية أمرها فرقة ، تستقل بمجموعة من الأصول والفروع والأخلاق ، تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة .

والتصوف ارتبط فى مراحله المبكرة ارتباطا وثيقا بغاية عظيمة من غايات هذا الدين الحنيف وهو الزهد فى هذه الدنيا وزخارفها. تستر المتصوفون وراء الرجال المخلصين الذين كانوا ينشدون الكمال الديني، والخلقي بزهدهم وعبادتهم لله تعالى ، باخلاص نية، واتباع لآيات الكتاب . واقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم . تستر المتصوفون بهؤلاء، وتظاهروا بأخلاقهم وصفاتهم، وأضافوا الى ذلك الكمال الديني والخلقي إضافات غريبة عن الاسلام. وكانت هذه الاضافات الغريبة والدخيلة تزداد مع ازدياد عدد المنحرفين ، أوالجاهلين لأمور الدين ، الذين يدخلون فى هذا التيار وتزداد كذلك كلما ابتعد الزمان عن الصدر الأول ، وقل رجاله المخلصون ، وتزداد مع توسع الفتوح وكثرتها وكثرة الداخلين فى هذا الدين ، بمخلفاتهم المختلفة والمتعددة من ثقافات ، وديانات، وعادات ، وتقاليد.

وقد كتب العلماء والباحثون فى تطور التصوف،وجعلوه مراحل وأقسام بحسب مظاهر الغلو والانحراف فى العقائد والسلوك ، ورأيت أن كثيرا منهم خلط بين الزهد الاسلامى الأصيل وبين التصوف . فبعضهم جعل طبقة الزهاد من أوائل المتصوفين ، بل قد غلا بعضهم بأن جعل الصحابة من المتصوفين . والبعض الآخر جعل أوائل المتصوفين من الزهاد ، الذين كانوا على السنة والصراط المستقيم، مع إنه قد اشتهر عنهم بعض الأقوال المنحرفة التى تخالف السنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة. والحق أن الزهد غير التصوف ، والزهاد والعباد غير المتصوفين. وإن كان أوائل المتصوفين زهادا وعبادا إلا أنهم قد تميزوا بأشياء أخرى زيادة على الزهد والعبادة. يقول الامام ابن الجوزي رحمه الله : " فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف ". (١)

والمتصوفة يعتبرون الزهد مقاما من مقامات التصوف ، فالسراج الطوسي بعد أن

---

(١) تلبيس ابليس(ص/٢٠٤)

بيّن التصوف وعرّفه وذكر أقوال الناس فيه، عقد كتابا للمقامات والأحوال، وفسر المقامات بأنها العبادات والمجاهدات والرياضيات ، والتي يقوم بها المتصوفة ثم ذكر هذه المقامات ، وذكر منها الزهد وبيّن بأنه أول طريق القاصدين الى الله عز وجل ، وأن من لم يحكم هذا الأساس، لن يصبح له شيء مما بعده من التصوف (١) . ويصرح المعاصرون فى بيان هذا الاختلاف فيقول الدكتور زكي مبارك: " فالزهد هو ترك الدنيا خوفا من الحساب، والتصوف هو الاقبال على صفاء النفس لتتصل بالله، فغاية الزاهدين هى السلامة، وغاية الصوفية هى الوصول، فالزاهد يخاف الدنيا لأنها قد تبعده عن الجنة، والصوفي يخاف الدنيا لأنها قد تشغله عن الله (٢) . ويقول الدكتور عبد الحليم محمود: " إن الزهد فى الدنيا شيء، والتصوف شيء آخر، ولايلزم من كون الصوفي زاهداً، أن يكون التصوف هو الزهد" . ويقول : " والكل يتفق على أن زهد غير الصوفي إنما هدفه الاستمتاع فى الآخرة ، فهو نوع من المعاملة ، كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة" . ويقول : " فالتصوف وإن كان متضمنا للزهد الرفيع فإنه مع ذلك شيء آخر" . (٣)

إن الزهاد الصادقين انطلقوا فى حياتهم الروحية من منطلق القرآن الذى وضع الأسس والمقومات للزهد الاسلامى الذى فيه مرضاة الرب عز وجل، ومن منطلق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضي الله عنهم الذين ضربوا أروع أمثلة الزهد والورع والعبادة. فالزهد الرفيع هو زهد سلف هذه الأمة ، ومن اتبع غير هذا السبيل فمحال أن يبلغ مبلغهم، أو أن يصل الى ما وصلوا اليه من مرضاة الرب تعالى. عرف أولئك الزهاد ربهم حق المعرفة، وصدقوا فى محبتهم له، وخشيتهم اياه، فتقربوا اليه بما شرع لهم من العبادات والأذكار، وكانت ألسنتهم تلهج بذكر الجنة، وما أعد الله فيها لأوليائه من أنواع الكرامات ، وقلوبهم تتطلع للفوز بها والتنعم فيها ، وكانوا أيضا يكثرون من ذكر النار وأنواع العذاب ، فتبكى قلوبهم ، وتدمع أعينهم خوفا منها. لقد كان ذكرهم للجنة والنار هو الزاد الذى يستمدون منه قوة فى زهدهم ، وعبادتهم، وتقربهم الى الله تعالى ، وصبرهم على كل ما أمرهم الله تعالى به، ونهاهم عنه ، فأكثروا من العبادات رجاء الجنّة ونعيمها، ورهباً من النار وعذابه . ولم يمنعهم انقطاعهم لله تعالى من واجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر الذى به قوام المجتمع الاسلامي، ولا من واجب الجهاد لنشر كلمة الحق والعدل والدفاع عن الاسلام والمسلمين.

---

(١) اللمع. كتاب المقامات والأحوال ، باب الزهد (ص/ ٧٢) .

(٢) التصوف الاسلامى لزكى مبارك (٢/ ٢١) .

(٣) أبحاث فى التصوف ــ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الحليم (ص/ ١٦٢ــ١٦٤)

وأما التصوف فإنه زهد من نوع آخر ، إن أول ما يزهد به المتصوف هو العلم، وملازمة العلماء، ومكابدة طلبه، والاشتغال به، لأن العلم كما يزعم أربابه، يشغل المريد عن الوصول الى الأحوال والمكاشفات . يزهد الصوفي بالعلوم الشرعية، ليتسنى له السفر والسياحة فى البلاد. ثم يزهد بالمال ولكن هذا الزهد يقعده عن الكسب ، بل ويحرمه عليه، ليلتزم المساجد والربط ويعتمد على أوساخ الناس وصدقاتهم ، باسم التوكل على الله تعالى . ثم يزهد بالنكاح وطلب الولد لأنه يشغله ويحجبه عن الوصول بزعمهم ، ثم يستبدل به مصاحبه الأحداث والمردان والاختلاط بالنساء الأجانب. ثم يزهد فى أمور من الواجبات أو المندوبات أو المباحات، تورعا وتذللا لله تعالى بزعمه ، فيعذب جوارحه وجسده ، فى حين أنه يركب أنواع المطايا التى تحمله الى الابتداع فى الدين، فيشرِّع من العبادات ما لم يأذن به الله، وينغمس فى أنواع الملاهى والملذات باسم الشطحات والدعاوى الكاذبة والكرامات والسماع والرقص، وغير ذلك من االمنكرات. يزهدون فى المباحات ويرتكبون المحرمات. فكم تركوا من الأطعمة والمأكولات ، وأنواع الملابس ، وحتى النوم، فى الوقت الذى نصبوا فيه أنفسهم لآيات الله وأحاديث رسوله بالتفسير، والشرح، والتأويل الباطني، والقول على الله ورسوله بلا علم، بل وحتى الكذب المتعمد من بعضهم على الله تعالى، وعلى رسوله.

أين هذا الزهد من ذاك؟ وهذا الزهد يصفه الدكتور عبد الحليم محمود بأنه رفيع، ويسخر هو وغيره من المتصوفة، قديما وحديثا، من زهد الرسول ،والصحابة ، وسلف الأمة ، يسخرون ممن أراد بزهده طلب الجنة والنجاة من النار. وقد روى جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل رجلا : " كيف تقول فى الصلاة ؟ قال : أتشهد وأقول : اللهم إنى أسألك الجنة و أعوذ بك من النار، أما إنى لا أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حولها ندندن ". [١] والأحاديث التي جاءت فى وصف الجنة ونعيمها ،ووصف النار وعذابه لا تكاد تحصى من كثرتها، وليس

---

(١) رواه بهذا اللفظ أبو داود فى سننه فى كتاب الصلاة باب فى تخفيف الصلاة(١/٥٠١) من حديث أبي صالح عن بعض أصحاب النبي. ورواه من هذا الطريق الامام أحمد فى مسنده(٣/٤٧٤) ، كما رواه من حديث سليم وفيه أنه جاء يشتكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طول صلاة معاذ ثم سأله النبي" ما معك من القران فقال إنى أسأل الله الجنة وأعوذ بمن النار... الحديث . ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما يقال فى التشهد والصلاة على النبي(١/٢٩٥) ، وفى كتاب الدعاء باب الجوامع من الدعاء(٢/١٢٦٤) .

هذا فحسب ، بل الآيات القرآنية التى تبشر المتقين بالجنة، وما أعده الله فيها لهم، والآيات التي تحذر من عذاب الله وناره،وما أعده الله فيها لأهل نقمته أيضا لا تكاد تحصى. وقد جاءت آيات كثيرات تصف الجنة، وما فيها،وصفا دقيقا حتى ذكرت أنهارها ، وثمارها، وطعامها، وآنيتها ، وأبنيتها، وحتى ملابس أهل الجنة وحليهم . والمتصوفة لا تعبأ ولا تقيم وزنا لجميع هذه الآيات، وتلك الأحاديث ، بل إنهم يقللون من شأن الجنة والنار، ويسخرون من ذكرهما ، والعياذ بالله .

فها هو إمامهم أبو حامد الغزالي يقرر هذا المبدأ المنحرف،ويحاول تصحيحه وتزيينه بما أوتي من عقل وذكاء ترويجا لمذهبه ونحلته. فيقول : " ولهذا قال أبو سليمان الداراني " إن لله عبادا ، ليس يشغلهم عن الله خوف النار، ولا رجاء الجنة، فكيف تشغلهم الدنيا عن الله؟" ثم ذكر ما تبجح به على بن الموفق من أنه رأى فى المنام أنه دخل الجنة فرأى إمام أهل السنة أحمد بن حنبل والملائكة تناوله الطيبات من المطاعم والمشارب، ثم تجاوز الى ما أسماه بحظيرة القدس، " فرأى فى سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف" ، فسأل رضوان عنه، فقال له إنه" معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره، ولا شوقا الى جنته، بل حبا له، فأباحه النظر إليه الى يوم القيامة" . ثم يعلق الداراني فيقول : من كان اليوم مشغولا بنفسه، فهو غدا مشغول بنفسه، ومن كان اليوم مشغولا بربه، فهوغدا مشغول بربه" . ثم ذكر أبو حامد أن سفيان الثورى سأل رابعة العدوية عن حقيقة إيمانها فقالت : " ما عبدته خوفا من ناره، ولا حبا لجنته، فأكون كالاجير السوء، بل عبدته حبا له وشوقا اليه" . ثم قالت :

أحبك حبين حب الهوى	وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى	فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له	فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ثم يعلل الغزالى هذه الأقوال والأبيات الساقطة فيقول : " ولعلها أرادت بحب الهوى ؛ حب الله لاحسانه إليها، وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة. وبحبه لما هو أهل له: الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها .... وهى التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى : " أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر...." ثم يقول : " واذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة، لخروج كلامه عن حد عقولهم ، فيرون ما يقوله جنونا أو كفرا.." ثم يبين حالة الصوفية اذا بلغوا هذه الغاية المزعومة من العلم والكشف بأنها حالة يصير

فيها "القلب مستغرقا بنعيمها ، فلو ألقي فى النار لم يحس بها لاستغراقه، ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية.." (١) هكذا يقرر الغزالي مناهج الصوفية فى عقائدهم وعباداتهم، مع احتقار شأن الجنة والنار، ويظهر إساءة الأدب والتهكم من علماء أهل السنة كأحمد بن حنبل والثوري، وتعظيم شأن الصوفية المنحرفين كالكرخي ورابعة، ثم لم يستح من الاستشهاد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتصحيح مقالة وأبيات رابعة . وهذا والله هو الضلال، واتباع الهوى الذى جعل الغزالى وغيره يتغنى بكل انحراف وميل عن الصراط المستقيم، وبعد عن المنهج الحق ويسمونه بالزهد والتقوى والتجرد لله تعالى ، والغاية فى حبه سبحانه، تعالى الله العظيم عما يقولون فيه علوا عظيما.

وقد قسم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله الزهد الى قسمين : زهد مشروع، وهو ترك ما لاينفع فى الدار الآخرة، وزهد غير مشروع، وهو ترك شيء مما يستعان به على طاعة الله (٢) . يريد رحمه الله بهذا التقسيم، الزهد الذى دعا اليه الدين الحنيف، والزهد الذى هو من مقامات وأحوال المتصوفة، لأنهم قد تركوا أشياء كثيرة مايستعان بها على طاعة الله عز وجل ،وأعظم شيء تركوه وحاربوه هو تعلم العلوم الاسلامية، التى زعموا أنها العلم الظاهر، وركضوا خلف شعارات مزخرفة كاذبة لتوصلهم بزعمهم الى العلم اللدني، والعلم الباطن ، والحقيقة، والكشف ، والمشاهدات وغير ذلك مما أوحى به إليهم إبليس تزيينا لهذه البدعة . يقول القشيرى سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول : " الزهد أن تترك الدنيا كما هي، لا تقول أبني بها رباطا أو أعمر مسجدا" . (٣) هذا هو الزهد عندهم ، وهذا قليل من كثير مما يمليه أساتذة التصوف على مريديهم. رحم الله شيخ الاسلام لقد وصف زهدهم وصفا دقيقا ، فكم تركوا من أمور يستعين بها العاقل على طاعة الله عز وجل .

وخلاصة القول إنه ليس فى الاسلام تصوف لا فى اسمه ولا فى رسمه، وبالتالى فلا يصح قول القائلين عند ذكرهم للتصوف ، وأقسامه بوجود ما أسموه" بالتصوف السني" فالتصوف أمر مخالف ومقابل للسنة تماما ، وبالتالى فانه لايصح تسمية الزهاد والعباد المخلصين بأوائل المتصوفة، أو شيوخهم ، أو قدوتهم، فإن فى هذا إساءة عظيمة الى سلف هذه الأمة من الرجال الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه، وإساءة الى الاسلام، ورسول الاسلام صلى الله

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢٦٦-٢٦٧) .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (١/٢٢٠) .

(٣) الرسالة القشيرية ، باب الزهد (١/٣٦٧) .

عليه وسلم ،والفرق بين أولئك الزهاد من الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين، وبين المتصوفين الذين نشأوا فى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، ثم اشتهر أمرهم وانتشرت دعوتهم بعد القرن الثالث. أقول الفرق بين أولئك الاعلام وهؤلاء المنحرفين، كالفرق تماما بين الشيعة الأوائل من الرجال الذين شايعوا عليا رضي الله عنه يوم كان التشيع بمعناه اللغوي البسيط، وبين الشيعة المنحرفين بعد عبد الله بن سبأ، يوم أصبح للتشيع معنى اصطلاحيا منحرفا .

والتصوف قد تأثر خلال مسيرته بمؤثرات عديدة ، ومر بمراحل، وتطور خلالها من حيث مظاهر الغلو والانحراف فى أمور كثيرة بدءاً بالسلوكيات والأخلاقيات، وانتهاءً بالأصول والعقائد. وذلك لأن التصوف والمتصوفة لم يكن لهم ضوابط سلوكية، ولا قواعد أصولية ومنهجية يلتزمونها فى مذهبهم ، وكان فى بداية أمره عبارة عن استحسانات فى السلوك ، وزيادات فى بعض الطاعات التزمها بعض الزهاد والعباد ، ولم يلتزموا بما جاء به الشرع من الطاعات والأذكار، وذلك إما جهلاً منهم بالسنن والآثار، أو استحسانا لتلك الأحوال، لأنها فى ظاهرها ما هي إلا مجاهدات وأحوال تقبلها النفوس، وتحبها لما فيها من مظاهر الزهد والورع والتعبد، وهى فى حقيقتها باب من أبواب الفتنة والشر عظيم.

مراحل التصوف

قسمت التصوف الى ثلاث مراحل : الأولى تضم الصوفية الذين كانت وفياتهم فى أثناء المائة الثانية من الهجرة، والمرحلة الثانية تضم من كانت وفياتهم فى أثناء المائة الثالثة من الهجرة، والثالثة تضم من مات فى أثناء المائة الرابعة أو بعدها. وقد انتخبت طائفة من أقوال مشايخ الصوفية وأئمتهم فى كل طبقة لمعرفة أهم ما تتميز به كل مرحلة، من حيث الانحراف والغلو، والبعد عن الصراط المستقيم، ولبيان أن الغلو الشديد والانحراف الذى بلغ الكفر والزندقة فى المراحل المتأخرة على أيدى بعض الصوفية من أهل القرن الرابع الهجرى وما بعده، ما هو إلا تطور لبعض الأفكار المنحرفة التى تزعّمها صوفية المرحلة الأولى . وهذا شأن الشر والفساد والانحراف فانه يظهر أولا بصورة قد تروج على كثير من الناس فيقبلونها ، ولكنها تزداد فى انحرافها مع مر الزمن ، وتقادم العهد حتى تصل الى الكفر والمروق عن الدين، والعياذ بالله .

أما المرحلة الأولى ، فقد كان الصوفية فيها يتميزون بالزهد والتقشف ومخالفة المألوفات، وترك كثير من المباحات، والتوسع فى المطاعم والملابس والمساكن ، والبعد عن الناس ،ومخالطتهم تجنبا للانغماس فى الشهوات والملذات ، وآثروا الخلوات ومفارقة الأوطان ، واشتهروا بكثرة العبادة من صلاة ، وصيام ،ومداومة الأذكار، الى غير ذلك من الأمور المحمودة التى اجتهدوا فيها وصبروا عليها. ولكنهم فى مقابل هذا الاحسان وقعوا فى أمور غير محمودة ، إما جهلا منهم بالسنن و الآثار، أو استحسانا منهم لتلك الأمور لما فى ظاهرها من الخير والصلاح، ثم كانت هذه أبوبا لمتصوفة المراحل التالية أوقعتهم فى كثير من البدع والشرك. وأهم هذه الأمور هو نبذ أئمة التصوف للعلم الشرعي،وتحذيرهم أتباعهم ومريديهم من العلماء ومجالسهم .

يقول أحد أئمتهم لتلاميذه: " تباعد عن القراء جهدك ، فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك وإن غضبوا عليك شهدوا عليك زورا وقُبل ذلك منهم" . ويقول أيضا منفرا الناس منهم : " الغيبة فاكهة القراء" . ويقول : " عالم الآخرة علمه مستور وعالم الدنيا علمه منشور" . ويقول : " من فهم القرآن استغنى عن كتابة الحديث" .[1] ويقول : " إنى لاسمع صوت أهل الحديث فيأخذني البول فرقا منهم"[2] وقيل لامام آخر من أئمتهم : " إن فلانا يتعلم النحو، فقال : هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج" .[3]

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني(١/٦٨-٦٩) .

(٢) حلية الأولياء(٨/٩٤) .

(٣) نفس المرجع (٨/١٦) .

وبالغوا فى مفارقة العلماء والمحدثين ، وإمعانا منهم فى هذه الآفة ، أكثروا من النظر فى كتب أهل الكتاب وغيرهممن غير المسلمين ،وجالسوا الرهبان والنساك فى أديرتهم وكنائسهم ، حتى كثر فى أقوالهم العبارات التالية : قرأت فى الحكمة ، قرأت فى التوراة ، قرأت فى الإنجيل قرأت فى زبور داود ، بلغني عن عيسى ، أوحى الله الى موسى ، الى غير ذلك مما يدل على كثرة مجالستهم لغير المسلمين وقراءة كتبهم ومؤلفاتهم والنقل عنها والتأثر بها . حتى إن أحد أئمتهم يقول عن نفسه : " تعلمت المعرفة من راهب يقال له أبا سمعان ، دخلت عليه فى صومعته .... ثم يقول ، فوقر فى قلبي المعرفة" (١) ويقول آخر إنه كان تاجرا وفى إحدى رحلاته أواه المبيت فى بيت للأصنام فدخل فاذا أناس عاكفون على أصنامهم ، فتكلم مع كبيرهم تلك الليلة ثم يذكر أنه تعلم المعرفة والزهد منه ثم خرج وقسم أمواله وترك التجارة وتزهد وتنسك" . (٢)

هذه أحوال وأقوال أئمة الصوفية فى المرحلة الأولى ، وقد تطورت هذه الآفة فى المراحل التالية ، حتى بلغت مبلغا عظيما فى نبذ العلماء والعلوم الشرعية ، وتقسيم الشريعة الاسلامية الى ظاهر منبوذ ، وهو ما عليه أهل العلم والفضل ، وباطن مزعوم هو ما عليه المتصوفة . وتمكنوا بذلك من تفريق كلمة المسلمين ، وإشغالهم بأنفسهم عن مجاهدة الكفر وأهله . كما أن تقدير أوائلهم لزهاد الكفار ونسّاكهم أدى الى القول بوحدة الأديان التى تزعمها فيما بعد أئمة التصوف والزندقة فى المراحل المتأخرة حيث بلغ التصوف ذروته فى الانحراف والانحلال عن الدين الاسلامي .

والحق إن موقف الأوائل من العلم وأهله هو الباب الذى انفتح للتصوف بسائر ضلالاته وانحرافاته لأن الحق لايُعرف ولايمكن تمييزه عن الباطل إلا بالعلم الشرعي ، وهو العلم بالكتاب والسنة والاثار الصحيحة . يقول سفيان الثورى رحمه الله ، وقد أدرك أقوال الصوفية وأحوالهم : " ينبغى على الرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسئول عنه" (٣) يحث الناس على طلب العلم والعمل به لما فيه من العصمة عن الوقوع فى البدع ، ومتابعة الأهواء ، والضلالات . وروى ابن سعد رحمه الله بسنده الى الشفاء إبنه عبد الله رحمهما الله أنها رأت فتيانا يقصدون فى المشي ، ويتكلمون رويدا فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : نسّاك ،

---

(١) حلية الأولياء (٨/٢٩) .

(٢) نفس المرجع (٨/٥٩) .

(٣) المصدر السابق (٦/٣٦٥) .

فقالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقا" [١] . هكذا بدأ الصوفية الأوائل يستحسنون بعض الأمور، ويلتزمونها جهلا منهم بأحوال السلف من الزهاد والعباد والنساك . ويقول ابن الجوزى رحمه الله بعد أن ذكر حال أوائل المتصوفة وزهدهم وورعهم ومداومتهم على الصدق، يقول : " وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبّس إبليس عليهم فى أشياء، ثم لبّس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه فى القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم الى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن . وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل. فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات" . [٢] نعم إن أعظم ما وقعوا فيه هو البعد عن العلم وأهله، حتى تفنن الصوفية بعد ذلك ، فى توسعة الخلاف والفرقة بينهم وبين العلم وأهله، ليتمكنوا من مريديهم فاخترعوا المعرفة، وهى عندهم غير العلم ولاتنال بالكسب والطلب، وإنما بالرياضة والفتح والمكاشفة . ثم اخترعوا الظاهر والباطن لسد باب الإنكار عليهم، وعدم كشف باطلهم وضلالهم. وقد وقع متصوفة المرحلة الأولى فى أمور أخرى كثيرة منها :

أولا : فى باب العقائد: فقد أسسوا مبدأ الجرأة على الله تعالى، فيقول أحد أئمتهم لتلميذه: " إذا كانت لك حاجة الى الله فأقسم عليه بي" [٣] . وهذه تطورت حتى وصل تعظيم الشيوخ الى عبادتهم من دون الله تعالى . كما اخترعوا فكرة الاسم الأعظم التى زعم بعض أئمتهم [٤] معرفتها، ثم تطورت هذه الى الاعتقاد فى الشيوخ وأنهم يتصرفون فى الأكوان وتوسعوا كثيرا فى باب الكرامات وادعاء الدعاوى . كما تكلم الأولون فى محبة الله عز وجل وبالغوا وصوروا أن حب الله تعالى لا تصح ممن يحب الأولاد، وتصوروا أن عبادة الله تعالى لا تصح إذا كان العابد محبا للجنة أوخائفا من النار . يقول أحد أئمتهم أنه زار ابنة له كانت مريضة، فدخل عليها ابنه وله ثلاث سنين، فقبله وضمه الى صدره فسألته بقولها : " سألتك بالله، أتحبه ؟ فقلت: إي والله يا بنيه، إنى لأحبه ، فقالت لي : سوءة لك يا أبت ، إنى ظننت أنك لا تحب مع الله غير الله، فقلت لها : أي بنيه، أو لا تحبون الأولاد ؟ فقالت: المحبة للخالق ، والرحمة للأولاد ، قال : فلطم الشيخ رأسه نفسه، وقال : يارب هذه ابنتى، هجنتنى فى حبها وحب أخيها ، وعزتك لا أحببت معك أحدا حتى ألقاك" [٥] ويقول

---

(١) الطبقات الكبى لابن سعد (٣/ ٢٩٠) .
(٢) تلبيس ابليس (ص/ ٢٠٢) .
(٣) الرسالة القشيرية (١/ ٧٥) .
(٤) هو ابراهيم بن أدهم الذى يزعم أن داود البلخى قد علمه ذلك الاسم كما فى حلية الأولياء (١٠/ ٤٤ــ٤٥) .
(٥) شعب الايمان للبيهقى ، رسالة ماجستير . شعبة المحبة (ص/ ٤٣٤) .

إمام آخر من أئمتهم: " إن كنت تحب أن تكون وليا لله، وهو لك محبا، فدع الدنيا والآخرة، ولا ترغبن فيهما..." [١] ثم اشتهرت أقوال الصوفية فى عدم محبتهم للجنة أوخوفهم من النار باسم محبة الله تعالى . ولما قيل لإحدى المتصوفات: ما حقيقة إيمانك ؟ قالت: ما عبدته خوفا من ناره، ولا طمعا فى جنته.... عبدته حبا له، وشوقا إليه وكانت تنشد:

إني جعلتك فى الفؤاد محدثي — وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس — وحبيب قلبي فى الفؤاد أنيسي

ويذكرون أنها سمعت قارئا يقرأ: " إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون" [٢] : فقالت: " مساكين أهل الجنة فى شغل هم وأزواجهم" [٣] وقد تطورت هذه المحبة المزعومة، وكانت فيما بعد من الأسس التى اعتمدها الصوفية فى عشقهم ، وهيامهم، حتى قالوا ، وبكل وقاحة ، الأشعار ، والقصائد الغزلية فى ذات الله تعالى، والتى يستحي المرء العاقل من سماعها وقراءتها ، كما كانت هذه المحبة المنحرفة من أسس الصوفية فى مذهبهم فى الحلول والاتحاد، والعياذ بالله.

ثانيا : ما وقع فيه متصوفة المرحلة الأولى من انحرافات فى باب العبادات: فقد زعموا لأنفسهم، وشيوخهم أورادا ، وصلوات لايطيقها البشر، ولا تسعها ساعات الليل والنهار، فيزعمون أن أحد أئمتهم كان يصلي فى اليوم والليلة أربعمائة ركعة. [٤] ، وآخر يصلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة [٥] ، أي أنه يقوم الليل كله. وآخر كان يصوم فى السفر والحضر، ولا ينام الليل [٦] . ثم إنهم فى هذه المرحلة اتخذوا أماكن خاصة للذكر والعبادة، وهجروا المساجد والجماعات ، ليتمكنوا من ممارسة تلك العبادات، والأذكار ، والطقوس المبتدعة، بعيدا عن انتقادات أهل العلم ، وجمهور المسلمين . ولقد أوقف أحد أئمتهم دارا فى بلجهيم للمتعبدين والمريدين ،وكان يقص عليهم فيها [٧] . ومثل هذه الانحرافات قد تطورت فى المراحل التالية للتصوف ، حتى أنشأ كل شيخ من شيوخهم، أورادا خاصة، وطريقة لمريديه حتى كثرت الطرق الصوفية فى العالم الاسلامى ، ولكل طريقة أنواعا من الطقوس، والعبادات ،والأذكار تختلف عن غيرها من الطرق ، وكثرت معابدهم ، ودورهم التى أقاموها

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٨٢).

(٢) سورة يس /٥٥.

(٣) الكواكب الدرية فى تراجم الصوفية (ص/١٠٩) وانظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٢٦٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١)

(٥) حلية الأولياء (٧/ ٣٧٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٠).

(٧) نفس المرجع (٩/ ٤٠٨).

لاحياء حفلات السماع والرقص والغناء، وغير ذلك من المنكرات و الضلالات.

ثالثا : ما وقعوا فيه من الانحرافات فى الآداب والأخلاق . وهذا الباب حصل فيه من الشر والفتنة، التى أضرت بالاسلام وأهله أيما ضرر، وشوهت صورة الشرائع والأديان، وما فيها من مكارم الأخلاق والفضائل. وهذا الباب استغله أعداء الاسلام أبشع استغلال ، فى صد الناس عن الدين الاسلامى . فتح أوائل المتصوفة باب شر عظيم، فزعموا أنهم يلتقون بالملائكة، وبالخضر، وأنهم يسمعون الهواتف فى يقظتهم ومنامهم ، وأن الحور تتراءى لهم وتكلمهم، وزعموا لأنفسهم وشيوخهم ما زعموه من الكرامات و الخوارق. زعم أحد شيوخهم أنه رأى ملكين من الملائكة يكتبون أسماء المحبين لله فسألهما أن يكتباه، فلم يفعلا ، ثم إنه انصرف عنهما وجاءه رسول فى منامه يخبره بأنه قد كتب منهم(١) . وزعم الآخر بعده أنه رأى فى المنام جبريل وقد نزل الى الأرض ليكتب أسماء المحبين فطلب منه أن يكتبه ، وبينما هما يتحاوران ويتذاكران، يزعم أن الوحي نزل قائلالجبريل : اكتبه أولهم(٢) . ويزعم صوفى آخر أنه نام عن ورده فاذا حورية من الجنة تناديه، وتدعوه إليها فقام وقرر ألا ينام أبدا(٣) . ويزعمون أن أحد أئمتهم كان فى سفينة فعصفت الريح بهم فخاف الركاب جميعا وأشرفوا على الغرق والهلاك ثم سمعوا جميعا هاتفا قويا يقول : أتخافون وفيكم فلان ـ وذكر الهاتف اسم الصوفى..(٤) .

وهذه الأمور قد توسع فيها متصوفة المراحل التالية وبالغوا فيها حتى زعم المتأخرون حضور النبي والصحابة مجالسهم، ولم يقفوا عند هذا الحد حتى زعم بعضهم حضور الرب عز وجل والتقاءهم به ومحادثتهم له تعالى الله عما يقول الظالمون الكافرون علوا كبيرا. وأما مسألة الكرامات و الخوارق فقد طفحت بها كتبهم، واستعملوها سلاحا لهم فى استعباد المريدين ، وتخويف العامة من التكلم والتعرض للمشايخ والأولياء المزعومين. ومن انحرافاتهم فى باب الآداب والأخلاق: دعوتهم لترك التزوج ، وترك بعضهم التزوج. فيذكرون أن أحدهم لم يتزوج ، ولما قيل له فى ذلك قال: "كيف بقلب ضعيف ليس يقوم بهمه، يجتمع عليه همان." (٥) والثاني يقول :" من أحب اتخاذ النساء لم يفلح". ولما قيل له لم لا تتزوج ؟ قال:" لاحاجة لي فى النساء"(٦) . وقال شيخ لهم :" لايبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته

---

(١) شعب الايمان للبيهقى.رسالة ماجستير. شعبة المحبة (ص/٤٤١).
(٢) حلية الأولياء (٨/٣٤ـ٣٥).
(٣) نفس المرجع (٦/١٥٧).
(٤) المرجع السابق (٨/٦).
(٥) المرجع السابق (٧/٣٤٩، ٣٥٦).
(٦) المرجع السابق (٨/١١، ٢١).

كأنها أرملة ويأوي الى مزابل الكلاب." وقد ترك هذا الشيخ التزوج والنساء وقيل له ألا تتزوج ؟ قال :" لواستطعت لطلقت نفسي" .[١] ، وقد تطور هذا الأمر وأدى بكثير من الصوفية الى ارتكاب المحرمات من مخالطة الأحداث والمردان ، وحتى النساء الأجانب ، وظهور الرهبنة التي أوقعتهم فى الفواحش والرذائل . ويدخل فى هذا الباب ما قرره الأوائل من تعذيب أجسادهم بالسهر وترك النوم، وترك الأطعمة المباحة،وأكل الطين والرمال إمعانا منهم فى مخالفة النفس والإضرار بالبدن ، بحجة تصفية الروح التى ما كانت تزداد إلا خبثا وفجورا . وكذلك اتخاذهم لباس الصوف، وما خشن مسه، و ترك التكسب، ولزوم الزوايا والربط بحجة التفرغ للعبادة، والتجرد فى التوكل على الله تعالى، وغير ذلك من الأمور الأخلاقية التى انحرف فيها المتصوفة الأولون ، وطورها المتأخرون فاخترعوا من الآداب والأخلاق الصوفية التى تحكم قبضة الشيوخ على الأتباع ، وتجعلهم يسيرون كالبهائم لا تدرى ما يراد بها ، حتى آل أمرهم الى اتخاذ الشيوخ آلهة يصرفون لهم من العبادات والطاعات ، وأربابا بما اعتقدوه فيهم من التصرف بالأكوان والاقدار ، وفى الحياة الدنيا والآخرة وأنه لن يدخل أحد الجنة إلا باذن أولئك الشيوخ والائمة من المتصوفة الزنادقة الملحدين .

هذا بعض ما تسبب به متصوفة المرحلة الأولى ، فى نشر هذه البدعة، التى فرقت جمع المسلمين ، وشتت كلمتهم ،بما استحسنوه من أعمال وعبادات، وأذكار وأحوال ، وأخلاق لم يكن عليها الصدر الأول من هذه الأمة ، وبما خالفوا فيه سنن الهدى ، بجهلهم بالنصوص والآثار، التى تمسك بها الرجال الأوائل من هذه الأمة فى القرون المفضلة، والتى بها سادوا العالم وحكموا الأمم . وهذه الأقوال التى نقلتها هى لرجال هذه المرحلة ممن كانت وفياتهم فى خلال المئة الثانية من الهجرة المباركة .

<u>وأما المرحلة الثانية</u>،فقد اجتمع فيه عدد كبير من أساطين الفكر الصوفى الذين كانت أقوالهم وأحوالهم الأسس والقواعد التى اعتمدها المؤلفون فيما بعد فى إحكام مذهب التصوف من حيث العقيدة والشريعة، بعد تطوير كثير منها . وفى هذه المرحلة ابتلي الاسلام والمسلمون بحركة الترجمة التى عنيت بترجمة علوم الفلسفة اليونانية، والرومانية قبل كل شيء ،وقد عُهد بالترجمة لأُناس لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، من النصارى وغيرهم،وأناس امتلأت قلوبهم حقدا وحسدا على الاسلام والمسلمين ، فنقلوا الى العربية ، وثنيات وفلسفات الأمم الكافرة، وشركيات الفلاسفة التى عكرت صفو الدين الاسلامى بضلالات النصارى واليهود ،

---

(١) حلية الأولياء(٢/٣٥٩، ٣٦٥).

وسفسطة الفلاسفة الملحدين ، وترهات الهنود والمجوس، وخزعبلات الإغريق والرومان وغيرهم ٠ ولقد تأثر صوفية هذه المرحلة بحركة الترجمة تأثرا عظيما أدى بكثير منهم الى إحراق واتلاف ما جمعه من الكتب الاسلامية [١] والى إيثار العزلة واستخدام الرموز الغامضة فى أقوالهم ، والشطحات القولية والفعلية، لدى كثير منهم، حتى أن الحارث المحاسبي الذى يعتبر أول من كتب وألف فى أحوالهم وعلومهم قد تأثر بالكلام وعلومه، الذى دخل على المسلمين، من بلاء الترجمة. وقد استمر أئمة التصوف فى محاربتهم العلم وأهله بشتى الطرق والوسائل حتى نشأ الصراع بين علماء وفقهاء أهل السنة، وبين أئمة التصوف ٠ ينسب الصوفية الى أحد أئمتهم أنه قال : " إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش، فقد ركن الى الدنيا " ٠ [٢] والى أحد أئمتهم قوله : " المريد الصادق غني عن علم العلماء ،وإذا أراد الله بالمريد خيرا أوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء" [٣] ومنهم من يزعم أن حب الله تعالى يلهم المحب العمل للمبلا دليل [٤] ٠ ويزعم أحد أئمتهم محتقرا شأن أهل العلم وفضلهم فيقول :" أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذى لايموت ، يقول أمثالنا : حدثني قلبي عن ربي ، وأنتم تقولون حدثني فلان ٠ وأين هو؟ قالوا : مات٠ عن فلان ، وأين هو ؟ قالوا : مات ." [٥] وبمثل هذه الأقوال والأحوال الشيطانية وغيرها كثير ، حجب شيوخ التصوف مريديهم وأتباعهم من العلم ، وأهل العلم، فوقعوا فى المنكرات والشركيات، التى أدت الى الصراع بين أهل العلم والفضل وبينهم فى هذه المرحلة، ومابعدها من المراحل ٠

ذكر الخطيب البغدادى رحمه الله عن أبي القاسم النصرابادى قال : "بلغنى أن الحارث تكلم فى شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل فاختفى فى داره ببغداد ومات فيها ، ولم يُصلَّ عليه إلا أربعة نفر" ٠ وذكر أيضا أن أبا زرعة رحمه الله سئل عن الحارث وكتبه فقال : "إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر ، فإنك تجد فيه مايغنيك عن هذه الكتب٠ قيل له: فى هذه الكتب عبرة٠ قال : من لم يكن له فى كتاب الله عبرة، فليس

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٣٦) ، وأيضا (١٠ /٦) ٠ وانظر فى سير أعلام النبلاء (١٢ / ٨٨) وأيضا (٨ / ٤٢١) ٠

(٢) قوت القلوب ، الفصل الحادى والثلاثون فى ذكر العلم وتفضيله وأوصاف العلماء (١ /١٣٥) ، والفصل الخامس والأربعون فى كتاب ذكر التزويج (٢ / ٢٤٧)

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١ / ٨٥)

(٤) شعب الايمان للبيهقى، رسالة ماجستير٠ شعبة المحبة (ص/ ٤٢٢)

(٥) الفتوحات المكية (١ / ٣٦٥)

له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا في هذه الخطرات والوساوس، وهذه الأشياء ؟ هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم ..... ثم قال : ما أسرع الناس الى البدع". [١] رحم اللهأبا زرعة و علماء السلف، هذا موقفهم في بيان الحق وإنكار البدع . وقد كان للعلماء والقضاة في هذه المرحلة ردود فعل تجاه هذا التيار الصوفي وما اشتهر به من الشطحات والمنكرات فقد اجتمعوا في بلاد مختلفة، على تكفير وطرد كثير من أئمة التصوف بعد أن حكموا عليهم بالكفر أوالزندقة أو الدعوة الى البدع. وقد ذكر السراج الطوسي[٢] شيئا من هذا وزاد عليه الشعراني[٣] فذكر عددا كبيرا من أئمة التصوف ممن تكلم فيهم علماء عصرهم ومصرهم وحكمواعليهم أحكاما مختلفة.. ويقول الامام الذهبي رحمه الله بعد ذكره قول أبي زرعة: فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كالقوت لأبي طالب... و حقائق التفسير للسلمي لطار لبه؟ كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي فيذلك على كثرة ما في الاحياء من الموضوعات ؟ كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر؟ كيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية ؟ بلى لما كان الحارث لسان القوم في ذاك العصر، كان معاصره ألف إمام في الحديث ، فيهم مثل أحمد بن حنبل ، وابن راهويه"[٤] انتهى كلامه رحمه الله. وأقول ، كيف لو رأى الذهبي ما صنفه الجيلي والشعراني والنبهاني والمنوفي؟ وكيف لو رأى حال الصوفية اليوم وانتشارهم في بلاد الاسلام؟ وقد شيدوا القبور والأضرحة ، وأقاموا الأوثان الكثيرة تعبد من دون الله، فانا لله وانا اليه راجعون.

أماما يتميزبه انحراف هذه المرحلة في باب العقائد فمنها ما أحدثه أحد مشايخهم من هذيان وأسماه بعلم الفناء والبقاء. يقول عنه الذهبي رحمه اللهأنه قد " تولد من هذا العلم أمرا كبيرا تشبث كل اتحادى ضال به". وذكر أيضا أن أهل مصر وعلماءها قد كفروه وأخرجوه من مصر لألفاظ تدل على الحلول قد تلفظ بها.[٥]

وقد اشتهر القول عن متصوفة هذه المرحلة، المبالغة والغلو في أقوالهم في محبة الله عز وجل ، وأنهم يعبدون الله حبا فيه، وشوقا إليه، ولا يريدون جنة، ولا يخافون نارا[٦]. وهذه البدعة يظهر أنهم أخذوها من بعض النصارى حيث يقول أحد أئمتهم :

---

(١) تاريخ بغداد (٨/٢١٤-٢١٥).

(٢) اللمع للسراج الطوسي (ص/٤٩٢ - ٥٠٢).

(٣) طبقات الشعراني (١/١٥-١٧).

(٤) ميزان الإعتدال (١/٤٣١).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٣/٤٢٠-٤٢١).

(٦) عن الداراني في الحلية (٩/٢٥٧) وطبقات الشعراني (١/٧٩)، وذي النون - في الحلية (٩/٣٦٦) والحلية أيضا (١٠/٢٣، ٣٧) وعن الداراني أيضا في تفسير الرضا، في الرسالة القشيرية (٢/٤٢٥).

"إن عيسى مر على قوم عباد، فسألهم فقالوا : إن عبادتهم لخوفهم من النار. فتركهم قائلا أمخلوقا خفتم؟ ثم مر على قوم يعبدون الله شوقا الى الجنة، فتركهم قائلا :أمخلوقا اشتقتم ؟ حتى مر على قوم يعبدون الله حباً فيه فقال :أنتم المقربون ،أنتم المقربون، فلزمهم" .(١) وقد نقل السلمي عن أحد أئمة هذه المرحلة، أشعارا قبيحة فى حب الله تعالى والتغزل به ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .(٢) وهذه البدعة والوقاحة قد تطورت لدى متصوفة المرحلة الثالثة تطورا بلغت الذروة فى سوء الأدب مع الله تعالى باسم الحب وباسم العشق. ويزعم أحد الشيوخ منهم قائلا : " رأيت رب العزة فى النوم فقلت يا رب كيف أجدك فقال : فارق نفسك وتعالى اليّ " .(٣) ويقول فيما نقله عنه أبو نعيم: " دعوت نفسي الى الله فأبت على واستصعبت ، فتركتها ومضيت الى الله". وزعم أنه يعرف الاسم الأعظم ، وقد اشتهر بالغموض والشطحات فى أفعاله وأقواله ، واستعمال الرموز فى ألفاظه والتى كانت بابا لمتصوفة المرحلة الثالثة فى الحلول والاتحاد. وذكر أبو نعيم أنه قيل له: " إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض ، فقال : أنا كل السبعة". وفى نهاية ترجمته يقول أبونعيم بعد أن ذكر أقواله المنحرفة ومافيها من الوقاحة، وسوء الأدب مع الله تعالى والجرأة عليه مما لا مزيد عليه، يقول : " اقتصرنا على هذا القدْر من كلامه لما فيه من الإشارات العميقة التى لايصل الى الوقوف على مودعها إلا من غاص فى بحره، وشرب من صافى أمواج صدره ، وفهم نافثات سره المتولدة المنتشرة من سكره" .(٤)

وأما فى باب العبادات فقد قرروا بدعة العزلة، وترك الجماعة ،والانقطاع فى الخلوات والكهوف بما نسبوه عن أحد أئمتهم أنه اعتزل الناس فى قبة له أكثر من ثلاثين سنة لا يكلم الناس ولا ينزل اليهم.(٥) والإكثار عن أحد أقطابهم وأئمتهم بما نسبوه إليه من السياحة فى الصحارى و التقائه بالنساء المنقطعات فى البراري،وما يصفهن به من علوالمنزلة وعلم الغيب والتجرد، تقريرا وتأكيدا منه ومنهم لمبدأ العزلة،وعدم مخالطة الناس حتى فى مساجدهم .(٦)

---

(١) حلية الأولياء(١٠/٧-٨).

(٢) طبقات الصوفية للسلمى(ص/١٩٥-١٩٩)

(٣) طبقات الشعرانى(١/٧٦).

(٤) حلية الأولياء(١٠/٣٦-٤١).

(٥) نفس المرجع (٨/٧٣-٨٤).

(٦) المرجع السابق(٩/٣٤٠-٣٥٥)

ويلاحظ أن أكثر لقاءاته كانت بالنساء المتصوفات ،وأنه كان يختلي بهن ليلا في الظلمات ، حيث يقضي معهن أوقاته في الشعر والحديث عن علومهم الخاصة.ويذكر المتصوفة أن أحد أئمتهم في هذه المرحلة، كان ورده في اليوم والليلة خمسمائة ركعة(١) . الى غير ذلك من المبالغات والكذب الذى يهدف الى تعظيم المشايخ، والاقتداء بهم فيما يقولون ويفعلون .

وأما في باب الأخلاق والآداب فقد مجدوا التبتل ، وترك سنة النكاح، وتوسعوا في باب المنامات وروءية الحوريات، والخضر يقظة ومناما ، وحصول الكرامات والخوارق . وبالغوا في محاربة المألوفات ، وتعذيب الأبدان بعدم النوم ، وعدم الأكل . زعم المتصوفة أن أحد أئمتهم امتنع عن أكل السمك والخبز بقوله: " والله إني لأشتهيه منذ خمس وعشرين سنة، وما كان الله لبراني أرجع في شيء تركته له. ثم إنه روءى متغيرا فقيل له في ذلك فقال : أنا منذ أربعين يوما آكل الطين في الصحراء" (٢) وذكر الهجويرى الصوفي المنحرف عن أحد أئمة المتصوفة في هذه المرحلة بأنه دخل معبدا للأولياء فرأى شيخا وشيخةً في غرفة، كل منهما في زاوية يتعبدان ، وكانا كالغريبين ثم سألهما فقال الشيخ إنها ابنة عمه، وزوجته وإنهما يشكران الله منذ خمس وستين عاما على ما أنعم الله به عليهما من الاجتماع والنكاح،وإنه لم يقربها اشتغالا بالعبادة والشكر. (٣) يقرر بهذه القصة مبدأ التبتل ومبدأ العزلة بما يسميه " معبد الأولياء" . وهذا الامام الصوفي زعم لنفسه كرامات كثيرة، منها أنه سافر الى الحج ، فالتقى برضوان خازن الجنة، الذى أردفه وأوصله الى المدينة وطلب منه أن يقرأ سلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم نيابة عنه. (٤) ويقول عن نفسه فيما نقله الشعراني: "لقيت الخضر في بادية، فسألني الصحبة ،فخشيت أن يفسد على توكلي بالسكون إليه ففارقته" (٥) وهذا القول قد تطور فيمابعد حتى زعم بعض المتصوفة بأنهم أفضل من الأنبياء، ويزعم صوفي آخر أن نفسه طالبته بالتمر فدافعها وأبت عليه حتى اشترى التمر وأكل . ثم إنه قال لها أن تقوم فتصلي فأبت فأقسم ألا يقعد أربعين يوما ، فما قعدها . ويزعم أنه أقسم على الله تعالى بقوله: " وعزتك لإن لم تخرج لي سمكة بها ثلاثة أرطال ، لأغرقن نفسي، فخرجت سمكة فيها ثلاثة أرطال " (٦) ومثل هذه الأقوال تطورت فازداد سوء أدب المتصوفة فيما بعد

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٣٠)
(٢) حلية الأولياء(٨/ ٣٥٣) .
(٣) كشف المحجوب(٢/ ٦٠٨-٦٠٩) .
(٤) حلية الأولياء(١٠/ ٣٣٠-٣٣١) .
(٥) طبقات الشعراني(١/ ٩٧) .
(٦) سير أعلام النبلاء(١٤/ ٧٢) .

مع الله تعالى وجرأتهم عليه سبحانه. ونقل المتصوفة عن بعض أئمة هذه المرحلة أنهم لايفضلون أنفسهم على أحد أبدا حتى على المخنثين.(١) وأن من فضل نفسه فقد تكبر . كما نقلوا عن أحد شيوخهم أنه قال : " من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر".(٢) وقد تطورت مثل هذه الألفاظ ، حتى دخلت فى انحرافاتهم العقائدية، حيث زعم بعضهم فيما بعد ايمان فرعون وتصويب أمره، وما كان منه ومن ابليس كذلك.

وأما المرحلة الثالثة والأخيرة، فقد اكتمل فيه التصوف، ونضج تماما بظهور المؤلفات الكثيرة التى حددت منهجه فى التلقي والتفكير والتعلم ، بأنهم يتلقون عقائدهم وشرائعهم عن الله مباشرة، أو عمن يرسلهم الله تعالى إليهم من الملائكة ، أوالهواتف التى يسمعهم الحق إياها، وكذلك تفكيرهم وعلمهم فانه يقوم على الواردات ، والروءى، والمنامات التى اعتبروها من أصول التشريع والتلقي ، كماحددت موءلفاتهم فى هذه المرحلة القواعد والأسس التى اعتمدوها فى فهم النصوص الشرعية، وطرق استنباط الأحكام ، وبينوا ميلهم الى التأويل ، والأخذ بطرق المتكلمين والفلاسفة فى تصوفهم وفى سائر العلوم الشرعية حتى الغيبيات. كما انتقدوا المنهج الذى يقوم على النص والأثر بأنه قاصر، وأنه لايمكن لهذا المنهج أن يدرك باطن الشريعة ، وعلم الحقيقة، والمعرفة على تقسيمهم البدعي للشرع والدين الاسلامى . ثم انهم زادوا على المتكلمين والفلاسفة باعتماد الأذواق والمواجيد وحتى الخيالات الفاسدة فى تصوفهم ومذهبهم. كما اخترعوا فى هذه المرحلة الطرق الصوفية التى انتشرت فى الأمة الاسلامية انتشارا سريعا، ثم جعلوا لكل طريقة شيخا ينتهى نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وبهتانا ، كما ميزوا كل طريقة بأذكار وأوراد تخصهم دون غيرهم ، ولكل طريقة أتباعا مخصوصين يتميزون عن غيرهم بعلامة فى اللباس أو المظهر أوغير ذلك من بدع المتصوفة .

أظهر أئمة التصوف ممن هلكوا فى المائة الرابعة من الهجرة مذهب الحلول الذى ينقض التوحيد الذى جاءت به الرسل جميعا. وقد تولى كبر هذه الزندقة إمامهم فى الكفر والشرك الحلاج ، الحسين بن منصور فأظهر مذهبه وصرح به فى كتبه ومؤلفاته وأقواله واستشهد بإبليس وفرعون فى صحة دعواه وسماهما : "صاحبيّ وأستاذيّ"(٣) ، وأقره على مذهبه من عاصره من أئمة التصوف،(٤) ودافع عنه المتأخرون دفاع الأبطال واعتبروه قدوة وشهيدا للحب الالهي

---

(١) حلية الأولياء(١٠/١٢٤) ، وطبقات السلمي(ص/٤٩-٥٠).
(٢) طبقات الشعراني (١/٨٤).
(٣) الطواسين المطبوع ضمن أخبار الحلاج (ص/١٠٠).
(٤) مثل أبي العباس أحمد بن عطاء الأدمى، كما فى البداية والنهاية(١١/١٢٢)وطبقات السلمي(ص/٢٦٥).

المزعوم رغم إجماع العلماء فيعصره على كفره وزندقته،فقتل وصلب وأحرقت جثته لعنه الله في سنة ٣٠٩ هـ٠وسئل صوفي آخر عن التوحيد فأجاب :" ويحك من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار اليه فهوثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل٠٠٠"[١]

ومن أقواله أيضا : التوحيد حجاب الموحد عن جمال الأحدية"[٢] ويقول أيضا : "من اطلع على ذرة من علم التوحيد حمل السموات والأرضين على شعرة من جفن عينيه"[٣] ان توحيد الصوفية تطور حتى بلغ ذروته فى هذه المرحلة فعبروا عنه بالحلول أولا ثم بالوحدة ٠ فقد جاء ابن عربى فزاد على الحلاج فى مذهبه حتى وصل به الى وحدة الوجود، كمازاد على الحلاج الذى زعم أنه لم يكن "فى أهل السماء موحد مثل ابليس"[٤]فزاد عليه حتى زعم وحدة الأديان وزاد على ابن عربى،عبد الكريم الجيلى الذى بلور هذا المذهب الفاسد حتى زعم فى كتابه الانسان الكامل تساوى الفضيلة والرذيلة، والجنة والنار ، وعبادة الله وعبادة الأوثان٠ ويقول أحد أئمتهم وكان موافقا للحلاج رغم معاقبة الحاكم له وتعذيبه وضربه حتى مات فى سبيل دفاعه عن الملحد الحلاج، يقول فى تفسير قول الله تعالى:" واسجد واقترب"[٥] : أي اقترب من بساط الربوبية نعتقك من بساط العبودية"[٦] ٠ هذا القول الذى اعتمده من جاءبعده فى الخروج عن الشريعة ورفع التكاليف عن المخلوقين، وهذا الصوفى يصفه السلمي فى ترجمته فيقول :" له لسان فى فهم القرآن" ٠ نعم هو الفهم الباطني الخبيث الذى يهدم الشرائع والأديان السماوية، ليقرر مذهب الكفرة والملاحدة٠ وأما فى باب الأخلاق والأدب فقد ذكروا عن أحد أئمتهم وقد مات ابن له فجزت أمه شعرها عليه، فقام هو وحلق لحيته جميعها، ولما قيل له فى ذلك أجاب :" جزت هذه شعرها على مفقود، فكيف لاأحلق لحيتي أنا على موجود"[٧]. وعن آخر أنه بقي بمكة عشرين سنه يشتهى اللبن فخرج الى عسفان، ووقف على جارية جميلة فنظر إليها بعينه اليمنى ثم تكلم معها٠٠٠ ثم يزعم أنه قلع عينه التى نظر بها إليها ، ثم رجع الى مكة، فطاف ثم رأى يوسف عليه السلام فى المنام، وتكلم معه، فاستيقظ فاذا عينهالمقلوعة صحيحة[٨]. وآخر يزعم أنه حج نيفا وخمسين حجة وجعل ثوابها

---

(١) حلية الأولياء (١٠/٣٧٦)٠

(٢) كشف المحجوب للهجويرى (٢/٥٢٦)٠

(٣) حلية الأولياء(١٠/٣٧٠)٠

(٤) الطواسين المطبوع ضمن أخبار الحلاج(ص/٩٦)٠

(٥) سورة العلق/١٩٠

(٦) طبقات الشعراني(١/٩٥) ، وترجمته فى البداية والنهاية(١١/١٦٢) وطبقات السلمي (ص/٢٦٥)٠

(٧) حلية الأولياء (١٠/٣٧٠)٠

(٨) المرجع نفسه (١٠/٣٤٤)٠

للنبي والصحابة ولأبويه حتى بقيت حجة و احدة فيقول : " فنظرت الى أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم فقلت: " اللهم إن كان فى هؤلاء أحد لم تقبل منه حجته فقد وهبت هذه له ثم نام ورأى ربه فقال له : يافلان ابن فلان علي تتسخى؟ قد غفرت لأهل الموقف، ومثلهم أضعاف ذلك ، وشفّعت كل رجل منهم فى أهل بيته، وخاصته ، وجيرانه، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة" . (١) دعاوى كاذبة بلا حياء ولا خجل، وقد اعتمدها من جاء بعدهم فتوسعوا فى الكرامات والجرأة على الله تعالى .

وقد ظهرت فى المائة الرابعة مؤلفات فى التصوف، أهمها اللمع للسراج الطوسي، والتعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي ، وقد اجتهدوا فى تأسيس قواعد للتصوف ، وتصحيح مذهبهم ، وتأويل شطحاتهم ومنكراتهم.

وفى المائة الخامسة ظهرت مؤلفات أبي عبد الرحمن السلمي، الذى صنف فى علوم الصوفية، وتراجمهم سبعمائة جزء، وقد عمل دويرة للصوفية، وصنف لهم سننا وتفسيرا، وذكر الذهبي عن ابن الصلاح فى فتاويه أنه وجد عن الامام الواحدى المفسر أنه قال : " صنف أبو عبد الرحمن السلمي" حقائق التفسير" فان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر" . كما ذكر عن محمد بن يوسف القطان قوله :كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة، وكان يضع للصوفية الأحاديث" . ويقول الذهبي: " وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة ، وفى حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلا ، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدها بعضهم عرفانا وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى ..." (٢) وظهر أيضا كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهانى ، والرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيرى، وفيهما من الضلال والكذب الشيء الكثير. ثم كثرت المؤلفات فى التصوف، وأخبار شيوخهم وأحوالهم ، وليس فيها من العلم الذى يقرب العبد الى ربه إلا اليسير النادر، وغاية ما فيها حكايات وآثار ودعاوى تلقفوها عن بعضهم بالتصديق وزادوا عليها، وآمنوا بها، وسموها بالحقائق ، وهى خالية من ذكر السنن والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما يشهد لهم فى تصوفهم، وقد كذبوا على رسول الله وعلى الصحابة كثيرا لتأسيس وتصحيح بدعهم وانحرافاتهم وضلالاتهم. وقد وصفوا أنفسهم فى تلك المؤلفات بأهل الكشف ، والحقيقة، وعلماء الباطن، والعارفين وأهل الأذواق ، وغير ذلك فى حين أنهم يصفون علماء أهل السنة والجماعة بأهل الظاهر، والرسوم ، ويسمونهم أحيانا العامة والعوام. ثم ظهر التصوف فى صورته النهائية بظهور

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٣١٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧-٢٥٥) .

الفلاسفة المتصوفين كابن عربي الهالك سنة ٦٣٨ والششتري الهالك سنة ٦٦٨ هـ وابن الفارض الهالك سنة ٦٦٩ هـ، وابن سبعين الهالك سنة٦٧٣هـ ، والقونوي الهالك سنة٦٧٣هـ،والتلمساني الهالك سنة ٦٩٠ هـ ، وقد ساهمت مؤلفات الملحد ابن عربي فى رسم التصوف الذى وضع قواعده متصوفة المائة الثالثة والرابعة، فأظهر التصوف كما أراده الأولون من الالتقاء بأصول وعقائد الملحدين، وكذلك ابن الفارض الزنديق الذى أطلق على نفسه لقب سلطان العاشقين، وأقره من جاء بعده على هذا اللقب ، وأظهر فى أشعاره مذهب أهل الزندقة والاتحاد ووحدة الأديان، وتغزل قبحه الله فى ذات الله عز وجل ووصف عشقه وزندقته. وكان هؤلاء أصرح ممن كان قبلهم لقلة العلماء والمحدثين فى زمانهم ، وقلة ناصريهم. وكما قال الذهبي رحمه الله: "لماكان الحارث لسان القوم فى ذاك العصر،كان معاصره ألف إمام فى الحديث فيهم مثل أحمد بن حنبل وابن راهويه..." .(١) ولما قل العلماء الربانيون فى القرون المتأخرة وفشى أمر الصوفية وانتشروا فى البلاد والعباد،ودانت لهم الحكام،ظهر أمرهم على حقيقته ، فكشفوا عن كفرهم وضلالهم ، فانا لله وانا اليه راجعون ، واليه المشتكى.

---

(١) ميزان الإعتدال (١/ ٤٣١).

الباب الثالث

العلاقة بين التشيع والتصوف

الفصل الأول
وحدة المنشا

المبحث الأول
أوائل الصوفية

تبين مما سبق أنه لم يكن فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم تشيع ولا تصوف ، وأن التشيع سبق التصوف فى نشأته وظهوره على يد ابن سبأ ، اليهودي الحاقد الذى اندس فى صفوف شيعة علي وأتباعه مظهرا ما يميلون إليه من حب آل بيت النبي وتقديرهم ،ومبطنا أفكاره وسمومه التى كان يبثها بين الفترة والأخرى ، حتى تمكن هو وجنوده من الميل بالشيعة والتشيع من معناه اللغوى البسيط الى المعنى الاصطلاحي المنحرف.

وأما التصوف فقد ظهر ونشأ فى صفوف الزهاد والعباد. عرف المسلمون الزهد والتعبد فى تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته العملية ، ثم فى تعاليم الصحابة وسيرتهم، وكذا من تبعهم ، وكان الزهد بسيطا لايخرج عن خلاصة التعاليم الإسلامية والأخلاق السامية التى يدعو إليها. اندس المنحرفون فى صفوف أهل الزهد والعباد ، لبث ونشر مذاهبهم وانحرافاتهم، لما رأوا من ميل الناس عامة الى الزهاد والعباد ، وتقديرهم، ومحاولة الاقتداء بهم ، وكسب مودتهم، وخاصة بعد عصر الانفتاح المادى وانغماس كثير من الولاة والحكام فى ملاذ الدنيا والتوسع فى زينتها وزخرفها.

وكلما كثر فى المجتمع طلاب الدنيا ، وتوسع الحكام والولاة فى دنياهم، وعز وجود الزهاد والعباد وقل عددهم ، كلما ازداد حب الناس وميلهم الى الزهد والزهاد ، لما فى سيرتهم من صورة صادقة من حياة سلف هذه الأمة. لذلك اندس المنحرفون فى صفوف الزهاد والعباد والنساك ، مظهرين التزهد والتعبد ، ومبطنين انحرافاتهم ومذاهبهم المختلفة وراء هذه الأخلاق والصفات التى تقبلها عامة الناس . وكان ممن اندس فى صفوف الزهاد، الرافضة المنحرفون ، بعد حياة حافلة بالعنف والثورات والخروج على الحكام لإقامة دولة لهم ،ولما رأوا فشلهم، وبطش الحكام بهم لجأوا الى الزهد واندسوا فى صفوف الزهاد لبث سمومهم ورفضهم بين عامة الناس . ويظهر ذلك بذكر الحقائق التاريخية التى تبين أوائل الصوفية ، ومدى اتصالهم بالشيعة والتشيع ، كما يتبين من الميل بالزهد بمعناه البسيط الى الانحراف الذى انتهى إليه زهد المتصوفة واستقلال التصوف بزهد منحرف ، وبعلوم تخصه ، وطقوس تميزه

عن الإسلام وأهله ،ومدى الاتصال و الاتفاق فى هذه العلوم والطقوس بين الصوفية والشيعة.

أما أوائل الصوفية، الذين ظهر هذا الوصف مقترنا بأسمائهم ، ولأول مرة فى حياة المسلمين ، فهم :

أولا : أبو هاشم الكوفي، المتوفى سنة ١٥٠هـ

ترجم له أبو نعيم الأصبهاني،وعده من الأولياء ووصفه بالزهد، ونقل بعض أقواله وأحواله ، ولم يذكر له اسما ولا نسبا سوى" أبو هاشم الزاهد" ، كما لم يذكر سنة وفاته. (١)

وترجم له عبد الرحمن الجامي الصوفي فىنفحات الأنس — وهو بالفارسية — وقال : "إن أباهاشم الكوفي أول من دعي بالصوفي ، ولم يُسم أحد قبله بهذا الاسم".

وذكر الجامى أنه كان معاصرا لسفيان الثورى الذى قال فيه :" لولا أبو هاشم ما عرفت دقائق الرياء". (٢)

وقد ذكرته المصادر الشيعية،وتصفه بأنه مخترع التصوف ،وأنه أول من سمي بهذا الاسم ، ثم يطعنون فيه، ويتهمونه بأنواع الكفر والزندقة ، وأنه ابتدع هذا المذهب لإخفاء عقيدته الخبيثة ، و لإثارة الاضطراب فى الدين الإسلامى . فيتهمونه بالحلول والاتحاد، وأنه كان أمويا وجبريا فى الظاهر، وباطنيا ودهريا فى الباطن، وأنه وردت عنه أحاديث كثيرة يطعن فيها على الائمة المعصومين (٣) . ويذكرون أن إمامهم الصادق قد سُئل عن حال أبي هاشم الكوفي الصوفي فقال : "إنه فاسد العقيدة جدا، وهو الذى ابتدع مذهبا يقال له التصوف ، وجعله مقرا لعقيدته الخبيثة". وفى رواية " وجعله مقرا لنفسه الخبيثة". (٤)

وينص محمد باقر الخوانساري الشيعي الصوفي على" أن أول من أبدع التصوف هو أبو هاشم الكوفى ، ووضع طريقة التصوف، وبنى الخانقاة للصوفية". فاستعمل لفظ الإبداع لميله العظيم الى التصوف ليجمع بين شرين عظيمين ، ونحلتين فاسدتين : التشيع والتصوف . وقد ذكر أبا هاشم مع معرض المدح والثناء، وذلك أثناء ذكره نبذة مما جمعه

---

(١) حلية الأولياء (١٠/٢٢٥).

(٢) نقله عن الفارسية الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله فى التصوف(ص/٤١) ،والدكتور كامل الشيبي فى الصلة بين التصوف والتشيع(١/٢٩٠_٢٩١).

(٣) انظر الصلة بين التصوف والتشيع(١/٢٩٠_٢٩١).

(٤) الإثنا عشرية فى الرد على الصوفية للحر العاملى(ص/٣٣).

من كتب الأوائل ، وما وقف عليه من الأوليات من كتب الأخبار والتواريخ المعتبرة. فذكر أبا هاشم على أنه أول من أبدع التصوف.[(١)] .

والذى يظهر لى ، والله أعلم، أن الشيعة قد اختاروا أباهاشم المجهول هذا ليجعلوا منه مخترع التصوف ، وواضع مذهبهم تبرئة لأنفسهم وأسلافهم من أن يوصفوا بذلك، تقية منهم، وتمويها على الناس. وإلا فالشيعة يذكرون فى مشايخهم وعلمائهم من كان متصوفا ، ومن كتب فى التصوف، ويعظمونهم ويقدرونهم ، بلا أي تحرج من هذا الوصف.

ويظهر لى أن سبب اختيارهم لأبي هاشم هذا ، واتهامه بالكفر وأنواع الزندقة لأنه لم يكن شيعيا ، بل لأنه كان سنيا متعصبا، وربما كان معاديا للشيعة و التشيع كما أشاروا إليه ، ولأنهم قد وصفوه بأنه كان أمويا. ومعلوم أن الأموية لم تكن مذهبا دينيا حتى يوصف أهله بالزندقة ، والكفر، والالحاد، وغير ذلك . ولكن الرافضة يسمون أهل السنة والجماعة بالأمويين تارة، وبالعثمانيين تارة أخرى، الى غير ذلك من الألقاب التى اخترعوها وأطلقوها على من خالفهم من أهل الحق فى رفضهم و كفرهم.

---

(١) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات(٤/ ١٨٣).

ثانيا : جابر بن حيان الكوفي ، المتوفى سنة ٢٠٨ هـ

معدود من الشيعة ، بل من كبارهم وأعلامهم، فهو تلميذ لإمامهم السادس، جعفر الصادق ، وأحد أبوابه لمصاحبته إياه، وخدمته، وتعلمه منه· وقد ألف فى التشيع، وفى الزهد والتصوف ، والفلسفة · ذكره ابن‌النديم فقال : "هو أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي· واختلف الناس فى أمره، فقالت الشيعة أنه من كبارهم، وأحد الأبواب····" ثم ذكر اختلاف الناس فيه وادعاء كل طائفة بأنه منهم كالفلاسفة، وأهل الصناعة، وغيرهم حتى عده البعض بأنه لا أصل له ولا حقيقة· ثم ذكر فيه رأيه فقال : "والرجل له حقيقة، وأمره أظهر وأشهر، وتصنيفاته أعظم وأكثر، ولهذا الرجل كتب فى مذاهب الشيعة، أنا أوردها فى مواضعها ····" [١] فابن النديم يرجح كون ابن حيان من الشيعة المتصوفة، ممن له تآليف فى فنون متعددة سوى التشيع والتصوف ·

وذكره القفطي فى تاريخه فقال : " جابر بن حيان الصوفي الكوفي ··· كان مشرفا على كثير من علوم الفلسفة، ومتقلدا للعلم المعروف بعلم الباطن، وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام كحارث المحاسبي، وسهل بن‌عبد الله التستري، ونظرائهم" · [٢]

وقد ذكره الشيعة فى مصنفاتهم وطبقاتهم ووصفوه بالتصوف والتشيع، مع تعظيمه وإجلاله· يقول محمد باقر الخواساري : " هو الشيخ النبيل جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي" ووصفه بأنه من مشاهير قدماء العلماء فى علوم كثيرة ، ذكر منها "علوم السر والجفر الجامع" ، كما ذكر له مصنفات كثيرة منها كتاب" يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق " ، وذكر أنه كان تلميذا لإمامهم الصادق · [٣]

وترجم له محسن أمين ترجمة واسعة، وعدّه من أعيان الشيعة الإمامية وقال عنه : " المعروف بالصوفي" ، وذكر أنه ألف فى الزهد والمواعظ ، وكان من أصحاب جعفر الصادق ، وأحد أبوابه ، ومن كبار أعيان الشيعة· وأنه اشتهر بتشيعه، وعلمه، وتصوفه ، وفلسفته، وتلمذته للصادق ، وذكر له مؤلفات فى مختلف الفنون · [٤]

---

(١) الفهرست لابن النديم (ص/٤٩٨ـ٤٩٩) ·
(٢) تاريخ الحكماء للقفطى (ص/١٦٠) ·
(٣) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات (٢/٢١٨) ·
(٤) أعيان الشيعة لمحسن أمين (٤/٣٠ـ٣٩) ·

يتبين من هذه التراجم أن جابر بن حيان من أعلام التشيع ، فالشيعة تعظمه وتقدره ، وتفتخر بمكشخصية علمية شيعية ،وتعتز به رغم اشتهاره أيضا بالتصوف ، وتصنيفه فى علوم التصوف • فى حين أن غير الشيعة من الصوفية قد أغفلوا ذكره فى طبقات ورجال التصوف، ذلك ، والله أعلم لأن الرجل كان شيعيا رافضيا ، ولم يكن من أهل الزهد والتنسك، ولعل ما تذكره الشيعة عن تصوفه وكتابته فى التصوف هو من باب الإفساد على غير الشيعة دينهم ومذهبهم• حيث أنهم قد ذكروا وبالغوا فى ذكر مصنفاته فى مختلف العلوم والفنون لدرجة أن كثيرا من الناس شكوا فى وجوده وحقيقته، وكذلك ادعاء كل أهل فن أنه منهم حتى الفلاسفةوأهل الصناعة، والكيمياء ، والطب ، والفلك، وغيرهم من أرباب العلوم الدنيوية وغيرها ، فاشتهاره بكل هذه الفنون لاتتفق مع كونه صوفيا منقطعا •

ثالثا : عبد الكريم الصوفي ـ المشهور بعبدك · المتوفى سنة ٢١٠هـ

ذكر السمعاني بأنه من الشيعة،وأن اسمه عبد الكريم ، وذكر أن حفيده محمد بن علي بن عبدك كان إماما لأهل التشيع بجرجان·[١]

وذكره عين القضاة الهمذاني الصوفي المقتول بتهمة التشيع وغيره سنة٥٢٥هـ، فقال : " ولم يكن السالكون لطريق الله في الأعصار السالفة، والقرون الأولى ، يُعرفون باسم التصوف، وإنما الصوفي لفظ اشتهر في القرن الثالث، وأول من سمي ببغداد بهذا الاسم عبدك الصوفي ، وهو من كبار المشايخ ، وقدمائهم ، وكان قبل بشر بن الحارث الحافي، والسري ابن المغلس السقطي" ·[٢]

وذكره الشيعة في مؤلفاتهم على أنه منهم ووصفوه بالزهد واعتزال الناس ، وأنه كان من أهل الكوفة ثم انتقل الى بغداد، وأنه كان يُلقب بالصوفي[٣] · وترجم محسن أمين لحفيده محمد بن علي بن عبدك الجرجاني، ونقل فيه أقوال علماء الشيعة حيث ذكروا أنه جليل القدر، متكلم، من أعيان الشيعة الإمامية وأنه مقدم الشيعة وإمامهم في جرجان ، ومن كبار المتكلمين في الإمامة، وله تصانيف كثيرة·[٤] وهذا يدل على مدى تشيع هذا الصوفي، وإمامته للشيعة حتى قد آل أمر الشيعة في جرجان الى حفيده المذكور·

هؤلاء هم الذين جاء ذكرهم في المصادر التاريخية، وكتب التراجم، والطبقات على أنهم أوائل الصوفية· وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ذكر هؤلاء الثلاثة عن مجموعة من المؤلفين المستشرقين وغيرهم ممن كانت لهم عناية ودراسة في التصوف والصوفية، ونص أكثرهم ورجح وصف جابر بن حيان وعبدك بالصوفي·[٥]

والذى يظهر من هذه النقول في هذه الشخصيات ، أولا : أن أبا هاشم الكوفي ليس منهم، وذلك واضح حيث أنه لو كان أول صوفي كما يزعم الشيعة لما كان كتاب من كتب التصوف وطبقاتهم تخلو من ذكره، وأخبارو الغلو في أحواله و كراماته ، خاصة وأن الصوفية قديما وحديثا لا يأبهون كثيرا بما ذكره الشيعة في هذه الشخصية من طعن وتجريح في

---

(١) الانساب (٩/١٨٥) ·
(٢) رسالة شكوى الغريب(ص/١٧ـ١٨) ·
(٣) راجع التصوف لاحسان (ص/١٤٣ـ١٤٤) ، والصلة للشيبي(١/٢٩٢ـ٢٩٣) ·
(٤) أعيان الشيعة(٩/٤٣٧) ·
(٥) دائرة المعارف الاسلامية(٥/٢٦٦) ·

دينه ومذهبه ، بل إنهم يعتزون بشهادات الطعن والتجريح والتكفير على أنها من الكرامات، وصحة تحقق التصوف فيه لما زعموه بأن التصوف أحوال وراء العقل والنقل، وكلما ارتقى المتصوف فى المقامات وبلغ الغاية والمنتهى فى التصوف، كلما ازداد إنكار الناس والعامة عليه .
ثم إن أبا هاشم المذكور فى كتب الشيعة لم يذكره من أهل التصوف إلا أبو نعيم، ولم ينص على أنه كوفي ، أو صوفي ، ولم يذكر فيه إلا أنه أبا هاشم الزاهد ، وذكر فيه أسطرا معدودة. فلا يُعلم هل هو من تعنيه الشيعة ، أو هو غيره .

بقي جابر بن حيان وعبدك ، وهذان شيعيان بإثبات وإقرار الشيعة وغيرهم، بل هما من أعيانهم وأئمتهم المشهورين .ويترجح عندى أن أول من لقب بهذا الوصف منهما، وكان جديرا بذلك الوصف هو عبدك، وإن كانت وفاته عقب وفاة جابر. وذلك لما تقدم ذكره من أن جابرا وإن كان قد وصف ولقّب بالصوفي فإن سيرته لم تكن كالصوفية من حيث التزهد والتنسك والخمول والانقطاع ، كما هو المشهور عن الصوفية ، ثم انه لم يرد ذكره فى غير كتب الشيعة، وأمر مهم وهو أن اشتهاره بالعلوم الأخرى وتصنيفه فيها كان أكثر من اشتهاره وتصنيفه فى التصوف .

وأما عبدك فقد كان رأسا فى التشيع، ورأسا فى التصوف، وقد ذُكر أنه كان على رأس جماعة شيعية صوفية، وكان إماما لتلك الجماعة وشيخا. [١] ولقد كان لفظ التصوف يُطلق فى ذلك الوقت على بعض زهاد الكوفة، وعلى رهط من الثائرين بالاسكندرية. [٢] ولقد ذكروا أن عبدك كان يقول أن الامامة بالتعيين، وكان أيضا لا يأكل اللحم، مما يدل على غلوه فى التشيع والتصوف ، نص على ذلك الشيعة وغيرهم. [٣]

يتبين مما تقدم أن عبدك هو أول من اشتهر بهذا الاسم، وأنه كان يُطلق على جماعة من الشيعة من أهل الكوفة، والكوفة هى موطن التشيع والغلو والرفض. وهذا يؤكد وحدة المنشأ بين الشيعة والصوفية الذين تلقوا هذا المذهب عن هؤلاء الرافضة الذين وجدوا فى التستر بالزهد والعبادة بابا عظيما ومدخلا رحبا لتفريق كلمة المسلمين، وبث الفرقة

---

(١) راجع التصوف للشيخ إحسان (ص/١٤٣-١٤٤) . والصلة بين التصوف والتشيع للشيبى (١/٢٩٢-٢٩٣) .
(٢) الولاة والقضاة للكندى (ص/١٦٢-١٦٤) . ودائرة المعارف الاسلامية (٥/٢٧٧) .
(٣) راجع التصوف لإحسان (ص/١٤٣) . ودائرة المعارف الاسلامية (٥/٢٦٦) .

والاختلاف بينهم، وإضعاف مقاومتهم للرفض والتشيع • ولقد تمكنوا من كسب كثير من أهل السنة الذين دخلوا فى التصوف ، وجعلوهم فى جانبهم فى نشر التشيع ومبادئه، ومحاربة دولة الإسلام، والسعي فى إقامة دولة الرفض • ومن لم يتمكنوا من كسبه ليعمل معهم فى مخططاتهم، فقد أمنوا جانبه ، فلا يعاديهم فضلا عن أن يحاربهم أو ينكر عليهم رفضهم وتشيعهم ومذاهبهم ، لأن دخولهم فى التصوف يعني اشتغالهم بأنفسهم، و إصلاح بواطنهم ، وزعموا أن ذلك لا يتأتى إلا باعتزال الناس ، وعدم مخالطتهم ، أو على الأقل عدم الاشتغال بهم فيما هم فيه من مذاهب وأحوال • وبذلك عطلوا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وفتحوا المجال لكل صاحب شر، أو بدعة أن يبث ما عنده بين المسلمين•

المبحث الثانى
اعلام الصوفية
وعلاقتهم
بالشيعة والتشيع

المبحث الثانى
اعلام الصوفية وعلاقتهم
بالشيعة والتشيع

أذكر فى هذا المبحث بعض المتصوفة الذين اشتهروا بتصوفهم، والمذكورين فى طبقات الصوفية المعتمدة عندهم ، مع ذكر بعض ما يدل على علاقتهم واتصالهم بالشيعة والتشيع، وأذكرهم حسب ترتيبهم الزمني بالنسبة لوفياتهم :

(١) ابراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦٢هـ :

ترجم له الخوانسارى الشيعي ووصفه بقوله: " السلطان العارف، شيخ المشايخ ، بهاء المنة والحق والدين ، الصوفي المشهور ، جوهرة العارفين ، كان من زهدة أبناء الملوك، ورؤساء أرباب السير والسلوك" . وذكر قصصا فى سبب توبته وبداية أمره منها أنه كان فى طلب صيد وإذا بهاتف يهتف به عدة مرات قائلا " يا إبراهيم ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت ؟ فأجاب إبراهيم قائلا : انتبهت، انتبهت، انتبهت، جاءني نذير من رب العالمين ، والله ما عصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي " وذكر عنه أنه انتهى فى أيام سياحته الى خدمة الباقر بمكة " وأخذ عن بركات أنفاسه الشريفة ما أخذ ، وروى عنه" . وذكر أنه أدرك صحبة ثلاثة من أئمة الشيعة المعصومين : الباقر والصادق والسجاد ، وأنه كان من شيعتهم.(١)

وذكره عباس القمي، وترجم له ووصف زهده وترهبه وخروجه عن ملكه ، وذكر عن علماء الشيعة أنهم عدوه من الشيعة، وأنه ومالك بن دينار كانا من غلمان جعفر الصادق وتلاميذه.(٢)

يتبين مما تقدم أن الشيعة قد تلقوه بالقبول والرضى ، وبالغوا فى الثناء عليه لأنه كمازعموا ، قد أخذ عن بركات أنفاس الأئمة ، وروى عنهم ، وقضى مدة فى خدمتهم. ويزعمون وتزعم الصوفية كذلك أنه بلغ ما بلغه من مقام القرب بإلهام مباشر عن الله تعالى، وبهاتف رباني يناديه ، ويلح عليه التوبة والرجوع. فالتصوف لا يُدرك بالأسباب الشرعية ، والأعمال الصالحة ، وإنما هو اصطفاء واختيار من الله تعالى . ثم يذكر الشيعة والصوفية فى قصة توبته مسألة العصمة والحفظ عن الوقوع فى المعاصي والذنوب، كما هو مقرر ومعلوم فى مذاهبهم.

---

(١) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات(١/ ١٣٩ـ١٤٥) .
(٢) الكنى والألقاب للأحقر عباس القمي(١/ ٣٨١) .

(٢) شقيق بن ابراهيم البلخي، المتوفى سنة ١٩٤هـ

ترجم له الخوانساري وقال عنه : " المعروف بالتصوف بين كل فريق ، كان من تلامذة الإمام موسى بن جعفر الكاظم، وله رواية عنه، وكان جامعا للعلوم الرسمية الشرعية، والمعارف الكشفية الذوقية، وكان أستاذا للأصم ، ومصاحبا لابن أدهم ، واستشهد في بلاد ما وراء النهر بتهمة الرفض ".

ويذكر الشيعة والصوفية عن سبب توبته وزهده بعد أن كان ذا ثروة عظيمة أنه في أثناء تجارته وسفره دخل بيتا للأصنام في بلاد الترك، وإذا قوم يعبدون أصناما، فتحدث مع عالمهم، فخرج وقد تعلم المعرفة، ثم خرج من ثروته وتزهد وتصوف.(١)

وذكر الخوانساري أن شقيقا من الإمامية المخلصين. وذكر أيضا أنه صحب جعفرا الصادق ، وسأله جعفر عن الفتوة ، وأنهما تحدثا في ذلك.(٢)

ويذكر نعمة الله الجزائري الشيعي أثناء ذكره كرامات الائمة ، وطرائف أحوالهم يقول : " ومن الأخبار الرقيقة المروحة، خبر شقيق البلخي " ثم ذكر خروجه للحج فالتقى بشاب حسن الوجه، فأساء به الظن ، ظنا منه أنه شاب من الصوفية، يريد أن يكون كلاًّ على الناس ، فجاء ليوبخه ، فبادره الشاب قائلا : " يا شقيق ! "اجتنبوا كثيرا من الظن ".(٣) فقرر مصاحبته لأنه علم ما في نفسه. ثم رآه يصلي ، ويبكي، فجاء يستحله من ظنه به، فبادره الشاب أيضا قائلا : " يا شقيق ! اتل " وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى "(٤) . ثم رأى له كرامات أثناء الطريق كارتفاع ماء البئر، وتحول الماء الى سويق وسكر، وهكذا حتى وصل الى مكة فرأى التفاف الناس حوله، والسلام عليه، فعلم أنه موسى بن جعفر - سابع الأئمة عند الشيعة - فقال : عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد ".(٥)

(٣) معروف بن فيروز الكرخي ،المتوفى سنة٢٠٠هـ

ترجم لهالخوانساري وقال عنه: " الشيخ العارف، نُسب إليه بوابيه مولانا الرضا " .

---

(١) روضات الجنات(٤/ ١٠٧) . والكنى والألقاب للقمي(٢/ ٣٥) ، والرسالة القشيرية (١/ ٩٦) ، وحلية الأولياء(٨/ ٥٩) .

(٢) روضات الجنات(٤/ ١٠٦-١٠٨) .

(٣) سورة الحجرات/ ١٢.

(٤) سورة طه/ ٨٢.

(٥) الأنوار النعمانية(٤/ ٨٥-٨٧) .

وذكر جملة من علماء الشيعة الذين ذكروه وأثنوا عليه ، ونصوا على أنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا ، وأنه روى عن جعفر الصادق ، وأخذ عنه كثيرا ، وله رواية طويلة متضمنة لأسرار مناسك الحج يرويها معروف عن الصادق ، وذكروا أن الجنيد لبس الخرقة الصوفية من يد خاله السرى السقطي، وهو لبسها من معروف الكرخي، وهو من يد إمامهم الحجة على بن موسى الرضا" . (١)

ويذكر الصوفية فى كتبهم إسلامه على يد على بن موسى الرضا – ثامن أئمة الشيعة وأنه كان حاجبا له بعد إسلامه . ويذكرون عنه أنه زعم أنه تزهد وتاب واتعظ بموعظة ابن السماك فيقول : " فأقبلت على الله تعالى ، وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاى علي بن موسى الرضا " ، ويذكرون أن الرضا هو الذى شجعه على الزهد ، وأنه مات وهو يحجب الامام حيث ازدحم الشيعة يوما على باب إمامهم ، فوطأوه ، فكسرت أضلاعه فمات (٢) . وهذه الأخبار تبين مدى علاقة هذا الصوفي بالشيعة والتشيع بإقرار وشهادة الشيعة والصوفية على السواء .

ويذكر الصوفية فى ترجمته ظهور قبره وزيارة الناس له للاستشفاء والاستسقاء.
يقول القشيري : كان من المشايخ الكبار ، مجاب الدعوة ، يستشفى بقبره . ويقول البغداديون : " قبر معروف ترياق مجرب" . كما ذكر عنه قوله لتلميذه السري السقطي : " اذا كانت لك حاجة الى الله فأقسم عليه بي" (٣) . والاقسام على الله به ذكرها الشيعة أيضا ، وأنه استفادها ببركة الامام الرضا . (٤) فالصوفية تقر ما عليه الشيعة من التوسل بالأئمة ، والإقسام بهم على الله تعالى ، وتعظيم القبور ، والاستشفاء والاستسقاء بها .

ويزعم الصوفية" أن أحمد بن حنبل ، وابن معين كانا يختلفان إليه يسألانه ، ولم يكن فى علم الظاهر مثلهما . فيقال لهما : مثلكما يفعل ذلك؟ فيقولان : كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فيكتاب الله ، ولا فى سنة رسول الله . وقد قال المصطفى: "سلوا الصالحين " (٥) .

---

(١) روضات الجنات للخوانسارى (٨/١٣٤–١٣٨) .
(٢) طبقات الصوفية للسلمي (ص/٨٥) ، والرسالة القشيرية (١/٧٤– ٧٧) ، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان (١/٤٦٠–٤٦١) ، والطبقات الكبرى للشعراني (١/٧٢) .
(٣) الرسالة القشيرية (١/٧٤–٧٥) .
(٤) روضات الجنات للخوانسارى (٨/١٣٧) .
(٥) الكواكب الدرية فى تراجم الصوفية (ص/٢٦٨) .

هكذا يكذبون قبحهم الله، ويقللون من شأن العلم والعلماء، ترويجا لغلوهم فى مشايخهم بأنهم يعلمون كل شئ بما أوتوه من علم لدني وكشف، شأن الرافضة فى أئمتهم ·

(٤) بشر بن الحارث الحافى ، المتوفى سنة ٢٢٧هـ

ترجم له الخوانسارى وقال فيه: " الشيخ العارف الكاشف المتصوف الصافي، أحد أركان رجال الطريقة، وواحد فراسان مجال الحقيقة، من الذين هم على الطبقة الأولى ، وفى الدرجة العليا من مقامات العارفين ، ومنازل السائرين ، مشتهرا فى الزهد ، والورع ، والتقوى ، والدين ، و المعرفة، واليقين " · وذكر عن علماء الشيعة أنهم ذكروا أن توبته كانت على يد الإمام موسى بن جعفر الكاظم ــ سابع أئمتهم ــ حين مر على باب داره وهو على مائدة سكره ولهوه وغنائه ، فوعظه ، فخرج من داره حافيا حتى لقي الكاظم فتاب على يده واعتذر وبكى ·

ويذكرون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام، فذكر له من أسباب رفعه بين أقرانه : " خدمته للصالحين ، ومحبته لأهل بيت النبى" · ويذكرون أنه كان يرى علي بن أبى طالب فى المنام، الى غير ذلك مما يعتبره الشيعة والصوفية من الكرامات· ويقول الخوانسارى فى آخر ترجمته أن من أسباطه "الشيخ عبد الكريم بن محمد المعروف بسبط بشر الحافي، وأنه كان من علماء الإمامية· (١)

فالشيعة تثني عليه، وكذلك الصوفية· ويقول الخطيب البغدادي حين ذكره أن إسلام أحد أجداده كان على يد علي بن أبي طالب· (٢)

(٥) طيفور بن عيسى البسطامي، المتوفى سنة ٢٦١هـ

يقول الخوانساري فى ترجمته: " الشيخ العارف، المرشد الكامل ، الواصل المتقدم ، الفاضل المتصوف، من أرباب الطريقة، موصوف بتمامية المعرفة، وكثرة الرياضة، وله مقالات كثيرة ، ومجاهدات مشهورة ، ومقامات محمودة، وكرامات ظاهرة" · وذكر عن بعض علماء الشيعة

---

(١) روضات الجنات(٢/١٢٩ ــ ١٣٤) ، وطرائق الحقائق كما فى الصلة للشيبي (١/٣٧٥)·

(٢) الرسالة القشيرية(١/٨٥) ، وتاريخ بغداد للخطيب (١٠/٢٧٩)·

أنهم ذكروه من جملة تلامذة إمامهم جعفر الصادق ، وأنه كان سقاءً لداره ، ومَحْرما على أسراره. وذكروا أنه" خرج عن الأوطان ، وسافر ثلاثين سنة وارتاض ، وخدم مائة وثلاثة عشر من المشايخ ، حتى وصل الى خدمة إمامهم جعفر ، فوجد فى خدمته ما هو المقصود". وذكروا أن سلسلة أسانيد الصوفية تنتهى الى أئمتهم المعصومين كانتهاء سائر العلوم والحكم والمعارف إليهم ، "وأن منها السلسلة الطيفورية ، والتى أخذها أبو يزيد عن إمامهم الصادق ، وذلك بعد أن خدمه ثمانية عشر سنة ، فقال له الصادق يوما : هات الكتاب من الرف. فقال : ياابن رسول الله ، وأين الرف ؟ فقال : فوق رأسك ، وأنت منذ سنين عندنا ، وما رأيت الرف ؟ فقال : يا ابن رسول الله ، شغلي بك وبأنوارك منعني عن هذا. فقال له : قد تم لك الأمر ، إمض الى بسطام ، وادع الناس الى الله سبحانه وتعالى ، والى رسوله ، والى أوليائه.

ومعلوم أن وفاة الصادق كانت سنة ١٤٨هـ ، وطيفور فى سنة ٢٦١هـ ، لذلك يقول الشاه عبد العزيز الدهلوى – كما ذكره محمود شكري الألوسي – إن أبا يزيد البسطامي أخذ الطريقة من جعفر بن موسى الكاظم ، الذى كان من كبار أولياء الله تعالى. وقال : إن القول بأنه أخذ الطريقة من جعفر الصادق غلط". (١) وجعفر بن موسى هذا هو ابن الامام الكاظم – سابع أئمتهم ، وحفيد جعفر الصادق – سادس أئمتهم .

وأدرك الشيعة هذه الغلطة ، وذكروا فى التوفيق بينها وبين غيرها من الروايات عدة أقوال . وذكر الخوانساري عن أحد أئمتهم قوله : "احتمال أن يكون المراد باعتصامه بحبل ولاء أهل البيت ، واستلامه حجر مولانا الصادق ، التزامه للمذهب الحق الجعفرى ، واعتصامه بالحبل الموثق الحيدري". (٢)

فالحاصل أن أبا يزيد ممن يعترف بفضله الشيعة ، قبل الصوفية ، ويقرون تصوفه وزهده ، ويبالغون فى كراماته وأحواله ، وينصون أن السلسلة الطيفورية تنتهى الى أئمتهم المعصومين . وأن رجوعه الى بسطام كان بأمر الإمام ، وكأنه أجازه واعترف بكفائته لذلك المقام الذى يزعمون أنه للدعوة الى الله . ومعلوم فى سيرته وتاريخه فى كتب الصوفية أن أهل بسطام قد نفوه من بلده سبع مرات لتكلمه فى التصوف والمقامات (٣) . وفى هذا دلالة أن دعوته كانت موافقة لما عليه الشيعة ، ومخالفة لما عليه أهل السنة مما حملهم على نفيه وطرده ، والله أعلم.

---

(١) مختصر التحفة الإثني عشرية (ص/٣٣٩).
(٢) روضات الجنات (٤/١٥٢–١٥٦).
(٣) الطبقات الكبرى للشعرانى (١/١٥).

(٦) الحسين بن منصور الحلاج، المقتول سنة٣٠٩هـ

ذكره ابن النديم وقال : " كان يقول بالحلول ، ويظهر مذاهب الشيعة للملـــوك، ومذاهب الصوفية للعامة" ٠ (١)

وذكره أبو جعفر الطوسي، شيخ الطائفة الشيعية الهالك سنة٤٦٠هـ ضمن المذمومين الذين ادعوا البابية بعد اختفاء مهديهم المزعوم فى سرداب سامراء٠ وذكر أنه كان يقول للنـاس إنه " وكيل صاحب الزمان" ، وإنه" رسول الامام ووكيله" ٠ (٢)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن الحلاج: " لما دخل بغداد، كانـــوا ينادون عليه: هذا داعي القرامطة" ٠ (٣)

وأما الصوفية ، فانهم يذكرونه فى كتبهم ومؤلفاتهم ، ويعدونه من أعلام التصـوف ، ممن يُقتدى بهم فى معارفهم وإشاراتهم وأحوالهم ٠ ويعتبرونه شهيد المحبة الإلهية، ويعتبـــرون قتله شهادة وكرامة ، كل ذلك إمعانا منهم فى مخالفة علماء أهل السنة والجماعة، وقلبــــا للحقائق التاريخية، وتزييفا للحق وتشويهه، وترويجا لبدعهم ومنكراتهم٠ فالحلاج ممن أجمع علماء عصره من أهل الحق والفضل على كفره وزندقته، وأفتوا جميعا بقتله ، والصوفية، وبـــلا خجل ولا حياء مازالوا يتباكون عليه ، ويعتبرون قتله وصلبه جريمة عظيمة٠ وغاية ما يذكـره من بقي فيه بعض الحياء والخجل ، هو قوله: إن الناس قد اختلفوا فى أمره ، فمنهم من كفره ومنهم من عده وليا ، ثم يبرر مقالاته فى الكفر والزندقة٠

يقول القاضي عياض رحمه الله: " وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر،٠٠٠ على قتــل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية، والقول بالحلول ٠٠٠ ولم يقبلوا توبته، وكذلك حكموا فـــــى ابن أبي الغراقيد٠٠٠٠ وكان على نحو مذهب الحلاج٠٠" (٤)٠ وذكر الاجماع عن غير واحــد من العلماء الامام ابن كثير رحمه الله ، وأنهم أجمعوا على قتله كافرا٠ " (٥)

وأما الصوفية ، فالسلمي عده من أئمة الصوفية وذكره ضمن الطبقة الثالثة مــــن طبقاتهم، وذكر أن جماعة ردوه ،ونفوا أن تكون له قدم فى التصوف ، وجماعة قبلوه وصححـــوا

---

(١) الفهرست لابن النديم(ص/٢٧٠)٠
(٢) الغيبة لأبي جعفر الطوسي(ص/٢٤٧)٠
(٣) شرح العقيدة الأصفهانية(ص/٨٤)٠
(٤) الشفا للقاضي عياض(٢/٢٩٧ ــ ٢٩٨)٠
(٥) البداية والنهاية لابن كثير(١١/١٤٩)٠

مذهبه وأثنوا عليه· ثم أخذ يذكر أقواله ، وينقل بالأسانيد أحواله وكراماته مشيرا بذلك الى قبوله [(١)] · وبنحو قوله ومذهبه فى الحلاج ذهب الشعراني، وغيره [(٢)] ونقلوا عن بعض من أثنى على الحلاج قوله إنه لم ير ما يوجب قتله · وأخذوا يترحمون عليه ويترضون عنه ، ويبالغون فى عد كراماته وأحواله الخبيثة ، وأقواله المنحرفة· وذكروا عن القشيري أنه أشار الى تزكيته وقبوله تلميحا حيث ذكر من أقواله مستشهدا بها فى الفصل الذى عقده لبيان عقائد الصوفية و أنهامن عقائد أهل السنة والجماعة· [(٣)]

وترجم له اليافعي ترجمة موسعة، ويزعم أن الناس قد اختلفوا فى أمره ، فمنهم من بالغ فى تعظيمه، ومنهم من بالغ فى تكفيره، ثم يقول : " والمحققون اعتذروا عنه، وأجابوا عما صدر عنه بتأويلات ·· ومنهم: القطب وأستاذ العارفين والأكابر الذي خضعت لقدمه رقاب كل ولي من باد وحاضر، الشيخ الشريف الحسيب النسيب محي الدين عبد القادر الجيلاني، والشيخ الكبير، العارف بالله الشهير ، إمام الطريقة ، ولسان الحقيقة ،الشيخ شهاب الدين السهروردي، والامام الرفيع المقام، حجة الاسلام أبو حامد محمد الغزالى، وغيرهم ممن يطول ذكرهم، بل ويتعذر حصرهم" · [(٤)]

هذا هو منهج المتصوفة، رغم إجماع العلماء والفقهاء على كفر الحلاج وقتله، ورغم نقلهم نماذج عديدة من كفرياته القولية والفعلية، فإنهم يترحمون عليه، ولسان حالهم يلعن من أسهم وشارك فى تنفيذ ذلك الحكم فى إمامهم فى الكفر والزندقة · واليافعى يزعم أن بعض الناس قد بالغوا فى تكفيره مع علمه بأن العلماء والفقهاء هم الذين حكموا عليه ذلك الحكم ، ثم يصف من اعتذر عن هذا الزنديق بأنهم من أهل التحقيق ، ويبالغ فى وصفهم، ومدحهم ، ويغلو فى منزلتهم ومكانتهم ، ويهول من حالهم وفضلهم محاولا بذلك الدفاع عن ذلك الزنديق الكافر المارق·

وقد ترجم له من علماء الشيعة الخوانساري، وذكر اعتذار الغزالي عن أقواله ، ثم قال : " ومن جملة المعتذرين عن هفواته الباطلة من علماء الطائفة ــ يعني الشيعة ــ

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي(ص/٣٠٧ــ٣١١) ·

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني(١/١٠٧ــ١٠٩) ، وجمهرة الأولياء للمنوفي(٢/١٦٤ــ ١٧٢) ، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني(٢/٤٣ــ٤٤) ·

(٣) الرسالة القشيرية(١/٣٧) ·

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى(٢/٢٥٣ــ٢٥٥) ·

هو الخواجة نصير الملة والدين الطوسى حيث قال : إن مراد الحلاج بقوله : " أنا الحق " رفع الإنية دون الإثنينية ... " ثم ذكر عن صاحب كتاب مجالس المؤمنين – وهو نور الله التستري الشيعى – قوله : " إن هذا الرجل ، لما كان من الشيعة الامامية ، وكان يدعو الناس الى نصرة أهل البيت ، ويبشرهم بالفرج ، وخروج الصاحب من أرض طالقان عما قريب ، ويصرف وجوه العامة من متابعة بني العباس ، اتهموه بالزندقة ، والخروج من الدين ، ليقتلوه بهذه الوسيلة " . (١)

وها هو الدكتور عبد الحليم محمود يدافع عن قدوته الحلاج ، جامعا فى دفاعه بين منهج الصوفية والرافضة ليؤكد وحدتهم . فيقول :

" وقد نتساءل : فيم حوكم الحلاج ، وقضي عليه بالقتل ؟

إن أمر هذه القضية ، قضية الحلاج ، معروف سرها ، وما كان سرها خافيا فى يوم من الأيام . لقد كان الحلاج قوة جارفة ، كان مركزا للجاذبية ، لا يُضارع ، يلتف حوله الناس أينما حل ، ويسيرون معه أينما ارتحل . وكان – ككل صوفي – يحب آل البيت ، لأنه كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آل البيت إذ ذاك يطمحون فى أن تكون الدولة لهم ، وما كان بنو العباس يطمئنون الى شخصية كشخصية الحلاج المحب لآل البيت ، نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دام الحلاج دعاية قوية ، تسير فى كل مكان ، وتتجه الى كل بلد ، فيجب حفاظا على أمن الدولة ، وتحصينا لاستقرارها أن ينكل بالحلاج . "

" وما كان مقتل الحلاج دينيا قط ، كلا ، وإنما كان سياسيا بحتا ... " ثم يقول : " إن المنطق الصحيح ، أن لايفتى المهندس فى أبحاث الأطباء ... ومن العدالة ألا يحكم على هذه القمم الشامخة : ابن عربى ، الحلاج ، ابن الفارض ، من لم يبلغ مداهم أو يقاربه . وذكر عن أحد شيوخه لما قيل له أن فلانا يطعن فى ابن عربى أنه قال : " وهل من حق الخنافس أن تحكم على أعمال الأسد " (٢) . ثم استمر فى مثل هذا الأسلوب الرخيص ، أسلوب من أعيتهم الأدلة الدامغة ، والنصوص الساطعة ، فى دفاعه عن أئمة الكفر والزندقة معظما إياهم ، وطاعنا فى فقهاء وعلماء وقضاة أهل السنة والجماعة رحمهم الله فى ذبهم عن دين الله فى موقفهم من حلاج الكفر والرفض ، وغيره من المواقف .

فالحاصل أن الحلاج شيعي ، وغال فى تشيعه بشهادة علماء وأئمة الشيعة أنفسهم ،

---

(١) روضات الجنات (٣ / ١٠٨ – ١١١) .
(٢) العارف بالله أبو العباس المرسي لعبد الحليم محمود (ص / ١٤٠ – ١٤١) .

والغريب فى أمره ، أنه رغم نصوص الشيعة على تشيعه وادعائه البابيّة فى مذهبهم فان أحدا ممن ترجم له من الصوفية وغيرهم من أهل السنة لم يذكروا شيئا عن تشيعه، إلا ما كان من قول شيخ الاسلام رحمه الله المتقدم ، والذى يدل على غلوه فى التشيع، ولكن الصوفية لا يأبهون بتشيعه مادام فى أقواله وأحواله ما يستشهدون به على مبادئهم وعقائدهم وأفكارهم ، ولا يضرهم كونه قتل أو صلب أو حكم بكفره، وإن اشتهر ذلك عنه.

ومما يدل على تشيعه، قول القاضى عياض عن ابن أبى الغراقيد أنه كان على نحو مذهب الحلاج. وسيأتى ذكره مفصلا حيث أنه ممن اشتهر أنه من المتصوفة من الشيعة المنحرفين.

(٧) عبد الله بن على السراج الطوسي ، المتوفى سنة ٣٧٨هـ

صاحب أقدم مؤلف فى التصوف . بوب فى كتابه بابا فى ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأورد فيه عن الجنيد قوله: " ... لولا أنه اشتغل بالحروب، لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة ، ذاك امرؤ أُعطي علم اللدني. والعلم اللدنى ، هو العلم الذى خُص به الخضر عليه السلام . قال الله تعالى : وعلمناه من لدنا علما" (١) (٢). ثم يقول السراج معلقا ومقررا ما نصه: " ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعاني جليلة، وإشارات لطيفة، وألفاظ مفردة، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والايمان و العلم وغير ذلك، وخصال شريفة تعلق وتخلق به أهل الحقائق من الصوفية، وإن ذكرنا ذلك كله طال به الكتاب ، ولكن نذكر من ذلك طرفا ...". ثم ذكر بعض أقواله وأحواله وبالغ فيها ويعقب أحيانا بما يدل على تقديمه وتفضيله على سائر الصحابة كقوله بعد قول علي :"إن هاهنا علم لو وجدت له حملة" ..." يقول :" فكان تخصيصه من بين الصحابة بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة

---

(١) سورة الكهف /٦٥.

(٢) اللمع للسراج (ص /١٧٩) ، وقد نقل نحو هذا القول عن الجنيد فى على بن أبي طالب ، نقل عنه الهجويرى فى كشف المحجوب(١/ ٢٧٤) قوله:" شيخنا فى الأصول والبلاء علي المرتضى".ونقل عنه عين القضاة الهمذانى فى رسالة شكوى الغريب(ص/١٩) قوله:" صاحبنا فى هذا الأمر المشار، الذى أشار الى ما تضمنته القلوب ، وأومأ الى حقائقه بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، علي بن أبى طالب". ويقول : سئل الجنيد عن علي ومعرفته بعلم التصوف فقال : " أمير المؤمنين علي، لو تفرغ الينا من الحروب، لنقل عنه إلينا من هذا العلم ما يقوم له القلوب . ذاك امرؤ أُعطي العلم اللدني".

والبيان من أتم المعاني وأعلى الأحوال" • ثم يقول : " ولعلي رضى الله عنه أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال التى يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الاشارات وأهل المواجيد من الصوفية" ويشير الى أن عليا رضي الله عنه" أول من تكلم فى الأحوال والمقامات" • (١)

(٨) أبو بكر محمد الكلابادي المتوفى سنة ٣٨٠هـ

صاحب كتاب التعرف ، يقول فى الباب الثاني من كتابه، وهو الباب الذى جعله " فى رجال الصوفية ممن نطق بعلومهم ، وعبر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم ، ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة رضوان الله عليهم: على بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم ، بعد على والحسن والحسين رضي الله عنهم " • هكذا عدّ الائمة عند الشيعة حتى إمامهم السادس• (٢) وروى بسنده الى محمد بن على الكتاني الذى يزعم أنه جرت له عادة أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة إثنين وخميس فيسأله ويأخذ عنه الأجوبة، ويزعم أنه رآه مقبلا عليه ومعه أربعة نفر ثم إن الرسول سأله عنهم فعرف الأول والثاني والثالث وهم أبو بكر وعمر وعثمان وتوقف فى الرابع فضرب الرسول على صدره وقال له: قل يا أبا بكر: هذا علي بن أبي طالب ثم يزعم أن الرسول آخى بينه وبين على الذى أخذه بيده وطلب منه الخروج الى الصفا ، فخرج معه على انفراد • ثم يزعم أنه استيقظ من نومه فاذا هو على الصفا وقد كان نائما فى حجرته• (٣) هكذا تربط الصوفية نفسها بعلي بن أبي طالب،وتنهى سندها وسلسلتها إليه • وهذه المؤاخاة التى نقلها أبو بكر الكلابادى ضمن لطائف الله تعالى للصوفية وتنبيهه إياهم فى الرؤى ولطائفها تتفق مع الشيعة فى جعل علي بن أبى طالب مرجعهم فى مذهبهم وتشيعهم• يقول عبد الرحمن بن خلدون عن الصوفية: "••• حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقه التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم ونحلتهم وقفوه على علي بن أبى طالب رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضا — أى من اختلاط كلام المتصوفة بالرافضة وتشابه عقائدهم — وإلا فعلي رضى الله عنه لم يختص من بين الصحابة بنحلة ولا طريقة فى لبوس ولا حال ، بل كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة•••" (٤)

---

(١) اللمع (ص/١٧٩ـ١٨٢) •
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/٣٦) •
(٣) المرجع السابق (ص/١٨١ـ١٨٢) •
(٤) مقدمة ابن خلدون (٢/٥٩٢) •

(٩) أبو نعيم الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ

ترجم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحلية، وبالغ في ذكر الروايات التي اعتمدها الرافضة في أحقيته بالإمامة ، والخلافة، وفضيلته، ومنزلته على سائر الصحابة. ويلاحظ استعماله بعد ذكر اسمه" كرم الله وجهه" وقوله: " عليه السلام" ، وتخصيصه بهما دون سائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، كفعل الرافضة والغلاة.

وذكر في ترجمته بأنه سيد العرب، وأمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، وأنه باب الحكمة والعلم، وأنه ما أنزل الله آية فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها، وأنه أعطى تسعة أعشار الحكمة ، والناس يشتركون في جزء واحد، وأنه عنده علم الظاهر والباطن، وأنه إمام الأولياء، وصاحب الراية في يوم القيامة، وأنه مفاتيح خزائن رحمة الله. هذه الأوصاف لعلي ذكرها أبو نعيم من أقوال نسبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم في علي . وذكر أيضا أن النبي عهد اليه سبعين عهدا، وخصه بها دون غيره. ثم ذكر وصف شيعة علي بأنهم الحلماء العلماء الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من أثر العبادة ، وذكر عن الرسول :" من سره أن يحيا حياتي ، ويموت ميتتي... فليتول علياً من بعدي . وفي رواية : .... فليوال عليا من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي ورزقوا فهما وعلما..." ثم يصف الصوفية بأنهم المحققون الموالون للعترة[١] . إن هذا المذهب في علي والأئمة الإثني عشر هو مذهب الرافضة وعقيدتهم. ويلاحظ على أبي نعيم أنه لم يذكر ترجمة لمعاوية ولا لعمرو بن العاص رضي الله عنهما في حليته موافقة منه لأهل الرفض .

وقد ترجم له علماء الشيعة في كتبهم، وأثنوا عليه كثيرا.

ذكره الخوانساري بالثناء والتبجيل وذكر مؤلفاته التي استفاد منها الرافضة ونقلوا منها مثل : حلية الأولياء، والأربعين في أحاديث المهدي ، ومنقبة الطاهرين ومرتبة الطيبين، وما نزل من القرآن في أمير المؤمنين. ونقل عن سبط إمامهم المجلسي أنه قال في فوائده : "وممن اطلعت على تشيعه من مشاهير علماء العامة هو الحافظ أبو نعيم المحدث بأصبهان. ثم زعم أن أبا نعيم من أجداد جده ـ علامة الشيعة المجلسي ـ وأن جده قد نقل عن أبيه عن جده عن أحد أجداده قوله عن أبي نعيم: " هو من مشاهير محدثي العامة ظاهرا، إلا أنه من خلص الشيعة في باطن أمره. وكان يتقي ظاهرا على وفق ما اقتضته الحال، ولذا ترى كتابه المسمى بحلية الأولياء يحتوي على أحاديث مناقب أمير المؤمنين ما لايوجد في

---

(١) حلية الأولياء (١ / ٦١ ـ ٨٧) .

سائر الكتب. ومدار علمائنا فى الاستدلال بأخبار المخالفين على استخراج الأحاديث من كتابه."
ثم قال :" ولما كان الولد أعرف بمذهب الوالد من كل أحد، لم يبق شك فى تشيعه. ثم
قال مختتما كلامه" فرحمه الله تعالى ، وقدس سره، وأنعم عليه فى الجنان ما أرضاه وأسره"
.

ونقل الخوانسارى عن صاحب رياض العلماء — وهو من علمائهم — قوله: " إن أبا
نعيم هذا كان من الأجداد العالية لمولانا محمد تقي المجلسي . والمعروف أنه كان من
محدثي علماء العامة .... والظاهر كونه من علماء أصحابنا، واتقائه عن المخالفين، كما هو
الغالب فى أحوال أهل ذلك الزمان" .(١)

وترجم لهأيضا عباس القمي فى كتابه الكنى والالقاب ، وأثنى عليه بنحو ما تقدم
عن صاحب روضات الجنات.(٢)

فأبو نعيم ممن تعتز بهم الرافضة ، وينسبونه لأنفسهم ومذهبهم المنحرف ،
ويترحمون عليه، ويترضون عنه، ويدعونله بالخير.

(١٠) <u>على بن عثمان الغزنوي الهجويري ، المتوفى سنة ٤٦٥هـ</u>

يزعم أن نسبة ينتهى الى علي بن أبى طالب عن طريق الحسن رضي الله عنهما(٣)
وذكر فى الباب السابع أئمة التصوف من الصحابة، فذكر عليا بأنه" غريق بحر البلاء وحريق
نار الولاء وقدوة الأولياء والأصفياء، وأن له فى هذه الطريقة شأن عظيم، ودرجة رفيعة ،
وكان له حظ تام فى دقة التعبير عن أصول الحقائق . وأنه إمام هذه الطريقة فى العلم
والمعاملة" .(٤) ثم ذكر فى الباب الثامن أئمة الصوفية من أهل البيت وذكر الحسنوالحسين
ثم أبناء الحسين عليا زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق — وهؤلاء
تعدهم الشيعة من أئمتهم الإثنى عشر — وقد ذكر فى أوصافهم ما يدل على إمامتهم للصوفية
فى الأوصاف والأحوال كقوله:" المشهور بكشف الحقائق والنطق بالدقائق ، والحجة على أهل
المعاملة ، وبرهان أهل المشاهدة، وجمال الطريقة، ومعبر المعرفة." وفى أول الباب
ذكر "أنهم اختصوا بطهارة الأصل وأن لهم قدم راسخة فى معاني التصوف وأنهم قدوتهم."(٥)

---

(١) روضات الجنات(١/ ٢٧٢—٢٧٥) .
(٢) الكنى والألقاب (١/ ١٥٩) .
(٣) كشف المحجوب — المقدمة(١/ ٤٣) .
(٤) المرجع نفسه ، (١/ ٢٧٣—٢٧٤) .
(٥) المرجع السابق (١/ ٢٧٥—٢٨٤) .

مشابهة منـــــــه لأقوال الرافضة في أئمتهم والغلو فيهم وفي أصل خلقتهم وطينتهم وما اختصوا به بزعمهم. كما أنه يلاحظ على الهجويري في كتابه قوله: " كرم الله وجهه" عند ذكره عليا دون سائر الصحابة شأن المبتدعة والرافضة .وأما مسألة ادعاء انتهاء النسب الى علي رضي اللـه عنه،فهذا شأن أكثر المتصوفة فإنهم لم يكتفوا بانتسابهم الى علي رضي الله عنه في طريقتهـــــم وخرقتهم وأسانيدهم في التصوف والانحراف،حتى ازدادوا جرأة ووقاحة في هذه الدعوى . وممـن زعم وادعى النسب العلوي عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة٥٦١هـ ، وأحمد الرفاعي المتوفــي سنة ٥٧٠هـ وأحمد البدوي المتوفى سنة ٦٣٨هـ ،وابراهيم الدسوقي المتوفى سنـة ٦٧٦هـ، وعبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة٩٧٣هـ ، وغيرهم كثير،وخاصة في المتأخرين منأصحـــاب الطرق ومشايخ التصوف ، ذكر هؤلاء الشعراني في تراجمهم في طبقاته الكبرى.

(١١) أحمد الرفاعي ، المتوفى سنة ٥٧٠هـ

هو شيخ الطريقة الرفاعية وإمامهم. ويزعم أتباعه ومريدوه انتهاء نسبه الى بيت النبوة، ويذبون عن هذه النسبة المزعومة بشتى وسائل الكذب والإدعاء فيزعمون أن شيخا كان ينكــــر هذه النسبة، ثم رجع وتاب بسبب رؤيا منامية حيث زعم" أنه رأى القيامة، ورأى محمــــــدا وفاطمة بين يديه وأحمد الرفاعي عن يمينها، فدنا من فاطمة واستنجدها، فأعرضت عنه وقالـــت للرفاعي: يا ولدى أحمد، ما أعجب حال هذا الرجل؟ ينكر نسبك اليّ ، ويستنجدني. واللـه لانجدة له عندى إلا بواسطتك. فقال له الرفاعي : أمي هذه أدرى بأولادها منك. فقالـــت السيدة فاطمة : الأدب الأدب مع السيد أحمد ، فإنه قطعة من كبدى". (١) وكذلك ما زعمه الرواس الصيادي من أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوصاه بالتمسك بولده أحمـــد الرفاعي. (٢)

وليست هذه المزاعم على درجة من الأهمية حيث أن الله تعالى ما جعل للأنســاب والأحساب وزنا في ميزان الشرع ، ولاسببا من أسباب النجاة والفوز بالجنة. ولكن أذكـــره لأن الصوفية والشيعة على السواء قد دأبوا على جعل الانتساب الى آل بيت النبوة محـــل اهتمام عظيم في زعامتهم الدينية، وتحكمهم وتصرفهم في أتباعهم ومريديهم، بما زعموه من غلو فـي كل منتسب لآل البيت، وماله من حقوق وخصائص في الدنيا والآخرة.

---

(١) سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين — كما في كتاب الرفاعية لعبد الرحمـن دمشقية (ص/ ٣٨).

(٢) بوارق الحقائق (ص/ ٢١٢).

ثم ان الرفاعية قد غلوا في إمامهم وشيخ طريقتهم غلوا يوازى ويكافئ غلو الرافضة في أئمتهم، بل وشبهوه بهم من ذلك الغلو من حيث خلقته، وعلومه وإحاطته بالأسرار، وتصرفه في الأكوان ، وكونه أمانا لأهل الأرض يدفع عنهم أنواع البلاء، وغير ذلك من أنواع الغلو. (١)

ويعتقد الرفاعية، كالشيعة بإمامة الأئمة الإثني عشر، ويجعلون من شيخهم أحمد الرفاعي ثالث عشرهم في الإمامة والولاية ، وهذا هو ما يهمنا في هذا المبحث . فإن من أصول طريقتهم أن أئمة الأمة ، وارثي حال النبوة إثني عشر إماما – وهم من علي بن أبي طالب الى محمد بن الحسن العسكري، آخرهم ومنتظرهم. ويصفهم الرواسي الصيادي الرفاعي بعد ذكر علمهم وفضلهم وحكمتهم فيقول : "... حتى كأنهم من أنبياء بني اسرائيل – عليهم السلام – ولا زالوا محسودين مبغوضين، بغى عليهم أهل زمنهم ، وأساءهم، وأهانوهم، وهم بين شهيد بالسيف ، وشهيد بالسم، ومكمود بالغم". ثم يبين مذهبهم في هؤلاء الأئمة ، ويصفه بأنه المذهب الحق – يعني مذهب أهل السنة والجماعة بلا حياء ولاخجل – فيقول : "... فكل واحد منهم إمام الآن في زمنه، وصاحب مرتبة الغوثية، المعبر عنها بالقطبية الكبرى عند القوم ..." ثم يذكرهم بأسمائهم كما عند الشيعة تماما حتى يصل الى الثاني عشر: "... والامام محمد المهدي المنتظر الحجة". ثم يقول : "كان بعض الأجلاء لا يقول بامامة هؤلاء الأئمة احترازا من موافقة الشيعة. فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فسأله عن الإمام أحمد الرفاعي . فقال :" هو ثالث عشر أئمة الهدى من أهل بيتي". ثم يزعم أن القول بامامة هؤلاء" لا يخرق سياج الشرع على ما قرره العلماء من أهل السنة والجماعة نفع الله بهم..." (٢) ويقول الرواسي الصيادي : " قال شيخنا بركة الوجود ، ثالث عشر الأئمة ، الإمام الرفاعي ..." (٣) تأكيدا منه وإصرارا على عقيدته الموافقة لعقيدة الشيعة في الامامة . ولهم مع الشيعة موافقات كثيرة في مسائل عديدة من أمور العقائد والعبادات والأخلاق ، سيأتي ذكرها في المباحث القادمة وسأذكر طرفا منها عند ذكر مجدد الطريقة الرفاعية وعلاقته بالشيعة والتشيع، إن شاء الله تعالى .

وأحمد الرفاعي، ترجم له الشيعة ، وذكروه بالثناء والمدح هو وطريقته وتصوفه ، وذكروا كرامات الرفاعية المنتسبين اليه و الى طريقته. (٤)

---

(١) راجع الطبقات الكبرى للشعراني (١/١٤٢–١٤٣) وكتاب الرفاعية لعبد الرحمن دمشقية (ص/١٥٣–١٥٥) .

(٢) بوارق الحقائق (١٤١٩–١٤٢) ، وروضة العرفان – كما في هامش بوارق الحقائق.

(٣) بوارق الحقائق (ص/١٥٣) .

(٤) الكنى والألقاب لعباس القمي (٢/٢٤٨–٢٤٩) .

(١٢) محمد بن علي الأندلسي ـ المعروف بابن عربي ، المتوفى سنة ٦٣٨هـ

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: " ... وصوفية وحدة الوجود، كصاحب الفصوص، وابن سبعين، وابن أبي منصور ، وابن الفارض ، و القونوي، وأمثالهم، فان قولهم وقول القرامطة من مشكاة واحدة" (١) وذكر الامام الذهبي رحمه الله ترجمته، وذكر فيها عن الامام تقي الدين ابن دقيق العيد عن شيخه ابن عبد السلام السلمي، يقول عن ابن عربي: " هو شيعي سوء كذّاب" (٢) .أما الكذب فان عامة المتصوفة يكذبون فيما يزعمونه لأنفسهم أو لشيوخهم من الكرامات والعلوم والأحوال . وأما التشيع فانه يظهر في المتأخرين من المتصوفة أكثر من متقدميهم ، وخاصة في القرن الخامس والسادس وما بعده.

وابن عربي أورد في فتوحاته أفكارا وعقائد كثيرة موافقة لمذهب الرافضة ويقرنها بعقائد وأفكار الصوفية. يقول في الائمة من آل البيت أنه يشهد لهم بالطهارة والحفظ الالهي والعصمة وأنهم عين الطهارة، والمعصومون والمحظوظون ، وأنهم الأقطاب الذين لا غنى للناس عنهم بل يحتاجون اليهم. (٣) فهو يقول بقول الشيعة في عصمة الأئمة ويربط هذه العصمة بالحفظ الذي هو عقيدة المتصوفة في شيوخهم وأئمتهم ، فالعصمة الشيعية توازي الحفظ الصوفي .

ويقول في المهدي ما تقوله الشيعة من وجوده ومواطأة اسمه لاسم الرسول دون اسم الأب، وإنه قد ظهر بعد القرون الثلاثة المفضلة ، ويزعم أن له وزراء عارفون أطلعهم الله على الكشف وأشهدهم على الحقائق ، ويزعم أنهم من الأعاجم، فليس فيهم عربي، ولكنهم لايتكلمون إلا بالعربية . ثم يقول إنه على شك في مدة إقامته بعد خروجه ، ويزعم كذبا أنه لم يطلب من الله تعالى تحقيق ذلك الأمر ولا تعيين مدته لأنه لا يطلب معرفة حوادث الأكوان إلا أن يكون الله تعالى يعلمه الشيء ابتداء بلا طلب منه. ثم يزعم أن بعد خروجه ليس له عدو مبين إلا الفقهاء لذهاب رئاستهم ومنزلتهم بزعمه ويصفهم بأنهم قرناء الشيطان ، وأنه لولا خوفهم من سيف المهدي لأفتوا بقتله ولما سمعوا له ولا أطاعوه (٤) . هذه عقيدتهم في المهدي ، و هذا موقفهم من العلماء والفقهاء من أهل السنة والجماعة، كإخوانهم الرافضة .

وفي فصوصه يفصح عن تشيعه، فيقول في الفص(٢٤) : " حكمة إمامية في كلمة

---

(١) شرح العقيدة الاصفهانية (ص /٨٤).

(٢) ميزان الاعتدال (٦٥٩/٣).

(٣) الفتوحات المكية (١٩٦/١ـ١٩٧).

(٤) المرجع نفسه (٣٢٧/٣ـ٣٣٦).

هارونية ، هارون لموسى بمنزلة نواب محمد صلى الله عليه وسلم بعد انفصاله الى ربه. "
وفي الفص الذى بعده يقول : " حكمة علوية فى كلمة موسوية" (١) . يظهر من هذه العبارات
مدى اتصاله بالشيعة، ويسلك فى بيان هذا الاتصال ، وهذه العلاقة ،رموز الصوفية و غموضهم
فى الإشارات والعبارات.

(١٣) عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى ، المتوفى سنة٩٧٣هـ

أظهر فى تراجم من ترجم لهم من الصوفية أمورا كثيرة تتصل وتتفق مع مذهب أهل
التشيع، وذلك فى طبقاته. ومن أهمها :

ترجم لسبعة من الائمة الذين تزعم الشيعة إمامتهم، فذكرهم الشعراني فى طبقاته
حتى سابع الائمة الإثني عشر — وهو موسى بن جعفر الكاظم، وقال عنه : " أحد الائمة
الاثني عشر . . . " (٢) . صرح باعتقاده بامامة اثنى عشر إماما ، وأظهر موافقته لأهل الرفض
وأقرهم على عقيدتهم الخبيثة فى الامامة.

كما ذكر فى ترجمة أبي العباس المرسي ما يقرر فيه عقيدة أخرى من عقائد الشيعة فى
الإمامة، وأنها وراثة ولا تكون إلا لواحد بعد واحد، ويقرر أيضا أن طريقتهم تنتهى الى
علي بن أبى طالب ، فيذكر عن أبي العباس أنه قال : " ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم
فى زمن واحد قط ،إلا واحدا بعد واحد، الى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه" . (٣) يريد بالعلم ، ما تزعمه الصوفية، والشيعة ما هو من خصائص أئمتهم وأقطابهم ،
وهو العلم الموروث الذى لا يكتسب ، فأئمة الصوفية وأقطابهم كأئمة الشيعة يرث الواحد من
كان قبله، ولا يكون اثنان فى زمن واحد.

ويقرر عقيدة الشيعة فى منتظرهم ، وأنه موجود. فيزعم عن شيخه حسن العراقي
أنه اجتمع به وسأله عن عمره فقال : " ولدت فى أواخر المائتين من الهجرة، وعمري ستمائة
سنة ، وأنا من ولد الامام الحسن العسكري" . (٤) وزعم أيضا أن المهدى قد زاره وأقام عنده
فى دمشق (٥) . ويفصّل ماجرى بينهما أثناء تلك الإقامة فيقول : " ... فأقام عندي

---

(١) نقش الفصوص (ص/ ١١) ـ ضمن مجموعة رسائل ابن عربى.
(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى (١ / ٣٨) .
(٣) المرجع نفسه (٢ / ١٢) .
(٤) لطائف المنن (ص/ ٤٨٩ـ ٤٩٠) .
(٥) الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية بهامش الطبقات الكبرى (١ / ٤ـ٥) .

سبعة أيام بلياليها ، ولقنني الذكر ، وقال : أعلمك وردي ، تدوم عليه إن شاء الله تعالى : تصوم يوما ، وتفطر يوما ، وتصلي كل ليلة خمسمائة ركعة . فقلت: نعم. فكنت أصلي خلفه كل ليلة خمسمائة ركعة، وكنت شابا أمرد حسن الصورة . فكان يقول لا تجلس قط إلا ورائي ، فكنت أفعل ، وكانت عمامته كعمامة العجم .... فلما انقضت السبعة أيام خرج ، فودعته وقال لي : ياحسن ، ما وقع لى قط مع أحد ما وقع معك.. " (١) هكذا يقرر مذاهب وعقائد التصوف ، ويربطها بالتشيع ، فالمهدي من أئمة الشيعة ، يسوح في الأرض ، يلقن الناس الذكر والورد، ويبين ورده اليومى مقررا ما تزعمه الصوفية فى أورادها وأذكارها من المبالغة فى العبادات والغلو فيها .

وفى ترجمة الحسين بن علي رضى الله عنه قرر ما تزعمه الصوفية فى عبادتها لله تعالى،وأن ذلك لا يرتبط بخوف ولا رجاء، فنسب إليه قوله: " ان عبادة الأحرار لا تكون إلا شكرا لله ، لا خوفا ولا رغبة" . (٢)

وقد ذكر فى طبقاته أمورا كثيرة من أمور العقائد والعبادات، مما يتفق فيه الصوفية مع الشيعة كالغلو، والعلوم المزعومة ، والتصرف فى الأكوان ، وغيرها من القدرات والخصائص، وسيأتى ذكر طرف منها فى المباحث القادمة إن شاء الله تعالى .

(١٤) محمد مهدى الرفاعى ــ الشهير بالرواس ــ المتوفى سنة ١٢٨٧هـ

يُعتبر مجددا للطريقة الرفاعية. ويزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه، ثم أمره قائلا : " جدد ، جدد، جدد" . فقام فرأى الخضر فسأله عن تعبير قول الرسول ، فقال له: " الأولى : جدد للأمة أمر دينها... والثانية: جدد طريقة الامام السيد أحمد الرفاعى فهى طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ، وطريقة السلف الصالح من أهل بيته وأصحابه وتابعيهم. والثالثة: جدد طرق الصوفية..." ثم يقول :" فطرت فرحا وشببت الى هام العلا طربا بإحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ..." ثم يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال له " مكررا ومؤكدا :" يا ولدى ، أنت بهاء الدين مهدي نبي الطاهرين جدد، جدد، جدد. فقلت: روحي الفداء لعتبة بابك الطاهر، عبر لي الخضر أمرك هذا ، أكما عبر هو ؟ قال : نعم ... قلت: دلني على الطريق الى الله . قال : تمسك بولدي أحمد الرفاعى ، وتصل الى الله ، فهو سيد أولياء أمتى ..... وأعظمهم منزلة، ولايجئ مثله الى يوم القيامة غير سميك المهدى بن العسكرى.. " (٣)

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني(٢/ ١٣٩) .
(٢) المرجع نفسه(١/ ٣١) .
(٣) بوارق الحقائق (ص/ ٢١١ـ ٢١٢) .

بمثل هذا الهراء، والساقط من القول يقرر الصوفية مذاهبهم، عقائدهم، بالمنامات المزعومة . فالمنامات من أعظم أصولهم التى يعتمدونها فى بيان العقائد والعبادات ، وكذلك فى حل ما يواجههم من مشكلات ومعضلات. فالسنن الثابتة فى دين الله يرونها بدعا ومحدثات ، والبدع والمنكرات المقررة فى مذهبهم هى من سنن الهدى بما يزعمه مشايخهم من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لهم إياها فى مناماتهم، أو الخضر، أو بعض الملائكة أو غير ذلك من أنواع مصادرهم فى التلقي، وسبلهم فى تصحيح النصوص وتحقيقها ثم قبولها ، أو بتضعيفها ثم ردها .

فهذا المجدد المزعوم يقرر للصوفية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالتصوف ويقره على الطرق الصوفية، كما يقرر لهم عقيدتهم فى الخضر، والولاية الصوفية، ودعوى الانتساب الى آل بيت النبوة، ثم يربطهم ويوصلهم بالشيعة فى عقيدتهم فى منتظرهم وصاحب سردابهم المزعوم.

ويقول المجدد الهمام عن زيارته لمشهد علي بن موسى ـ وهو ثامن الائمة المزعومين عند الشيعة ـ فيقول : " سيدنا الهمام، قبلة أهل الباطن ، ولي الله ، العظيم المنزلة والجاه ، نائب جده رسول الله... " ثم يقول : إن فى ذلك المشهد انجلى النقاب وبرز له الحجة المهدى من بطون الغياب ، فخاف ، فرحب به المهدى قائلا : " مرحبا بمنتظرنا " ثم يقول مفتخرا بأنه نفخ فى فمه وعوذه بآيات قرآنية وأحاديث ثم يذكر طلاسم وكلمات أشبه بمقالات أهل السحر والشعوذة ، ويزعم أنه فهم المقصود فيقول : " ... وأجفر كلمات فهمت منهن كل المقصود ... " ثم يزعم خروج الخضر إليه من جانب الركن الأيمن من المشهد... " وأنه خاطبه بالفارسيه ، ورد عليه بها... " (١)

يقرر ما عليه الصوفية والشيعة من تعظيم القبور، والتوجه إليها بقصد البركة والزلفى عند الله تعالى. ويقرر عقيدة الشيعة فى منتظرهم ، ويفتح للمنحرفين من المتصوفة والمشعوذين استعمال الطلاسم وألوان السحر والشعوذة . وكأنه يريد أن تلك الرموز والكلمات المبهمة هى من علم الجفر الذى تزعمه الشيعة لائمتها. حيث يقررها فى موضع آخر فيقول : " إن علم الجفر، علم صانه الله تعالى بآل النبي الطاهرين ، وخص به الائمة منهم ، وورّاث الائمة من الأغوات الانجاب، والاعاظم من الأقطاب ، ... وكون هذا العلم خزانة السر الالهى المستودع بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبآله الكرام، أمر متواتر عند أهل الله تعالى" . (٢)

---

(١) بوارق الحقائق (ص/٣١٨ـ٣١٩) .
(٢) المرجع نفسه (ص/٢٨٥) .

ويذكر النقائه بأكثر الأئمة الاثني عشر، وزيارته لهم فى مشاهدهم كما يزعم، ونفخ كل منهم فى فمه، مستشهدا بها أنها سبب حصول البركة والنفع فيه. ومقررا للصوفية مذاهب الشيعة فى تعظيم القبور، والغلو بالأئمة وخصائصهم حتى بعد موتهم، وأن الائمة أحياء يتصرفون، وأن قبورهم ومشاهدهم تستحق التعظيم لكونها محلا للنفع والبركة فى الدنيا والآخرة. فيزعم هذاالمجدد أن عليا الرضا ـ ثامن الأئمة ـ ألبسه خلعة الوتدية[١]، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبسه خلعة القطبية،[٢] إلى غير ذلك من المزاعم التى يريد بها تعظيم الناس له. ليعبد من دون الله تعالى بتوجه الناس إليه بأنواع من التعظيم والتوسل وطلب النفع ودفع الضر منه. ويربط فى كتابه بين مصطلحات الصوفية ومذاهبهم، وبين أفكار ومذاهب أهل الرفض والتشيع.

هؤلاء بعض المتصوفة الذين اشتهروا بأنهم من أهل السنة، وهم بين متشيع تستر بالزهد والتصوف، وبين مخدوع بالتصوف جاهل بما يؤول إليه، فساهم فى نشر التشيع بأقواله وأحواله. وإن فى الصوفية غير هؤلاء كثير ممن نقلت عنهم أقوال وأفكار تتفق مع أقوال وأفكار الرافضة. وقد ذكر الدكتور كامل مصطفى الشيبى[٣] الشيعي طرفامن هذه الموافقات والمقتبسات محاولا إثبات أن الفضل فى جميع العلوم الاسلامية، والأخلاق السامية، يرجع الى الشيعة وأئمتهم، لأنه يزعم أن التصوف هو روح الدعوة الاسلامية، ولب الرسالة النبوية، التى هى التشيع. وهناك دراسة علمية قام بها الاستاذ الدكتور أحمد صبحى منصور وفقه الله، بين فيها بالأدلة التاريخية، والإثباتات الواضحة قيام مدرسة شيعية اتخذت من التصوف ستارا لحقيقة مذهبها، ومطامعها السياسية، وقد اشتهرت ومازالت على أنها طريقة صوفية سنية. تلك هى مدرسة أحمد الرفاعى الذى ظهر أمام العامة والحكام كصوفي، وكان يرسل البعوث السرية الى أنحاء الدولة الاسلامية، والتى حاولت جهدها إعادة الحكم الفاطمي الشيعي الذى قضى عليه صلاح الدين الأيوبى، وقضى على المذهب الشيعي بمصر سنة ٥٦٧هـ فأرسل أحمد الرفاعى أنجب تلاميذه وأشجعهم وأكثرهم ذكاء وفطنة الى مصر لبث الدعوة والطريقة الرفاعية، وكان لهذا التلميذ وهو أبو الفتح الواسطي الدور الكبير فى تأسيس الطرق الصوفية فى مصر بعد ذلك. وقد ذكر الدكتور أحمد صبحى حفظه الله عن أحمد الرفاعى قوله: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح باب الإرشاد وسلمه اليّ، ولقد قال صلى الله عليه وسلم

---

(١) بوارق الحقائق (ص/٣٢٠).

(٢) المرجع نفسه (ص/٣٧٨).

(٣) انظر كتابه الصلة بين التصوف والتشيع وخاصة الجزء الأول منه" العناصر الشيعية فى التصوف فى بابه الثاني المتعلق بالزهد والزهاد وأقوالهم وأحوالهم.

ان الله يبعث على رأس كل مائة من يجدد لهذه الأمة دينها ، واليوم ظهور دولة الرفاعية وطريقتها المرتضوية العلوية" هكذا أعلن الرفاعى طريقته وتشيعه ، وكان يتوقع قيام دولة شيعية فى العراق ، ولكن الله تعالى فاجأه ،وغيره من أهل الرفض بسقوط دولتهم فى مصر ٠
وذكر الدكتور أيضا عن الشيخ مصطفى عبد الرزاق رحمه الله قوله : " ان الشيعة عقدوا مؤتمرا فى مكة بحثوا فيه حال الأمصار ،وكيف تغلب عليها الأغراب من ترك ، وسلاجقة ، وأكراد ٠ وعملوا على قلب تلك العروش وإعادة الدولة الاسلامية علوية قرشية" وقوله : " وكان علي البدوى — والد أحمد — أحد أولئك العلويين الذين نزحوا من المغرب الى مكة بقضهم وقضيضهم ، وبين أفرادها أحمد البدوى ، وهو لم يتجاوز الحادية عشر من عمره ، وكان نزوح علي البدوي الى مكة سنة ٦٠٣هـ ٠ " وبيّن الدكتور أحمد صبحى جهود أبي الفتح الواسطى مبعوث أحمد الرفاعى وأخص تلاميذه فى مصر ، ثم بعد موته المفاجيء سنة ٦٣٢هـ اتفق العلويون على إرسال من ينوب عنه فى دعوتهم الخبيثة ، فأرسلوا أحمد البدوي سنة ٦٣٧هـ وكان أبو الفتح الواسطى قد خلف قبل هلاكه تلميذه على بن عبد الله الشاذلي — صاحب الطريقة الشاذلية الذى واصل مسيرة المدرسة الرفاعية حتى هلك سنة٦٥٦هـ ، ثم تولى كبر تلك الفتنة الشيعية إبراهيم الدسوقى — صاحب الطريقةالدسوقية والذى هلك سنة ٦٩٦هـ ٠
وأما أحمد البدوى فيقول عنه الشيخ مصطفى عبد الرزاق رحمه الله : " دُوهم العلويون فى مكة بنبأ وفاة أبي الفتح الواسطي ، داعيتهم فى مصر ، ذلك الرجل المدهش ٠٠٠٠ ثم يقول : فلم يجدوا أكفأ من أحمد البدوي لهذه المهمة ، فوجهوه الى الديار المصرية فنزح إليها من مكة سنة٦٣٧هـ وسكن بطنتدا ٠ وبيّن أن الشاذلى ، والدسوقى ، والبدوى قد أنشأوا الطرق الصوفية التى انتشرت فى الديار المصرية وما جاورها ٠ وهذه الطرق مازالت قائمة وقد تفرعت عنها طرق كثيرة الى أيامنا هذه ٠ ويلاحظ على هؤلاء الصوفية الذين هم أعمدة الحركة الشيعية الصوفية انتماءهم لأصل مغربي ، هاجر الى مكة لسهولة الاتصال والاجتماع فى موسم الحج ، ثم انتقلت الى العراق واتخذت منها مركزا ومنطلقا الى بقية الأمصار ،وخاصة بعد سقوط دولتهم الفاطمية ٠فأحمد الرفاعى هاجر جده من المغرب الى مكة ، ومنها الى العراق ٠ وعلي الشاذلى كان مولده فى مدينة سبته المغربية ، ثم سافر الى العراق والتقى بالواسطى ، ثم رحل الى مصر ٠ وأحمد البدوى هاجر به أبوه من مدينة فاس المغربية الى مكة ثم الى العراق ثم الى مصر ٠ ومعلوم أن المغرب كان موطن الدولة الفاطمية ومنشأها ٠

وأما الدسوقي ، فإنه مصري المولد والمنشأ ، ولكنه حفيد الواسطى فأمه هى فاطمة بنت أبي الفتح الواسطى ، وهو تلميذ الشاذلى واحتل مكانة بعد وفاته ، ويزعم هؤلاء أن انتقالهم من مكان لآخر إنما كان بإلهام أو رؤيا تأمرهم بالرحيل والانتقال ٠ فالشاذلى ادعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فى المنام أن ينتقل الى الديار المصرية ٠ وادعى والد

البدوى أن هاتفا أمره فى منامه بالرحيل من المغرب الى مكة • ثم ادعى أحمد نفسه أنه أمر فى منامه بالرحيل الى أم عبيدة، مركز الرفاعية، فجاءها وزار قبر الرفاعى والجيلاني والحلاج وغيرهم• ثم يدعى كاذبا أن هاتفا قال له فى منامه: " قم يا همام وسر الى طندتا" • أى أنه بعد أن فهم الدور، وحفظ المهمة من مدرسة أم عبيدة الرفاعية، انطلق ليخلف أبا الفتح الواسطى •

ويعلق الدكتور الصوفى عبد الحليم محمود ــ شيخ الأزهر ــ على هذا الموضوع فيقول : " أولياء الله لايتصرفون بأنفسهم ، إنهم وقد أسلموا نفوسهم لله لا يتصرفون إلا بتوجيه منه سبحانه، ولا يعلمون إلا باذن الله تعالى ، وقد يكون هذا التوجيه أو هذا الإذن روءيا يراها الولي، أو يكون إلهاما أو يكون انشراح صدر بسبب الاستخارة يمر بها الولي" •

ثم يستدل بقول الله تعالى : " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم" • (١) على أن الملائكة تتحدث مع أولياء الله بنص القرآن • (٢) وقد كتب عبد الحليم كتابه هذا عن سيده البدوي بعد أن أذن له سيده بالكتابة عنه حيث يقول إنه ذهب متعمدا الى طنطا ، شادا رحاله، ليستأذن سيده فى الكتابةعنه ، ولما جاءه الإذن بدأ الكتابة فى المقصورة المباركة بزعمه• هكذا أضله الله وأعمى بصيرته، كان يتخبط فى ضلالات التصوف والشرك•

ويلاحظ أيضا على أعمدة الحركة الشيعية الصوفية ادعائهم النسب العلوي • فالرفاعي علوي ،وكذلك الشاذلي والدسوقي والبدوي •

والدسوقى والبدوى يثبتون فى أجدادهم تسعة من مجموع الأئمة الاثني عشر •

هذا بعض ما ذكره الأستاذ الدكتور أحمد صبحى وفقه الله فى دراسته التاريخية التى كشف فيها عن حقيقة الطرق الصوفية وأعلامها ومدى اتصالهم بالشيعة والتشيع• (٣)

---

(١) سورة فصلت / ٣٠ـ٣٢ •

(٢) احمد البدوى للدكتور عبد الحليم محمود (ص/ ٥٢ـ٥٣) •

(٣) انظر الفصل الأول من كتاب "البدوى بين الحقيقة والخرافة" للاستاذ الدكتور أحمد صبحى منصور• الاستاذ بقسم التاريخ فى جامعة الأزهر•

المبحث الثالث

الشيعة وعلاقتهم بالتصوف

تمهيد

(أ) على بن ابى طالب

(ب) على بن الحسين زين العابدين

(جـ) محمد بن على - الباقر

(د) جعفر بن محمد - الصادق

المبحث الثالث
الشيعة وعلاقتهم بالتصوف

تمهيـــد :

قبل ذكر بعض رجال الشيعة، وذكر تصوفهم، أذكر بعض من تزعم الشيعة أنهم من أئمتهم الاثني عشر الذين ارتبطت أسماؤهم بالتشيع والرفض وأهله، وهم براء منهم ومن مذهبهم . اعتبر الشيعة هؤلاء من أئمة الدين والدنيا، وزعمت أن إمامتهم و خلافتهم منصوص عليها من الله تعالى، فأضافوا لهم من الصفات والقدرات العقلية والخَلقية ما تفوق القدرات البشرية ، وغلوا فيهم غلوا عظيما يفوقون بها مقامات الأنبياء والرسل، وخصوهم ببعض مقامات الربوبية والألوهية . ولم ينس الصوفية نصيبهم من هؤلاء الأعلام، فأخذوا بخط وافر من التشيع في الانتساب إليهم، ونهجوا فيهم منهج أسيادهم وأساتذتهم الرافضة في الغلو، وربما فاقوهم في جوانب . والرافضة والصوفية ادعوا نسبة بعض أعلام السلف إليهم تغريرا للعامة، وتمويها عليهم بأنهم على ما كان عليه سلف الأمة ، وأن مذاهبهم وأفكارهم متصلة بهذا الدين ورجالة الأوائل . وكلا الفريقين يدعي نسبة بعض الصحابة والتابعين إليهم كذبا وزورا .

لذلك فإني أذكرهم في هذا المبحث وأذكر بعض الأقوال التي نسبت إليهم زورا وظلماما لها علاقة بمذاهب المتصوفة وعقائدهم وأفكارهم ، وإلا فهم ليسوا من الشيعة ولا من الصوفية الأدعياء الكذبة .

(أ) أول هؤلاء الأعلام الصحابي الجليل أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعدود أول الأئمة الاثني عشر ، ذكره الصوفية في طبقاتهم ومؤلفاتهم على أنه من أئمتهم في المذهب ،ومن رجال التصوف الأوائل . فذكره السراج الطوسي (١) ،وأبو بكر الكلاباذي (٢) ، وأبو نعيم الأصبهاني (٣) ، وعلي بن عثمان الهجويري (٤) ،وعبد الوهاب الشعراني (٥) ، وأبو الفيض محمود المنوفي (٦) . ترجموا له على أنه من رجال التصوف فوصفوه بعباراتهم وإشاراتهم ، وكذبوا له وعليه كثيرا رضي الله عنه وأرضاه . فزعموا أنه خُص دون غيره

---

(١) اللمع (ص/ ١٩٧) .
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/ ٣٦) .
(٣) حلية الأولياء (١ / ٦١) .
(٤) كشف المحجوب (١ / ٢٧٣) .
(٥) الطبقات الكبرى للشعراني (١ / ١٩) .
(٦) جمهرة الأولياء (٢ / ٢٧) .

بمعان التصوف وإشاراته ، وأنه أول من تكلم فى علومهم وأحوالهم ومقاماتهم، وعبر عن مواجيدهم، وأصول حقائقهم،و توحيدهم، ومعارفهم حتى أصبح سيدا للقوم، وإماما لهم فى العلم والمعاملة، ومتعلقا لأهل الإشارات والمواجيد. وزعم الشعراني أنه" كان يرقع قميصه ويقول : إن لبس المرقع يخشع القلب" . (١)

وكما أن الشيعة الرافضة اصطنعوا أحاديث كثيرة فى فضائله ومكانته، وغلوا فيه غلوا كبيرا حتى رفعوه عن مستوى البشرية وألحقوه بمصنوعاتهم، وموضوعاتهم، وغلوهم بالأنبياء والرسل ، وبالغ بعضهم فى غلوه حتى جعلوه أعلى وأعظم قدْرا من الأنبياء والرسل ، وتمادى فريق منهم فى كفره وضلاله بما أضافوه إليه من الصفات والخصائص الإلهية. و الصوفية تلقفوا أكثر هذه النصوص بالقبول والتسليم، ونهجوا فى هذا الصحابى الجليل ذات المنهج ، فجعلوه رضي الله عنه مستند طريقتهم فى لبس خرقتهم المزعومة ، ونسبوا إليه سلاسل تصوفهم المبتدعة، وجعلوه منتهى نحلتهم المنحرفة، فيدَّعون أنه ألبس الحسن البصري تلك الخرقة بيده، وهكذافعل الحسن وهم يتوارثون هذه الفعلة، ويزعمونها سنة قديمة.

يقول العلامة ابن خلدون رحمه الله: " حتى أنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاة لطريقتهم ونحلتهم وقفوه على علي رضى الله عنه" (٢) ويقول محمد معصوم شيرازى الصوفي الفارسي الشيعي ـ كما نقله عنه عن الفارسية الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله: " لابد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل الى الأبد، ومن آدم الى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين" (٣) هكذا بلغ بهم الغلو والانحراف حتى أعماهم عن أدنى مستويات العقل والواقع. غلو فيه هذا الغلو لما زعموه من اختصاصه بعلوم دون غيره من الصحابة، ولأنه كان أزهد الصحابة كما نص على ذلك أبوطالب المكي (٤) . وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المزاعم فى معرض رده على الرافضي المتصوف ابن المطهر الحلي بأن الحسن البصرى لم يجتمع بعلي فضلا عن مصاحبته، فقد ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان أيام وجود علي بالكوفة صبيا لا يُعرف ولا يُذكر (٥) . كما رد على زعم الرافضة والصوفية

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٢٠) .
(٢) المقدمة (٢/ ٥٩٢) .
(٣) طرائق الحقائق لمعصوم شاه (١/ ٢٥١) ـ كما فى كتاب التصوف لإحسان (ص/ ١٥٢)
(٤) قوت القلوب (١/ ٢٦٧) .
(٥) منهاج السنة (٨/ ٤٣) .

بأن عليا كان أزهد الصحابة بقوله: أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد الشرعي أبو بكر وعمر" (١) وبالأدلة الكثيرة عن سيرة الخلفاء وبيان زهدهم رضى الله تعالى عنهم.

وقد نسب الصوفية والشيعة إليه أقوالا كثيرة بغية تأييد باطلهم وتزيينه وترويجه على الناس. فقد كذب الشيعي الصوفي الخوانساري فيما نسبه إليه رضي الله عنه فى تعريف التصوف: " التصوف من لبس الصوف على الصفا، وأطعم الهوى طعم الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، واستوى عنده الذهب والحجر والفضة والمدر، وإلا فالكلب الكوفي خير من ألف صوفي" (٢) كما نسبوا اليه قولا يصف العبادة التى اعتمدها الصوفية فيما بعد، فزعموا أنه قال: " ما عبدتك خوفامن نارك ولا طمعا فى جنتك، ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك". (٣) اعتمدها الصوفيون فأصبحوا كما يزعمون لا يسألون الله تعالى الجنة ولا يستعيذون به من نا رجهنم. كما نسبوا إليه علوما خاصة خصه بها النبى صلى الله عليه وسلم بزعمهم، ويريدون بذلك تأصيل علومهم الفاسدة وأحوالهم الشيطانية، وتبرير شطحاتهم وزندقاتهم، يقول السراج الطوسي: " خُص النبى صلى الله عليه وسلم بعلوم ثلاث: علم بُيِّن للخاصة والعامة، وهو علم الحدود والأمر والنهي، وعلم خُص به قوم من الصحابة دون غيرهم ـ وذكر حذيفة وعلمه بالمنافقين وأحوالهم ـ ثم قال: وكذلك ما روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يَعْلم ذلك أحد غيرى." ثم يعلق فى نهاية حديثه عن تقسيم العلوم فيقول: " فمن أجل ذلك قلنا لاينبغى لأحد أن يظن أنه يحوي جميع العلوم حتى يُخَطِّئ برأيه كلام المخصوصين، ويكفّرهم ويزندّقهم، وهو متعرٍّ من ممارسة أحوالهم ومنازلة حقائقهم وأعمالهم" (٤) ويقول عبد الوهاب الشعراني الذى بلغ المنتهى فى نقل الكذب والوضع واختراع القصص والروايات التى ظن أنها مروجات ومنفقات لبضاعته وصوفياته. يقول فيما نسبه إلى علي رضي الله عنه: "عندي من العلم الذى أسره إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل.." (٥) لأنه بزعمه لما لقنه رسول الله الذكر خلع عليه جميع علوم لا اله الا الله محمد رسول الله

---

(١) منهاج السنة (٧/٤٧٩).

(٢) روضات الجنات للخوانسارى (٣/١٣٠).

(٣) عوالى اللئالئ العزيزية فى الأحاديث الدينية (٢/١١)، والأنوار النعمانية (١/١٣٩).

(٤) اللمع (ص/٤٥٥ـ٤٥٦).

(٥) درر الغواص للشعرانى ـبهامش الابريز للدباغ (ص/٧٣).

التى هى علوم الشريعة، حتى يصبر بعد التلقين لا يجهل شيئا من أحكام الشريعة،ويستغنى عن سؤال الناس ، وعن النظر فى كتاب الله. ثم يزعم هذا الضال المضل أن شرط تلقين الذكر عندهم على هذا،فكل شيخ يلقن مريده يخلع عليه هذه الحال فيصير مستغنيا عن سؤال الناس ، وعن النظر فى كتاب الله . هذا مايريده المتصوفة من صد الناس عن كتاب الله تعالى،وعن سنة رسوله فإنها داخلة ضمنا وإن لم ينصوا عليها.

ويقول المنوفى: وأما على بن أبي طالب، فذاك مدينة العلم، وأول آخذ لبيعة الطريق – طريق الأولياء –وأول مُلَقَّن بالذكر والسر من الرسول صلى الله عليه وسلم (١) .

هكذا يكذبون على الله تعالى ، وعلى رسوله، وعلى سلف هذه الأمة صيانة لمذهبهم وفسادهم وأرواحهم من معارضة العلماء لهم والإنكار عليهم ، والحكم بزندقتهم وكفرهم، ليسلموا من عدالة القضاء، وإقامة الحدود عليهم كما حصل لكثير منهم . هذا وإن الكلام حول هذا الصحابى الجليل كثير جدا ، فكتب الصوفية مليئة بالنصوص التى تفوح بالغلو فيه، وفى علمه وأحواله و أوصافه ، شأنهم فى ذلك شأن الرافضة. وفيما أوردته كفاية وبيان لاتخاذ الصوفية إياه أساسا فى طريقتهم ،ورأسا فى مذهبهم ، ومنتهى لعلومهم وأحوالهم، بل وحتى ترهاتهم وشطحاتهم، و كذلك فعل الرافضة من قبل ، فجعلوه إمام مذهبهم ونحلتهم، وكلا الفريقين مدّع كذّاب ، فلا الصوفية ولا الرافضة الشيعة قد ائتموا به حق الائتمام، ولا اقتدوا به حق الاقتداء ، ولكنهم قبحهم الله زعموه إماما لهم، ثم وضعوا أصولهم وأفكارهم الخبيثة، ولم يتورعوا فى نسبتها وإضافتها إليه، رغم مخالفتها لنصوص الشرع الصحيحة والصريحة،ومعارضتها للعقل والواقع .

وقد تقدم فى المبحث الثانى من هذا الفصل طرف من أقوال أئمة التصوف فى هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، كما سيأتى خلال هذا البحث كثير من أقوالهم وأقوال أئمة الرفض فيه مما يدل على غلوهم فيه وكذب الانتساب إليه.

(ب) وثاني هؤلاء الأعلام هو علي بن الحسين بن علي رضى الله عنهم، الملقب بزين العابدين والمعدود رابع الأئمة الاثني عشر . ذكره أبو بكر الكلابادي على أنه "من رجال الصوفية، ممن نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم ، ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولا وفعلا.." (٢) كما ترجم له أبو نعيم الأصبهانى وعده من رجال التصوف (٣) . وذكره

---

(١) جمهرة الأولياء للمنوفى (١٢٢/١) .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/٣٦) .

(٣) حلية الأولياء(١٣٣/٣) .

الهجويري في أئمة الصوفية من أهل البيت، وأنه وارث النبوة، وسراج الأمة ، زين العباد ، وشمع الأوتاد ، وأنه كان أكرم وأعبد أهل زمانه ، مشهورابكشف الحقائق والنطق بالدقائق.(١) وكذا عدة الشعراني وترجم له(٢) ،وأبو الفيض المنوفي.(٣)

بالغ الصوفية والشيعة في عبادته وأذكاره ، وحتى طهوره، وكذبوا له وعليه كثيرا ليجعلوا منه مثالا، وقدوة في غلوهم الكاذب في عباداتهم، وصلواتهم ، وأذكارهم، التي اشتهروا بها بين كثير من الناس حتى أن ساعات الليل والنهار لا تكفي لاستغراق ما حددوه من أعداد في الركعات والأذكار، تفوق العقل والمنطق وحتى الخيال. وهذه حيلة منهم لاشغال المبتدئين من المريدين، الداخلين في سلك تلك المذاهب، واستغراق أوقاتهم بقصد صدهم عن العلم وطلبه ، ومجالسة العلماء، بحجة أن العمل أولى وأفضل، لإبقائهم في جهالاتهم وضلالاتهم، يتخبطون في الظلمات ، لايعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا ، ولا يفرقون بين السنة والبدعة ، وبين الهدى والضلال، ولا يعلمون من أمور دينهم إلا ما تمليه عليهم أساطين الضلال. وإن مما زعموه في زين العابدين رحمه الله أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة(٤) ونسبوا إليه قولا يصف عبادته وأحوال العباد فقالوا : "إن قوما عبدوا الله رهبة ، فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة ، فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوا اللهشكرا فتلك عبادة الأحرار"(٥) ، وفي لفظ آخر نسبه إليه الشعراني : " عبادة الأحرار لا تكون إلا شكرا لله لا خوفا ولا رغبة".(٦) إنهم بريدون تقرير مذهبهم في علاقتهم مع الله تعالى ، بريدون نزع الخوف والرجاء من قلوب العباد، وقد علم أهل الاسلام والايمان عامة أن الله تعالى قد تعبد خلقه بالتوجه إليه في العبادة والدعاء والسؤال بالخوف والرجاء، وبالرهبة والرغبة. ومما نسبوه إليه ما رواه أبو نعيم بإسناده إليه أنه التقى بالخضر وناجاه وكلمه ليخفف عنه أحزانه وهمومه.(٧)

---

(١) كشف المحجوب (٢٧٨/١).
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (٣١/١).
(٣) جمهرة الأولياء (٧١/٢).
(٤) الطبقات الكبرى للشعراني(٣٢/١) ،وشذرات الذهب (١٠٥/١) ، والصواعق المحرقة(ص/٣٠٢).
(٥) حلية الأولياء(١٣٤/٣)، وشذرات الذهب(١٠٥/١).
(٦) الطبقات الكبرى للشعراني(٣١/١).
(٧) حلية الأولياء(١٣٤/٣).

يقرر الصوفية بهذا عقيدتهم فى الخضر، وأنه حي باق لايموت، وأنه يظهر للأولياء وبنوا على هذه العقيدة الفاسدة كثيرا من أساطيرهم الخرافية التى نسبوها الى الخضر ، فكم من ضلالات ، وأقوال منحرفة ، وأحكام فاسدة، وأوراد وأذكار شرعوها، وأضافوها الى الدين زاعمين أنهم تلقوها مباشرة عن الخضر، الذى يزورهم، ويجالسهم، ويحادثهم، ويعلمهم من العلم اللدني المزعوم . ومما نسبوه الى زين العابدين مجموعة كبيرة من الأقوال والأشعار لتكون أصلا فى مذهبهم فى الخوف، والتوكل، والحب الإلهى والمناجاة، فنسبوا إليه رحمه الله مجموعة من الأدعية والمناجاة و الابتهالات ، وأطلقوا عليها اسم" الصحيفة السجادية" .
هذا وإن أقبح ما نسبوه إليه، وبهتوه به، ما هو من جنس أقوال وأحوال الزنادقة المارقين مما سموه بغير اسمه فقالوا: المعرفة، والعلوم السرية، والحقيقة، وسر الربوبية ، الى غير ذلك من الأسماء والألقاب ، ثم ز عموا أنه يجب ستره وكتمه لمخالفته ظاهر الشريعة ، فى نظر علماء الرسوم الذين يسارعون فى تكفير، وإباحة دماء من يبوح به من الأولياء والمكاشفين بزعمهم . وقد اشترك فى نسبة هذه الزندقة إليه الصوفية والشيعة على السواء، يقول المناوي عنه: " وكان عاملا على كتمان أسرار الله تعالى فى العالم كما أشار إليه بقوله:

يارب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا (١)

وقد جعل الصوفية والشيعة من هذه الأبيات ملاذا لهم، ومرجعا وأساسا للتقية ، التى جعلوها من أهم أمور دينهم ومذهبهم ، وللسرية التامة فى دعوتهم ، وللغموض والرموز التى غلبت على أساليبهم وأقوالهم، إخفاء لكثير من ضلالهم وكفرهم .

(ج) وثالث هوءلاء الأعلام هو محمد بن على بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ــ الملقب بالباقر والمعدود خامس الأئمة الاثني عشر . ذكره أبو بكر الكلاباذي على أنه من رجال التصوف ، ممن نطق بعلومهم، وعبّر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم ، ووصف أحوالهم قولا وفعلا ... (٢) وقد عده من رجال التصوف كل من أبي نعيم الأصبهاني، وترجم له وذكر أنه تكلم فى العوارض والخطرات الصوفية (٣) ، والهجويري الذى عده من أئمة

---

(١) الكواكب الدرية فيتراجم الصوفية (ص/ ١٤٠) . ونسبه إليه قبله ابن عربي فيالفتوحات المكية (١/ ٣٢) ، ونعمة الله الجزائرى الشيعي فى الأنوار النعمانية (٤/ ٢٨) .
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/ ٣٦) .
(٣) حلية الأولياء (٣/ ١٨٠) .

الذى عده من أئمة الصوفية من آهل البيت وقال عنه: " الحجة على أهل المعاملة، وبرهان آهل المشاهدة، وكان مخصوصا بدقائق العلوم ولطائف الإشارات. (١) والشعراني (٢) وابن حجر الهيتمى وقال عنه: " لمن الرسوم فى مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة فى السلوك والمعارف (٣) . وأبو الفيض المنوفي وقال عنه أنه تكلم فى الأحوال والخطرات. (٤)

وأما متصوفة الشيعة فقد ذكروه أيضا على أنه من رجال التصوف، فيقول فريد الدين العطار عنه: " ذلك حجة أهل المعاملات، ذلك برهان أرباب المشاهدات، ذلك إمام أولاد النبي ، ذلك كريم أحفاد علي، ذلك صاحب الظاهر والباطن " (٥) .

وأما معصوم علي، فقد ذكر أن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: " كنت بين مكة والمدينة، فإذا أنا بشيخ يلوح فى البرية، يظهر تارة ويغيب أخرى حتى قرب مني، فتأملته فإذا هو غلام سباعي أو ثماني، فسلم على فرددت عليه السلام فقلت: من أين؟ قال: من الله، فقلت : والى أين؟ فقال : الى الله. فقلت: علام؟ قال : على الله. فقلت : فما زادك ؟ قال: التقوى .... وفى ختام اللقاء يقول : ثم قال : أنا محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبى طالب. ثم التفتّ فلم أره ، فلا أعلم هل صعد الى السماء أم نزل فى الأرض" (٦) . وهذه القصة مختلقة مصطنعة بريد أرباب التصوف تقرير مذاهبهم فى التوكل والسفر والسياحة بلا زاد، وبالخوارق الكاذبة ، والغموض فى حياتهم، ومناهجهم ، وبالطيران والإنتقال من مكان لآخر بخطوات قليلة وغير ذلك من كذبهم. وقد ذكر ابن العماد الحنبلي الباقر رحمه الله فى وفيات سنة ١١٤هـ (٧) ونص على أنه توفي فى هذه السنة . كما ذكر ابن المبارك فى وفيات سنة ١٨١هـ (٨) . ويزعم هذا الكاذب أن ابن المبارك التقى بالباقر وهو ابن سبع أو ثمان، أي فى طفولته وصباه.

(د) ورابع هؤلاء الأعلام هوجعفر بن محمد الباقر، الملقب بالصادق . ذكره أبو بكر الكلاباذي أنه من رجال التصوف ، ممن نطق بعلومهم، وعبّر عن مواجيدهم، ونشر

---

(١) كشف المحجوب (١/٢٨١) .
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (١/٣٢) .
(٣) الصواعق المحرقة (ص/٣٠٤) .
(٤) جمهرة الأولياء (٢/٧٤) .
(٥) تذكرة الأولياء (٢/٢٦٦) ، كماترجمه الشيبي عن الفارسية فى الصلة بين التصوف والتشيع (١/١٨٣)
(٦) طرائق الحقائق (٢/٨٨) ، كما ترجمه الشيبي عن الفارسية فى الصلة بين التصوف والتشيع (١/١٨٣) .
(٧) شذرات الذهب (١/١٤٩) .
(٨) نفس المرجع (١/٢٩٥) .

مقاماتهم ، ووصف أحوالهم قولا وفعلا..." (١) . وذكره أبو نعيم الأصبهاني وعدّه من رجال التصوف، ووصفه بأنه أقبل على العبادة والخضوع ، وآثر العزلة والخشوع (٢) . وعدّه الهجويرى من أئمة الصوفية، ووصفه بجمال الطريقة ، ومعبر المعرفة، و مزين الصفوة ، وأن له إشارات جميلة فى كل العلوم ، وكتب معروفة فى بيان الطريقة الصوفية (٣) . كما ترجم له وعدّه من رجال التصوف عبد الوهاب الشعراني (٤) وأبو الفيض المنوفي (٥) .
وقد نسبوا إليه شيئا كثيرا من الأقوال والأفعال والأحوال التى هى من أصول مذهب المتصوفة. فجعلوه ممن التزم لبس الصوف، ونقلوا أنه كان يلبس الصوف على جسده ثم يخفيه بكساء من خز،ويقول معللا فعلهو ذلك فيما نسبوه إليه :" لبسنا هذا لله، وهذا لكم ، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه" (٦) . وأما أقواله التى نسبوها إليه جعلوا جزءا كبيرا منها نقلا عن الأنبياء وخاصة موسى، وداود ،وعيسى عليهم السلام، وعن الكتب السماوية نقلا مباشرا كما هو منهج الصوفية فى الأخذ عن الرهبان والعبّاد من أهل الديانات الأخرى . وأعظموا عليه الفرية فيما نسبوه إليه من مناجاته وابتهاله لله تعالى ثم سماعه ما يوحي به إليه الله تعالى، جوابا على مناجاته،وتكريما له، حتى زعموا قبّحهم الله فيما نسبوه إليه تجلي الله تعالى لمن يناجيه ، وما هو من جنس مذهبهم وكفرهم فى الحلول والتجسيم والعياذ بالله.نسبوا إليه قوله:" والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه، ولكن لا يبصرون" .

وذكروا أنه خر مغشيا عليه فى صلاة له، ثم سئل لما سُرّي عنه فقال : " مازلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها،فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته تعالى" (٧)

ثم يعلق أبو طالب المكي بقوله :" وكذلك الخصوص يرددون الآية بقلوبهم على قلوبهم ، ويتحققون بها فى مشاهدتهم بمدد من شهيدهم وسيدهم، حتى يستغرقهم الفهم ، فيغرقون فى بحر العلم". (٨) ويعلق شهاب الدين السهروردي بقوله:" فالصوفى لما لاح

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/٣٦) .
(٢) حلية الأولياء(٣/١٩٢) .
(٣) كشف المحجوب(١/٢٨٣) .
(٤) الطبقات الكبرى للشعرانى(١/٣٢) .
(٥) جمهرة الأولياء(٢/٧٥) .
(٦) حلية الأولياء(١/١٩٣) . والطبقات الكبرى للشعراني(١/٣٢) .
(٧) قوت القلوب(١/٤٧) . وعوارف المعارف مختصرا (ص/٢٨) .
(٨) قوت القلوب(١/٤٧) .

له نور ناصية التوحيد، وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد، وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى ، صار بين يدى الله تعالى حاضرا شهيدا، يرى لسانه أو لسان غيره فى التلاوة كشجرة موسى عليه السلام..." (١) هكذا ينسبون الى أعلام وسلف الأمة ما يبررون به باطلهم فى الفناء، والحلول والاتحاد بالله تعالى ، والذكر الخفي الذى محله القلب، والذى جعلوه منطلقهم فى الفناء، وسببا لخيالاتهم الفاسدة ،ورؤاهم الشيطانية. ومما نسبوه إليه تلك التفسيرات والتأويلات الباطنية الخبيثة لآيات الله.فقد زعم أبو عبد الرحمن السلمي أنه اعتمد على تأويلات الصادق فى تفسيره الذى وضعه واصطنعه وزعم أنه ضمنه قطعة كبيرة من تأويلات وأقوال جعفر الصادق ، ثم ملأ كتابه الذى أسماه حقائق التفسير كل أنواع الكفر والزندقة. وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مزاعمه هذه ، وطعن فى تفسيره بأنه من نوع الاجتهادات الباطلة، كما طعن فى نسبة ما أخذه عن جعفر الصادق وعدها من الآثار الموضوعة، والأخبار المصطنعة. (٢) وذكر الامام الذهبي عن الامام المفسر أبي الحسن الواحدي قوله: " صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر". كما نقل عن غيره وصفه الحقائق بأنه قرمطة. (٣) وقال هو عنه " ألف حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية نسأل الله العافية" (٤). هكذا يضع الصوفية كالشيعة تماما روايات تناسب مشربهم ،وينسبونها الى الأعلام ممن يقبل الناس عنهم أمور دينهم، لصلاحهم، وتقواهم ، وفضلهم فى العلم والعقل، وهم فى ذلك يؤسسون قواعد مذاهبهم وأسس مناهجهم على تلك الأقوال المنسوبة ، ولكنهم يطورونها فيما بعد حتى تتناسب مع غلوهم وضلالهم وأهدافهم فى تفريق كلمة المسلمين و إضعاف قوتهم وإيقاف فتوحهم.

---

(١) عوارف المعارف(ص/ ٢٨).
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٢٩).
(٣) سير أعلام النبلاء(١٧/ ٢٥٥).
(٤) تذكرة الحفاظ(٣/ ١٠٤٦).

اعلام الشيعة
وعلاقتهم
بالصوفية والتصوف

أعلام الشيعة وعلاقتهم بالصوفية والتصوف

إن الشيعة المتصوفين كثير، لذلك فاني أقتصر على ذكر بعضهم ،ممن جمع بين التصوف والرفض، واشتهر عنه ذلك، وأذكر بعض ما ورد عنهم فى تصوفهم،و علاقتهم بالصوفية ، وذلك من خلال كتبهم ومراجعهم المعتبرة ٠

وإن مما يشترك فيه أهل الرفض، وأهل التصوف فى ذكر تراجم أعلامهم وأئمتهم هو منهجهم فى إثبات الفضل والمناقب والكرامات لأعلامهم ورجالهم٠ حيث أنهم يعتمدون فى إثبات مناقب وفضائل رجالهم على الأحاديث الباطلة، والدعاوى المجردة من البراهين النقلية والعقلية أيضا ، بل ربما اعتمدوا على الكذب والحكايات التى لايصدقها عاقل ، ولا يقبلها ذو فطرة سليمة٠ وسبب ذلك راجع الى غلوهم جميعا فى أئمتهم وأوليائهم ، وفى أتباعهم وشيعتهم، وحتى فى محببهم٠

أما المتصوفون من أهل الرفض ، ممن جمع بين سوأتين ، فإني أرتبهم حسب وفياتهم، ومنهم :

(١) محمد بن على الشلمغاني ــ المعروف بابن أبي العزاقر ــ المقتول سنة٣٢٢هـ

عده المسعودي من الشيعة الغلاة ،وذكر أنه قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه وأحرقت جثته لأمور دينية أحدثها ، وذكر من مؤلفاته كتاب الوصية، و كتاب الغيبة وغيرهما٠(١)
وذكره أبوجعفر الطوسي، وعده من رجال الإمامية وقال : " له كتب وروايات ، وكان مستقيم الطريقة، ثم تغير وظهرت منه مقالات منكرة، الى أن أخذه السلطان فقتله وصلبه ببغداد٠(٢)

وذكره أيضا فى باب ذكر المذمومين ، الذين ادعوا البابيّة فى كتابه الغيبة، وذكر خرافة أسطورية بأن توقيعا من صاحب الزمان المزعوم ظهر للشيعة بلعنه، والبراءة منه ، وممن تابعه وشايعه، ويقول الطوسي إنه" لم يكن بابا ولا طريقا الى المنتظر، وإنما كان فقيها من فقهائنا ، وخلط وظهر عنه ما ظهر ، وانتشر الكفر والإلحاد عنه فخرج فيه التوقيع" ٠(٣)
وذكره أيضا فى رجاله فى باب من لم يرو عن الأئمة٠(٤) وذكره محسن أمين فى أعيان الشيعة

---

(١) التنبيه والإشراف للمسعودى (ص/٣٩٦) ٠
(٢) الفهرست للطوسي (ص/١٧٧) ٠
(٣) الغيبة للطوسي(ص/٢٤٨ــ٢٥١) ٠
(٤) رجال الطوسي (ص/٥١٢) ٠

وعده منهم (١) . هذا ما ذكره الشيعة فى مصنفاتهم ، ولم يبينوا ما أحدثه من أمور دينية ، ومقالات منكرة، وماظهر عنه من الكفر والالحاد، مما اقتضى خروج قرار ونص شرعي شيعي من غياهب السراديب بتوقيع صاحب زمانهم، بكفره ولعنه والبراءة منه ، يريدون ستر عوراتهم وعيوبهم، وإخراج ابن الشلمغاني من دائرة الشيعة بالمرسوم الإمامى الصادر عن الدولة السردابية الإمامية الشيعية. ينشرون الفساد والضلال وإذا ما افتضح أمرهم، وتمكن السلطان من كشف هذا الضلال ، وأقيمت الحجة،تبرءوا ، وأظهروا اللعن والتكفير تقيةً، وتبرأةً لساحتهم ومذهبهم.هذا دأب أهل البدع والأهواء فها هى الشيعة تتبرأ بتوقيع صاحب أمرهم ، وكذا بعض الصوفية قد عملوا بعد التمكن من الحلّاج وقتله وصلبه. والشلمغانى كان معاصرا للحلاج،والذى يظهر أنهما أبناء مدرسة واحدة، فكلاهما من غلاة الشيعة وممن ادّعى البابيّة، وكلاهما من الصوفية الهالكة فى مذاهب الحلولية والكفر والإلحاد، وقد كانا فى بغداد . والحلّاج قُتل فى سنة ٣٠٩ هـ،والشلمغاني فى سنة٣٢٢هـ . وأما عن زندقته التى ذكرها الشيعة مجملا فقد فُصِّلت وكُشفت. يقول عبد القاهر البغدادى عنه أنه ادعى حلول روح الإله فيه ، وصرح برفع الشريعة وأباح اللواط والزنى (٢) وذكره ابن الاثير رحمه الله فى أخبار سنة ٣٢٢ هـ وقال إنه قتل لانه أحدث مذهبا غاليا فى التشيع والتناسخ ، وحلول الإلهية فيه، وذكر من مذهبه ترك الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات ، وإباحة الفروج ونكاح ذوات الأرحام وضرورة نكاح الفاضل للمفضول لإيلاج النور فيه مع ادعائه أنه الباب الى إمامهم المنتظر (٣) . وذكره ابن كثير رحمه الله وقال : إنه ادعى ما كان يدعيه الحلّاج من الإلهية. (٤) وذكره الذهبى رحمه الله فى أخبار سنة٣٢٢هـ وقال : " وفيها اشتهر محمد بن علي الشلمغاني ببغداد، وشاع أنه يدعى الإلهية، وأنه يُحيي الموتى، وكثر أتباعه . وكان هذا الشقي قد أظهر الرفض ثم قال بالتناسخ والحلول . . . " (٥) والشلمغاني لم يكن من عوام أهل الرفض والتشيع حيث أنه قد صنف وكتب فى علومهم وعقائدهم، وقد كان مستقيم الطريقة،ومن أعيانهم ورجالهم كما وصفه علماء النقد والرجال ، والمؤرخون الشيعة.

---

(١) أعيان الشيعة (٢/٢٥٩)، (٧/٣٥٠) ، وله ترجمة فى تنقيح المقال للمامقاني (٣/١٥٦) . وفى كتاب الكنى والألقاب للقمي(٢/٣٣٠) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص/٢٦٤) .

(٣) الكامل فى التاريخ(٨/٢٩٠-٢٩٤) .

(٤) البداية والنهاية (١١/٢٠١) .

(٥) العبر فى خبر من غبر(٢/١٩٦) .

(٢) محمد بن علي ــ المشهور بابن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١هـ

هو الملقب بالصدوق ، صاحب كتاب من لا يحضره الفقيه ، أحد الكتب الأربعة التي تعتبر من أصول وأركان المذهب الشيعي. وهو" المولود بالدعوة،الموصوف في التوقيع المبارك، بالمحدث والفقيه" .(١)

ذكره أبو جعفر الطوسي وقال عنه: " كان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال ناقدا للأخبار لم يُر في القميين مثله ، لنحو ثلثمائة مصنف" ومن أشهر مؤلفاته كتاب "من لا يحضره الفقيه وهو " أحد الكتب الأربعة التي عليها المدار في استنباط أحكام الدين الشيعي" . وذكر هو وغيره أنه" ولد بدعاء الإمام المنتظر المزعوم في التوقيع الخارج من ناحيته، ووصفه بأنه فقيه مبارك" لذلك كان صدوقهم يقول : " أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر ، ويفتخر بذلك" حيث يذكر الطوسي وغيره أسطورة خرافية لا تقبلها إلا عقول الشيعة فيزعمون أن أباه علي بن الحسين القمي كتب رقعة الى إمامهم وأرسلها له في السرداب مع أحد السفراء، الذين تم تعيينهم من قبل الإمام يسأله فيها الولد حيث أنه لم يولد له، فجاء الرد موقعا مختوما وفيه: " قد دعونا الله بذلك وسترزق ولدين ذكرين خيّرين" . وذكر الطوسي أنه ألف رسائل في الزهد لكل واحد من الأئمة المعصومين بزعمهم وذكر في مصنفاته كتاب "معاني الأخبار" .(٢)

وذكره محسن أمين ، وترجم له على أنه من أعيان الشيعة وأعلامهم، وذكر في مصنفاته كتاب" معاني الأخبار" .(٣)

وكتاب معاني الأخبار صنفه على مذهبه، وضمنه الكثير من مشارب الصوفية وطريقتهم فيذكر في كتابه الفتوة(٤) ، والجهاد الأكبر(٥) ، وهو جهاد النفس، وهما من مصطلحات الصوفية وشعاراتهم وأساليبهم . وذكر مسألة الحقيقة المحمدية، والنور المحمدي الأزلي الذى تزعمه الشيعة،وتتغنى به الصوفية . فيقول فيما يرويه بإسناده الى علي بن أبي طالب أنه قال : " إن الله تبارك و تعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم، قبل أن يخلق

---

(١) روضات الجنات(٦/١٣٦) .
(٢) الفهرست لأبي جعفر الطوسي(ص/١٨٨ــ١٩٠) ، وانظر الهامش.
(٣) أعيان الشيعة(١٠/٢٤ــ٢٥) .
(٤) معاني الأخبار للصدوق القمي(ص/١١٨) .
(٥) المرجع نفسه (ص/١٦٠) .

السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح و القلم والجنة والنار، وقبل أن يخلق آدم ٠٠٠٠٠٠ وقبل أن يخلق الانبياء كلهم بأربعمائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة"٠ ثم يفصل في انتقال نور محمد بين الحجب حتى زعم قائلا: " ثم أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتا سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عز وجل فى صلب آدم عليه السلام٠٠٠٠" ثم يذكر انتقاله بين الأصلاب حتى"أخرجه الله من صلب عبد الله٠٠٠"(١) ويستعمل في كتابه، أوصاف الصوفية وعباراتهم ٠ فيقول مثلا فى ذكر كرامات النبي صلى الله عليه وسلم حين ولادته: " فأكرمه بست كرامات: ألبسه قميص الرضا، وردّاه برداء الهيبة، وتوّجه بتاج الهداية، وألبسه سراويل المعرفة، وجعل تكته تكة المحبة يشد بها سراويله، وجعل نعله نعل الخوف، وناوله عصا المنزلة، ثم قال له: يا محمد اذهب الى الناس فقل لهم: قولوا لا اله الاالله، محمد رسول الله"٠(٢) مع أنه يذكر فى موضع آخر"أن محمدا وعليا صلوات الله عليهما كانا نورا بين يدى الله جل جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام ٠٠٠ وأنه لولاهما لما خلق الله الخلق"(٣)٠ ويبشر الصوفية أنهم برضاهم من الله باليسير من الرزق، فإن الله تعالى يرضى منهم بيسير العمل، أن يطيعوه فى بعض، ويعصوه فى بعض العمل٠(٤)

ويبشرهم أيضا بأن أكثر أهل الجنة البلهاء المجذوبين(٥)، ويصف أهل التقوى من الصوفية بأنهم تزودوا بغير الذهب والفضة، ولبسوا الخشن، وصبروا على الذل، وأنهم مصابيح فى الدنيا، وأهل النعيم فى الآخرة٠(٦) ويُكثر من النقل، ونسبة الأقوال إلى عيسى، وغيره من الأنبياء مباشرة بلا سند، وينقل عن أهل الأديرة، والرهبان وغيرهم، شأن الصوفية فى تلقيهم ٠ فيذكر عن عيسى مثلا أنه يرغب الناس بالنوم على المزابل، و أكل خبز الشعير، ويحثهم على ذلك لما فيه من خير كثير٠(٧) بهذا يتضح منهج هذا الشيعي وعلاقته وصلته بالتصوف المنحرف ٠

---

(١) معانى الأخبار (ص/٣٠٦-٣٠٨)٠
(٢) المرجع نفسه (ص/٣٠٨)٠
(٣) المرجع السابق (ص/٣٥١)٠
(٤) المرجع السابق (ص/٢٦٠)٠
(٥) المرجع السابق (ص/٢٠٣)٠
(٦) المرجع السابق (ص/١٩٩)٠
(٧) المرجع السابق (ص/٣٤١)٠

(٣) محمد بن محمد بن الحسن الطوسى، المتوفى سنة ٦٧٢هـ

المعروف بالخاجة نصير الدين والملة الرافضية .

ترجم له المامقاني فقال : "نصير الملة والدين ، قدوة المحققين ، سلطان الحكماء والمتكلمين ، إنتهت إليه رئاسة الإمامية" ويقول زاعما أن فضله وتبحره فى العلوم وسبقه للعلماء" أشهر من أن يذكر ، وفوق ما يحوم حوله العبارة، وكفاك فى ذلك حله ما لم ينحل على الحكماء المتبحرين من لدن آدم الى زمانه" .(١) كل هذا الغلو فى مدحه وثنائه لأنه خدم التشيع خدمة لا توازيها خدمة علمائهم وأئمتهم لما قام به هذا الخبيث من المساهمة فى قتل المسلمين من أهل السنة، كما سيأتى ذكره. وبنحو هذه العبارات من الغلو يذكره أهل الرفض فى جميع كتبهم ومصادرهم ، فذكره الأردبيلى الحائري الرافضي وترجم لموذكر فيه ما ذكره المامقاني بنصه.(٢) وترجم له القمي وقال : هو عماد الشيعة، ورافع أعلام الشريعة، شيخ الطائفة على الإطلاق، ورئيسها الذى تلوى إليه الأعناق.... ووقع على تقدمه و فضله الاجماع ..." .(٣) يبالغون فى شأنه وفضله سترا لقبائحه وجرائمه التاريخية العظيمة ، "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" .(٤) .

وترجم له الخوانسارى ووصفه بقوله: " ... سلطان المحققين ، وبرهان الموحدين، مولانا الخواجة نصير الملة والدين..." وذكر وزارته لهولاكو ملك التتار، وركوبه فى موكب السلطان الى بغداد قائلا : " ... لإرشاد العباد، وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، واخماد نائرة الجور والألباس بإبداد دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، الى أن سأل من دمائهم الأقذار كامثال الأنهار، فانهار بها فى ماء دجلة، ومنها الى نار جهنم دار البوار، ومحل الأشقياء والأشرار" .(٥) هكذا وجد هذا الرافضي الخبيث متنفسه، فأخرج وبث عبارات الحقد الدفينة بين جوانبه مستشفيا بما فعله نصير الكفر والإلحاد من قتل أهل السنة وإسقاط الخلافة . وهذا موقف جميع أهل الرفض، ولكن كثيرا منهم لا يصرح بها.

وذكر الخوانساري نقلا عن أحد أئمة الشيعة أنه وصف الخواجة بأنه" كان جامعا بين مسلكى الاستدلال والعرفان" وذكر أنه كانت بينه وبين صدر الدين القونوي المتوفى سنة

---

(١) تنقيح المقال فى علم الرجال (٣/١٧٩) .
(٢) جامع الرواة (٢/١٨٨) .
(٣) الكنى والألقاب للقمى (٢/٣٥٧) .
(٤) سورة الأنفال /٣٠ .
(٥) روضات الجنات (٦/٣٠٠-٣٠١) .

٦٧٢هـ ، تلميذ ابن عربى وربيبه، مراسلات ومكاتبات فى قضايا التصوف، ومقامات العارفين والسالكين ، ووحدة الوجود، وأنه قد سجل معظم تلك ا لمراسلات فى كتابه" الفصول " وذكر عنه مما فى الفصول قوله: " ... ويحبس بالرياضة نفسه الأمارة... ويوجه همته بكليتها الى عالم القدس ، .... ويسأل الله أن يفتح على قلبه باب خزائن رحمته، وينور بنور الهداية الذى و عده بعد مجاهدته ، ليشاهد الأسرار الملكوتية ، والآثار الجبروتية، ويكشف فى باطنه الحقائق الغيبية،والدقائق الفيضية" ويعلق الخوانساري قائلا: " إن الإنصاف ليس فقط وصفه بأنه كان جامعا بين مسلكى الاستدلال والعرفان، بل إن كتابه الفصول من أحسن ما كتب وصنف فى مسائل الاستدلال والعرفان "(١) . يعنى ما صنف فى التصوف.

ونقل الخوانساري شيئا من شعره الذى يجمع فيه بين مذاهب الشيعة ومسالك الصوفية ، أو العرفان على حد تعبير الشيعة، فذكر :

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً	وود كل نبي مرسل وولي
وصام ما صام صوام بلا ملل	وقام ما قام قوام بلا كسل
وحج ما حج من فرض ومن سنن	وطاف ما طاف حاف غير منتعل
وطار فى الجو لا يأوي الى أحد	وغاص فى البحر مأمونا من البلل
وعاش فى الناس آلافا مؤلفة	عار من الذنب معصوما من الزلل
ما كان فى الحشر عند الله منتفعا	إلا بحب أمير المؤمنين علي(٢)

وذكر الخوانسارى أيضا فى ترجمة الحلاج أن الخواجه نصير دينهم من جملة من اعتذر عن شطحات الحلاج ، ودافع عنه، وتأول أقواله وأفعاله . وهذا مما يؤكد تشيع الحلاّج، وأنه كان منهم، وإلا فان من أصول مذهب أهل الرفض أن غير الشيعى لا يُقبل منه صرف ولا عدل ، فضلا عن تأويل انحرافاتهم وشطحاتهم، وما هو صريح فى الكفر. ويدل أيضا على تصوف الخواجة الشيعي، و غلوه فيه.(٣)

وذكر كامل الشيبي نقلا عن الشيعي الصوفى معصوم علي الذى نقل فى كتابه ـ بالفارسية ـ نصوصا عن الخواجه من كتابه " أوصاف الأشراف " تطرق فيها إلى الحلول والاتحاد والغلو فى التشيع ، ونصوصا أشار فيها الى الحلاج وأبي يزيد البسطامى، ودافع عنهما وعن

(١) روضات الجنات (٦/٣١٢-٣١٣)
(٢) روضات الجنات (٦/٣٠٥) ، وأعيان الشيعة (٩/٤١٩) .
(٣) روضات الجنات (٣/١٠٩) .

مقاليتهما : " أنا الحق " ، و" سبحاني ما أعظم شأني" وقال ما نصه بأن" أياً منهما لم يدَّع دعوى الإلهية ، بل دعوى نفي أنيتّه،ليثبت أنيّة غيره وهو المطلق " . (١)

وترجم له أيضا محسن أمين ووصفه بالحكيم الفيلسوف ، وأستاذ الحكماء والمتكلمين ، ثم أظهر قلة حياءه بذكره منكراته أيام وزارته لهولاكو، ودافع عنه وتأول أفعاله المنكره قائلا إنه قد ذُكر عنه : " أنه بقي في بغداد يتفقد الأوقاف ، وينظمها ، ويعين رواتب الفقهاء والمدرسين والصوفية " أي أنه وافق على الوزارة والادارة ليتولى أمور المسلمين بنفسه، وهذا النقل يظهر مدى علاقته واتصاله بالصوفية، وذكر محسن في مصنفاته كتاب: أوصاف الأشراف ، ورسالة في العلم الاكتسابي واللدني ، وغيرهما من مؤلفات كثيرة في الفلسفة، والكلام ، والرفض. (٢)

فالطوسي هذا من أئمة الشيعة الإمامية ، و من غلاة المتصوفة أهل الوحدة والحلول ، وقد ارتكب جرائم عظيمة في حق أهل الحق أثناء خدمته وزيرا لهولاكو التترى، وطوال فترة وجوده حتى هلاكه، فأراح الله منه البلاد والعباد لا رحمه الله. (٣) ويقول الامام ابن القيم رحمه الله :" ولما انتهت النوبة الى نصير الشرك والكفر، الملحد، وزير الملاحدة، النصير الطوسي ، وزير هولاكو، شفا نفسه من أتباع الرسول، وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفا إخوانه من الملاحدة ، واشتفى هو، فقتل الخليفة، والقضاة، والفقهاء ، والمحدثين ، واستبقى الفلاسفة ،والمنجمين، والطبائعيين ،و السحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم. . . . " (٤)

هكذا انتقم هذا الملحد من الفقهاء والعلماء من أهل السنة والجماعة، ونقل أوقاف المسلمين وصرفها في غير وجهها خدمةً لدينه ومعتقده ونحلته التي تجمع بين الفلسفة والتصوف والرفض ، وقد اعترف الشيعة أنفسهم بانتحاله الفلسفة والتصوف، وغلوه فيهما ، بالاضافة الى رأس الشر الرفض والتشيع، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع(٢/٨٩) ، كما نقله وترجمه عن الفارسية من كتاب طرائق الحقائق لمعصوم علي ، وعن أوصاف الأشراف للطوسي نفسه.

(٢) أعيان الشيعة(٩/٤١٤ـ٤١٩) .

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير في أخبار سنة ٦٥٦ (١٣/١٩١ـ١٩٢) ،وشذرات الذهب(٥/٣٩٩) .

(٤) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/٢٦٧) .

(٤) ميثم بن علي البحراني، المتوفى سنة٦٧٩هـ

ترجم له الخوانساري ووصفه بقوله: " غواص بحر المعارف، ومقتنص شوارد الحقائق واللطائف ، ضم الى الإحاطة بالعلوم الشرعية، العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، وكان ذا كرامات باهرة، اتفق الائمة والفضلاء في جميع الأمصار على تسميته بالعالم الرباني، وبأنه لم يوجد مثله في تحقيق الحقائق، وقد شهد له نصير الملة والدين الخواجة الطوسي بالتبحر بالحكمة والكلام... وفيه وصفه بأنه من جملة حملة الأسرار". (١)

وذكره محسن أمين في أعيان الشيعة وأعلامهم، وذكر ثناء الخاجة نصير دينهم الطوسي عليه ثناءً عظيما، وكان معاصرا له.ووصفه بالفيلسوف المحقق، والحكيم المدقق ، العالم الرباني، غواص بحر المعارف و مقتنص شوارد الحقائق واللطائف . وذكر أنه أحاط بالعلوم الشرعية والحِكَمية ، وأحرز ذوقا جيدا في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية. وذكر من مؤلفاته شرحا لنهج البلاغة، وكتاب المعراج السماوي، ورسالة في الوحي والإلهام. (٢)

وقد شرح ميثم نهج البلاغة ، شرحا صوفيا، أظهر فيه علي بن أبي طالب في شخصيته صوفية ، ليكون إماما وقدوة للأولياء والمتصوفين. ثم إنه قدم هذا الشرح هدية لوكيل التتار على بلاد العراق، علاء الدين عطا، وكان على اتصال به. فكافأه الوكيل على هديته ببناء خانقين للصوفية: أحدهما في مشهد علي ،والآخر في مشهد سلمان الفارسي كما يزعمون (٣). ويتبين تصوفه من هذه النقول، وبالأخص ما كافأه به وكيل التتر على كتابه وشرحه لنهج البلاغة شرحا يتفق مع مشارب الصوفية، وكذا كتابه المعراج السماوي ، ورسالته في الوحي والإلهام يظهر أنها على الطريقة الصوفية التي يطلقون عليها في كتبهم ومصنفاتهم غالبا بالعلوم العرفانية.

---

(١) روضات الجنات(٧/٢١٦ـ٢٢١).

(٢) أعيان الشيعة(١٠/١٩٧ـ١٩٨).

(٣) راجع كتاب الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي(٢/٩٠ـ٩١).

(٥) حيدر بن على العبيدى الآملي ، المتوفى سنة٧٩٤هـ

ترجم له الخوانسارى ووصفه بقوله: " سيد أفاضل المتألهين ، من أجلة علماء الظاهر والباطن ، وأعاظم فضلاء البارز والكامن ، صاحب الكشف الحقيقى" ونقل عنه أنه قال فى معرض رده على الأشاعرة وغيرهم : " ومما قد يتوهم لبعضهم هو أن ما يذهب إليه الأشاعرة من نسبة الحُسن والقُبح جميعا الى الله.... لأن الأشاعرة المردودة لم يتخلصوا بعد عن حد الشرك الخفي بالله ، ولا استغنوا فى النظر إليه عن رواية من سواه، ولم يصلوا الى درجة التوحيد فى الوجود ليشاهدوا جمال الحق ، بخلاف أهل الحال..." وذكر عنه فى كتاب جامع الأسرار قوله: " أخذت من لدن عنفوان الشباب... فى تحصيل المعارف على طريقة أجدادى الطاهرين ، والأئمة المعصومين ، وهى التى فى الظاهر شريعة للشيعة الإمامية، وفى الباطن حقيقة من حقائق الصوفية الإلهية ، الى أن وُفقت للتوفيق بين الطائفتين ،ومطابقة كل منهما بالآخر حتى تحققتْ حقية الطرفين ، وعرفت حقيقة القاعدتين ، و طابقت بينهما حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة، وسُررت لما صرت جامعا بين الشريعة والحقيقة ، وحاويا بين الظاهر والباطن ، واصلا مقام الاستقامة والتمكين.... وفى الهامش ذكر عن جامع الأسرار قوله: " الشيعي والصوفى اسمان متغايران لمعنى واحد . فان قيل : غالب الصوفية فى الظاهر على طريقة أهل السنة وقواعدهم ، قلنا:" بل هم فرق كثيرة كالشيعة، وانما الناجى منهم الذين حملوا أسرار النبي والأئمة ، وآمنوا بهم بحسب الظاهر والباطن ،واعتقادى أن أحدا من هذه الطائفة الرفيعة لم يكونوا من أهل السنة إلا طائفة النقشبندية الذين ينتهى تصوفهم الى الخليفة الأول ، لا غير" (١) هذا نص كلام الآملى ، ويتجلى تصوفه وانحرافه فيه، و يتضح أن التصوف فرع من فروع التشيع، فمذهبهم جامع بين التصوف والتشيع، ويرجح كون الصوفية جميعا من أهل التشيع ، إلا النقشبندية من المتصوفة ، الذين تحركت فيهم النعرة السنية،لما رأوا انتساب الصوفية الى أئمة الشيعية المزعومين ، وإرجاع كل مذاهبهم وأفكارهم إليهم، أخذتهم عصبيتهم السنية فزعموا أن طريقتهم وسلسلتهم تنتهى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونسبوا اليه كل علومهم ومعارفهم وأحوالهم كردة فعل ضد الشيعة والمتشيعين من الصوفية.

ويقول الخوانسارى فى ذكر كراماته إنه " لما تشرف بزيارة أمير المؤمنين ، اتكى على صخرة كانت هناك بحذاء الروضة المنورة فى داخل الجدار سبعة أيام بلياليها ، ولم يتغذ بشيء فى هذه المدة، ينتظر الرخصة من الحضرة فى الدخول ، فظهر منها فى جوف الليلة

---

(١) روضات الجنات(٢/٣٧٧-٣٧٩).

الثامنة صوتا جهوريا أهال أهل المشهد جميعا لزعمهم أنها صيحة قيام الساعة، وكان فيه قائلا يقول : أدركو ولدي حيدر.... فأ خذوا في تعظيمه بما لامزيد عليه. (١)

وترجم له محسن أمين ولقّبه بالصوفى، لأنه يُعرف به. ووصفه بأنه من عظماء الإمامية وأفاضلهم ، ومن أفاضل علماء الصوفية، و ذكر أنه كان غاليا في التصوف. وذكر من مصنفاته كتاب " ا لتأويلات"ـ وهو كتاب في تفسير القرآن صنفه بعد تصنيفه ثلاثة تفاسير.، ونقل أنه وصف تفسيره الرابع بقوله :" إن نسبة تفسيرى هذا الى التفاسير الثلاثة المتقدمة، كنسبة القرآن الى التوراة والإنجيل والزبور.... فتفسيري هذا ناسخ للتفاسير الثلاثة " ويقول محسن: لقد أول الآيات القرآنية في تفسيره هذا على مذاق الصوفية وطريقتهم. وقال: وله أيضا فص الفصوص في شرح فصوص الحكم لابن عربي، و له تلخيص كتاب الاصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني تلميذ ابن عربى ، وله الأركان في فروع شرائع أهل الايمان بلسان أرباب الشريعة وأهل العرفان . وقال: إنه يشتمل على الأركان الخمسة الفرعية وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد شريعة وطريقة وحقيقة. وقال: وله كتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار، وهو في علم التوحيد وأسراره وحقائقه وأنواره، وحقق فيه مطالب الصوفية ، ونقحها ، وخصوصا مطلب التوحيد (٢).

وذكره الزركلي ، وذكر في مؤلفاته كتاب: مدارج السالكين في مراتب العارفين. (٣)

وذكر الشيبي أن كتابه جامع الأسرار اسمه الكامل :" جامع الأسرار ومنبع الأنوار في أن عقائد الصوفية موافقة لمذهب الإمامية الاثنى عشرية" ، وذكر أنه في كتابه هذا اختار ورجح من التشيع العقيدة الإمامية الاثني عشرية ، ومن التصوف رأي أصحاب وحدة الوجود ، ويسميهم أرباب التوحيد، ومزجهما في فرقة واحدة،ونص على أن الشيعي والصوفى اسمان متغايران لحقيقة واحدة وهي الشيعة المحمدية ، وذلك لاختصاص الصوفية بالأسرار الإلهية، واتصالهم بالأئمة وأخذهم عنهم كالشيعة تماما. واستدل أيضا بتتلمذ الحسن البصري على علي بن أبي طالب ،وأخذ ابن أدهم عن علي بن الحسين، وأبي يزيد البسطامى عن جعفر الصادق،وشقيق البلخي عن موسى بن جعفر،ومعروف الكرخي عن علي بن موسى الرضا. واستدل أيضا بجعل شيوخ الصوفية عليا مستندا لخرقتهم، وباعتقادهم وجود المهدي المنتظر وإن سموه قطبا،وباتفاقهم على التقيه وكتم الأسرار. كماذكر في كتابه هذا عقيدة الصوفية في الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل وصبغهما بصبغة شيعية، وذكر سلسلته في التصوف وسنده ونص على أنها تنتهى بأبي يزيد البسطامى. (٤)

---

(١) روضات الجنات (٢/ ٣٨٠).

(٢) أعيان الشيعة (٦/ ٢٧١ـ٢٧٣).

(٣) الاعلام للزركى (٢/ ٢٩٠).

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبى (٢/ ١٠٤ـ١١١) ، كمانقله عن جامع الأسرار ــ

(٦) عبد الرزاق بن أحمد القاشاني، المتوفى سنة ٧٣٠هـ

ويعرف أيضا بالكاشاني، والكاشي ،ذكره جماعة من مؤلفي الشيعة فى كتبهم وطبقاتهم ورجالهم:

ذكره عبد الله الأصبهاني فقال: " السيد الأمير عبد الرزاق الكاشاني. فاضل، عالم، جليل، عابد، زاهد، ورع..." (١)

وذكره الخوانساري فقال: " مولانا كمال الدين عبد الرزاق الكاشي، العالم، العارف، المحقق فى مراتب التأويل، وعلوم التنزيل..." وذكر أن شهيدهم الثاني أثنى عليه، وبالغ فى مدحه ،ونقل عن صاحب مجالس المؤمنين الذى وصفه بأنه مولاهم العارف الكاشف لأسرار الغواشي، وأنه من الشيعة الإمامية. وذكر الخوانساري من مصنفاته: شرح فصوص ابن عربى، وشرح منازل السائرين للأنصاري، ورسالة فى اصطلاحات الصوفية. (٢)

وذكره عباس القمي، ووصفه بأنه مولاهم القاشانى، صاحب تأويل الآيات، وشرح الفصوص، وشرح منازل السائرين. (٣)

وذكره محسن أمين على أنه من أعيان الشيعة الامامية و أعلامهم، ووصفه بالسيد الأمير، وأنه فاضل، عالم، عارف، زاهد، ورع، الى غير ذلك من عبارات المدح والثناء، ثم ذكر مؤلفاته و منصفاته، منها مما له علاقة بالتصوف: شرح منازل السائرين، ولطائف الإلهام، وشرح فصوص الحكم لشيخه وأستاذه ابن عربى، وتحفة الإخوان فى خصائص الفتيان وبيان حقائق الإيمان. وذكر أنها رسالة فى الفتوة. وله أيضا كتاب اصطلاحات الصوفية". (٤)

وذكر الزركلي من مؤلفاته التى لها علاقة بالتصوف : كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض، ولطائف الإعلام فى إشارات أهل الأفهام، و رشح الزلال فى الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال. (٥)

ويقول الدكتور محمد كمال ابراهيم -محقق اصطلاحات الصوفية للقاشاني- فى مقدمته على الاصطلاحات: " وليس من قبيل الصدفة أن يتجه القاشانى مثلا الى شرح تائية ابن الفارض

---

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء (٣/١١٦).
(٢) روضات الجنات (٤/١٩٧-١٩٨).
(٣) الكنى والألقاب للقمي (٣/٣٠).
(٤) أعيان الشيعة (٧/٤٧٠).
(٥) الأعلام للزركلى (٣/٣٥٠).

التى تعتبر بحق أروع نمط جمالى فى ميدان الشعر الصوفي الفلسفي الرمزي الذى ينظم فوائد الرحلة الروحية، ومدارج السالكين إلى الله٠٠٠" ويثنى على القاشانى وعلى شرحه هذا بأنه أتمه على خير وجه،وأنه ينم عن ذوق وبصر وتقدير لقيم الجمال وأنماطه٠ (١) إن مثل هذا الكلام والثناء على أئمة الكفر والإلحاد من الفلاسفة المتصوفين لايصدر إلا عن جاهل بأصول الاسلام، وعقائد المسلمين، أو عن منحرف مشارك لهم فى الفكر والاتجاه، ولست أدرى أين يضع هذا الدكتور نفسه ٠

ثم إن القاشانى يعتبر من أخص تلاميذ ابن عربى الصوفي الفيلسوف المتشيع المنحرف. وفى كتابه اصطلاحات الصوفية ينقل كثيرا عن جعفر بن محمد الصادق فيماينسبه إليه ، ويلقبه "بالإمام ، عليه السلام"٠ وقد ذكر عنه قوله: " من عرف الوصل من الفصل ،والحركة من السكون، فقد بلغ مبلغ القرار فى التوحيد"، وبروي فى المعرفة:" والمراد بالحركة : السلوك لسكون القرار فى عين أحدية الذات" (٢) ٠ يربط بين اصطلا حات ورموز الصوفية المنحرفة،وبين التشيع بنسبة هذه الأقوال الى من تزعم الشيعة أنهم أئمتهم ٠ وفى شرحه للقطبية الكبرى يقول: " هى مرتبة قطب الأقطاب ، وهو باطن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يكون إلا لورثته، لاختصاصه عليه السلام بالأكملية ، فلا يكون خاتم الولاية ، وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة". (٣) ويريد بالورثة ما يعتقده هو وشيعته،أئمتهم الاثني عشر المعصومين بزعمهم ، ويربطها بما تردده الصوفية بقطب الأقطاب ، ويبين أن الامام وقطب الأقطاب اسمان لحقيقة واحدة ٠

---

(١) اصطلاحات الصوفية للقاشاني ــ مقدمة المحقق ــ(ص/٣ــ٤)٠

(٢) المرجع نفسه (ص/٥١)٠

(٣) المرجع السابق (ص/٤٥)٠

(٧) أحمد بن محمد بن فهد الحلي، المتوفى سنة ٨٤١هـ

ترجم له عبد الله الأصبهاني وأثنى عليه بالفضل والعلم والزهد والعبادة وقال : "وله ميل الى مذهب الصوفية، وتفوه به فى بعض مؤلفاته" • وذكر من مصنفاته عدة الداعي ، والتحصين وصفات العارفين ، وذكر فى الهامش أن مضمونه العزلة، والخمول بالأسانيد المتلقاه عن آل الرسول ، وذكر ميله الى التصوف • (١)

وترجم له الخونساري ووصفه" بالعالم العامل العارف، وكاشف أسرار الفضائل ، وذكر أنه اشتهر بالذوق والعرفان ، والزهد والأخلاق ، والخوف والإشفاق ، وأنه جمع بين القشر واللب ، واللفظ والمعنى ،والظاهر والباطن" • ونقل ثناء كثير من علماء الشيعة عليه، ويزعم أن مجلس مناظرة عقدت له مع المخالفين فى مسألة الإمامة على مذهب الشيعة، وأنه غلب جميع علماء العراق ماحمل السلطان على تغيير مذهبه و تشيعه• وذكر له مصنفات كثيرة فى مذهبهم ، وأما ما صنفه على مذهب المتصوفة فذكر : " عدة الداعي، أسرار الصلاة ،والتحصين وصفات العارفين " • (٢)

وترجم له القمي ووصفه: بجمال السالكين ، الزاهد ، العابد ، صاحب المقامات العالية• ونقل ثناء علماء الشيعة عليه• (٣)

وترجم له المامقاني وأثنى عليه كثيرا فى عبادته وزهده وورعه، وجمعه بين الظاهر والباطن ، ثم نقل عن إمامهم المجلسى قوله فيه: " كان زاهدا مرتاضا ، عابدا ، يميل الى التصوف • • " وذكر من مؤلفاته التي لها علاقة بالتصوف: عدة الداعي، والتحصين وصفات العارفين• (٤)

وترجم له محسن أمين ، وأثنى عليه كثيرا ، وذكر ميله الى التصوف والتكلم به فى مؤلفاته• ونقل فيأقوال علماء الشيعة فى تصوفه كقول المجلسي المتقدم، وقول آخر عنه : " كان صوفيا مرتاضا ، صاحب ذوق وحال " • وذكر من مؤلفاته فى التصوف كتاب التحصين وصفات العارفين • (٥)

---

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء(١ / ٦٤ـ٦٥) •
(٢) روضات الجنات(١ / ٧١ـ٧٢) •
(٣) الكنى والألقاب (١ /٣٦٨ـ٣٦٩) •
(٤) تنقيح المقال فى علم الرجال (١ /٩٢ـ٩٣) •
(٥) أعيان الشيعة(٣ /١٤٧ـ١٤٨) •

ويقول الدكتور كامل مصطفى الشيبي إنه اطلع على هذا الكتاب، وهومخطوط، وموجود فى مكتبة المتحف البريطاني، وإن ابن فهد بدأ كتابه" بداية صوفية مسجوعة" فقال: "الحمد لله الذى تجلى لعباده، فشغلهم عن الشهوات، وأظهر لهم نوره، فهداهم عن الغفلات، ولعقهم من شراب حبه، فسكروا فى غيبه، وتاهوا فى الفلوات، ووثقوا به فأغناهم، وتوكلوا عليه فكفاهم، وصرف عنهم المحذورات، وغسل ظاهرهم من دناسات الدنيا، وجلّا بواطنهم بأسرار المكاشفات...". ويقول الشيبى إنه فى كتابه هذا يدعو إلى العزلة، و يذكر فيها أخبارا عن الانبياء والائمة فى تفضيل العزلة والخمول مما هو على مشرب الصوفية.

ونقل عنه وصفه لكتابه فقال بأن" مضمونه العزلة، بالأسانيد المتلقاه من آل الرسول عليهم الصلاة والسلام" .ويعرض الدكتور الشيبي الكتاب ومباحثه مما يبين تصوف ابن فهد وينقل عنه نصوصا تدل على ذلك منها قوله: " .... إن القلب ما لم ينق من الحرص وسَورة الغضب وتقاضي الشهوة لم يكن محلا لاشراق الانوار الإلهية، بل لم يصلح لخدمة الربوبية". (١) وذكر أيضا كتابه عدة الداعي الذى ألفه على مشرب الصوفية فى الدعاء وآدابه وكيفيته واستجابته. ثم ذِكرِه لأسماء الله الحسنى وبيان أسرارها وفضائلها وفوائدها، وتكلمه عن الذكر الخفي، وغير ذلك من مسائل وآداب وعقائد الصوفية التى يستدل لها بأقوال وأخبار ينسبها للأنبياء وبعض الصحابة كعلي وسلمان وأبي ذر ، والائمة المعصومين بزعمهم . ويصف علي بن أبي طالب فى هذا الكتاب فيقول: " سيد الوصيين، وتاج العارفين، ووصيّ رسول رب العالمين". ويصف الفقر بقوله: " الفقر حلية الأولياء، وشعار الصالحين". وغير ذلك مما يدل على غلوه فى التصوف والتشيع . (٢)

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع (٢/ ٢٥٩_٢٦٠) نقلا عن المخطوط: التحصين وصفات العارفين.

(٢) المرجع نفسه (٢/ ٢٦١_٢٦٥). نقلا عن المخطوط: عدة الداعى.

(٨) محمد بن علي بن أبي جمهور الاحسائي ، المتوفى بعد سنة ٩٠١ هـ

ترجم له عبد الله الأصبهاني ، وأثنى عليه في علمه وفضله ودينه، وذكر من مصنفاته مما لها علاقة بالتصوف: " رسالة مسلك الأفهام في علم الكلام" وقال: " إنه تعرض فيه للجمع بين أقوال المتكلمين والحكماء ، بل الصوفية والأشعرية والمعتزلة أيضا."

وذكر كتاب" المجلي لمرآة المنجي" . وقال: " إنه شرح لمسلك الأفهام، وقد جمع فيه بين طرق الحكماء والمتكلمين والصوفية ،وإنه بسط الكلام في مبحث الإمامة فيه، وأجاد ونقّح". (١)

وترجم له الخوانساري ووصفه: " بالشيخ الفاضل المحقق ، والحبر الكامل المدقق ، خلاصة المتأخرين . ثم ذكر كتاب المجلي ووصفه بأنه على مذاق الصوفية. ونقل ثناء جماعة من علمائهم عليه، منها قول أحدهم عنه: " أنه متكلم، فقيه، صوفي، له كتاب المجلي، جمع فيه بين الكلام والتصوف." (٢)

وترجم له القمي وأثنى عليه، وذكر كتابه المجلي، ونقل كثيرا من نصائحه للطلاب والمريدين في احترام وتعظيم أساتذتهم وشيوخهم. (٣)

وترجم له المامقاني وذكر علمه وفضله وثناء علماء الشيعة عليه، وذكر ميله الى الحكمة والتصوف وتصنيفه فيه. (٤)

وترجم له محسن أمين على أنه من أعيانهم وأعلامهم ووصفه بالفقيه، الحكيم، الفيلسوف المتكلم، المحدث ، الصوفي، وذكر كتابه" المجلي في مرآة المنجي" وأنه في العرفان والتصوف والأخلاق ، وقال: " وهو ذو فضائل جمة ، ولكن التصوف الغالي المفرط قد أبطل حقه". (٥)

ويصف الدكتور كامل مصطفى الشيبي مجيئه الى النجف، واستقبال الشيعة له بالحماس البالغ، والتقدير العظيم (٦) ، مما يدل على عدم إبطال حقه عند الشيعة، وأن محسن أمين ذكر هذه العبارة تقيةً لا غير لما ثبت عنه غلوه وإفراطه في التصوف والفلسفة والإلحاد .

---

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء (٥/ ٥٠-٥١).
(٢) روضات الجنات (٧/ ٢٦-٣٠).
(٣) الكنى والألقاب (١/ ١٨٣).
(٤) تنقيح المقال في علم الرجال (٣/ ١٥١).
(٥) أعيان الشيعة (٩/ ٤٣٤).
(٦) الصلة بين التصوف والتشيع (٢/ ٣١٧).

خاصة وأنه لم يُنقل عن أحد من أئمة الشيعة الطعن فيه عند من ترجم له ممن ذكرتهم ، بل لم يُشر أحد منهم الى شئ مما يشعر القدح فيه أو إبطال حقه. ثم ما هو الحق الذى يزعمه محسن بأنه قد أُبطل . وهاهو الخوانسارى ينقل ما ينقض قول محسن فيقول فيما ينقله عن صاحب مجالس المؤمنين ما نصه: " إنه بقي شهرا كاملا عند الشيخ على بن هلال بعد رجوعه من سفر حج بيت الله الحرام، يستفيد فيه من بركات أنفاسه ، ثم عاد الى وطنه الأصلى، ثم خرج منها الى زيارة أئمة العراق عليهم السلام. ثم عزم على زيارة مولانا الرضا عليه السلام والإقامة بأرض طوس المباركة، فأعطاه الله فى ذلك مناه، وجعل عاقبته خيرا من أولاه".(١) أي أنه بسبب زيارته لأضرحة الائمة،ومجاورته لها حصل له خير عظيم، ويدل على ذلك ثناء جماعة كبيرة من علمائهم عليه، واعترافهم بفضله، وتقديرهم إياه.

وذكر الشيبي أن ابن أبي جمهور راجع كتابه، ونقحه، وأضاف اليه، وأخرجه للشيعة، والطلاب خاصة فى النجف باسم: " مجلي مرآة النور المنجي من الظلام".

ويصف ابن أبى جمهور كتابه هذا فيما ينقله عنه الشيبي أثناء عرضه للكتاب وما فيه، فيقول إنه: " يشتمل على الحكمة الإلهية ، ونفائس أسرار العلوم العرفانية، وخلاصة زبدة الوصول ، ونهاية مراتب الكمال المأمول" . ويقول الشيبي:" أظهر فى كتابه، التقدير والإعجاب بمثيم البحرانى ، وحيدر الآملي الذى يصفه: " بالسيد العلّامة، المتأخر ، صاحب الكشف الحقيقى" وكذلك: " الفاضل المتأخر ، قطب الأقطاب ". وذكر أنه تبنى إكمال مسيرته فى سعيه مزج التصوف والتشيع فى فرقة واحدة. وقد تقدم ذكر ميثم البحراني وتصوفه، وذكرُ الآملى وغلوه فى التشيع والتصوف . وذكر الدكتور الشيبي أيضا استشهاده بأقوال أبي يزيد البسطامي، وحسين الحلّاج ، وأبو بكر الشبلي ، وأبو حامد الغزالي ، وابن عربي، بالاضافة الى أفلاطون وأرسطو، والفارابي ، وابن سينا، والرازي ، ونصير دين الشيعة الطوسي ، وغيرهم من أساطين التصوف والفلسفة ، وأركان الإلحاد والرفض . وذلك فى محاولته لتوحيد أفكار الفلاسفة ، والمتكلمين ، والصوفية، وإثبات أن هؤلاء جميعا فرقة واحدة، ذات عقيدة واحدة. ويقول أيضا :" إنه فى كتابه هذا يدعو الى عقيدة وحدة الوجود ، مستشهدا بأقوال المنحرف المأفون حسين الحلّاج، والتائه السكران طيفور البسطامي." ومؤيدا مذهبه هذا الفاسد ببعض الآيات القرآنية التي ظنها تؤيده فى دعواه، وتنصره فى باطله . مثل قوله تعالى: " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"(٢) وغيرها . ويقول :" إنه ذكر

---

(١) روضات الجنات (٧/ ٢٧).

(٢) سورة الأنفال / ١٧.

على بن أبي طالب بأنه الولى الذى نصبه الله، وحباه بالعصمة ، وجعله إنسانا كاملا ، يقوم مقام الرسول ، وأنه خلقه قبل آدم، واعتبره خاتم الأولياء ـ على طريقة ابن عربي، الذى اعتمد عليه فى هذه المسألة • ثم إنه جعل الائمة الاثني عشر أولياءً عارفين ، وشيوخا لائمة التصوف، حتى وصلت الولاية الى المهدي الذى صار بزعمه "قطب الوقت، وإمام الزمان ، وخليفة العصر ، وخاتم الولاية المحمدية" • مستشهدا فى ذلك كله بأقوال حيدر الآملي، وابن عربى، وعبد الرزاق القاشانى• (١)

كما ذكر الشيبى اهتمام وتقدير الشيعة لهذا المنحرف، فذكر أن معصوم علي الشيعي الصوفى وصفه بأنه من جملة الفقهاء الأعلام ، والمحققين العظام، الذين صححوا للشيوخ طريق التصوف، وصدّقوه، ووضعوا أسس العقائد الدينية" • (٢)

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع(٢ / ٣١٧ـ٣٢٢)ـ كما نقله عن كتاب المجلي لابن أبي جمهور•

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع(٢ / ٣٢٣)ـ كما نقله وترجمه عن الفارسية من كتاب طرائق الحقائق لمعصوم على•

(٩) محمد بن إبراهيم الشيرازي ، المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ

المشهور بصدر المتألهين ، وصدر الدين . ترجم له عبد الله الأصبهاني، وذكر إضطلاعه بالحكمة ، وكثرة مؤلفاته. (١)

وترجم له الخوانساري ووصفه بالمولى الفاضل ، والحكيم المتأله، وذكر تفوقه على سائر من تقدمه من الحكماء والعلماء الراسخين بزعمه، الى زمن نصير دينهم وملتهم الخواجة الطوسي، ووصفه بأنه منقح أسس الاشراق، بما لا مزيد عليه .

وذكر له مؤلفات كثيرة، منها: شرح على أصول الكافي للكليني، وشواهد الربوبية ، وشرح حكمة الاشراق ، والواردات القلبية، والمسائل القدسية والقواعد الملكوتية، وإكسير العارفين فى معرفة طريق الحق واليقين ، وغيرها مما له علاقة بالتصوف والفلسفة والإلحاد ، ونقل عن بعض علماء الشيعة قوله فيه : " كان حكيما فلسفيا ، صوفيا بحتا" . (٢)

وترجم له محسن أمين ،وعدّه من أعيان الشيعة وأعلامهم ووصفه بأنه من عظماء الفلاسفة الإلهيين الذين لايجود بهم الزمن إلا فى فترات متباعدة من القرون ، وبأنه المدرس الأول لمدرسة الفلسفة الإلهية فى القرون الثلاثة الأخيرة فى البلاد الاسلامية الإمامية — على حد تعبيره — وبأنه الوارث الأخير للفلسفة اليونانية والإسلامية، والشارح لهما والكاشف عن أسرارهما. وأنه تتلمذ على الشيخ البهائي الذى خلق منه صوفيا عرفانيا ، وفيلسوفا إلهيا فريدا قل نظيره، أولا نظير له . كان يقول ويصرح بوحدة الوجود، وألّف فيها رسالة "طرح الكونين فى وحدة الوجود"، ونقل عنه قوله : " إن وحدة الوجود هى التوحيد الحقيقى الذى لايشاب بالشرك ، لأن التوحيد توحيد فى العبادة وتوحيد فى الخَلْق وتوحيد فى الوجود" . ويسميه بالتوحيد الخاص. ونقل عنه زعمه :" أنه لطول اشتغاله بالمجاهدات، والرياضات فاضت عليه أنوار الملكوت وحلت فيه خبايا الجبروت ، والأضواء الأحدية، والألطاف الإلهية حتى تمكن من الإطّلاع على الأسرار" . ويقول محسن أمين إنه أُلف كتاب الأسفار وملأه بكل أفكاره، وآرائه ، ومكاشفاته، وشواهد الربوبية ، والواردات القلبية، والمشاعر الإلهية — بزعمه وزعم من ترجم له. وذكر شدة تحامله على العلماء والفقهاء وانتقادهم، والإكثار من الطعن فيهم وفي علومهم، لما ينكرونه على أهل العرفان والمكاشفات بزعمه .

---

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء(٥/ ١٥) .

(٢) روضات الجنات(٤/ ١٢٠—١٢٢) .

وذكر أنه يغلو فى تعظيم علوم الفلسفة والتصوف، ويعبر عنها بقول ابن عربى فى وصفها : " هذه قوابس مقتبسة من مشكاة النبوة والولاية، مستخرجة من ينابيع الكتاب و السنة ، ومن غير أن تُكتسب من مناولة الباحثين ، ومزاولة صحبة المعلمين " ٠ وذكر أنه يكثر من النقل عن ابن عربي فى جميع كتبه، ولا يذكره إلا بالتقديس والتعظيم، ويصفه بالحكيم العارف، والشيخ الجليل ، ويعتبره من أعاظم الإلهين القديسين ، والممثل لطائفة مشايخ الصوفية ، ويعبر عن أقواله التي يستشهد بها أحيانا أنها من النصوص الدينية التى يجب التصديق بها ، ولا يحتمل فيها الخطأ ٠وبعد النقل عنه يقول : " انتهى كلامه الشريف" تعظيما له وإجلالا ٠ ويقدم أقواله وآرائه على أقوال وآراء ابن سينا ونصير دينهم الطوسي فانه ينتقدهما ، ويفند آرائهما فى حين يتحاشى مخالفة ابن عربى ويصف آرائه أحيانا بأنها مما لايمكن الوصول إليها إلا بمكاشفات باطنية [1] ٠ كل هذا الإجلال والتعظيم والتقديس لأنه أحيا دينهم ، ونصر ملتهم بأفكاره وعقائده الخبيثة ، ودعوته الى توحيد الأديان ، ومساواة أهل الشرك والإلحاد بأهل الايمان باسم الكشف والحقيقة والمعرفة ٠

---

(١) راجع أعيان الشيعة (٩ / ٣٢١ ـ ٣٣٠) ٠

(١٠) روح الله بن مصطفى الخميني• الهالك سنة ١٤٠٩هـ

يلقب بآية الله العظمى• علم من أعلام الشيعة ، وإمام من أئمتهم فى الرفض والتصوف• شاء الله تعالى أن تقوم على يديه دولة الشيعة فى هذا القرن ، فرفع لواء الرفض والتشيع، ووحد جيوش التشيع رغم اختلاف أفكارها وعقائدها لمواجهة أهل السنة المخالفين لهم فى رفضهم ، ولإقامة الامبراطورية الشيعية تمهيدا لخروج صاحب أمرهم من غياهب السراديب لتولي أمور الشيعة، وقيادتهم •

إن تشيع الخمينى ورفضه أصبح أمرا معلوما لدى أكثر أمم أهل الأرض ، وأما تصوفه، وهو الذى يَعنينا فى هذا المبحث،فلعله يخفى على كثير من أهل العلم وطلابه، فضلا عن العامة• وإن تكفير الخمينى على رفضه وتشيعه ، وغلوه فى دينه المنحرف أيضا أمر شاع وعم، فقد كتب فيه كثير من طلبة العلم فى رسائل خاصة، وأجمع علماء الأمة الاسلامية على تكفيره فى المؤتمر الإسلامى العام الثالث المعقود بمكة المكرمة فى صفر سنة ١٤٠٨هـ ، وقد جُمعت نصوص وفتاوى وقرارات المؤتمر فى رسالة ، نشرتها منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبي• والحق أن الأمور العقائدية التى يكفر بها الخميني ، والتى ذكرت فى الرسائل الكثيرة التى ألفت فى هذا ، ليست خاصة بالخمينى وحده، بل هى من أصول مذهب الشيعة والرافضة قديما وحديثا• فالخميني لم ينفرد بها ، بل هذا دينه ودين الشيعة قاطبة،فالحكم بالتكفير يعمهم، وليس خاصا به وحده• فالغلو فى الأئمة وعلومهم وعصمتهم وقدراتهم و خصائصهم، والغلو فى الطعن فى الخلفاء والصحابة وسبهم ولعنهم وتكفيرهم، وموقفهم من القرآن وتحريفه وتبديله، كل هذا وغيره من أصولهم المعتمدة وعقائدهم المدونة فى أصولهم القديمة • ولم أجد خلال استعراضي لما كُتب فى الخميني وضلالاته وكفرياته،من تعرض لمذهبه وأقواله التى تمثل غلوا شنيعا فى التصوف الفلسفي المفضي بصاحبه الى الكفر والإلحاد فى دين الله تعالى• وبين يديّ بعض مؤلفاته فى هذا المذهب وسأحاول أن أنتخب ما يدل على ضلاله وانحرافه فى باب التصوف والعرفان•

يقول الملقب بالعلّامة وحجة الاسلام والمسلمين أحمد الفهرى ، الذى جند نفسه لنشر كتب ومؤلفات الخميني، وقد ذكر أنه استأذنه فى نشر بعضها فأذن أيام رئاسته ، وذلك سنة ١٤٠٢هـ • يقول الفهرى عن إمامه وقدوته معرّفا به :

" ولد الخميني سنة ١٣٢٠هـ ، وهو من عائلة دينية فى بلدة خمين ، تلقى علومه فى أصفهان ، ثم انتقل الى قم ، وهناك درس الفلسفة والحكمة على يد آية الله رفيعي،

والعرفان العلمي والعملي على يد آية الله شاه أبادى . ثم تولى تدريس الفلسفة والعرفان في مدينة قم. وذكر أنه كان يكن تقديرا خاصا لأستاذه فى العرفان من بين جميع أساتذته، وكذلك لصدر المتألهين الشيرازي الفيلسوف المتصوف" . (١)

وفى كتاب آخر، قدم له فيه أيضا يصفه فيقول :

" الإمام الثائر العظيم، الراهب الأواه المتأنن فى الليل ، والأسد المغرد في النهار، المتعالى من سلالة الطاهرين الطيبين من آل طه ويس ، ... أمثولة علي عليه السلام فى الأرض ، بخصائص من الإمام الغائب ..... مقداما وممهدا لحكومة المهدي ... أمين رسول الله .... صاحب الروح المتلاطم من العرفان ... وفكره النقاد الفلسفي في مرآة أفكاره وشخصيته الملكوتية المنعكسة فى تأليفاته المتعددة ... أستاذ العصر فى العرفان. الموصي أصدقاءه الروحانيين بكتم أسرار الربوبية والنواميس الإلهية عن غير أهلها، وسترها عن جميع الأجانب ." (٢)

ويقول فى تقديمه لكتاب آخر:

لقد أسس الجمهورية الإسلامية .... وحقق حلم الأنبياء، والرسول الأعظم ، والأئمة المعصومين عليهم السلام" . (٣)

هذا الغلو فى وصف الخميني ، كتبه علّامتهم الفهرى ، وطبعه، ونشره أيام حياة الخمينى، فلا شك أنه اطّلع على هذا كله وأقره .

وأما صوفيات الخميني وفلسفاته ، فقد قسمتها الى :

أولا : ما يتعلق بالغلو فى الولاية والأولياء:

يقول الخميني فى تعريف الولاية: " الولاية هى القرب، أو المحبوبية، أو التصرف، أو الربوبية، أو النيابة ..." (٤)

ويقول : " فللأولياء والسالكين الى الله، والمهاجرين إليه، والمطيفين حول حريم كبريائه أحوال ، وأوقات ، وواردات ،ومشاهدات ،وخطوات، واتصالات . ومن محبوبهم

---

(١) راجع مقدمة كتاب شرح دعاء السحر.

(٢) راجع مقدمة كتاب مصباح الهداية الى الخلافة والولاية .

(٣) راجع مقدمة كتاب سر الصلاة وصلاة العارفين.

(٤) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/٥٧) .

ومعشوقهم تجليات، وظهورات، وألطاف ، وكرامات ،و إشارات ، وجذبات، وجذوات، وفى كل وقت وحال يتجلى لهم محبوبهم بما يناسب حالهم..."

ويقول أيضا : " إن قلوب الأولياء والسالكين مرآة تجليات الحق، ومحل ظهوره، كما قال تعالى لموسى: يا موسى لا يسعني أرضي ولا سمائى، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن..." (١) ويزعم أن هناك أسفارا أربعة معنوية يسلكها الأولياء والعارفون فى معراجهم وطريقهم الى بلوغ الغاية والكمال". فالأول: السفر من الخلق الى الحق برفع الحجب.... وفيه يشاهد السالك جمال الحق ، ويغنى عن ذاته، ويعرض له المحو، ويصدر عنه الشطح..." . والثاني : " السفر من الحق الى الحق بالحق... فتصير ولايته تامة، وتغنى ذاته وصفاته وأفعاله فى ذات الحق وصفاته وأفعاله، وفيه يحصل الفناء عن الفنائية". والثالث: " السفر من الحق الى الخلق.... ويحصل له الصحو التام ، ويسافر فى عوالم الجبروت والملكوت والناسوت ، ويحصل له حظ من النبوة بلا تشريع.." والرابع: " السفر من الخلق الى الخلق بالحق، فيشاهد الخلائق وآثارها، ولوازمها ، فيعلم مضارها ، ومنافعها ... فيخبر بها، فيكون نبيا بنبوة تشريع" (٢) . ويوضح ذلك فيقول : ".... وفى هذا السفر يُشرِّع الأحكام الظاهرة القالبية ، والباطنة القلبية ، ويُخبر وينبيء عن الله وصفاته ، وأسمائه ، و المعارف الحقة ، على قدر استعداد المستعدين" . (٣) ويزعم أن هذه الأسفار تحصل للأولياء، وخاصة الكُمل منهم، وحتى السفر الرابع، ويؤكد قوله وزعمه بأنه قد حصل هذا الرابع" لأمير المؤمنين وأولاده المعصومين ." (٤)

وأما عن علوم الأولياء، فإنه لما قرر أن للقرآن منازل ، ومراحل ، وظواهر، وبواطن زعم أن ظواهر القرآن الموجودة فى قشور ألفاظه هو رزق المسجونين والمحرومين ، وأما الأولياء فإنهم يمسون سائر مراتب القرآن" . (٥)

وأما عن قدراتهم وتصرفاتهم فى الأكوان فيقول :

إذا بلغ الإنسان مرتبة تفنى فيه قواه وإرادته فى إرادة الحق ، "تبدأ النتائج العظيمة، فيكون الانسان الطبيعى إلهيا... وتنهزم جنود إبليس ... ويكون نتيجة

---

(١) شرح دعاء السحر (ص/ ٤١) .
(٢) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/ ١٤٨ـ١٤٩) .
(٣) المصدر نفسه (ص/ ١٥١) .
(٤) المصدر السابق (ص/ ١٥٣) .
(٥) شرح دعاء السحر (ص/ ٤٩ـ٥٠) .

هذا التسليم لإرادة الحق فى الآخرة أن الحق تعالى ينفذ إرادة صاحب هذا القلب فى العوالم الغيبية، ويجعله مثلا أعلى لنفسه تعالى . فكما أنه تعالى وتقدس يوجد كل ما أراد بمجرد الإرادة، يجعل إرادة هذا العبد أيضا كذلك ..." ثم استشهد بقوله: " كما رواه بعض أهل المعرفة عن النبي صلى الله عليه وسلم" ، يريد ابن عربى الذى نسب الى رسول الله قوله إن ملكا يأتي أهل الجنة بكتاب من الله تعالى فيه: " من الحي القيوم الذى لايموت، إلى الحي القيوم الذى لايموت ، أما بعد: فإني أقول للشيء كن فيكون ، وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون..." (١) وذكره الخميني مستشهدا به ومستدلا على دعواه. (٢)

ويقرر الخميني أن المعجزات والكرامات" فرع إظهار الربوبية والقدرة، والسلطنة ، والولاية فى العوالم العالية والسافلة" ، ورغم أن الأنبياء والأولياء قد أعطوها، إلا "أنهم يأبون إظهارها إلا عند الضرورة ، مع أن هيولي عالم الإمكان مسخرة تحت يدى الولي ، يقلبها كيف يشاء". ثم استدل أيضا بما نسبه الى ابن عربى بقوله: " كما رواه بعض أهل المعرفة عن النبي" ، كما تقدم أعلاه. (٣)

ثانيا : ما يتعلق بالأسرار التى يجب سترها ـ أو التقية الصوفية :

إن الخمينى كغيره من الصوفية يقسمون الشريعة الى ظاهر وباطن، والآيات القرآنية كذلك، وتقدم قوله فى مراتب القرآن. ونتيجة لهذه الدعوى فإنهم خاضوا فى فلسفات ومنكرات من القول والفعل زاعمين أن باطن الشريعة تؤيدهم، وتشهد لهم، رجاء سكوت أهل العلم عنهم وعن منكراتهم. ولما رأوا مواجهة العلماء والإنكار عليهم لجأوا الى هذه الحيلة الخبيثة زاعمين أن علومهم من الأسرار التى يجب سترها وكتمها عن غير أهلها، لأن عقولهم لا تطيق فهمها لعدم تذوقهم هذه المعارف ، وعدم شربهم من منابع التصوف.

فيقول الخميني فى هذا :

" خاتمة ووصية: إياك أيها الصديق الروحاني ثم إياك ، والله معينك فى أولاك وأخراك أن تكشف هذه الأسرار لغير أهلها... فان علم باطن الشريعة من النواميس الإلهية، والأسرار الربوبية، مطلوب ستره عن أيدي الأجانب وأنظارهم..." (٤)

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربى، الباب ٣٦١ فى معرفة منزل الاشتراك مع الحق فى التقدير (٣/٣٩٥).

(٢) الآداب المعنوية للصلاة (ص/٧٢).

(٣) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/٩٠ــ٩٢).

(٤) المصدر السابق (ص/١٥٤).

ويقول أثناء تعرضه لمسألة الأسماء والصفات ما نصه :

"فالأسماء والصفات من الحجب النورية التى وردت أن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، وهاهنا أسرار لا رخصة فى إظهارها". (١)

ويقول فى موضع آخر ما نصه :

"وتحت ذلك سر لا طاقة لإظهاره، وبالحري أن نضعه تحت أستاره". (٢)

هكذا يتبجح بمثل هذه العبارات ونحوها، ليوهم الغوغاء بما يزعمه وغيره، بإحاطتهم ببعض أو جميع أسرار الربوبية ، والعلوم السرية التى يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر بها الى علي بن أبي طالب.

ونتيجة لهذا التقسيم وهذه الدعوى قامت صراعات طويلة بينهم وبين أهل العلم والفضل ، مما أسفر عن سوء موقفهم من العلم والعلماء، والطعن فيهم، والتحذير منهم بحجة طعنهم وتجريحهم لأهل الأذواق والمعارف. فيقول محذرا مريديه من طلب العلم ما نصه:

"ان السالك لطريق الحقيقة يقع أثناء سيره وسفره فى حجاب العلم ، وهو من الحجب الغليظة، وقد قالوا :" العلم هو الحجاب الأكبر". ولابد ألا يبقى فى هذا الحجاب، وأن يخرقه، ولعله إذا اقتنع بهذا المقام – أى مقام العلم – وسجن قلبه فى هذا القيد ، يقع فى الاستدراج ،... فعلى السالك ألا يغتر بمكايد الشيطان فى هذا المقام، ولا يحتجب بكثرة العلم وغزارته".. (٣)

هكذا يريدون أتباعهم ومريديهم جهلة لا يعلمون ولا يميزون شيئا من أمور دينهم ، ليكونوا فريسة لهؤلاء الطواغيت فى تنفيذ جرائمهم ضد الاسلام والمسلمين .

وينصح مريديه وأتباعه ألا يطعنوا أو يسيئوا الظن بأهل المعرفة والكشف ثم يقول :

" كما هو دأب بعض المنتسبين الى العلم، فإنهم جعلوا ميزان عدم صحة المطالب ، عدم اطلاعهم عليها، أو عدم فهمهم إياها. فتراهم يتّهمون هؤلاء العظماء بكل تهمة، ويغتابون هؤلاء المكاشَفين كل الغيبة، مع أنها أشد من الزنية، تعصبا منهم تعصب الجاهلية". (٤)

---

(١) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/ ٤٠).

(٢) المصدر نفسه (ص/ ٧٣).

(٣) الآداب المعنوية للصلاة (ص/ ٣٦).

(٤) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/ ١٤٦).

نعم يا عدو الله ، بل ويكفرونك وإياهم أن استحقوا ، وليس عصبية كما تزعم، وإنما غيرة على دين الله، وذبا عنه انتحالاتكم ومفاسدكم ، ولعدم وجود أدلة نقلية شرعية تؤيـــد دعاواك ودعاواهم فى الكشف وغيره.

ويقول أيضا : " فإن أعظم القذارات المعنوية التى لايمكن تطهيرها بسبعة أبحـــر ، وأعجزت الانبياء العظام، هى قذارة الجهل المركب، الذى هو منشأ الداء العضال ، ألا وهـو إنكار مقامات أهل الله، وأرباب المعرفة ، ومبدأ سوء الظن لأصحاب القلوب... " (١) وهـل يا خمينى إنكار مقامات مزعومة أعظم قذارة من لعن وتكفير سادات الأمة وحملة الديـــن ، أرباب المقامات الحقيقية ؟

ثالثا : ما يتعلق بوحدة الوجود :

إن عقيدة وحدة الوجود، هو دين الصوفية وتوحيدهم الذى لا يبلغه إلا أهـــل الكمال وخاصتهم. ولقد شرعوا لأنفسهم بعض العقائد والسلوكيات المنحرفة ليدخلوا منها ويبـدأوا رحلتهم التى توصلهم الى الغاية والكمال . فزعموا أن هناك معراجا تعرج من خلاله أرواحهـم الى الحق ، ومشاهدات وتجليات تحصل لهم،يشاهدون منها جمال الحق ، وأسرار الربوبية ، ويصلون الى درجة الفناء، فلا يشاهدون غير الحق، الى غير ذلك من مزاعم هى أبـــواب ومداخل لهذه العقيدة الخبيثة.

يقول الخميني:

" إن السالك يكون مشاهدا جمال الجميل فى تجليات حضرة المحبوب، على نحـو تكون جميع مسامع قلبه مسدودة عن سائر الموجودات، وتكون بصيرته مفتوحة لجمال ذي الجـلال الطاهر، ولايشاهد غيره" . (٢)

ويقول أيضا :

" فان أصحاب القلب، وأهل الله لايقفون فى حد الايمان، بل يقدمون منه الـى منزل الكشف والشهود، وهو يحصل بالمجاهدة الشديدة، والخلوة مع الله، والعشق للــه، كما جاء عن الصادق : " العارف شخصه مع الخلق، وقلبه مع الله ، لو سها عن اللـــه طرفة عين لمات شوقا اليه... " (٣)

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة (ص/١١٣).
(٢) المصدر نفسه (ص/٨٠).
(٣) المصدر السابق (ص/١٧٨).

ويقول أيضا :

" إن العارف إذا بلغ مقام التخلق بأخلاق الله يكون موردا للعنايات الخاصة ، فالحق يؤيده بلطفه الخفي الخاص ، ويستره تحت حجاب كبريائه على نحو لا يعرفه غيره ، وهو أيضا لا يعرف غير الله بدليل قول الله : " إن أوليائى تحت قبابي لا يعرفهم غيري " . (١)

ويقول أيضا :

" فالمجذوبون لجمال الجميل ، والعاشقون للحسن الأزلى ، .. والسكارى من كأس المحبة ، والمصعوقون من قدح ألَسْت ، الذين فرغوا عن الكونين ، .... وتعلقوا بعز قدس جمال الله ، فلهم دوام الحضور ، وليسوا مهجورين عن الذكر ، والفكر ، والمشاهدة ، والمراقبة لحظة واحدة . " (٢)

ويقول فى بيان صلاة العارفين ، حيث يصور أن الصلاة معراج العارف الى عالم الكشف والحقيقة ، ولايدرك ذلك إلا الأولياء ، وكتابه هذا كتبه كله على طريقة المتصوفة ، فكثيرا ما يقول : أيها العارف ، وأيها السالك ، وأيها الواصل . ويستعمل عباراتهم كثيرا مثل : الفناء ، والجذب ، والسكر ، والمحو ، والصحو ، والصعق ، وغير ذلك من ألفاظهم التى اشتهروا بها .

يذكر مسألة النية فيقول :

" النية عند العامة : العزم على الطاعة خوفاً أو طمعاً . وعند أهل المعرفة : العزم على الطاعة هيبة وتعظيما ، وعند أهل الجذبة والمحبة : العزم على الطاعة شوقا ومحبة ، ونسب الى رسول الله قوله " أفضل الناس من عشق العبادة ... " والى الصادق قوله : ولكني أعبده حبا له ، وتلك عبادة الكرام ، وفى رواية ، الأحرار " . وعند الأولياء : العزم على الطاعة تبعا وغيرا ، بعد مشاهدة جمال المحبوب استقلالا وذاتا ، والفناء فى الجناب الربوبي ذاتا وصفة وفعلا " . وزعم أن هذه كانت عبادة النبى والائمة ، ونسب الى رسول الله قوله : " لى مع الله حالات لايسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل " ، ونسب الى الصادق أنه كان فى صلاةٍ يوما فخر مغشيا عليه ، فسئل فقال : مازلت أكررها حتى سمعتها من قائلها " . (٣) وذكر الرواية مطولة فقال : مازلت أردد هذه الآية على قلبي ، حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته " (٤) .

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة (ص/ ١٨٠) .

(٢) المصدر نفسه (ص/ ١٩٥) .

(٣) سر الصلاة وصلاة العارفين (ص/ ١٥٧ـــ١٥٨) .

(٤) الآداب المعنوية للصلاة (ص/ ٦٧) .

ويقول فى مسألة المشاهدة المزعومة :

" واعلم أن السالك بقدم المعرفة الى الله لا يصل الى الغاية القصوى ، ولايستهلك فى أحديّة الجمع، ولا يشاهد ربه المطلق ، إلا بعد تدرجه فى السير الى منازل ، ومـــدارج ومعارج من الخلق الى الحق المقيد، ويزيل القيد يسيرا يسيرا ، وينتقل من نشأة الى نشـأة ومن منزل الى منزل ، حتى ينتهي الى الحق المطلق " . (١)

ثم يقول مصرحا بالنتيجة، فيما ينقله عن أحد فلاسفة الشيعة:

"وهو تعالى كل الوجود ، وكله الوجود، كل البهاء، والكمال ، وهو كله البهـــاء والكمال ، وما سواه على الإطلاق لمعات نوره، ورشحات وجوده، وظلال ذاته" . (٢)

ويقول أيضا :

" .... وعند ذلك ينكشف على قلب السالك بفضل الله، وموهبته، أن النور هـــو الوجود، وليس فى الدار غيره، نور وظهور" . (٣)

ويقول أيضا :

" فاذا خرقت الحجب الظُلمانية، رأيت ظهور الحق فى كل الأشياء..." (٤)

ويقول أيضا :

" فان قلت إن الله ظاهر فى الأكوان ، ومتلبس بلباس الأعيان صدقت..." (٥)

ويقول فيما نسبه الى أحد الأئمة بعد نقله نصوصا فى وحدة الوجود عن القونـــوي والقاشاني قوله: " لنا مع الله حالات هو هو ، ونحن نحن، وهو نحن، ونحن هـــو."

ثم يقول إن كلمات الشيخ الكبير محي الدين مشحونة بأمثال ذلك مثل قوله: الحق خلق ، والخلق حق ..." (٦)

ويقول أيضا :

"فإن الإنسان مظهر اسم الله الأعظم الجامع لجميع مراتب الأسماء والصفات بنحـــو أحدية الجمع والعقل" . (٧)

---

(١) شرح دعاء السحر (ص/٢٦ـ٢٧) .

(٢) نفس المصدر (ص/٣٣) .

(٣) المصدر السابق (ص/٥٠ـ٥١) .

(٤) المصدر السابق (ص/١٥٨) .

(٥) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/٨٢) .

(٦) نفس المصدر (ص/١١٤) .

(٧) المصدر السابق (ص/١٢١) .

هذه بعض أقواله ونقوله فيمصنفاته ، ثم إنه يعظم فلاسفة الشيعة المتصوفين كثيرا ، ويثنى عليهم، ولا يذكرهم إلا بعبارات المدح والتبجيل ، مثل صدر المتألهين الشيرازي ومحسن الفيض القاشاني، وغيرهما من مشاهير أهل الفلسفة والعرفان من الشيعة، المتأخرين، وكذلك المتقدمين منهم مثل : صدر الدين القونوى ويصفه بخليفة الشيخ الكبير محي الدين ، وعبد الرزاق القاشاني، وهما من أخص تلامذة ابن عربى من الشيعة٠

وكذلك الحال مع الفلاسفة المتصوفين المنتسبين الى أهل السنة مثل ابن عربى ، الذى يبالغ فى الثناء عليه ووصفه، فيقول مثلا : الشيخ الكبير، صدر الحكماء المتألهين، شيخ العرفاء الشامخين، العارف الكامل ٠٠٠٠ وكذلك ابن سينا وغيرهما٠ وكذلك الحال حتى مع الفلاسفة غير المسلمين كفلاسفة اليونان وغيرهم ٠ فيقول مثلا : أفلاطون الإلهى، أرسطو العظيم، فرفوريوس من أعاظم الحكماء فى علم الله٠

وهذا يدل على مدى تعظيمه للفلسفة والفلاسفة، خاصة من جمع منهم بين التشيع والفلسفة والتصوف ٠

والخميني ظل على تصوفه المنحرف حتى اللحظات الأخيرة من حياته٠ فقد كتب وصية للشيعة وصفها بأنها إلهية ، وفيها يودع الشيعة ومحبيه ويستأذنهم فى الرحيل الى الحياة الأخرى بزعمه٠ يقول فى مقدمة الوصية ما نصه: " ٠٠٠٠ اللهم صل على محمد وآله، مظاهر جمالك وجلالك، وخزائن أسرار كتابك ، الذين تجلت فيهم الأحدية بجميع أسمائك حتى المستأثر منها الذى لا يعلمه غيرك٠٠٠ "(١) كما نظم قصيدة صوفية منحرفة قبل هلاكه بشهر أو شهرين عبر فيها عما فى نفسه من تصوف وانحراف ٠ يقول فيها :

يا حبيبى أسرني خال على شفتيك ... رأيت عيونك الناحلة فصرت نحيلا
فرغت من نفسي فصرخت أنا الحق ... فطلبت المشنقة مثل منصور الحلاج
الحنين الى المحبوب وضع فى روحي شرارة ... وأنا أصرخ من لوعة الفراق
ويشار لى بالبنان افتحوا باب الحان لى ليل نهار
فقد سئمت من المسجد والمدرسة ... خلعت لباس الزهد والرياء ولبست
لباس الدليل الى الحب فصحوت ... ضجرت من مواعظ فقهاء المدينة
فطلبت الاستغاثة من المرشد المخمور ... دعوني أتذكر معبد الأصنام
لأن صنم الحانة هو الذى أيقظني (٢)

---

(١) نص الوصية الإلهية السياسية للامام القائد الموسوي الخميني ـ المقدمة (ص/٣) ٠

(٢) نُشرت عبر تلفزيون جمهوريتهم، ونقلتها وكالة أنبائهم بعد هلاكه مباشرة، وقد نشرتها جريدة الشرق الأوسط فى عددها (٣٨٥٢) بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٤٠٩هـ، الموافق ٥/ ٦/ ١٩٨٩م٠

إن هذه الأبيات لو قرأها قارئ، ثم نُسبت الى ابن الفارض، شاعر الزندقة الصوفية والملقب بسلطان العاشقين، لم يجد ذلك القارئ ما يستنكره بين الأبيات وبين نسبتها الى ذلك الشاعر المنحرف . فالخمينى يشابهه فى أسلوبه ورموزه فى شعره أو ابتهالاته الصوفية، فقد استعمل الحانة، والخمر، والنساء، والأصنام فى دعواه المحبة التى نص على أنها مثل محبة الحلّاج، وأنه سئم المسجد والمدرسة ولباس الزهد لأنه طالما سجن نفسه فى هذه السجون والقيود، وتظاهر بها تقية، فنضح بما فى قرارة نفسه من ضلال وانحراف عن دين الاسلام الذى طالما تظاهر به عمرا طويلا ، وها هو يكشف عن كفره فيقول " أنا الحق "، ثم مقتديا بمن يلقبه هو وغيره بشهيد المحبة، ثم يستر هذا الكفر بتظاهره بطلب مشنقة الحلّاج موهما الغوغاء باستحقاقه مصير قدوته الحلّاج لأنه كشف أسرار الربوبية المزعومة، تلك الحيلة التى يسترون بها ألوان كفرهم ومروقهم عن دين الله . نعم لو كانت دولة الاسلام، ولو كان علماء الاسلام ،وقضاته، وحكامه وسلاطينه، كما كان أيام الحلّاج، لنصبت المشانق ، وأضرمت النيران ، وأحضر السيافون ، فإن الأمر فيك غاية فى الوضوح ، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان وحده على ما تُجرمون .

هذه تراجم بعض أعلام الشيعة ، وأئمتهم المشهورين ، ممن ألف وصنف فى التشيع أمهات كتبهم المعتمدة فى مذهبهم ودينهم، وممن اشتهر أيضا بالتصوف المنحرف عن جميع الشرائع والأديان ، والمخالف لجميع الفطر والعقول السليمة .

ويظهر من هذه التراجم مدى علاقة الشيعة، واهتمامهم بالتصوف، ونشره، وخاصة ما يتعلق بالحلول والاتحاد، وتعظيم أمر الفلسفة ، وصبغها بصبغة شيعية لبلوغ أهدافهم، فى بث أفكار التشيع والرفض بين الناس ، وستره بالتصوف ومظاهر الزهد.

وقد انكشف هذا الأمر ، واتضح بمافعله نصير الشرك والإلحاد أيام دولته ووزارته ، حيث أظهر الكفر والإلحاد، وقتل المسلمين، العلماء منهم والعوام. ولقد اشتهر فى التاريخ أن الدولة الفاطمية كانت تبث الرفض والتشيع تحت ستار الزهد والتصوف، وحب آل البيت، كما هو معلوم ومشهور. كما يظهر هذا الاتجاه، وهو تسخير التصوف، وجعله مطيّة لدين الرافضة ، ومذهبهم بصورة واضحة أيام الشاه إسماعيل الصفوى، أول ملوك الدولة الصفوية الشيعية الإمامية، وموطد دينهم ودولتهم . يذكر الشيعة أنفسهم : بأنه لم يكن هو، ولا أحد من آبائه ، وأجداده من السلاطين، وإنما كانوا من مشايخ الصوفية ،

ممن تعظمهم العامة، وتحترمهم الملوك، ويعتقدون فيهم الولاية والكرامة. ولما ملك ابنهم إسماعيل ، تركوا التصوف، وأظهروا التشيع والرفض ، وحاربوا غير الشيعة . وأظهر هذا الشقي ، مذهب الإمامية في ايران ، وكان يفتخر لعنه الله بترويج هذا المذهب ،وتأييده، بعد قتل الآلاف من الناس، ومن أجلة العلماء والفقهاء، وإحراق كتبهم، وحتى مصاحفهم .

إن هذه الحقائق يذكرها حتى الشيعة أنفسهم في كتبهم ومراجعهم(١) ، ولقد ذكروا أن حقد هذا الشقي على أهل السنة، قد بلغ حتى الأموات منهم. فيذكرون أنه هدم قبر عبدالرحمن الجامي الصوفي الفارسي المشهور، صاحب نفحات الأنس، ونبشه. وكذلك فعل بقبر أبي إسحاق الكازروني المشهور، وقبر عين القضاة الهمذاني الصوفي المقتول لزندقته وتشيعه ، ولقد غلا في التصوف حتى قال بعض العبارات التي توافق مذهب الشيعة في الإمامة والغلو في الأئمة، فاتهمه علماء عصره بالتشيع ، وهو لم يقل إلا ما أملاه عليه تصوفه في الأئمة التي تزعم الشيعة نسبتهم إليهم . المهم أن إسماعيل هذا هدم قبورهم وأضرحتهم، وقبور غيرهم من مشاهير المتصوفة الذين لم يكونوا على دينه في الرفض(٢). "ولم يشفع لهم كونهم من الأموات ، ولا كونهم من مشاهير وأعلام التصوف ، ذلك المذهب الذي كان يتظاهر به هو وآباؤه وأجداده، ولا كون بعضهم قد قتل لتشيعه. هذا هو الرفض والتشيع. ألا فلينتبه الغافلون ، وليستيقظ النائمون ، وأخص منهم الصوفية المخدوعين ، الذين لا ينكرون من المذاهب والفرق شيئاً ،ولا يبغضون في دين الله أحداً حتى أهل الرفض والتشيع. وأنقل نصا عن شيعي في إسماعيل هذا، لعل ذلك يجد طريقا الى قلوب النائمين والغافلين فيوقظهم من رقدتهم . يقول نعمة الله الجزائري : لما أتى اسماعيل الى شيراز، وكان أكثر علمائها من المخالفين ، (أي أنهم من أهل السنة والجماعة) ، أحضرهم ،وأمرهم بلعن الخلفاء الثلاثة. فامتنعوا عن اللعن ، لأن التقية لا تجوز عندهم في اللعن وأضرابه، فأمر بقتلهم" .(٣) رحم الله أولئك العلماء، وأسكنهم فراديس الجنان ، فقد ضحوا بأرواحهم

---

(١) راجع ترجمة إسماعيل الصفوى في أعيان الشيعة(٣/٣٢١) . وقد ذكره الخوانساري ووصفه بقوله: "... الخارج على دولة الباطل بسيفه القاطع، والفتح المبين . وكان بدء خروجه من بلاد جيلان مع بعض الصوفية المريدين له، ولآبائه العرفاء الراشدين في سنة ٩٠٦هـ، ثم فتح بلاد أذربيجان على وفق المراد،وأمر باظهار مذهب الإمامية على رؤوس الأشهاد بسنتين بعدها" .روضات الجنات(٢/٣٣٢) .

(٢) انظر الصلة بين التصوف والتشيع(٢/٣٧١) .

(٣) الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية(٢/٣٥) .

ودمائهم فى سبيل الله وإعلاء دينه الحق .

وأخيرا ، محاولة الخميني الرافضي المتصوف، بعد أن مكنه الله تعالى لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ، من الوصول الى السلطة، رفع لواء الرفض، واجتهد بخيله ورَجله أن يفعل كما فعل الشاه إسماعيل ، فخلع ثوب الزهد ، وخرج من خلوته الصوفية ، شاهراً سيف الرفض، ورافعا لواءه أمام جيوش أهل السنة ، الذين مزقتهم الفرقة، وأشغلتهم الشهوات وحب الدنيا ، فعمل الخميني بيديه ورجليه ليطفيء نور الله، ويبث سمومه فى أرض الله زاعما تمهيد إقامة الدولة المهدية المزعومة. " ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" (١) . " والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون" . (٢)

ولما يئس الخميني، وخاب فى مسعاه، وأيقن بالبوار فى الدنيا قبل الآخرة، أعاد الأمور الى مجاريها ، فأظهر التصوف، وتغنى به، ليكون سبيل من بعده، كما كان لمن قبله، فى تحقيق أغراضهم ومقاصدهم.

هكذا استغل الرافضة ، ومازالوا ، هذا المذهب بعد أن طوروه كثيرا ليتلاءم مع عقائدهم . ولقد تمكنوا من خلاله نقل كثير من الناس الى الرفض والتشيع، وجعل كثير منهم يلتزم التصوف، ويقف عند حدوده دون الدخول فى الرفض، ولكن الرافضة قد أمنو جانب هؤلاء بماأشغلوهم به من طقوس ، وبما حجبوهم عن العلم وأهله ،ليكونوا متصوفين، لا ينكرون ، ولا يقاومون ، فضلا عن أن يجاهدوا ، ويكفّروا من يتظاهر بالإسلام، ولوكان مبطنا لأنواع الزندقة والرفض والإلحاد.

---

(١) سورة الأنفال / ٠٣٠.
(٢) سورة يوسف / ٠٢١.

الفصل الثانى

وحدة المناهج التعليمية والتربوية

المبحث الأول

تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن

فرض الله سبحانه وتعالى على عباده طاعته وامتثال أمره فى جميع ماأمرهم به ونهاهم عنه، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب تيسيرا لهم لبيان أمره ونهيه ، ومايحبه ويكرهه ، وقد جعل سبحانه وتعالى ذلك كله بلسان مبين ، ولغة توافق المكلفين، ولا يجدون فى فهمها مشقة ولا كلفة. و أرسل سبحانه وتعالى آخر رسله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأنزل معه القرآن بلسان عربي مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم مراد الله تعالى وامتثلوا أمره ونهيه بلا تعسف ولا تحريف. وعلم المسلمون جميعا، أن الله تعالى قد فرض أعمالا من الطاعات على الجوارح الظاهرة ، وأعمالا واعتقادات فرضها سبحانه وتعالى على القلوب الباطنة . واتفق المسلمون على تقسيم التكاليف الشرعية الى نوعين :

ظاهرة، تظهر للناس عامة لأن محلها الجوارح الظاهرة، كالصلاة والصيام وغيرهما من أركان الاسلام.

وباطنة ، تخفى على الناس ولا يعلمها إلا علام الغيوب لأن محلها القلب والباطن كالايمان بالله تعالى ورسله وملائكته وسائر أركان الايمان.

وعلى هذا التقسيم قام الإسلام وانتشر، وجعل الله تعالى لولاة الأمر الحكم على العباد بما يكون من ظاهر حالهم وفعلهم كالدخول فى الإسلام، والارتداد عنه، وكذلك إقامة الحدود والأحكام بين العباد ، بينما اختص هو سبحانه وتعالى بباطن حالهم، وحقيقة أمرهم لعلمه واطلاعه على خائنة الأعين وما تخفي الصدور. فالشريعة إذاً من حيث أحكامها على الناس وأعمالهم تشمل : أحكاما تتعلق بظاهر الأعمال، وأخرى تتعلق بباطن الأعمال وهذا هو المراد بالظاهر والباطن فى الشريعة الإسلامية كما فهمه الصحابة وتلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما يقرره أهل السنة والجماعة فى مناهجهم الشرعية. ولقد دأب المسلمون على الاهتمام بإصلاح ظواهرهم وبواطنهم كما أراد الله تعالى منهم، مع صرف العناية العظمى فى إصلاح الباطن لانه أصل وأساس قبول الأعمال أو ردّها، واستمروا على ذلك ومازالوا كماهومذهب أهل الحق.

ثم أطلت فرق الشر والفساد برؤوسها تنشر البدع والانحرافات، وعلى رأسها فرقة الرفض والتشيع التي كان ومازال لها السهم الأكبر والحظ الأوفر في نشر الضلالات والظلمات بين المسلمين • فقد كان التشيع مأوى وملاذا لكل من أراد هدم الإسلام وتفريق المسلمين • وهذه حقيقة أدركها حتى المستشرقون الأعداء، يقول جولدتسيهر اليهودي " إن الشيعة كانت على وجه الدقة، المنطقة التي نبتت فيها جراثيم السخافات التي حللت وقضت على نظرية الألوهية في الإسلام" • (١)

ان أعظم بدعة بثها التشيع هي الباطنية الخبيثة، فإنهم لما أعيتهم النصوص الشرعية الصحيحة الصريحة من نشر فسادهم ومذهبهم، وأعياهم شدة تمسك المسلمين بالنصوص ورجوعهم إليها والإحتكام اليها مع التسليم لها في جميع أمورهم ، ابتدعوا هذه الفكرة الشيطانية ، وهي تقسيم الدين الى ظاهر وباطن •

يقول أبو حامد الغزالي إنهم ادعو" أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن، تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وإنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات الى حقائق • • • " (٢) زعموا أن لكل نص شرعي وأمر ديني ظاهر يفهمه عامة أهل العلم، ومعنى آخر باطن لا يفهمه إلا من وفقه الله بزعمهم، وكشف له عن ذلك• هكذا مكنتهم الشياطين من نقض معاقل الشريعة الإسلامية في صفوف فئات كبيرة من أفراد المجتمع الإسلامي ممن وافقهم وتابعهم واهتدى بهديهم وسار على منهجهم حيث مكنتهم بدعتهم هذه من رد كثير من النصوص الشرعية ردا صريحا مباشرا بالطعن في ناقليها وعدالتهم بما جرحوهم به من تفسيراتهم الباطنية للنصوص والأحداث ، ثم عمدوا الى ما بقي من نصوص القرآن ومتواتر الأخبار، وما نقل إليهم عن عدول ضابطين فزعموا أن لظواهر تلك النصوص أسراراً وخفايا وبواطن لايفقهها إلا أهل العصمة ومن وفقهم الله من الخاصة• ثم زعموا أن الجهل والحماقة إنما تكمن في الأخذ بظواهرها والجمود عليها، وأن الفطنة والتوفيق في الغوص في بواطنها ومعرفة أسرارها، وأشاعوا أن الأخذ بالمعاني الباطنة لشرائع الإسلام ونصوصه هو السمو الإنساني نحو الكمال المنشود والارتقاء في باب المعارف والحقائق• فتمكن هؤلاء الشياطين بهذه البدعة استدراج فئام من الناس والميل بهم عن دين الله و شرعه بما بثوه من عقائد ضالة وأفكار منحرفة زاعمين أنها المراد الشرعي من ظواهر نصوص القرآن والأخبار والآثار• فأضافوا مصدرا للعقائد والشرائع وهو ما يزعمونه من كشف وخيالات فاسدة تمليها عليهم شياطينهم وأهواؤهم وهم يدّعون بكل وقاحة نسبتها الى الشرع باسم الباطن• وبهذا

---

(١) العقيدة والشريعة في الاسلام(ص/١٨٥) •

(٢) فضائح الباطنية (ص/١١) •

تمكنوا من إدخال ما شاءوا فى دين الله، وتلاعبوا بالنصوص الشرعية على ضوء عقائدهم وأهدافهم حتى أفقدوا مكانة تلك النصوص الشرعية وقدرها فى نفوس شيعتهم ومن وافقهم، وجعلوا من تلك النصوص أصلا لكل مزاعمهم وافتراءاتهم ٠

ان أساطين هذه الدعوة الخبيثة هم أئمة الرفض وغيرهم ممن أظهر التشيع وتستر به ٠ يقول أبوحامد الغزالى عن أئمة الباطنية إنهم لما أرادوا الكيد للاسلام وأهله بعد زوال عروشهم وملوكهم اتفقوا أن ينتحلوا" عقيدة طائفة من فرقهم، هم أركهم عقولا، وأسخفهم رأيا، وألينهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات وهم الروافض٠٠" (١) ويصف أبو حامد مذهبهم فيقول : فهومذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم فى قول الامام المعصوم، وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لما يعتريهامن الشبهات٠٠٠ وحكم بأن المعلم المعصوم هو المستبصر، وأنه المطلع من جهة الله على جميع أسرار الشرائع ٠٠٠" (٢)

لما علم أئمة الرفض أن بدعتهم هذه قد فتحت بابا يلج منه كل صاحب هوى، فيدّعى ماشاء فى دين الله و نصوص الشرع باسم الباطن والحقيقة، كما هو شأنهم ، وأنه لن يكون لهم على غيرهم فضل لأن هذه البدعة ليست إلا باب دعوى لاتعوزها الأدلة والبراهين، ولا تستند فى تأويلاتها ومزاعمها الى ضوابط وأصول ، لماعلموا ذلك وأدركوا أنه قد تنتقض دعاواهم بدعاوى مثلها ، وترد أقوالهم ومذاهبهم بمثلها ، فلا يبلغون بذلك هدفا ، ولا يحققون رجاءً قرروا أن معرفة البواطن ، وكشف الأسرار الإلهية ، لا تنال بالكسب والطلب، وإنما هى خاصة بالأئمة المعصومين بزعمهم يمنحهم الله إياها ، ويطلعهم عليها وعلى من يختصه من محبيهم وأتباعهم فقط دون غيرهم من الناس، كمحاولة يائسة منهم للإنفراد فى باب الدعاوى ، وحق التشريع والإضافة فى دين الله بما يوافق مصالحهم وأهدافهم باسم الباطن والحقائق ٠

ان بدعة التفريق بين الشريعة والحقيقة، وبين الظاهر والباطن من أهم خصائص التشيع ، فإنهم رغم كثرة فرقهم وتعدد طوائفهم ومذاهبهم يؤمنون جميعا بهذا التفريق ، ويدينون به، بل إنهم يفرّعون عن هذا الأصل كثيرا من العقائد والأفكار التى يتميزون بها عن غيرهم٠ بل إن اختلافهم فى تعيين الإمام المعصوم الذى هو سبب تفرقهم ما هو إلا فرع عن هذا الأصل حيث أن اختلافهم فى انتقال الإمامة والعصمة من السابق الى من بعده

---

(١) فضائح الباطنية (ص/١٨-١٩) ٠
(٢) المصدر نفسه (ص/٣٧) ٠

هو أساس تفرقهم فكل يزعم أن إمامهم الذى افترض الله تعالى على الناس طاعته هو الوارث للإمام السابق، كما هو معلوم فى ضروريات مذهبهم وتفرقهم ، وكما نص عليه الشهرستاني بمعنى أن الامام الموروث قد" أفضى إليه – أى الى الوارث – أسرار العلوم وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس ، وتقدير التنزيل على التأويل ، وتصوير الباطن على الظاهر" ، وذلك لإيمانهم" بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل شخص روحا ، ولكل تنزيل تأويلا ". (١) فمن ورث الأسرار والتأويل والباطن فهو صاحب الأمر والإمام المعصوم من الزلل والخطأ وصاحب الحق فى التشريع والتحليل والتحريم الى غير ذلك من سخافات الأفكار والعقائد فى مذهب الرافضة.

يقول الخمينى، إمام الرفض والضلالة فى وقتنا هذا :" فإن الوقوف على الصورة ، والعكوف على عالم الظاهر ، وعدم التجاوز الى اللب والباطن اخترام وهلاك، وأصل أصول الجهالات، وأس أساس إنكار النبوات والولايات ، فان أول من وقف على الظاهر وعمي قلبه عن حظ الباطن هو الشيطان اللعين.. " (٢)

ويفرق بين الظاهر والباطن فالظاهر" أساس الأعمال الظاهرية والتكاليف الإلهية ، والنواميس الشرعية" وإنها هى الطريق الى الباطن الذى هو" أسرار الربوبية والأنوار الغيبية والتجليات الإلهية". (٣)

ثم جاءت الصوفية ، ربيبة التشيع ، فأخذت هذه البدعة، وآمنت بها ، وجعلتها أصلا لنحلتها ، وقاعدة لمذهبها المنحرف. ويقسم الصوفية المجتمع الإسلامى الى أهل الظاهر ، وهم أهل الشريعة والرسوم، ويسمون أهل العلم منهم بعلماء الظاهر والرسوم ، والشريعة والأوراق وغير ذلك . والى أهل الباطن ويقصدون بذلك أنفسهم أهل الكشف والأذواق ، ويصفون أئمتهم بعلماء الباطن والغيب والحقائق ، وغير ذلك من ألقاب وأوصاف، ويعتبرون علماء الشريعة أدنى منزلة منهم فى المكانة والفهم، شأنهم فى ذلك شأن أسيادهم وشيوخهم الرافضة، وقد اتفقوا جميعا على تسمية أهل السنة والجماعة بالعوام والمخالفين ، وتسمية أنفسهم بالخاصة والخواص.

بوب السراج الطوسى بابا لهذه البدعة فقال :" باب إثبات علم الباطن والبيان على صحة ذلك بالحجة" قرر فيه تقسيم العلم الى ظاهر وباطن وأنه لا يستغني أى منهما عن

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٥٠).
(٢) شرح دعاء السحر (ص/ ٧٢).
(٣) المصدر نفسه (ص/ ٧٤).

الاخر ثم قال : ٠٠٠٠٠ قال الله عز وجل : " "ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم" (١) فالعلم المستنبط هو العلم الباطن ،وهوعلم أهل التصوف لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك ٠٠٠ ثم يقول : " فالعلم ظاهر وباطن ، والقرآن ظاهر وباطن ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهر وباطن ، والاسلام ظاهر وباطن ٠٠" (٢)

وأبو بكر الكلاباذى بوب بابا فى علوم الصوفية يقول فيه : " إعلم أن علوم الصوفية علوم الأحوال ، والأحوال مواريث الأعمال " ثم يصف هذه العلوم بأنها " علوم الخواطر " وعلوم المشاهدات والمكاشفات، وهى التى تختص بعلم الإشارة، وهو الذى تفردت به الصوفية بعد جمعها لسائر العلوم" ٠ ويقول أيضا : " وإنما قيل : علم الاشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لايمكن العبارة عنها على التحقيق ، بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولايعرفها إلا من نازل تلك الأحوال ، وحل تلك المقامات" ٠ (٣)

بمثل هذه الدعاوى يزعم المتصوفة أن علومهم أعلى وأسمى من بقية العلوم الشرعية، ويوهمون بأن علومهم لا تكتسب ، بل هى أحوال ، ومنح إلهية، ومكاشفات غيبية وأنها تعتبر ميراثا للأعمال والمجاهدات، وهى ليست فى واقعها وحقيقة أمرها سوى خيالات فاسدة واستدراجات وهواجس شيطانية توافق الأهواء والشهوات٠

ويقول أبو طالب المكي: " كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك، وعلم الباطن من علم الملكوت ٠ يعنون أن ذلك من علم الدنيا ، لأنه يحتاج إليه فى أمور الدنيا ، وهذا من علم الآخرة لأنه منزادها " ٠

ثم يقرر هذا القول الفاسد والتفريق المنحرف بقوله :

" لأن اللسان ظاهر فهو من الملك ، وهو خزانة العلم الظاهر ، والقلب خزانة الملكوت،وهو باب العلم الباطن ، فقد صار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك،وهو الملك الباطن الخفي، وكفضل القلب على اللسان ، وهو الظاهر الجلي" ويقول أيضا : " ٠٠٠ وعلماء الظاهر هم زينة الأرض والملك ، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت" ٠ (٤)

---

(١) سورة النساء/ ٨٣٠

(٢) اللمع (ص/ ٤٣ـ٤٤) ٠

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/ ١٠٤ـ١٠٥) ٠

(٤) قوت القلوب(١/ ١٥٦ـ١٥٨) ٠

هذا هو التصوف، إنه بكل وقاحة وسوء أدب يضرب الأمثال ، ويقيس الأمور بـلا تعقل ويوازن بين ما شرعه الله تعالى ، وما جاءت به الرسل ، وبين ضلالته، ويقارن بينهما بميزانه المنحرف فيضع ما رفعه الله ورسوله ، ويرفع ما استحسنته عقولهم والشياطين من أنواع الضلالات والانحرافات ، ويتقول على الله تعالى بلاعلم وبلا حياء، ويصف علوم الشريعة بعلوم الدنيا وأن حاجتها تقتصر على هذه الدنيا، والحق إنهم قوم أضلتهم الشياطين وأعمتهم الأهواء والشهوات حتى أصبحوا لايستحون أبدا يصنعون ويقولون ما شاءوا.

ويقول عبد الحليم محمود - الذى كان شيخا للأزهر ما نصه :

" تظهر فى العقيدة الاسلامية التفرقة بوضوح بين جزأين متكاملين، وهما الظاهر والباطن، أعني الشريعة وهى الباب الذى يدخل منه الجميع، والحقيقة، ولايصل إليها إلا المصطفون الأخيار..." ويقول: " وكثيرا ما نجدهم يشبهون الشريعة والحقيقة بالقشر واللب أو بالدائرة ومركزها، والشريعة تتضمن - فضلا عن الناحية الاعتقادية - الناحية التشريعية والناحية الاجتماعية، وهما جزءان لا يتجزءان عن الدين الاسلامى . وأما الحقيقة فإنها معرفة محضة.... بيد أن الباطن لا يعني فقط الحقيقة، وإنما يعنى كذلك السبل الموصلة إليها، أعني الطرق التى تقود الإنسان من الشريعة الى الحقيقة..." (١)

يتضح من أقوال هؤلاء المتصوفة تفريقهم بين الظاهر والباطن، أو بين الشريعة والحقيقة، وتفضيلهم للحقيقة وأهلها، واتفاقهم مع الشيعة فى أنه لا يدركها إلا الخواص . والدكتور عبد الحليم محمود يقرر أن كلا من الشريعة والحقيقة جزء متكامل، ومعلوم أن الشيء المتكامل لا يفتقر الى غيره ، ويصف أهل الباطن بالاصطفاء ،والاختيار،والحقيقة بأنها معرفة محضة، وكأنه يقرر ما قرره أهل الغلو من سقوط التكاليف وارتفاع الشرائع عمن يزعمون أنهم الخاصة وخاصة الخاصة، قبحهم الله وقبح مذهبهم. وليس لهم فى مذهبهم هذا دليل يستندون إليه إلا ما اصطنعه لهم أسيادهم الرافضة من موضوعات وأخبار لترويج بدعتهم وإنفاق سلعتهم .

نقل أبو بكر الكلاباذي عن عبد الواحد بن زيد قال: سألت الحسن عن علم الباطن، فقال: سألت حذيفة عن علم الباطن، فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علم الباطن، فقال: سألت جبريل عن علم الباطن، فقال: سألت الله عز وجل عن علم

---

(١) أبحاث فى التصوف - لمحة عامة عن التصوف - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته (ص/٢٢٣- ٢٢٧).

الباطن ، فقال : هو سر من سري ، أجعله فى قلب عبدي ، لايقف عليه أحد من خلقي" (١)
إنهم لفرط ضلالهم وشدة جهلهم، يقبلون كل قول موضوع وينسبونه الى الله تعالى والى رسوله بلا أى تحفظ مادام ينصر رأيهم ويوافق ما هم عليه، هذا إن أحسنا فيهم الظن ، وإلا فإن كثيرا منهم لا يتورع أبدا عن الكذب على الله ورسوله والوضع والاختلاق انتصارا لباطلهم كما هو شأن أساتذتهم الرافضة .

إن بعض المعاصرين من المتصوفة وغيرهم يقرر أن مبدأ الظاهر والباطن إنما تسرب الى الصوفية عن طريق الشيعة ، فالدكتور أبو العلا عفيفي ، ينقل عبارة رويم البغدادي الصوفي المتوفى سنة٣٠٣هـ حيث يقول : ... فان كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق أنفسهم بظواهر الشرع، وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق ..." (٢)

ثم يعلق بقوله :" فالتفرقة ظاهرة فى عبارة رويم بين الشرع وحقيقة الشرع ، بين الظاهر والباطن ، أو بين الدين فى الرسم والدين فى الجوهر، وهذه النظرة هى لب التصوف ، وهى العامل الأكبر فى تحويل الإسلام – على أيدى الصوفية – من دين رسوم وأوضاع الى دين حي روحي ، وترجع المقابلة بين الشريعة والحقيقة فى أصل نشأتها الى المقابلة بين ظاهر الشرع وباطنه، ولم يكن المسلمون فى أول عهدهم بالإسلام ليقروا هذه التفرقة أو يفكروا فيها ، ولكنها بدأت بالشيعة الذين قالوا إن لكل شيء ظاهرا وباطنا .... وينكشف الباطن للخواص من عباد الله ...." ثم يقول :" وقد اتبع الصوفية طريقة التأويل هذه واستعملوا فيها أساليب ومصطلحات الشيعة الى حد كبير". (٣)

يقرر هذا الدكتور أن الصدر الأول لم يفرقوا بين الظاهر والباطن، ويقرر أنها فكرة شيعية محضة، ثم يصف أن هذا التفريق وهذه العقيدة هى لب التصوف الذى حول الاسلام من دين رسوم بزعمه ورأيه الفاسد الى دين حي روحي. وكأن الاسلام كان بلا روح ولا حياة حتى جاء هؤلاء المنحرفون ليمدوه بالروح والحياة والثورة على حسب تعبيره، وهم فى الحقيقة فاقدون لذلك كله،وليس عندهم إلا الشر والفساد وكل ما فيه ضياع الأديان وموتها .

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/١٠٥–١٠٦) .
(٢) الرسالة القشيرية(١/١٤٥) .
(٣) التصوف الثورة الروحية فيالإسلام(ص/١٠٧) .

فالحاصل أن كلا من الشيعة والصوفية قد بنوا مذهبهم على أساس التفريق بين الظاهر والباطن، أو بين الشريعة والحقيقة، وقد فرّعوا على أصلهم المبتدع تفريعات ومناهج كثيرة، اختصوا بها فى مذاهبهم ودياناتهم كتقسيم العلوم الى مكتسبة متعلمه ، وأخرى موروثة لدنيه، والاحتيال على نصوص القرآن والسنة بتأويلها بما يوافق قواعدهم وبدعهم، فحرفوا الكلم عن مواضعه باسم التأويل الباطني والإشارات ٠ وسيأتى تفصيل ذلك فى المباحث القادمة إن شاء الله تعالى ٠ وتجدر الإشارة الى أن هذه البدعة لمّا زعموا أنها سر من أسرار الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده ، وهم يريدون بذلك ستر مقاصدهم الخبيثة فى سبيل نشر مذاهبهم وتفريق كلمة المسلمين • أقول إن ذلك اضطرهم الى ابتداع مبدأ خبيث تمكنوا به من بث دعوتهم ونشرها دون التعرض فى أغلب الأحيان لمجابهة ومواجهة سيف السلطة فى البلاد الإسلامية أو إلى إنكار العلماء عليهم وتكفيرهم، وتسلط العامة عليهم بالتعذيب والتشريد والمقاطعة٠ ذلك هو مبدأ التقية والكتمان ، وسأفرده فى مبحث خاص إن شاء الله تعالى٠

والحاصل أن هذه التفرقة غير صحيحة ولا مقبولة شرعا ولا عقلا ، بل إنها من أسوأ الباطل وأقبح المنكرات فالإسلام دين متكامل لا يقبل القسمة والتجزئة • صحيح أن فيه أعمالاً تتعلق بالجوارح الظاهرة وأخرى تتعلق بالقلوب ولكن ذلك كله دين وشريعة أنزله الله تعالى لهداية الخلق وإصلاح أحوالهم فى معاشهم ومعادهم ، ودين الله تعالى كله حق وحقيقة لا باطل فيه، ولب وجوهر لا قشر فيه ٠

يقول الامام ابن الجوزى رحمه الله: " ٠٠٠ وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر ، وسموا هواجس النفوس العلم الباطن ، واحتجوا له بما أخبرنا ــ وذكر إسناده الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "علم الباطن سر من أسرار الله عز وجل ، وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه " ثم قال : وهذا حديث لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى إسناده مجاهيل لا يُعرفون " ٠ (١)

وقال أيضا : " وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق٠ ثم قال : وقال ابن عقيل : جعلت الصوفية الشريعة اسما ،وقالوا المراد منها الحقيقة٠وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذاسوى شيء واقع فى النفس من إلقاء الشياطين ،وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع" ٠ (٢)

---

(١) تلبيس ابليس (ص/ ٣٩٠ـ٣٩١) ٠

(٢) المصدر نفسه (ص/٣٩٤ـ٣٩٥) ٠

المبحث الثانى
العلم اللدني

للناس حاجات وضروريات كثيرة بها قوامهم وصلاحهم فى دينهم ودنياهم ٠ وأهم هذه الحاجات وأكثرها ضرورة حاجتهم إلى الشرائع والأديان ، ولا نسبة بين بقية حاجاتهم الى هذه لأنها سبب سعادتهم ونجاحهم فى الدارين ٠ لذلك أرسل الله تعالى الرسل والأنبياء ، وأنزل معهم الكتب والبراهين رحمة منه للناس لبيان الشرائع لهم ، وحث الله سبحانه وتعالى رسله وأنبياءه على تبليغ دعوته ودينه ، وحذرهم من كتمان شئ منه ، ثم جعل سبحانه وتعالى المنزلة العظمى لمن يقوم بعد الرسل بتعلم شرعه والقيام بحقه سبحانه وتعالى ثم بالدعوة والتبليغ بين الناس والصبر على ذلك إتماما لعمل الأنبياء والرسل واقتداء بهم ، لأنه ليس للناس صلاح بدون ذلك ، ولاسبيل الى بلوغ مراتب السعادة فى الدارين إلا بهذا الأمر ٠

وقد بيّن سبحانه وتعالى فى آيات كثيرة ما على الرسل من البلاغ والتبيين ، قال جل وعلا : " فهل على الرسل إلا البلاغ المبين " (١) ٠ وقال تعالى : " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين " (٢) ٠ وقال تعالى مخاطبا محمدا صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " (٣) ولا شك أن الرسل جميعا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ، قد بلغوا ما عليهم ، ولقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يستشهد أصحابه رضي الله تعالى عنهم فى مواطن كثيرة ومناسبات متعددة على تبليغه إياهم دين الله وشرعه ، تحذيرا من مزاعم المبتدعة التى أبت رغم كثرة النصوص وصراحتها إلا الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ٠ لقد صح عنه صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أنه استشهدهم ، فقال : " ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ٠ قال : اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ٠٠٠٠٠ " الحديث (٤) كما ثبت أنه استشهدهم فى مواطن أخرى ، منها مثلا فى خطبة له حيث يقول صلى الله عليه وسلم : " ألا لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ٠ اللهم هل بلغت ،

---

(١) سورة النحل / ٣٥ ٠
(٢) سورة التغابن / ١٢ ٠
(٣) سورة المائدة / ٦٧ ٠
(٤) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ، الفتح (٣ / ٥٧٤) ٠

اللهم اشهد. أتحبون أنكم ربع أهل الجنة.... الحديث(١) ومنها أيضاً لمّا أخبرهم عن أكبر الكبائر قال: " ... ألا وقول الزور. فمازال يكررها . وقال ابن عمر: قال النبي صلى الله عليه وسلم : " هل بلغت؟ ثلاثا ". (٢) . وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر، ورأسه معصوب فى مرضه الذى مات فيه. فقال: " اللهم هل بلغت؟ ثلاث مرات..." الحديث . (٣) وغير هذا كثير مما يدل على حرصه صلى الله عليه وسلم، أن يعلم الناس جميعا أنه قد بلغ ولم يكتم الناس شيئا . ولقد شهد له الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وهم خير القرون، بالتبليغ ، وأداء الرسالة والأمانة ، ونصح الأمة . ولكن، رغم هذا كله، فقد زعم المنحرفون أنه أسرّ وكتم، وخص البعض بأنواع من العلوم والمعارف دون البعض الآخر، ثم لم يقفوا عند هذا الحد ، فازدادت وقاحتهم فزعمت الرافضة أن محمدا صلى الله عليه وسلم كانت له دعوتان: دعوة عامة، وأخرى خاصة وهى التشيع لعلي والأئمة من ولده ، وزعم المتصوفون أنه صلى الله عليه وسلم جاء بالشريعة التى بثها لعامة الناس ، وبالحقيقة التى خصها لعلي دون غيره من الصحابة.

روى الامام البخارى رحمه الله من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: " من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب ... الحديث". (٤) وفى لفظ له عنها قالت : " من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحى فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته" (٥) (٦) وعند الامام مسلم رحمه الله بلفظ : " ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية" .... وفيه: " ومن زعم أن رسول الله كتم شيئا من كتاب الله ، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته". (٧) ... الحديث (٨)

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١/٢٠١)

(٢) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا.. الفتح (١/١٨٨)

(٣) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الصلاة، باب النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود (١/٣٤٨).

(٤) صحيح البخارى ،كتاب التفسير، باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك. انظر الفتح (٨/٢٧٥).

(٥) سورة المائدة / ٦٧.

(٦) صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : "يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته. الفتح (١٣/٥٠٣).

(٧) سورة المائدة/ ٦٧.

(٨) صحيح مسلم. كتاب الايمان، باب معنى قول الله: "ولقد رآه نزلة أخرى. (١/١٥٩).

فالرسول صلى الله عليه وسلم بلّغ جميع ما أنزل عليه من الوحي ، ولم يكتم منه شيئا ، ولم يخص منه شيئا لبعض الصحابة دون بعض، كما يزعم الكذّابون ، ولم ينزل عليه شيء غير القرآن الذى جمعه الصحابة بعده والموجود بين أيدينا اليوم، وسننه التى دُونت من بعده، ولم يزل أهل الايمان ، ممن وفقهم الله تعالى للمذهب الحق يشهدون له بتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة الى يومنا هذا ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها٠

ولا تضرهم مقالات المنحرفين والمبتدعين الذين دأبوا ومازالوا يرددون تلك المقالات الفاسدة، وينشرون البدع المنكرة زاعمين أن الرسول إنما بلّغ شيئا ،وكتم أشياء٠ بلغ القرآن وكتم غيره من الكتب التى يزعمها أهل الرفض، أو أنه بلغ ظاهر الشريعة وكتم باطنها، أوبلغ الشريعة وكتم الحقيقة ، أو غير ذلك مما يرددونه، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين٠

روى الامام أحمد رحمه الله عن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه قال : " لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يحرك طائر جناحيه فى السماء، إلا أذكرنا منه علما "(١) وفى لفظ: " ٠٠٠ وما يتقلب فى السماء طائر٠٠٠" الحديث(٢) هذا موقف أهل الايمان والتوفيق من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبليغه وبيانه ، فأين هذا النور من ظلمات أهل البدع والأهواء ؟ وفى قول أبي ذر رضى الله عنه الكناية عن كمال التبليغ والبيان لكل شيء فيما يتعلق بمعاشهم ومعادهم ، فقد بلّغ الشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن ، وكل ما أوحي إليه وأنزل اليه من ربه جزاه الله تعالى عن أمته خير وأفضل ما جزى به نبيا عن قومه٠

ولمّا كان نبينا هو آخر الأنبياء وخاتمهم، أخذ الله تعالى العهد والميثاق على أهل العلم بالبيان والتبليغ، وحذرهم من الكتمان فى آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ، ولا تكتمونه"(٣) ذلك لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وحصول العلم انما يكون بالتعلم والتلقي ولا حياة ولا بقاء له إلا بنشره وبثه بين الناس ليتلقاه ويحمله كل خلف عن سلفه٠ قال الامام البخارى رحمه الله: " باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى : " فاعلم انه لا اله الا الله"(٤) فبدأ بالعلم٠ وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، ورّثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة" ٠٠٠ وقال النبي صلى الله عليه

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٥٣/٥)٠

(٢) نفس المصدر (١٦٢/٥)

(٣) سورة آل عمران/١٨٧٠

(٤) سورة محمد /١٩٠

وسلم :" من يرد الله به خيرا يفقهه" . وإنما العلم بالتعلم. وقال أبو ذر:" لو وضعتم الصمصامة على هذه ــ وأشار الى قفاه ــ ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على لأنفذتها..." (١) فالعلم لا يأتي إلا بسلوك سبيله وطريقه ، وهو التعلم والطلب، لا كما يزعمه المنحرفون بأنه يُوهب ويُورث كما تورث الأموال بلا سعي ولا تعب. ولو كان الأمر كما زعموا، فما فائدة النصوص الشرعية الكثيرة من الكتاب والسنة فى التحذير الشديد من كتمه، وذكر عقوبة من يكتم من العلم شيئا، وفى الترغيب والحث على السعي فى طلبه وتحصيله وثواب العلماء وفضلهم ، وفى الأمر بنشره وتعليم الناس.

وأصول العلم الشرعي هو الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع الصحابة وآثارهم . يقول الإمام الشافعى رحمه الله :" ليس لأحد أن يقول فى شئ حلال ولا حرام إلا من جهة العلم ، وجهة العلم ما نص فى الكتاب أو فى السنة أو فى الاجماع أو القياس (٢) .

ويقول الامام الأوزاعى رحمه الله:" العلم ماجاء عن أصحاب محمد ، وما لم يجيء عن واحد منهم فليس بعلم. (٣) هذا ما فهمه سلف هذه الأمة المباركة من أصول العلم، فكرسوا حياتهم ، وبذلوا أعمارهم فى طلب العلم وتحصيله، وتدوينه ، ثم الدعوة به وتبليغه، كما هى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم، ولم يبين أحد منهم ما تفوه به المبتدعة من ترهات عقولهم المريضة، وسفاسف أمورهم من تقسيم الدين الى ظاهر وباطن، وتقسيم العلوم الى مكتسبة ولدنّية موهوبة موروثة ، ولم يقعد أحد من السلف الكرام ليتلقى الوحي والإلهام ، أوليُشق عن صدره ثم توضع فيه العلوم وتصب فيه المعارف بأنواعها، وإنما جدوا واجتهدوا، ورحلوا فى طلب العلم وتحصيله من مصر الى مصر، ومن عالم الى آخر حتى وفقهم الله تعالى للتفقه فى دينه وحمل أمانة العلم ، وجعلهم سبحانه وتعالى من ورثة النبوة بما أخلصوا فيه النيات، ثم بما بذلوه من الأسباب الشرعية التى بها يطلب العلم. قال معاذ بن جبل رضى الله عنه :" عليكم بالعلم، فان طلبه لله عباده" (٤) ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: " تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها (٥) " وقال أبو هريرة رضى الله عنه :" لإن أجلس ساعة فأتفقه فى ديني أحب إليّ من إحياء ليلة الى

---

(١) صحيح البخارى : كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل. الفتح(١/١٥٩ــ ١٦٠).

(٢) جامع بيان العلم وفضله(ص/٣١٤).

(٣) نفس المصدر(ص/٣١٩).

(٤) مفتاح دار السعادة(١/١٨٢).

(٥) نفس المصدر(٢/٣٧).

الصباح" (١) وقال الشافعي رحمه الله: " ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم. (٢)

ولما نظر المبتدعة الى إحكام المسلمين أصول دينهم بما وفقهم الله تعالى لحفظ كتابه وجمعه ، ثم لضبط السنة والآثار حسب القواعد الدقيقة في قبول ما صح منها وردّ ما لم يصح ،تحقيقا لوعد الله تعالى بحفظ دينه وشرعه من عبث العابثين ، وكيد الماكرين ، ابتدعوا تلك المقالة الخبيثة التي قسموا بموجبها دين الله تعالى وشرعه الى ظاهر وباطن ، كما تقدم في المبحث السابق ، ثم فرّعوا عليه تقسيم العلوم الشرعية الى علوم مكتسبة تُنال بالتعلم والتلقي، وهو المشهور بين عامة الناس، وعلوم لدنّية تورث وتوهب للخاصة من الناس بزعمهم . وبهذا فتحوا بابا للشر يبثون منه سمومهم بين المسلمين باسم العلم اللدنّي، فأضافوا الى أصول العلم الشرعي عندهم، وعند من وافقهم أصلا فاسدا يروّجون من خلاله ضلالاتهم ومنكراتهم، وقد تعمدوا الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فاخترعوا حكايات كاذبة ونسبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الصحابة رضي الله عنهم ليجعلوا لباطلهم أصلا ودليلا في دين الله وشرعه.

زعمت الرافضة النابتة تقسيم العلوم والمعارف الشرعية، وتخصيص بعض أقسامه لآحاد الصحابة وخواصهم دون غيرهم، يقول محدثهم وإمامهم الفيض الكاشاني: " العلم علمان : علم يقصد لذاته ، وهو نور يظهر في القلب فينشرح ، فيشاهد الغيب، وينفسح فيتحمل البلاء ، ويحفظ السر... وعلم يقصد للعمل .... ومنه العلم بالأحكام الشرعية، وربما يسمى المقصود به العمل العلم الظاهر، وعلم الشريعة. والعلم المقصود لذاته بعلم الباطن ، وعلم الحقيقة" (٣) . ويقول أيضا : " ... وإنما يحصل هذا العلم من الله سبحانه وتعالى لمن تبتل إليه تبتيلا ، واتخذ بالذكر والفكر إليه سبيلا... فلايحصل إلا بعد فراغ القلب وصفاء الباطن ، وتخليته من الرذائل". ثم ذكر أدلة من القرآن منها قوله تعالى: " واتقوا الله ويعلمكم الله " (٤).... ومن السنة بما نسبه بزعمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثل رواية : " ليس العلم بكثرة التعلم، وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه" ورواية: " العلم نور وضياء يقذفه الله في قلوب أوليائه ويُنطق به على لسانهم "

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٣٧).

(٢) المصدر نفسه (١/١٨٣).

(٣) قرة العيون في المعارف والحكم (ص/٤٣٤).

(٤) سورة البقرة/ ٢٨٢.

ثم نسب الى علي رضي الله عنه قوله: " ليس العلم فى السماء فينزل اليكم، ولا فى تخوم الأرض فيخرج لكم ، ولكن العلم مجبول فى قلوبكم، تأدبوا بأداب الروحانيين يظهر لكم".(١)

ويقول الخميني عن العلم اللدنّي: " وهذا العلم مختص بأصحاب القلوب من المشايخ المستفيدين من مشكاة النبوة، ومصباح الولاية بالرياضات والمجاهدات.... وليس لنا بهذه العيون العمياء، والناطق الخرساء، مشاهدة أنوار علومه، وتجليات ذاته وصفاته وأسمائه ، والتكلم فيها، فان من لم يجعل الله له نورا، فما له من نور، ولا يدرك النور إلا النور، ولا العالم إلا العالم". ويقول: " فإن خرجنا من هذه القرية المظلمة ... وشملتنا العناية الأزلية بدرك الموت والفناء فى ذاتهوصفاته وأسمائه، فقد وقع أجرنا على الله، وشهدنا جماله وبهائه وسنائه، ثم أحيانا بالحياة الثانية، وأبقانا ببقائه، ويحصل لنا العلم الشهودي ، والكشف الحقيقى بأن علمه بذاته هو العلم بكمالات ذاته، ولوازم أسمائه وصفاته ، لابعلم متأخر أو علم آخر...." (٢). وقد روى إمامهم ومحدثهم الكليني بإسناده الى جعفر الصادق ما نسبه اليه، قوله: " ... إن العلم، هو الذى يحدث يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة" وفى رواية : " إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يوما بيوم، وساعة بساعة".(٣) ويعلق الرافضي علي أكبر الغفاري فى الهامش على هذه الروايات شارحا لها فيقول: " إن العلم ليس ما يحصل بالسماع، وقراءة الكتب، وحفظها، فان ذلك تقليد، وإنما العلم ما يفيض من عند الله سبحانه وتعالى على قلب المؤمن يومابيوم، وساعة فساعة، فينكشف به من الحقائق ما تطمئن به النفس، وينشرح له الصدر، ويتنور به القلب، ويتحقق به العالم كأنه ينظر إليه ويشاهده". (٤) ونسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله ، فاذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله، ولم يتحمله إلا أهل الاعتراف بالله...." ويعنون بأهل المعرفة أنفسهم، ومنوافقهم من المتصوفة ممن يتحمل الضلالات ويؤمن بها ولا يتجاهلها فضلا عن إنكارها والإنكار على من يقول بها. ولقد اتفق الرافضة والصوفية فى نسبة هذا القول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتجاج به، واتخذوه ذريعة ومستندا لأباطيلهم . وروي الكلينى بإسناده الى جعفر الصادق فيما نسبه اليه قوله: " إن العلم يُتوارث، فلا يموت عالم إلا ترك من يعلم

---

(١) قرة العيون فى المعارف والحكم(ص/٤٣٨ـ٤٤٠).

(٢) شرح دعاء السحر(ص/١٢٩).

(٣) أصول الكافى ، كتاب الحجة باب أن الائمة ورثوا علم النبى وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم(١/٢٢٥).

(٤) هامش أصول الكافى(١/٢٢٥).

مثل علمه أو ماشاء الله" . وفى رواية : " إن العلم الذى نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، والعلم يُتوارث، وكان علي عالم هذه الأمة ، وأنه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله" (١) . فالعلم الحقيقي والمعرفة السامية عندهم ليس ما يكتسب بالتعلم والطلب والتلقي، وانما هو ما يتوارثه الخواص منعباد الله، بعضهم من بعض بزعمهم. ثم زعموا أن هذا العلم يكون بالوحي والإلهام، وغيره من أساليب الهبة والوراثة ، وقد عقد إمامهم ومحدثهم محمد بن الحسن الصفار الهالك سنة ٢٩٠هـ ، وكان من أصحاب وخواص إمامهم الحادى عشر الحسن العسكري بابا فى هذا فقال : " باب ما يُفعل بالإمام من النكت والقذف والنقر فى قلوبهم وآذانهم" . وضمنه روايات كثيرة تفيد بأن الامام يُسئل عن الشيء ، وليس عنده علمه، فيُنكت فى قلبه، أو يُنقر فى أذنه. وروى بإسناده الى جعفر الصادق ما نسبه إليه فقال : سئل جعفر عن الامام إذا سئل ، كيف يجيب؟ فقال : إلهام ، أو سماع، أو ربما كانا جميعا . وفى رواية أنه سئل : " ماعلم عالمكم ، جملة يقذف فى قلبه، وينكت فى أذنه؟ قال : فقال : " وحي كوحي أم موسى" . (٢)

ثم كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خص عليا بعلوم كثيرة، منها ما شافهه بها، ومنها ما أملاه عليه، أثناءحياته أو بعد وفاته ، حتى صار لديه من تلك العلوم الكتب والمدونات الكثيرة. روى أئمتهم المعتبرون عندهم روايات كثيرة تفيد هذه المعاني التى بنوا عليها جملة من الأباطيل والإفك . روى محمد بن الحسن الصفار الهالك سنة٢٩٠ هـ والكليني الهالك سنة ٣٢٨هـ ، والنعمان المفيد الهالك سنة ٤١٣هـ، وغيرهم بأسانيدهم المتصلة الى جعفر الصادق قوله : " علّم رسول الله عليا ألف باب ، ففتح له من كل باب ألف باب" (٣) . وروى الصفار والنعمان باسناديهما الى الباقر قال : قال علي: " لقد علّمني رسول اللهألف باب ، كل باب فتح ألف باب" (٤) ثم استطربا هذا اللحن ونغمة الآلاف ، فنسبا الى جعفر الصادق قوله : " علّم رسول الله عليا حرفا، يفتح ألف حرف ، كل حرف

---

(١) أصول الكافي، كتاب الحجة ، باب أن الأئمة ورثة العلم، يرث بعضهم بعضا العلم(١/٢٢٢) .

(٢) بصائر الدرجات الكبرى فى فضائل آل محمد(ص/٣٣٦ـ٣٣٧) .

(٣) بصائر الدرجات(ص/٣٢٢) .وأصول الكافي كتاب الحجة باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة(١/٢٣٩) . والاختصاص(ص/٢٨٢) .

(٤) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٣٢٣) ، والاختصاص(ص/٢٨٣) .

منها يفتح ألف حرف" (١) كما رويا عنه قوله: " ان رسول الله علم عليا كلمة، كل كلمة تفتح ألف كلمة" (٢) وروى النعمان عن علي أنه قال: " أسرّ الى رسول الله ألف حديث، في كل حديث ألف باب ، لكل باب ألف مفتاح". (٣)

وروى الكليني عن جعفر قوله: " إن النبى حدث عليا بألف باب يوم توفي، كل باب يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب ....." (٤)

إن التلفيق والكذب واضح فى أساليب هذه الروايات، ولكن الرافضة قد تلقوها بالقبول والإذعان. وتبعهم المتصوفة على هذا التسليم لأنه ليس لهم من سبيل لترويج أباطيلهم إلا هذه الأكاذيب والموضوعات.

ولقد روى الكلينى حتى المحالات ونسبها الى آل البيت، وقد صدّقه أهل الرفض حتى فى المحالات. روى لهم باسناده الى جعفر الصادق فيما نسبه اليه قال: " لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت، دخل عليه علي ، فأدخل رأسه ثم قال: " يا علي، إذا أنا مت فغسلني ، وكفّنّي، ثم أقعدني وسلني واكتب". (٥) لا يستغرب العاقل هذه المرويات، فإنهم قوم استعملوا ذكاءهم وفطنتهم لهدم الاسلام، وتفريق المسلمين ، بعد ما فرّقت السيوف الإسلامية جمعهم، وشتتت سلطانهم ،و بددت آمالهم ، فاجتمعوا وأجمعوا أنه لا حيلة لهم ولا وسيلة تنفعهم ، فى إعادة مجدهم وملكهم إلا الكيد للإسلام وأهله باسم الاسلام، فانتسبوا لهذا الدين كذبا وراحوا يكيدون له بما أوتوا من ذكاء وحيل ، وبما شاركهم إبليس لعنه الله ولعنهم ، فى التخطيط لهدم هذا الدين ، وإضعاف أهله بإفساد عقائدهم وشرائعهم، وتفريق جمعهم، ولكن الأمر الذى يدعو الى الاستغراب والدهشة هو تلك العقول التى قبلت وآمنت بكل ما يُملى عليها من هذه الأباطيل والمخاريق التى تأباها وترفضها حتى عقول النساء والولدان ، فماذا يسأل علي ، وماذا يكتب؟ وهلّا كان ذلك قبل وفاة النبي ؟ وما هى تلك الأبواب والمفاتيح التى أتعبوا بها حتى عليا رضي الله عنه بحملها ، فقد حمّلوه ما لا يطيق. إ نهم يستدرجون شيعتهم، ومن وافقهم شيئا فشيئا حتى أصبحوا

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى (ص /٣٢٨)، والاختصاص (ص/٢٨٤).
(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٣٣٠) ، والاختصاص(ص/٢٨٥).
(٣) الاختصاص (ص/٢٨٤).
(٤) أصول الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين (١/٢٩٧).
(٥) نفس المصدر والصفحة.

يقبلون المحالات، ويؤمنون بالخرافات ، ويصدّقون ما يخالف الفطر والعقول ، وذلك لأنهم في واقع الأمر وحقيقة الحال لا يُعملون عقولهم فيما يروى لهم عن أئمتهم لأنهم جعلوهم فى منزلة أسمى من منازل الأنبياء والمرسلين ، وفى مقام من لايصدر عنهم سهوٌ، أو خطأٌ أو زللٌ في شيء من الأمور.

روى الكليني بأسانيده الى جعفر الصادق رواية طويلة تملها حتى أسماع البهائم، وتمجها الفطر والعقول ، يقول فيها : " ... " إن عندنا الجامعة" ثم وصفها : " صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإملائه... فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه".

ثم قال : " وإن عندنا الجفر" ثم وصفه : " وعاء من أدِم، فيه علم النبيين والوصيين ،وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل " . ثم قال : " وإن عندنا لمصحف فاطمة" ثم وصفه : " مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد" . ويصفه أيضا : " أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون" ثم يقول : " وإن عندنا علم ما كان ، وعلم ما هو كائن الى أن تقوم الساعة". (١)

وعقد الحر العاملي الرافضي الهالك سنة ١١٠٤هـ فى كتابه" الفصول المهمة فى أصول الائمة " بابا بعنوان" باب عدم جواز أخذ شيء من علوم الدين عن غير النبي والأئمة ولو بواسطة أو وسائط يوثق بهم، ووجوب الرجوع اليهم فى جميع الأحكام". ونسب الفيض الكاشاني الى جعفر الصادق قوله : " أما إنه شر عليكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعوه منا" . وقال " كل علم لايخرج من هذا البيت، فهو باطل ، أشار بيده إلى بيته..." (٢)

هذا قليل من كثير مما اخترعه أئمة الرفض والضلال فى هذا الباب، وشحنوا به الكتب والمصنفات الكثيرة حتى نجحوا فى إيجاد جيل من الشيعة الرافضة يؤمنون جميعا بأن هناك علوما ومعارف اسلامية لايعرفها إلا الائمة المعصومون ، وأنها تنتقل من إمام لآخر بالوراثة عن طريق الوحي الذى لم ينقطع ، ولن ينقطع، ويؤمنون بأن عندهم من العلوم والكتب المدونة ما لايحتاجون معها الى العلوم المكتسبة أو حتى الى القرآن والسنة ، فعندهم مما أملاه الرسول، وكتبه علي أضعاف ما في القرآن ، وعندهم جميع الكتب السماوية ،

---

(١) أصول الكافى ، كتاب الحجة ، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر، والجامعة، ومصحف فاطمة (١ / ٢٣٨ـ ٢٤٠).

(٢) الحقائق فى محاسن الأخلاق (ص/ ١٧).

ويعلمون كل ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأن هذا العلم يوحى إليهم بـــه، ويلهمون به ساعة فساعة دون الرجوع الى الكتاب والسنة.

وقد علم المسلمون سخف هذه الآراء، وضلال هذه المعتقدات، وكذب تلك المرويات، الباطنية الخبيثة، الشيعيـة منها والصوفية . لقد روى الامام مسلم رحمه الله من حديـــث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: " كنت عند علي بن أبي طالب، فأتـــاه رجل فقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسرّ إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كـــان النبي صلى الله عليه وسلم يُسرّ إليّ شيئا يكتمه الناس ، غير أنه حدثني بكلمات أربع. قـال فقال: ما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال: قال: "لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا ، ولعن الله من غيّر منار الأرض" (١) وفي رواية: " أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله .... الحديث". (٢)

وروى الامام أحمد رحمه الله من حديث أبى حسان بلفظ: " ... ما عهـــد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا خاصة دون الناس .... الحديث". (٣)

وروى الامام البخارى رحمه الله من حديث أبى جحيفة رضي الله عنه قـــال: قلت لعلي: " هل عندكم كتاب ؟ قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم.... الحديث". (٤) وفي رواية أخرى عنه أيضا قال: " سألت عليا رضي الله عنه: هل عندكـم شيء مما ليس في القرآن ؟" ،

وفي رواية" أو مما ليس عند الناس ؟ فقال: والذى فلق الحبة، وبرأ النسمة ماعندنا إلا ما في القرآن، إلا فهما يعطى رجل في كتابه، وما في هذه الصحيفة ، قلت: وما فـي هذه الصحيفة؟ قال: العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر". (٥) يقول شيخ الاسلام ابن تيمية عليه رحمة الله بعد ذكره لحديث البخاري رحمه الله : " الحديث المشـار إليه أعلاه، يُكذّب قول الرافضة في الكتب المنسوبة إلى علي أو غيره من أهل البيت فـــي الإخبار بالمستقبلات مثل كتاب الجفر، والبطاقة ، وغير ذلك ، وكذلك ما يضاف إليه مـــن

---

(١) صحيح الامام مسلم ، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعلـــه (١٥٦٧/٣).

(٢) نفس المصدر والباب والجزء والصفحة .

(٣) مسند الامام أحمد (١١٩/١)

(٤) صحيح الامام البخارى ،كتاب العلم، باب كتابة العلم، الفتح (٢٠٤/١).

(٥) صحيح الامام البخارى ، كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر. الفتـــح (٢٦٠/١٢).

أنه كان عنده علم عن النبي صلى الله عليه وسلم، خصه به دون غيره من الصحابة، وكذلك ما يُنقل عن غير علي من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه بشيء من علم الباطن. كل ذلك باطل." (١)

لا شك أن النصوص الصحيحة تؤكد بطلان دعاوى الرافضة والصوفية فيما زعموه من العلوم الخاصة، والمعارف الموروثة ، وأن فيها الكفاية والهداية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ولكن أئمة الضلال قد انتبهوا لمثل هذه النصوص فوضعوا لأتباعهم مايكفل عدم تأثرهم بها، فإنهم اخترعوا مبدأ التقية وكتم الأسرار، فقالوا إن هذه النصوص قالها الإمام أو الأئمة من باب التقية ، وعدم كشف أسرار الله تعالى للعامة. ولا أدري ما سبب التقية وقد صدرت هذه النصوص عن علي ، وهو أمير المؤمنين رضي الله عنه. وقد يقول بعضهم إن هذه نصوص وضعها العامة لإبطال دعاواهم ومذاهبهم الشيعية والصوفية، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد وردت روايات كثيرة تنتقض بها دعاوى الرافضة إن كانوا يعقلون .

روى ابن سعد رحمه الله في طبقاته عن علي بن الحسين، زين العابدين أنه قال عن سعيد بن جبير رحمهما الله: " ... ذاك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض ، وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء ، وأشار بيده الى العراق " (٢) وروى أيضا عن محمد بن الحنفية محذرا الشيعة مما كان يروّجه أئمتهم لمّا بلغه أنهم يقولون إن عندهم شيئا من العلم مما خُصوا به فقام فيهم فقال: " إنا والله ما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللوحين...." (٣) في هاتين الروايتين رد مقنع وحجة دامغة في بيان بطلان دعاواهم قبحهم الله، وفي براءة أئمة وأعلام أهل البيت من هذه المذاهب الفاسدة والأفكار الضالة . ولعل المنحرفين لا يقبلون ما رواه ابن سعد رحمه الله بحجة أنها من مرويات العامة، وأهل الظاهر والشريعة، فنورد عليهم مما جاء في مصادرهم المعتبرة عن أئمتهم المحتج بهم وبعلومهم ونقولهم، فقد ورد عن علي يقول لعثمان رضي الله عنهما..." ما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صحبنا..." (٤) في هذه الرواية دليل

---

(١) منهاج السنة النبوية (١٣٦/٨) .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢١٦/٥) .

(٣) نفس المصدر (١٠٥/٥) .

(٤) نهج البلاغة (ص/٢٣٤)

قوي على براءة علي مما نسبه اليه المنحرفون ، ولا يمكنهم رد الرواية أو الطعن فيها لأنهم يعتبرون ما جاء فى نهج البلاغة من أهم مصادرهم فى اعتقاداتهم وتشريعاتهم بعد كتاب الله ، وقد ذكر الحر العاملي، وهو من أئمتهم الموثوق بهم عن علي رواية يقول فيها : " بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقال : ياعلى ، ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار" .(١) فالنبي يوصي عليا بالاستشارة، فمن يستشير ؟ ولماذا ؟ إن كان كما زعموا لا تخفى عليه خافية من علم أو خبر مما كان أو ما هو كائن الى يوم القيامة. إن فى هذا لذكرى لمن شرح الله صدره للحق ، وإلا ففى مصنفاتهم الكثير من التناقضات،وما ينقض بعضه بعضا ويرده ويبين بطلانه .

وأما الصوفية، فقد وجدوا بغيتهم فى مذهب أهل الرفض ، فاستعانوا بهم، وأخذوا برواياتهم ومازعموها أدلة ، شرعية ، ونصوصا دينية فى هذا الباب .

يقول أبو يزيد البسطامي : " ليس العالم الذى يحفظ من كتاب الله، فاذا نسي صار جاهلا ، وإنما العالم الذى يأخذ العلم من ربه فى أى وقت شاء بلا تحفظ ولا درس" (٢) ما أقرب هذا القول وأشبهه بما نسبه الكليني الرافضي الى جعفر الصادق ، والذى تقدم فيما مضى.(٣)

ويقول السراج الطوسي : " ... فلما عملوا بما علموا ، ورثهم الله تعالى علم ما لم يعلموه، وهو علم الإشارة ، وعلم مواريث الأعمال التى يكشف الله تعالى لقلوب أصفيائه من المعاني المذخورة، واللطائف ، والأسرار المخزونة وغرائب العلوم، وطرائف الحكم فى معاني القرآن ، ومعاني أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٤)

ويبين أبو بكر الكلاباذي علوم الصوفية، ويصفها بأنها : " علوم الخواطر ، وعلوم المشاهدات والمكاشفات، وهى التى تختص بعلم الإشارة، وهو الذى تفردت به الصوفية " ثم يبين كيفية نيلها فيقول : " تعلم بالمنازلات والمواجيد ، ولا يعرفها إلامن نازل تلك

---

(١) وسائل الشيعة(٣/٢١٦) .
(٢) شفاء السائل لتهذيب المسائل (ص/٢٦) .
(٣) تقدم فى الورقة (١٩٥) من هذا البحث.
(٤) اللمع (ص/١٤٧) .

الأحوال ، وحل تلك المقامات" . ثم استدل بما سبقه به الرافضة[1] بالرواية التى نسبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :" إن من العلم كهيئة المكنون ، لا يعلمه إلا أهـــل المعرفة بالله، فاذا نطقوا بطم ينكره إلا أهل الغرة بالله".[2] يقصدون بأهل المعرفة أنفسهم ومن شاكلهم فى بدعهم وضلالهم، لأنهم فرقوا بين العلم والمعرفة، وبين العالم والعـــــارف حسب تقسيماتهم المبتدعة ويقول أبو طالب المكي :" .... وأما علماء الآخرة ، وأهـــل المعرفة واليقين ... هم أهل الذكر لله تعالى، وأهل التوحيد والعقل عن الله تعالى ، لم يكونوا يتلقنون هذا العلم دراسة من الكتب، ولا يتلقاه بعضهم من بعض بالألسنـــة ، وإنما كانوا أهل عمل وحسن معاملات .... وكانوا عنده فى الخلوة بين يديه، لا يذكـــرون سواه، ولا يشتغلون بغيره، فاذا ظهروا للناس ، فسألوهم، ألهمهم الله تعالى رشدهـــم ، ووفقهم لسديد قولهم، وآتاهم الحكمة ميراثا لأعمالهم الباطنة .... فآثرهم بحسن توفيقـــه أن الهمهم حقيقة العلم، وأطلعهم على مكنون السر..... فتكلموا بعلم القدرة ، وأظهـــروا وصف الحكمة، ونطقوا بعلوم الايمان ، وكشفوا بواطن القرآن ، وهذا هو العلم النافع ....." ثم يقول :" وهذه نعوت علم الباطن وعلم القلوب ، لا علم الألسنة ....."[3] هكـــذا زينت لهم شياطينهم هذا الهراء والسخف حتى جعلتهم يسخرون من العلوم الشرعية، ويلقبونـها بألقاب وأوصاف بغية تنفير الناس عنها فى حين أنهم يعظمون وساوس الشياطين ،وخيـــالات النفوس المريضة زاعمين أنها من علوم الوراثة التى تُقذف فى القلوب ، ويُلهمون بها من قبل الله تعالى وما أشبهه قول أبي طالب المكي عن علماء السوء والضلالة أنهم يلهمون إجابـــات الأسئلة التى توجه إليهم فى حينها دون علم سابق بها، [illegible] بما تقدم مــن قول الرافضة إن أئمتهم يسئلون عن أشياء، وليس عندهم علمها ، فينكت فى قلوبهم، ويلهمـــون إجابات تلك الأسئلة.[4]

ويصف القشيرى المعرفة عند الصوفية، فيقول :" المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ، ثم صدق الله فى معاملاته... ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلـــب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله.... فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفـــات نفسه بريا..... ودام فى السر مع الله مناجاته، وحق فى كل لحظة إليه رجوعه،و صـــار محدثا من قبل الحق سبحانه،بتعرف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، يسمى عنـــد

---

(١) تقدم فى الورقة (١٩٥) من هذا البحث .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/١٠٥) .

(٣) قوت القلوب (١/١٣٣-١٣٤) .

(٤) تقدم فى الورقة (١٩٦) من هذا البحث.

ذلك عارفا ٠٠٠٠ وبالجملة، فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه".[١]

ويقول أبو حامد الغزالي: " ٠٠٠٠ فاعلم أن ميل الصوفية الى العلوم الإلهامية دون التعليمية. فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، والبحث عن الاقاويل والأدلة المذكورة. بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات، ومحو الصفات المذمومة ٠٠٠" ثم يقول:" كان الله هو المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب، فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور فى القلب، وانشرح الصدر وانكشفت له سر الملكوت ٠٠٠ فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة ٠٠٠٠٠ فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد فى الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها".

ثم يبين طريق الوصول الى الكشف فقال:" ٠٠ بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه، بل يصير قلبه الى حالة يستوى فيها وجود كل شئ وعدمه، ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب، مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمل فى تفسير، ولا يكتب حديث، ولا غيره، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى، فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه: الله الله على الدوام، مع حضور القلب، حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان، ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه٠٠٠٠٠"[٢] ويقول أيضا: "إعلم أن العلم الإنسانى يحصل من طريقين: أحدهما، التعلم الإنسانى وهو معهود ومحسوس يقربه جميع العقلاء. والثاني: التعلم الربانى ويكون بالوحي، فبعد رياضات ومجاهدات، يقبل الله على نفس ذلك الإنسان، ويتخذ منها لوحا ينقش فيها جميع علومه ٠٠٠٠٠ من غير تعلم وتفكر بدليل" وعلمك ما لم تكن تعلم"[٣]، ويكون بالإلهام وهوالعلم اللدنّي الذى يحصل بلا واسطة بدليل:" وعلمناه من لدنّا علما"[٤]. فالوحي حلية الأنبياء، والإلهام زينة الأولياء٠٠٠ وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:" أدخلت لساني في فمي فانفتح فى قلبي ألف باب من العلم مع كل باب ألف باب. وقال: (لو وضعت لى وسادة وجلست عليها لحكمت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٦٠١ـ٦٠٢).
(٢) احياء علوم الدين (٣/١٦ـ١٧).
(٣) سورة النساء/١١٣.
(٤) سورة الكهف/٦٥.

الانجيل بانجيلهم ، ولأهل القرآن بقرآنهم"٠٠ وهذه مرتبة لا تُنال بمجرد التعلم الانساني، بل يتحلى المرء بهذه المرتبة بقوة العلم اللدنّي٠٠٠٠ لأن الواصلين الى مرتبة العلم اللدنّي مستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعليم"٠ ثم يبين أسباب حصول هذاالعلم،فذكر أسبابا منها : " الرياضة الصادقة، والمراقبة الصحيحة بدليل ما رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم " من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"٠

وقوله " من أخلص لله أربعين صباحا أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ٠٠٠٠ وغير ذلك مما وافق فيه الشيعة فيما نسبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى علي رضي الله عنه (١) ٠ لم يكتف الصوفية بعدم الحرص على دراسة العلم وتحصيله من المصنفات العلمية، بل حاربوها ،وحاربوا العلماء من أهل السنة والجماعة ، وكانوا يحثون تلاميذهم ومريديهم على هجر العلم والعلماء، وإحراق الكتب والمصنفات لأنها النور والبرهان الذى يكشف باطلهم وضلالهم ٠ وسيأتى تفصيل صراعهم مع العلم والعلماء قريبا إن شاء الله تعالى (٢) ٠ ويلاحظ فى أقوال الصوفية رغبتهم الشديدة فى بلوغ مراتب الربوبية والألوهية فى الناحية العلمية بزعمهم معرفة أسرار تصاريف الأقدار، وانكشاف سر الملكوت لهم، مما يدل على عدم قناعتهم ورضاهم بمقام العبودية، وتطاولهم على مقام الربوبية٠ تعالى الله عما يزعمه الظالمون المنحرفون٠

ويقول ابن عربى : " ٠٠٠٠٠ ونحن نعلم أن ثَمَّ علما اكتسبناه من أفكارنا ومن حواسنا، وثم علما لم نكتسبه بشيء من عندنا، بل هبة من الله عز وجل ، أنزله في قلوبنا ، وعلى أسرارنا، فوجدناه من غير سبب ظاهر٠٠٠٠" ويقول : " والعلم الوهبي لايحصل عن سبب ، بل من لدنه سبحانه٠٠٠٠" واستدل على تقسيمه هذا بقول الله تعالى: " وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" ٠ (٣) قال : أوتيتم ، أى أعطيتم ، فجعله هبة" (٤)

ويقول أيضا : " ٠٠٠٠ فإن المتأهب إذا لزم الخلوة والذكر، وفرغ المحل من الفكر، ٠٠٠٠٠ يمنحه الله تعالى ، ويعطيه من العلم به ، والأسرار الإلهية، والمعارف الربانية ، ٠٠٠٠٠ ثم استدل بآيات زعم أنها تؤيد دعواه٠ وقال : قيل لجنيد: بم نلت مانلت؟ فقال : " بجلوس تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة"٠ وقال أبو يزيد : أخذتم علمكم

---

(١) الرسالة اللدنية للغزالى ـ ضمن مجموعة رسائل الغزالى ـ الجزء الثالث (ص /١٠٢ـ١١٠)٠

(٢) سيأتى فى مبحث " موقفهم من القرآن والسنة"٠

(٣) سورة المائدة/٤١٠

(٤) الفتوحات المكية(١ /٢٥٣ـ٢٥٤)٠

ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذى لايموت٠٠٠٠٠" ثم قال : " والعلوم على ثلاث مراتب، علم العقل ٠٠٠٠، والعلم الثانى: علم الأحوال ، ولا سبيل لها إلا بالذوق ٠٠٠، والعلم الثالث: علوم الأسرار ، وهو العلم الذى فوق طور العقل ٠ وهوعلم نفث روح القدس فى الروع ، يختص به النبي و الولي ٠٠٠٠، العالم به يعلم العلوم كلها، ويستغرقها ٠٠ فلاعلم أشرف من هذا العلم، المحيط الحاوى على جميع المعلومات، ٠٠٠ وهذه العلوم والأسرار خارجة عن قوة الفكر، والكسب، ولاتنال أبدا إلا بالمشاهدة، والإلهام ، وما شاكل هذه الطرق ٠٠٠، ثم استدل بما روي عن عمر بن الخطاب وأنه من المحدثين، وعن أبي بكر ، وأنه قد فضل على غيره، وحديث أبي هريرة: "حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين : فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر ، فلو بثثته، قُطع مني هذا البلعوم" (١) وقول ابن عباس فى قوله تعالى :"الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن" (٢) قال : " لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى" ٠ وفى رواية: " لقلتم إني كافر، ثم استدل أيضا بقول الرضى من حفدة علي بن أبي طالب فيما نسبه إليه :

" يارُب جوهر علم لو أبوح بــه   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمــي   يرون أقبح ما يأتونه حسنا "

وزعم أن هذه الأدلة تشهد له على دعاواه وأباطيله٠ ثم قال : " فهؤلاء كلهم سادات، أبرار، فيما أحسب ،واشتهر عنهم، قد عرفوا هذا العلم ورتبته ٠٠٠٠، وأن الأكثر منكرون له٠ وينبغى للعاقل العارف أن لايأخذ عليهم فى الإنكار، فإنه فى قصة موسى مع خضر مندوحة لهم، وحجة للطائفتين، وإن كان إنكار موسى عن نسيان لشرطه، ولتعديل الله إياه ، وبهذه القصة تحتج على المنكرين ، لكنه لاسبيل الى خصامهم، ولكن نقول كما قال العبد الصالح: هذا فراق بيني وبينك٠" (٣)

ويقول عبد القادر عيسى فى تفسير الإحسان :"هو الجانب الروحي القلبي، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه براك ، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة ، واختص ببحثه السادة الصوفية" ٠ (٤)

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم باب حفظ العلم٠الفتح(١/ ٢١٦) ،وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال ابن المنير" جعل الباطنية هذا الحديث ذريعة الى تصحيح باطلهم ، حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرا وباطنا، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين" ٠

(٢) سورة الطلاق/ ١٢٠

(٣) الفتوحات المكية ــ المقدمة(١/ ٣١ـ٣٢) ٠

(٤) حقائق عن التصوف(ص/ ٤٧٤) ٠

هكذا قرر الصوفية هذا النوع من العلم المزعوم، كما فعلت الرافضة لينسبوا كل ضلالاتهم وانحرافاتهم ومخالفاتهم الشرعية إليه، وقد زينوه ووصفوه بأنه موهوب من الله تعالى ميراثا لأعمالهم وصفائهم المزعوم حتى أصبحوا من أهل الله وخاصته، فخصهم بهذا العلم الذى لا ينكره ولا يرده إلا أهل الاغترار بالله بزعمهم، ويقصدون بذلك علماء أهل السنة، والجماعة. ولم يقف الصوفية فى موافقتهم للرافضة عند تبني هذا النوع من العلم الذى ستروا وراءه تصوفهم، بل زعموا أيضا كما زعمت الرافضة أن رأس هذا العلم وأصله هو علي بن أبي طالب ،فاتخذوه رضي الله عنه ، وهو براء من كل ما نسبوه إليه، سيدا لهم وإماما فى هذا النوع من العلم لما خصه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف دون غيره من الصحابة .

زعم السراج الطوسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خص عليا بأنواع من المعارف والعلوم، واستدل بما نسبه إلى علي أنه قال : " علّمني رسول الله سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحد غيري" .(١) ونقل عن الجنيد أنه قال فى علي بن أبي طالب : " ذاك امروء أُعطي العلم اللدنّي"(٢) وبالغ أبو نعيم الأصبهانى فى ترجمة علي بن أبي طالب كثيرا فى وصفه وتخصيصه بالعلوم وغيرها، فزعم أنه خاتم الوصيين ، وباب الحكمة والعلم، وأن عنده علوم الظاهر والباطن، ونسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عهد إليه سبعين عهدا ، وخصه بها دون غيره، إلى غير ذلك من الأوصاف التى فيها غلو ومبالغة تتفق مع منهج الرافضة.(٣)

ونقل عين القضاة الهمذاني عن الجنيد أنه قال : " لو تفرغ إلينا من الحروب لنُقل عنه إلينا من هذا العلم ما تقوم له القلوب ، ذاك امروء أُعطي العلم اللدنّي".(٤) ونسب عبد الوهاب الشعراني الى علي أنه قال : "عندي من العلم الذى أسره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل "(٥) وقد ذكرت فيما تقدم جملة من أقوال ونقول المتصوفة فى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوضح اتفاقهم مع أئمتهم الرافضة فى اتخاذهم عليا إماما وقدوة فيما ذهبوا إليه من مذاهب وعقائد بما نسبوه إليه من العلوم الخاصة الموهوبة اللدنّية بزعمهم.(٦)

---

(١) اللمع (ص/٤٥٦) .
(٢) نفس المصدر (ص/١٧٩) .
(٣) حلية الأولياء (١/ ٦١) .
(٤) رسالة شكوى الغريب (ص/١٩) .
(٥) درر الغواص ـ المطبوع بهامش الإبريز (ص/ ٧٣) .
(٦) راجع الفصل الأول من هذا الباب (المبحث الثانى والثالث) .

والحاصل أن الرافضة والصوفية اجتهدوا كثيرا فى إثبات هذا النوع من العلم الخاص تأكيدا لتقسيم الدين الاسلامى الى ظاهر وباطن، ليتنسى لهم العبث فى النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتفسيرها بما يوافق هواهم باسم العلم اللدنّي، الذى خصهم الله تعالى به، وورثوه بالتلقي عن علي بن أبي طالب ميراثا لأعمالهم وإخلاصهم. وبموجب هذا العلم المزعوم اعتبر الرافضة والمتصوفة أنفسهم من الخاصة، لأنهم من خواص أهل الله تعالى ، وأنهم نالوا هذه المنزلة بما منحهم الله تعالى مفاتيح التأويلات الباطنية ، وأسرار العلوم الخاصة، والتى تمكنوا عن طريقها فهم مراد الله ومعرفة أسراره وعلومه الخاصة المودعة فى النصوص القرآنية، وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. والحقيقة أنهم بعد إيمانهم بهذا المبدأ، وتقريره والتسليم به سهل عليهم الاستدلال لكل قول من أقوالهم، ونظرية من نظرياتهم فيرفضهم وتصوفهم ، سواء فى الأمور التشريعية والتعبدية ، أو فى الأمور الاعتقادية بأدلة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلاعن أقوال أئمتهم وطواغيتهم ، فلا يعجزهم سوق الأدلة من النصوص الشرعية، كمالايعجزهم تفسيرها حسب مذاهبهم وأقوالهم مهما انحرفت،زاعمين أن ذلك هو العلم الباطن الخاص لتلك النصوص ،ولا يصل إليها الاخاصة الناس ممن استحق ميراث ما خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهذاكلهدعوى لا أصل له ولا مستند إلا الافتراء والكذب على الله تعالى ،وعلى رسوله صلى الله عليه و سلم .

المبحث الثالث
موقفهم من القرآن والسنة

لقد كانت الانسانية تعيش حياة جاهلية بائسة تعيسه بعد أن مر عليها حين من الدهر وهى تتخبط فى ظلمات الجهل والهوى، وتسيطر عليها الأوهام والترهات الفكرية والعقلية التى ملأت حياتهم بالفوضى والفساد وسوء الأخلاق. ثم أراد الله سبحانه وتعالى لأولئك المعذبين البائسين، النجاة والسعادة فى الدارين، والارتقاء والسمو فى حياتهم الفكرية والاجتماعية، فأرسل اليهم رسوله ومصطفاه، وأيده بوحيه وهداه، فرقانا ونورا عظيما يخرج الناس من الظلمات الى النور باذن الله ويهديهم الى صراطه المستقيم ومنهجه القويم، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانوا يتخبطون بها، وينقلهم من جور الأديان وضيقها الى سعة الاسلام ورحمته.

ولقد أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم هداية ورحمة لمن وفقه الله تعالى، وحجة على المعاندين المكابرين، كما أوتي عليه الصلاة والسلام مع هذا القرآن العظيم مثله، وهى سنته وحكمته بيانا وتفصيلا لكل شيء. و لقد فتح الله تعالى بالقرآن والسنة قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صما، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وارتفعت راية الاسلام على أنقاض الكفر والضلال، وجاء الحق وعم الأمن، وزهق الباطل وارتفع الظلم، وقامت دولة الاسلام والعدل فى أرض الله تعالى وخلقه بفضل الله وحده ثم بتمسك الرجال الأوائل بالمنهج الذى جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضهم بنواجذهم على ما حثهم عليه وأمرهم به، فلم يتركوا منه شيئا سواء ما كان فى كتاب الله تعالى أو في سنته صلى الله عليه وسلم امتثالا وطاعة وانقيادا.

روى ابن ماجة رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما هما اثنتان: الكلام والهدي، فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد، ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة... " الحديث(١). ورواه الامام البخارى رحمه الله فى صحيحه بنحوه موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه.(٢)

---

(١) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل (١/١٨).

(٢) صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الفتح (١٣/٢٤٩).

وروى الامام مسلم رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : " كـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب ٠٠٠٠٠ وفيه، ويقول : أما بعد ، فان خيـر الحديث كتاب الله، وخير الهدىُ هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة٠٠" ٠ الحديث(١) ٠ هكذا كان عليه الصلاة والسلام يكرر هذه القاعدة العظيمة فى خطبه ليقرر فـــي أذهان أصحابه هذا المبدأ العظيم،ليكون أصلا ينطلق منه المسلمون فى حياتهم، وهـــــو الاعتماد على الكتاب والسنة فى جميع شئونهم وأمورهم، ويعتصمون بهما غاية الإعتصام مع نبـــذ واجتناب المحدثات لأنها مفتاح لكل أنواع البدع والضلالات٠ وروى الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إنى تركت شيئين ، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض" ٠(٢) وجاء فى السنن من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وفيه" ٠٠٠٠٠ وإني قد تركت فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله، وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قـــد بلغت وأديت ونصحت ٠٠٠" الحديث(٣) ٠

فالرسول صلى الله عليه وسلم بلغ رسالة ربه ، وأدى الأمانة التى ائتمنه الله تعالى عليها ، ونصح الأمة الى كل ما فيه صلاحهم وفلاحهم فى الدنيا والآخرة٠ وقد شهد لـــــه الصحابة بذلك، وتمسكوا جميعا بالنور الذى جاءهم به، وصدقوا الله ما وعدوه، فصدقهـــم الله تعالى ، فسعدوا فى حياتهم بأن ورّثهم الله تعالى الأرض ومن عليها، وفازوا فى أخراهـم بأن رضي الله تعالى عنهم ووعدهم جنات عرضها السموات و الأرض ٠

لقد أيقن المؤمنون الأولون أنه لا شرف لهم ولا عز لهم فى دينهم و دنياهم إلا بالتمسك بما جاءهم به رسول الهدى من كتاب وسنة ، فكانوا يتعلمون الإيمان، ثم يتعلمون القـرآن، فيزدادون إيمانا ونورا وهدى ٠ ولاشك أن الصحابة قد أخذوا عن رسول الله ألفاظ القــرآن ومعانيه لأن البيان والبلاغ لا يحصل منه صلى الله عليه وسلم إلا بذلك فمعرفة مراد اللــــه

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة(٢/٥٩٢) ٠

(٢) المستدرك على الصحيحين٠ كتاب العلم، فيخطبته صلى الله عليه وسلم فى حجـــة الوداع (١/٩٣) ٠

(٣) سنن أبي داود كتاب المناسك باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم(٢/٤٦٢). سنن ابن ماجة، كتاب المناسك باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلــــــم (٢/١٠٢٥)وبنحوه رواه الحاكم فى مستدركه فى كتاب العلم، فى خطبته صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (١/٩٣) ٠

تعالى هو المقصود الأعظم من إنزال الكتب وإرسال الرسل ، ولايكون النصح للامة وأداء الأمانة كاملا إلا بتبليغ التنزيل والتأويل ، وقد أداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير وجه وأكمله، وقد تلقاها عنه الصحابة رضي الله عنهم ، وحملوا الأمانة حمل الرجال الكُمل، وأدوها إلى من بعدهم من التابعين لهم باحسان، وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها تحقيقا لوعد الله عز وجل حيث قال، فى محكم كتابه: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (١) فالله تعالى وعد وتكفل بحفظ هذا الدين الذى نزل به الوحي على رسول الهدى صلى الله عليه وسلم. و قد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طائفة من أمته تبقى على هذا المنهج القويم والصراط المستقيم المحفوظ رغم اختلاف الناس واتباعهم أهواءهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها. جاء فى صحيح البخارى رحمه الله عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" وبيَّن البخارى المراد بالحديث بما رواه تعليقا وبوب به فقال: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، وهم أهل العلم" (٢) وروى مسلم فى صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". (٣) لم يزل أهل الحق من القرن الأول على تمسكهم بما ورثوه عن رسول الله وصحابته الكرام ، فهم جميعا كانوا ومازالوا يوءمنون بأن الرسول قد جاء بالتنزيل والتأويل على السواء ، وقد أداهما الى الصحابة. وإنهم يتميزون عن غيرهم من الفرق وأصحاب الأهواء بمنهجهم فى تلقي العلوم ومصادر التشريع الذى ينهلون منه جميع عقائدهم، وعباداتهم ، ومعاملاتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم ، فمصدرهم فى سائر أمورهم من أصول وفروع هو كتاب الله وسنة رسوله ، فلا يقدمون قول أحد على قول الله تعالى، ولا هدي أحد على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن أصولهم التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويرجعون إليهم فى تفسير القرآن والسنة وتأويلهما لأنهم أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمراد الله ، وأعلم الناس بمراد رسول الله فيما جاء عنه وصح من سنته وهديه. ويوءمنون بأن الرسول قد بلغ الصحابة ألفاظ القرآن ، وفسر لهم وبينما خفي عليهم من معاني تلك الألفاظ.

---

(١) سورة الحجر/ ٩.

(٢) صحيح البخارى كتاب الاعتصام باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، وهم أهل العلم". الفتح(١٣/ ٢٩٣).

(٣) صحيح مسلم. كتاب الامارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم(٣/ ١٥٢٣).

رغم هذا الوضوح فى ظهور المنهج الحق الذى عليه أهل الإيمان ، فقد كذبت الرافضة بما جاء عن الله وعن رسوله، فزعموا أن القرآن الذى بين أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تغييرات كثيرة،من سقط وحذف وتبديل فى كلمات منه، وآيات وسور بواسطة الصحابة الذين جمعوه. ويعتقدون أن القرآن المحفوظ عن هذا التحريف الحقيقي،والموافق لما أنزله الله تعالى والمقصود بالحفظ من الله،هو ما جمعه علي ابن أبي طالب، وكتبه بخطه ثم سلمه الى ابنه الحسن ، الذى سلمه الى الحسين، وهكذا يسلمه كل إمام الى الذى بعده حتى انتهى الى القائم المزعوم الذى مازال يحفظه عنده الى يومنا هذا. ويؤمنون أن القرآن المزعوم، والذى لا وجود لمولا حقيقة إلا فى أذهان الشيعة وعقولهم التى أصبحت محلا للخرافات والترهات، وقبول المحالات ، يقع فى ثلاثة أحجام مصحفنا الموجود بين أيدينا . ويؤمنون بأن أئمتهم قد فرضوا عليهم قراءة القرآن الموجود بين أيدى الناس تقية حتى يأتي موعد إقامة دولة السرداب الشيعية، فيخرج قائمهم بقرآنه الجديد يقرأه على الناس، ويعلمه إياهم .

يقول إمامهم المفيد النعمان الهالك سنة٤١٣هـ فى بيان عقائدهم: " واتفقوا ـ أى الإمامية ـ على أن أئمة الضلال خالفوا فى كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم يقول قبحه الله: " وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية" (١) ويقول أيضا : " إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم باختلاف القرآن،وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان..." (٢)

وأورد أحمد الطبرسي ـ من أئمتهم فى القرن السادس ـ فى معرض احتجاج علي على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار ، أقوالا كثيرة لعلي تدل على أن الصحابة قد حرفوا كتاب الله وغيروه وبدلوه حتى أنه قال لطلحة: " ياطلحة ، إن كل آية أنزلها الله عز وجل على محمد عندي باملاء رسول الله، وخط يدي، وتأويل كل آية..." (٣)

ويقول الرافضي الجزائري عن الصحابة رضي الله عنهم: " ... فإنهم بعد النبي صلى الله عليه و سلم قد غيروا وبدلوا فى الدين ما هو أعظم .... كتغييرهم القرآن وتحريف

---

(١) أوائل المقالات(ص/ ٥٢) .

(٢) نفس المصدر(ص/ ٩٣) .

(٣) الاحتجاج للطبرسي (١/ ١٥٣) .

كلماته، وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين ، وفضائح المنافقين وإظهار مساوئهم" .(١)

ويذكر رواية عن الباقر عن مهديهم وأعماله وفيه: " .... ويُخرج القرآن الذى ألفه أمير المؤمنين ، ولم يعمل به الأشقياء، ويرتفع هذا القرآن الى السماء، ويُعمل بذلك القرآن" وذكر رواية عن علي يقول: " كأني أنظر الى الشيعة قد بنوا الخيام بمسجد الكوفة، وجلسوا يعلِّمون القرآن الجديد للناس" .(٢)

هذه عقيدة الشيعة قاطبة، ولا يُلتفت الى بعض الأصوات الشيعية التى تنعق بما لا تؤمن به بين حين وآخر زاعمين خلاف هذه العقيدة تلبيسا منهم على الناس عامة وعلى أهل السنة خاصة، واستمالة لعوامهم، وترويجا لباطلهم، وسترا لقبائحهم . إن هذه الأصوات أطلقها أصحابها تقية واخفاءا لمقاصدهم الخبيثة، وإن أصحابها يعتقدون فى قرارة أنفسهم بتلك العقيدة الخبيثة لأنها من لوازم مذهبهم كما يقول ويقرر ذلك إمامهم ومفسرهم هاشم البحراني فى مقدمة تفسيره – كما ذكره عنه إحسان إلهي ظهير رحمه الله – فإنه بعد ذكره ونقله للنصوص الكثيرة عن أئمتهم ومعصوميهم بتحريف القرآن يقول: " وعندي فى وضوح صحة هذا القول بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار، بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع ..." (٣) وهذا هو الحق الذى لا مرية فيه ولاشك ، فمذهبهم يقوم على نصوص يزعمونها جاءت فى مصحف فاطمة وعلي وغيرهما ، والقول بعدم التحريف، والإيمان الصادق بالقرآن الذى بين أيدينا هدم لمذهب الرفض والتشيع من أساسه، ونقض لدعائمهم وأركانهم. ويبين حقيقة قول المنكرين للتحريف، المخالفين لما فى نفوسهم ،وما هو مذهب جمهورهم الرافضي الجزائري حيث يقول: "..... والظاهر إن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها،سد باب الطعن عليه بأنه إذا جاز هذا فى القرآن، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع جواز لحوق التحريف له... ثم يقول: كيف ،وهؤلاء الأعلام رووا فى مؤلفاتهم أخبارا كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور فى القرآن، وأن الآية هكذا نزلت ثم غُيرت الى هذا." ثم راح يفضح أهل التقية والنفاق بما فى مؤلفاتهم مما يبين حقيقة اعتقادهم المخالف لقولهم بعدم وقوع التحريف فى القرآن الكريم. (٤)

---

(١) الأنوار النعمانية(١/ ٩٧) .
(٢) المرجع نفسه (١/٩٥) .
(٣) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير(ص/ ٧٤) .
(٤) الأنوار النعمانية(٢/ ٣٥٨_٣٥٩) .

وقد كشف عوارهم،وهتك أستارهم،إمام من أئمتهم المعتبرين المعظمين عندهم، حتى أنهم كافأوه بعد هلاكه سنة ١٣٢٠ هـ بدفنه، بجوار أمير المؤمنين في مرقده المزعوم ، والمسمى بالصحن الشريف، إكراما له وتعظيما لشأنه ، وتخليدا لذكراه[1] ، واعترافا منهم بما قام به من عمل جليل حيث ألف لهم كتابا جمع فيه الأحاديث والروايات من أمهات كتبهم ومراجعهم، ونقلا عن أئمتهم الاثني عشر، حتى أوصلها الى حد التواتر وزيادة، وكلها تؤكد عقيدتهم الخبيثة فى تحريف القرآن وتبديله ، وقد سمى كتابه هذا" فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب".

إن أئمة الرفض والضلال قد تمكنوا من تأويل قول الله عزوجل " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[2] تأويلا يوافق مذهبهم ، فصوروا لأتباعهم أن الآية ليست عقبة في وجه عقائدهم، ولكن كيف يمكنهم الخروج من عقبة عظيمة تصطدم بعقيدتهم الخبيثة، وتهدمه، وتكشف زيفهم وباطلهم، وهى إقرار على بن أبي طالب بعد أن آلت إليه خلافة المسلمين وأمرتهم لهذا القرآن بما فيه ، ولِمَ لَمْ يشمر عن ساعد الجد لتنقية كتاب الله تعالى من التحريفات والتغييرات التى طغت عليه، وشوهت كلام الله تعالى ؟ لِمَ لَمْ يطهره من جميع الشوائب والمعائب التى طفح القرآن بها بفعل الصحابة كما يزعمون ؟ لِمَ لَمْ يتصدى لهذا المنكر العظيم وهو أمير المؤمنين انتقاما وغيرةً لله تعالى وكلامه، وإظهارا للحق وأداءً للامانة التيأخذها الله تعالى على الحكام والعلماء؟ لا يشك أحد من العقلاء أن الذب عن كتاب الله وعن سنة رسوله ، وتصفيتها ، وتنقيتها من جميع الشوائب التى انتحلها المبطلون، وزيّفها المنحرفون أهم من قيادة الحروب والمعارك ، وإشغال الجيوش الاسلامية بهدف عزل بعض الولاة عن بعض الأقاليم الإسلامية.

إن عقيدة تحريف القرآن وتغييره مما اختص به أهل الرفض والتشيع دون الصوفية ، فإنهم لم يبوحوا ويصرحوا بها كإخوانهم وشيوخهم، وإن كانوا يتفقون معهم فى الجرأة على التلاعب بنصوص القرآن والسنة بالتحريف والتعطيل بما يوافق مذاهبهم وعقائدهم المنحرفة. فالصوفية خالفوا أهل الرفض فى القول بالتحريف نصا، ووافقوهم ضمنا فى موقفهم الخبيث من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة .

لقد اتفق الصوفية مع الشيعة أن للدين ظاهراً وباطناً كما تقدم، فالظاهر هو ما تفهمه عامة الناس ، وما يتبادر من النصوص ، وأما الباطن فهو العلم الخاص، وحقيقة

---

(١) الكنى والألقاب للأحقر عباس القمي(٢/٤٠٥).
(٢) سورة الحجر/ ٠٩

مراد الله تعالى ومراد رسوله، وهذا الخاص لا يفهمه ولا يصل إليه إلا الأئمة عند الشيعة والأولياء عند الصوفية ·

لما عجز المنحرفون الضالون من أئمة الرفض والتصوف عن صرف الناس عن القرآن والسنة، اجتهدوا فى صرفهم عن المراد بهما بما اخترعوه بأن لنصوص القرآن والسنة ظواهر وبواطن ، وأن نسبة البواطن الى الظواهر كنسبة اللبّ الى القشر، وتمكنوا بهذه البدعة الخبيثة من صرف خلق عظيم عن القرآن والسنة بما زخرفوه لهم من فنون مقالاتهم المزيفة التى زينوها لهم بزينة الشيطان، كما تمكنوا من تسخير النصوص القرآنية ،ونصوص السنة النبوية لخدمة مذاهبهم وعقائدهم، وأهملوا التفسير الصحيح الذى يعتمد فى فهم النصوص على النقل والعقل الصحيح، وفتحوا لأنفسهم أبوابا ومصادر فى التشريع تناسب مشاربهم ومذاهبهم·

قرر الرافضة أنهم سوف يعتمدون فىتأويل القرآن وفهم نصوصه على النصوص النقلية التى تبلغهم عن الأئمة المعصومين ، وزعموا أنهم المصدر الوحيد الواجب على كل أحد اعتمادُه فى هذا الباب ، وبهذا ضمنوا لأنفسهم مصدرا عظيما، ومعينا لا ينضب من النصوص التى يضعها أهل الرفض وينسبونها لمن زعموهم معصومين مما يقررون به قواعدهم وعقائدهم ·

وقرر المتصوفة أنهم سوف يعتمدون فى تأويل القرآن وفهم نصوصه على الأذواق والمواجيد، وعلى ما زعموه كشفا ومشاهدة ، وغير ذلك مما يحصل لأئمتهم من أنواع الكرامات والخوارق ·وبهذا وذاك انفتح الباب فى التلاعب بالنصوص القرآنية على مصراعيه ، وبدأت مواكب أهل الأهواء بالتعرض لكلام الله تعالى والخوض فيها حسب أهوائهم وأمزجتهم لتوافق دعوتهم الباطنية الخبيثة، ولتقرر نظرياتهم وعقائدهم فى هدم دين الله تعالى وشرعه باسم التفسير الباطن للقرآن، وباسم الحقيقة ، وزعموا أن الحقيقة والباطن للأولياء والأئمة والخاصة من الناس. وإحكاما لدعواهم وبدعتهم ، ولصبغها بصبغة شرعية زعموا كاذبين، بأن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضى لوصيّه علي بالمعنى الباطن لآيات القرآن وأملاه عليه وخصه به دون غيره من الصحابة· وزعموا أن تلك المعاني لا تؤخذ إلا عن الأئمة الذين يوحى إليهم، أو الأولياء الذين يكشف لهم، وهم بدورهم يلقّنونه من يرونه من المريدين والأتباع أهلا لذلك الميراث، وقد بلغت بهم جميعا الوقاحة ذروتها فزعموا أن عليا قاتل فى حروبهومعاركه على تأويل القرآن، بينما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم على تنزيله·

ذكر أحمد بن على الطبرسي الرافضي رواية طويلة عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده فيها احتجاج علي على أبي بكر بأشياء كثيرة منها قوله: " فأنشدك بالله، أنا الذى

بشرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والقاسطين، والمارقين على تأويل القرآن أم أنت ؟ قال أبو بكر: بل أنت". (١)

ويقول أبو الفيض المنوفي الصوفي مقررا هذه المفاسد: " إن جبريل نزل الى رسول الله أولا بالشريعة، فلما تقررت ظواهر الشريعة واستقرت، نزل إليه بالحقيقة المقصودة، والحكمة المرجوة من أعمال الشريعة .... فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بباطن الشريعة بعض أصحابه دون البعض .وكان أول من أظهر علم القوم ،وتكلم فيه علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ...... وأخذه عن على أول الأقطاب، ولده الحسن رضي الله عنهما...." (٢) وذكر فى ترجمة علي بن أبي طالب رواية عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مخاطبا الصحابة رضي الله عنهم : " يا أيها الناس إن منكم من يقاتله علي على تأويل القرآن، كما قاتلت علىتنزيله". (٣) ويقول صوفى آخر مقررا تخصيص علي بتأويلات القرآن الباطنية وأنه نالها بالوصية المزعومة، فيقول :

" وأوضح بالتأويل ما كان مشكلا   على بعلم ناله بالوصية" (٤)

واتفق الصوفية والرافضة أيضا بأن حق التأويل والتفسير خاص لبعض الناس، فلايجوز لمن لم يخصه الله تعالى بالعلوم الباطنية، والحقائق أن يتناول النصوص القرآنية بالشرح وبيان مراد الله تعالى منها، مهما بلغت درجته ومنزلته فى العلوم الظاهرة.

روى أبو جعفر الصفار الهالك سنة ٢٩٠ هـ بإسناده إلى الباقر أنه قال: " مايستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء". (٥)

وبإسناده إليه أيضا أنه سئل عن الرواية" ما من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن" فقال: " ظهره تنزيله، وبطنه تأويله ...... قال الله تعالى " وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم" (٦) نحن نعلمه" وباسناده الى جعفر الصادق أنه قال :

---

(١) الاحتجاج للطبرسى (١٢٥/١).
(٢) جمهرة الأولياء للمنوفى(١٥٩/١).
(٣) نفس المصدر (٢٨/٢).
(٤) ديوان ابن الفارض(ص/٦٠).
(٥) بصائر الدرجات الكبرى للصفار. باب فى أن الائمة أعطوا تفسير القرآن الكريم والتأويل (ص/٢١٣).
(٦) سورة آل عمران/٠٧.

"إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه....." (١) وعقد الحر العاملي الرافضي لتأكيد هذه العقيدة، وترسيخ هذه القاعدة الشيعية بابا بعنوان" باب أنه لايعرف تفسير القرآن إلا الائمة" وضمنه روايات شيعية كاذبة". (٢)

وذكر محسن الفيض الكاشاني فى تفسيره - كما نقله عنه هنري كوربان - رواية عن علي أنه قال: " ما من آية قرآنية الا ولها أربعة معان: ظاهر، وباطن، و حد، ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم ...." وذكر رواية عن جعفر الصادق أنه قال: " إن فى كتاب الله أموراً أربعة : العبارات، والإشارات، واللطائف ، والحقائق، فالعبادات، ظاهر النص للعوام، والإشارات للخواص، واللطائف أي المعاني المستورة للأولياء..." (٣)

وذكر أيضا فى شرحه وتهذيبه على الإحياء مانصه: " أما ماذكره أبوحامد من أن العلم بمعاني القرآن وتفسيره إنما الاعتماد فيه على النقل، فصحيح ، ولكنه أراد بالنقل مايروى عن الصحابة والتابعين الذين كانوا يفسرون القرآن فى الأكثر بآرائهم ، الذين لايجوز الاعتماد على أقوالهم ودياناتهم ...... بل الحق والواجب أن يوءخذ من أهله، وليس أهله إلا الذين أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالتمسك بهم بعده : " إنى تارك فيكم الثقلين، إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" ومعنى عدم الافتراق أن علم القرآن عندهم ...." (٤)

ويقول الخميني الرافضي الصوفي مقررا هذه الضلالات إنه لايحمل القران "بظاهره وباطنه إلا الأولياء المرضيين" وإنه " ماجمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب، والائمة من بعده ...." ويقول : " إن للقران بطوناً سبعة باعتبار، وسبعين بطنا بوجه، لا يعلمها إلا الله والراسخون فى العلم" ويقول :" إن كل منْ كان تنزهه وتقدسه أكثر ، كان تجلى القرآن عليه أكثر، وحظه من حقائقه أوفر" . ويقول: " فجاهد أيها المسكين فى سبيل ربك ، وطهر قلبك ....، ولا تقف على قشره، ولا تتوهمنّ أن الكتاب السماوي، والقرآن النازل الرباني لايكون إلا هذا القشر والصورة..." (٥)

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى للصفار. باب فى أن الائمة أعطوا تفسير القرآن الكريم والتأويل (ص/٢١٤-٢١٦).

(٢) الفصول المهمة فى أصول الأئمة (ص /١٧٣).

(٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية لهنري كوربان (ص/٤٥) نقلها عن مقدمة تفسير الكاشاني المسمى "بالصافي".

(٤) المحجة البيضاء فى تهذيب الإحياء (١/٤٩-٥٠).

(٥) شرح دعاء السحر (ص/٧٠-٧٢).

ويقول أيضا : " إن للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن ، أدناها ما يكون في قشور الألفاظ ، وقبور التعيينات، وقد ورد أن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ، وهذا المنزل الأدنى رزق المسجونين في ظلمات عالم الطبيعة ، ولا يمس سائر مراتبه إلا المطهرون ..... والمتوضئون بماء الحياة من العيون الصافية ، والمتوسلون بأذيال أهل بيت العصمة والطهارة ، والمتصلون بالشجرة المباركة الميمونة ، والمتمسكون بالعروة الوثقى ... " (١)

هذا بعض ما أورده الرافضة في هذا الباب ، وأما الصوفية فقد روى أبو بكر الكلاباذي عن عبد الواحد بن زيد أنه سأل الحسن البصري عن علم الباطن ، فزعم أن الحسن سأل حذيفة ، وحذيفة سأل الرسول ، والرسول سأل جبريل عنه فقال : سألت الله عز وجل عنه فقال : " هو سر من سري ، أجعله في قلب عبدي ، لا يقف عليه أحد من خلقي " . (٢)

ويقول أبو طالب المكي : سئل بعض العلماء عن علم الباطن أي شيء هو ؟ فقال : " سر من سر الله تعالى ، يقذفه في قلوب عباده ، لم يُطلع عليه ملكا ولا بشرا " (٣) وذكر المنوفي رواية عن علي بن أبي طالب يرفعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكمه من حكمته يقذفه في قلوب من يشاء من عباده " . (٤)

ويقول ابن عربي مبينا وموضحا عقيدة الصوفية في هذا الباب : " إعلم أن رجال الله على أربع مراتب : رجال لهم الظاهر ، ورجال لهم الباطن ، ورجال لهم الحد ، ورجال لهم المطلع . فإن الله سبحانه لما أغلق دون الخلق باب النبوة والرسالة ، أبقى لهم باب الفهم عن الله فيما أوحى به إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز ، ..... وقد أجمع أصحابنا ، أهل الكشف على صحة خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في آي القرآن : " إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن ، وحد ، ومطلع " . ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ، ولكل طائفة من هذه الطوائف قطب ، على ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف " . (٥)

---

(١) نفس المصدر (ص/ ٤٩ـ٥٠) .
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/ ١٠٥ـ١٠٦) .
(٣) قوت القلوب (١/ ١٢٠) .
(٤) جمهرة الأولياء للمنوفي (١/ ٨٨) .
(٥) الفتوحات المكية (٣/ ١٨٧) .

وبهذا أصبح للشيعة تفسيرات خاصة بهم وتأويلات تناسب مشاربهم، وجمعوا فى ذلك مؤلفات كثيرة زعموا أنها تفاسير للقرآن الكريم، وكذلك الصوفية أصبح لهم تأويلهم الخاص بهم الموافق لمذهبهم ، وقد امتلأت كتبهم ومؤلفاتهم بهذه التأويلات تأييدا لنظرياتهم ومناهجهم. وقد وضع بعضهم مؤلفا خاصا فى التفسير كالسلمي وابن عربي وغيرهما. إن مؤلفات الشيعة والصوفية عامة مشحونة بالتأويلات الباطنية التى أدخلوا من خلالها فى دين الله ما شاءوا من مزاعم وافتراءات توافق أهواءهم وعقائدهم وأهدافهم ، ولقد تلاعبوا بنصوص كتاب الله تلاعبا أفقدها ما كانت تتحلى به من الجلال والهيبة، وأبعدوها بتأويلاتهم عن المعاني الحقيقية التى سيقت من أجلها، ولم يبق للألفاظ والعبارات القرآنية أي احترام وتقدير فى النفوس لأنها أصبحت عندهم بلا مدلول أو معنى لأنها تقبل كل تفسير وتأويل ولا تخضع لأى من القواعد اللغوية والشرعية. ولاشك أن تفسير النصوص القرآنية بما يخالف الحقائق الشرعية والمعاني اللغوية التى سيقت من أجلها، وحَمْلها على غير معانيها، وسوقها على خلاف أهدافها ومقاصدها تحريف لها. ولقد بالغ المنحرفون فى صرف الألفاظ القرآنية عن معانيها الحقيقية الى أخرى فاسدة توافق عقائدهم ، وتناسب مشاربهم ، وتؤيد بزعمهم أهدافهم و أغراضهم . لقد حرفوا الكلم عن مواضعه، وحمّلوا الآيات القرآنية ما لاتحتمله، وتقولوا على الله تعالى بلا علم ولا برهان . يميلون بكلام الله تعالى نحو نظرياتهم ، ويلوونها حسب مذاهبهم، وليس لهم فى عملهم هذا دليل أو أثر نقلي صحيح يعتمدون عليه، ولا برهان عقلي صحيح يستندون إليه،وغاية أمرهم فيما يعتمدون عليه ويرجعون إليه أوهام وخيالات وأكاذيب اخترعوها عن مجموعة من عقائدهم المنحرفة،و سلوكياتهم الزائفة، بالاضافة الى مجموعة عظيمة من الخرافات التى أوجدتها وزينتها عقول أئمتهم وأوليائهم ، تلك العقول التى عشش فيها الباطل، وفرّخ فيها إبليس وجنوده حتى غدت مأوى لكافة ألوان الخرافات والترهات، ومصدرا لأنواع الأباطيل والمنكرات.

ينظر الرافضة الى كتاب الله تعالى على أنه نزل لتعزيز نظرية الإمامة وحق الأئمة ، فباطن القرآن يختص بالدعوة الى الإمامة ولوازمها ، وحقوقها،وما يتعلق بها، فيشير الى الأئمة المعصومين، و يأمر بموالاتهم ، وينهى عن مخالفتهم . ويعتقد أهل الرفض عامة أن آيات المدح والثناء نزلت فى آل البيت والأئمة ، وأن آيات الذم والوعيد وذكر المنافقين والكافرين والظالمين والملعونين نزلت فى الخلفاء الراشدين ، وجمهور الصحابة ومن وافقهم وتبعهم فى سلوكهم ومنهجهم .

روى الكليني بإسناده عن علي قال: " نزل القرآن أثلاثا : ثلث فينا ، وفى عدونا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام". وروى بإسناده عن الباقر أنه قال: " نزل القرآن

أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سنن وأمثال ، و ربع فرائض وأحكام" .(١)

وذكر إمامهم ومحدثهم ونصيرهم محمد بن النعمان رواية عن جابر الجعفي أن الباقر قال له : " يا جابر ، سمى الله الجمعة جمعة لأن الله عز وجل جمع فى ذلك اليوم الأولين والآخرين ، وجميع ما خلق الله من الجن والإنس ، وكل شيء خلق ربنا ، والسموات والأرضين ، والبحار ، والجنة ، والنار ..... فأخذ منهم الميثاق له بالربوبية ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة ، ولعلي بالولاية ... ثم قال الله عز وجل :" يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة"(٢) والصلاة أمير المؤمنين ، يعني بالصلاة الولاية ، وهى الولاية الكبرى .... ثم قال : " وذروا البيع" يعني الأول " ذلكم" يعني بيعة أمير المؤمنين وولايته " خير لكم" من بيعة الأول وولايته " إن كنتم تعلمون" " فاذا قضيت الصلاة" يعنى بيعة أمير المؤمنين" فانتشروا فى الأرض " يعني بالأرض الأوصياء ، أمر الله بطاعتهم وولايتهم كما أمر بطاعة الرسول وطاعة أمير المؤمنين ، كنى الله فى ذلك عن أسمائهم ، فسماهم بالأرض ."وابتغوا فضل الله ، "قال جابر :" وابتغوا من فضل الله " قال : هذا تحريف ، هكذا نزلت : وابتغوا فضل الله على الأوصياء .... ثم خاطب الله عز وجل فى ذلك الموقف محمدا صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد" واذا رأوا" الشكاك والجاحدون " تجارة" يعني الأول ، "أو لهوا" يعني الثاني ، "انصرفوا إليهما" . قال قلت : " انفضوا إليها " قال : تحريف ، هكذا نزلت ، "وتركوك" مع علي" قائما قل" يا محمد" ما عند الله" من ولاية علي والأوصياء" خير من اللهو ومن التجارة" يعنى بيعة الأول والثانى " للذين اتقوا" . قال قلت : ليس فيها للذين اتقوا . قال : فقال : بلى هكذا نزلت الآية ، وأنتم هم الذين اتقوا .... "(٣) وروى أيضا بالإسناد المظلم الى ابن عباس فيما نسبه إليه ورفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ...... "والسماء ذات البروج" (٤) .... قال : أما السماء فأنا ، وأما البروج فالأئمة بعدي ، أولهم علي ، وآخرهم المهدي ... "(٥)

هكذا يتلاعبون بالألفاظ دون تقيد بقواعد ولارجوع الى أصول . فالأرض تعني الأئمة ، والبروج تعني الأئمة ، والصلاة تعني علي ، والبيع أبو بكر ، واللهو عمر ، وعقولهم تصدق

---

(١) أصول الكافي للكليني ، كتاب فضل القرآن ، باب النوادر (٢/٦٢٧ـ٦٢٨) .
(٢) سورة الجمعة/٩ .
(٣) الاختصاص للمفيد النعمان (١٢٩ـ١٣٠) .
(٤) سورة البروج/١ .
(٥) الاختصاص للمفيد النعمان (٢٤٤) .

وتؤمن بأن هذا هو مراد الله تعالى من هذه الألفاظ وهذه الآيات القرآنية ٠

وروى الكليني باسناده عن جابر عن الباقر أنه قال فى قوله تعالى: " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله" (١) قال : فقال : هم والله أولياء فلان وفلان ، إتخذوهم أئمة دون الامام الذى جعله الله للناس إماما ، فلذلك قال : " ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار" (٢) ٠ ثم قال أبو جعفر : هم والله يا جابر أئمة الظَّلَمة وأشياعهم" ٠ (٣)

وروى أبو جعفر الصفار الهالك سنة ٢٩٠ هـ والكليني عن موسى الكاظم ــ سابع أئمتهم ــ أنه قال فى قول الله تعالى " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها ومابطن" (٤) قال : " إن القرآن له ظهر وبطن ، فجميع ما حرم الله فى القرآن هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الجور ٠ وجميع ما أحل الله تعالى فى الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق (٥) ٠ وروى بإسناده الى جعفر الصادق فى قول الله تعالى "إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم"ــ هكذا ساق الآية، ولعله نقلها من مصحف شيعي خاص بهم ، لأنه حسب مصحفنا خلط بين آيتين من سورتين مختلفتين (٦) ــ قال : نزلت فى فلان وفلان وفلان ٠ آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فى أول الأمر ، وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية ٠٠٠٠ ثم امنوا بالبيعة لأمير المؤمنين ، ثم كفرا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقروا بالبيعة ٠ ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم ، فهؤلاء لم يبق فيهم من الايمان شئ" ٠ (٧)

---

(١) سورة البقرة /١٦٥ ٠

(٢) سورة البقرة / ١٦٥ــ١٦٧ ٠

(٣) أصول الكافى للكليني كتاب الحجة باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل (١ / ٣٧٤) ٠ والاختصاص للنعمان (ص / ٣٣٤) ٠

(٤) سورة الاعراف / ٣٣ ٠

(٥) بصائر الدرجات الكبرى ، باب فيه معرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال وأنهم الجبت والطاغوت والفواحش (ص/ ٥٣ــ٥٤) ٠ وأصول الكافي ،كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة٠٠٠ (١ / ٣٧٤) ٠

(٦) سورة آل عمران / ٩٠ : "ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون" ٠
سورة النساء/ ١٣٧ : " ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ٠

(٧) أصول الكافى كتاب الحجة باب فيه نكت ونتف من التنزيل فى الولاية (١ / ٤٢٠) ٠

هذه نماذج من تحريفات الرافضة وتلاعبهم بالنصوص القرآنية وتسخيرها لخدمة عقائدهم وأهدافهم بأسلوب وقح بغيض، تمجه العقول وترفضه الفطر السليمة، ولكن شاء الله أن يكون هناك خلق يؤمن بجميع أنواع الخرافات ، وتقبل عقولهم كل ألوان المحالات والتناقضات، يتلقون ما تمليه عليهم أئمتهم بالقبول والإذعان ، وينساقون لأوامرهم كالبهائم، تنقاد الى مذابحها ومسالخها بالإذعان والتسليم، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وأبصرهم.

وأما الصوفية فإنهم ينظرون الى كتاب الله عز وجل على أنه نزل ليقرر مبدأ الاتحاد بين الحق والخلق، ونظرية وحدة الوجود الخبيثة . ويؤمنون بأن باطن القرآن يختص بالدعوة الى الاتحاد والوحدة ، ولوازم هذه النظرية الفاسدة وما يتعلق بها، وغيرها من عقائدهم وسخافاتهم التى آمنوا بها ، وصرفوا النصوص القرآنية عن معانيها ، وتلاعبوا بها لتشهد لهم وتؤيدهم فيما زعموه من نظريات وأفكار منحرفة .

يقول ابن عربى فى قوله تعالى :" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة..." الآية (١) : اتقوا ربكم أي اجعلوا ماظهر منكم وقاية لربكم، واجعلوا ما بطن منكم، وهو ربكم، وقاية لكم ..... (٢) ويقول فى قوله تعالى :" وأدخلي جنتي" (٣) أي التى بها ستري ، و ليست جنتي سواك، فأنت تسترني بذاتك، فلا أُعرف إلا بك ، كما أنك لا تكون إلا بي، فمن عرفك عرفني .... فاذا دخلت جنته، دخلت نفسك، فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها. فتكون صاحب معرفتين: معرفة به من حيث أنت ، ومعرفة به بك من حيث هو لامن حيث أنت.

فأنت عبد وأنت رب ... لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد ... لمن له فى الخطاب عهد

فرضي الله عن عبيده ، فهم مرضيون، ورضوا عنه فهو مرضي ، فتقابلت الحضرتان تقابل الأمثال ، والأمثال أضداد...... فان الوجود حقيقة واحدة ، والشيء لا يضاد نفسه.

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن ... فما ثمّ موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى ... بعيني إلا عينه إذ أُعاين (٤)

---

(١) سورة النساء/١.
(٢) شرح فصوص الحكم ، الفص الأول، فص حكمة إلهية فى كلمة آدمية (ص/٣٨).
(٣) سورة الفجر /٣٠.
(٤) شرح فصوص الحكم. الفص السابع ، فص حكمة علية فى كلمة إسماعيلية (ص/١١٠ - ١١٥).

بهذه الأقوال الساقطة والأفكار المنحرفة يزعمون أن النصوص القرآنية تؤيد نظرياتهم، في وحدة الوجود ، ويزعمون أن هذا التلاعب من العلم الخاص الذى استأثرهم الله تعالى به ويزين لهم الشيطان أعمالهم وضلالهم . ويقول ابن عربى أيضا فى تقرير الكفر والضلال ومساواة الشرك بالتوحيد، والضلال بالهدى، والكفر بالايمان فيما يزعمونه بوحدة الأديان ما نصه في شرحه لقول الله تعالى :

" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" (١) يقول : فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الأمر، ونحن نحملها على الحكم كشفا وهو الصحيح، فانهم اعترفوا أنهم مايعبدون هذه الأشياء إلا لتقربهم الى الله زلفى ، فأنزلوهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم ... ولهذا يقضي الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غَيرةً منه على المقام أن يهتضم..... " (٢) ويقول مؤكدا هذا الكفر والضلال فى قول الله تعالى : " وإلهكم اله واحد" (٣) " إن الله خاطب فى هذه الآية المسلمين، والذين عبدوا غير الله قربة الى الله، فما عبدوا إلا الله... فقال الله لنا إن إلهكم والاله الذى يطلب المشرك قربه إليه بعبادة هذا الذى أشرك به واحد، كأنكم ما اختلفتم فى أحديته، فقال : " وإلهكم "، فجمعنا وإياهم اله واحد، فما أشركوا إلا بسببه.... " (٤) ويقول أيضا كاشفاً هدف التصوف، وغايتهم فى هدم الأديان ومساواة عبادة الأوثان بعبادة الرب الملك الديان، يقول فى قوله تعالى : " إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم" (٥) يقول : " إيجازالبيان فيه ، يا محمد إن الذين كفروا أي ستروا محبتهم فيّ عنهم، فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذى أرسلتك به، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك ، فإنهم لا يعقلون غيري .... وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيري ، وعلى سمعهم، فلا يسمعونكلاما فى العالم إلا مني ، وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي .... " (٦) هكذا يستمر فى تعليل أنواع الكفر والزندقة ويزينه بحجج و اهية بزعمها من المكاشفات التى حصلت له ، فعلم ما لم يعلمه الأولون ولا الآخرون، وبهذه المكاشفات الشيطانية يجعلون فرعون وحتى

---

(١) سورة الاسراء/ ٢٣.
(٢) الفتوحات المكية الباب الأحد والثلاثون والثلثمائة (٣/ ١١٧) .
(٣) سورة البقرة / ١٦٣.
(٤) الفتوحات المكية ، الباب الثالث والسبعون وأربعمائة (٤/ ١٠٦) .
(٥) سورة البقرة / ٦ـ٧.
(٦) الفتوحات المكية ، الباب الخامس فى معرفة أسرار بسم الله الرحمن الرحيم (١/ ١١٥ـ١١٦) .

إبليس من أهل الإيمان الخاص، ومن أهل الزلفى والمنزلة العظيمة عند الله تعالى،هكـــذا يتلاعبون بالآيات والنصوص حتى لا يبقى هناك فرق بين الكفر والايمان، وبين الشرك والتوحيد، وحتى بين الجنة والنار، أسأل الله تعالى أن يحشرهم مع فرعون وإبليس ٠

ويقول عبد الكريم الجيلي الهالك سنة٨٠٥هـ في قوله تعالى:" ما قلت لهم إلا مـا أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم٠٠٠"(١) لم أخصص نفسي بالحقيقة الإلهية٠٠٠٠ وكان العلم الذى جاء به عيسى زيادة على ما فى التوراة هو سر الربوبية والقدرة، فأظهره، ولهذا كفر قومه لإن إفشاء سر الربوبية كفر، فلو ستر عيسى هذا العلم وبلغه الى قومه فى قشور عبـــارات وسطور إشارات كما فعله نبينا لكان قومه لم يضلوا من بعده٠٠٠ ولو بلّغ موسى ما بلغـــه عيسى الى قومه لكان قومه يتهمونه على قتل فرعون فإنه قال" أنا ربكم الأعلى"(٢) وما يعطي افشاء سر الربوبية إلا ما ادّعاه فرعون٠٠٠٠ فلو أظهر موسى شيئا من علم الربوبية فـــى التوراة لكفر به قومه واتهموه فى مقاتلة فرعون، فأمره الله بكتم ذلك كما أمر نبينامحمدا صلـــى اللهعليه وسلم بكتم أشياء مما لايسعه غيره للحديث المروى عنه" أوتيت ليلة أسرى بي ثلاثة علوم : فعلم أُخذ عليّ فى كتمه، وعلم خُيرت فى تبليغه، وعلم أُمرت بتبليغه" فالعلم الذى أُمر بتبليغه هو علم الشرائع، والذى خير فى تبليغه هو علم الحقائق، والذى أخذ عليه فـى كتمه هو الأسرار الإلهية، ولقد أودع الله جميع ذلك فى القرآن ، فالذى أُمر بتبليغه ظاهر، والذى خُير فى تبليغه باطن ٠٠٠٠٠ والعلم الذي أُخذ عليه فى كتمه فإنه مودع فى القرآن بطريق التأويل لغموض الكتم، فلا يعلم ذلك إلا من أشرف على نفس العلم أولا،وبطريـــق الكشف الإلهى٠٠٠ "٠(٣)

بهذا الكشف المزعوم ملأوا الدنيا كفرا وزندقة وفجورا قبحهم الله، وأظهروا مـــن الجرأة والوقاحة على نصوص الكتاب والسنة خدمة لأهدافهم وأغراضهم الخبيثة٠ وهكذا زين لهـم الشيطان ضلالهم وكفرهم فى التعرض للقرآن الكريم الذى هو المصدر الأول من مصـــادر التشريع الإسلامى الذى تعتمد عليه الأمة وتستند إليه، وهو الحصن الإلهى المنيع الـــذى تحتمى به الأمة على مر الدهور والعصور حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن عظيـــم فضل الله تعالى على هذه الأمة أن تعهد سبحانه وتعالى بحفظ هذا المصدر العظيم وبقائه " إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون"(٤) وقال تعالى " لا تبديل لكلمات الله"(٥)

---

(١) سورة المائدة/١١٧٠

(٢) سورة النازعات/٢٤٠

(٣) الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل (١/١١٦ـ١١٧)٠

(٤) سورة الحجر/٩٠

(٥) سورة يونس /٦٤٠

حفظ الله كتابه من الضياع، ومن عبث العابثين الذين خططوا وعملوا للقضاء على هذا الدين العظيم، ولا يزالون يعملون جاهدين، وقد نجحوا فى صد أتباعهم عن هذا الحصن المنيع، وأخرجوهم من النور الى الظلمات، ومن الايمان الى الكفر والضلال.

لم يقف المنحرفون عند هذا الحد، وكما تعرضوا لكتاب الله بالتحريف والتعطيل والتشويه، وكما أظهروا الجرأة والوقاحة على نصوص القرآن، فإنهم فعلوا فعلتهم، ومارسوا بدعتهم المنكرة مع المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. رغم قيام العلماء العاملين بالعناية الكبيرة نحو السنة المطهرة من حيث جمعه وتدوينه، ومن حيث روايته ودرايته، جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن حتى اجتمع للأمة الإسلامية قدْرا عظيما، وكما هائلا من السنة النقية من الشوائب والغرائب، رغم جهود العابثين المنحرفين فى الدس والتحريف والوضع تشويها لهذا المصدر العظيم. ولقد تميزت هذه الأمة دون غيرها من الأمم بهذا التراث النبوي العظيم حتى لم يغب عنها شيء يُذكر من أقوال رسولهم صلى الله عليه وسلم وأعماله وتقريراته، مما ثبتت وصحت عنه بالإسناد اليه. رغم هذا كله فإن موقف أهل الضلال من هذا المصدر لم يختلف عن موقفهم من المصدر الأول. فالرافضة ردّوا جميع النصوص التى رواها ونقلها الثقات الضابطون العدول من أهل العلم والفضل عن جمهور الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بحجة ارتدادهم عن هذا الدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلا نفرا يسيرا وعددا قليلا منهم زعموهم ممن والىٰ عليا واتخذه إماما. ثم استبدلوا الذى هو أدنى بالذي هو خير، فجعلوا لشيعتهم مصدرا بديلا وهو عبارة عن أقوال وأحوال من زعموهم أئمة معصومين، وأحاديث ممّا رواها ذلك النفر المعدود من الصحابة، أو غيرهم مما يوافق مذهبهم، مع ذلك الكم العظيم مما دسوه ووضعوه على أئمتهم، ونسبوه إليهم إقرارا وتأييدا لمذهب الرفض والتشيع، دون النظر فى أسانيد تلك المرويات والموضوعات، وأحوال رواتها بحجة انتهاء روايتها الى الائمة وأهل العصمة.

روى كبيرهم الذى علمهم الإفك، ووضع لهم الكثير من أصول الرفض، إمامهم وحجتهم محمد بن يعقوب الكليني الهالك سنة ٣٢٨هـ، بإسناده الى الباقر أنه قال: "كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد ابن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي".(١)

وروى أيضا باسناده المظلم الى الباقر أنه قال عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما نصه: "... وإن الشيخين فارقا الدنيا، ولم يتوبا، ولم يتذكرا ما صنعا بأمير

---

(١) فروع الكافى، الروضة (٨/ ٢٠٥).

المؤمنين ، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ". (١)

وروى محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي الرافضي الهالك سنة٣٨٥هـ، وهو أول من صنف في علم الرجال وأحوالهم عندهم بإسناده الى الباقر أنه قال: " كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة...." (٢)

وروى باسناده المتهافت الى جعفر الصادق أنه قال : " ..... هلك الناس أجمعون ..... إلا ثلاثة ..... وفي لفظ عنه قال : ارتد الناس إلا ثلاثة أبو ذر وسلمان والمقداد..." (٣)

وذكر الشقي النعمان الملقب بالمفيد والهالك سنة٤١٣هـ " حديث أمير المؤمنين مع إبليس" ثم ذكر إسناده المظلم الى على أنه كان مع جماعة من شيعته " فطلع عليهم شيخ عظيم الهامة، مديد القامة، له عينان بالطول فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته..... ثم قال : فوالله لأحدثنك بحديث عني عن الله عز وجل ما بيننا ثالث .....لما هبطت بخطيئتي الى السماء الرابعة ناديت بالهي وسيدى! ماأحسبك خلقت خلقا هو أشقى مني.فأوحى الله تبارك وتعالى : بلى قد خلقت من هو أشقى منك فانطلق الى مالك بريكه .... فانطلق بي مالك الى النار فرفع الطبق الأعلى فخرجت نار سوداء ... وهكذا الى الطبق السابع وكل نار تخرج من طبق هى أشد من الأولى... فرأيت رجلين فى أعناقهما سلاسل النيران معلقين بهما الى فوق ، وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها. فقلت: يا مالك من هذان؟ فقال : أو ما قرأت على ساق العرش؟ وكنت قبل قد قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته ونصرته بعلي، فقال : هذان من أعداء أولئك وظالميهم".

ونقله عنه أيضا الشقي الآخر محمد باقر المجلسي فى بحار ظلماته (٤) وروى أحمد بن علي الطبرسي، وهو من علمائهم فى القرن السادس الهجري بإسناده الساقط المصطنع الى الباقر حديثا طويلا جدا قال : " جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة، وأهل الأطراف ، والأعراب سبعين ألف إنسان، أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين

---

(١) نفس المصدر ـ الروضة (٨/٢٠٦).
(٢) اختيار معرفة الرجال ، رجال الكشي (ص/٦).
(٣) نفس المصدر (ص/٧ـ٨).
(٤) الاختصاص حديث أمير المؤمنين مع إبليس (ص/١٠٨ـ١٠٩) وبحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (٣٨٨/٩).

ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون ، فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري ، وكذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة لعلي بالخلافة على عدد أصحاب موسى، فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري ، سُنّة بسُنّة، ومثلا بمثل ...." (١)

وذكر ابن أبي جمهور الإحسائي الرافضي الهالك بعد سنة ٩٠١هـ حديثا زعم رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من نازع عليا الخلافة بعدي فهو كافر" (٢)

وذكر محمد الباقر المجلسي الرافضي الهالك سنة ١١١٠ هـ عن جعفر الصادق أنه قال : " لما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين عليا يوم غدير خم ، كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين ، منهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة. قال عمر: أما ترون عينيه كأنهما عينا مجنون ؟ الساعة يقوم ويقول : قال لك ربي. فلما قام، قال : يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : الله ورسوله. قال : اللهم فاشهد. ثم قال : ألا من كنت مولاه فعلي مولاه. وسلموا عليه بإمرة المؤمنين. فنزل جبريل وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالة القوم، فدعاهم، فسألهم فأنكروا وحلفوا. فأنزل الله" ويحلفون بالله ما قالوا.." (٣)

هذه أقوال الرافضة فيمن اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ومصطفاه، وهذه عقيدتهم فى حملة الدين ونقلة الأخبار والآثار عن رسول الهدى ، ومازالوا على هذه العقيدة الخبيثة، يلقنها كل زمرة الى من بعدهم ضمانا لبقاء مذهبهم ودينهم وعقائدهم المنحرفة. ولا يلتفت الى من يزعم فى هذا العصر أن تلك العقائد كانت فى صدور رجال منهم، وقد انقرض عصرهم وبادت تلك العقائد واندثرت . فهكذا كبيرهم وإمامهم فى الزندقة والإلحاد في هذا العصر، قد حمل لواء الرفض والتشيع، ووحد فرق الرفض جميعا لمحاربة الإسلام وأهله يقول فى وصف الصحابة رضي الله تعالى عنهم: " ... حفنة من الانتهازيين المتربصين" ويصفهم أيضا بأنهم " حفنة معروفة تقوم بعد وفاته بالتناطح من أجل الرئاسة والحكم". ويقول "إننا لانعبد إلها شامخا للعبادة والعدالة والتدين ، ثم يقوم بهدمه بنفسه، ويُجلس يزيدا ومعاوية وعثمان وسواهم من العتاة فى مواقع الإمارة على الناس". (٤)

---

(١) الاحتجاج للطبرسى . باب احتجاج النبى صلى الله عليه وسلم يوم الغدير على الخلق كلهم ... (١/ ٥٦).

(٢) عوالى اللئالئ العزيزية فى الأحاديث الدينية (٤/ ٨٥).

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. باب فى أخبار الغدير (٣٧/ ١١٩)

(٤) كشف الأسرار للخميني (ص/ ١٢٣ـ ١٢٤).

ويقول " اننا هنا لا شأن لنا بالشيخين ، وما قاما به من مخالفات للقرآن ، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه ، وما حرماه من عندهما ، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وضد أولاده، ولكننا نشير الى جهلهما بأحكام الإله والدين " (١)

ثم يستعرض ما تخامر في ذهنه وعقله العفن مما زعمه من المخالفات والتلاعب مما نسبه لعنه الله إلى أبي بكر وعمر ، ويسوّد في ذلك أكثر من عشر صفحات من كتابه الخبيث ، الذى يصف فيه بعض ما نسبه الى عمر بقوله العفن : " ٠٠٠٠ كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية ، والنابعة من أعمال الكفر والزندقة٠٠٠٠ " (٢) واكتفى هذا الخبيث الرافضي بذكر مثالب الشيخين عن ذكر مثالب غيرهما من الخلفاء بقوله : " ٠٠٠ وأما عثمان ومعاوية ويزيد ، فإن الجميع يعرفونهم جيدا " ٠ (٣)

نعم، إننا معشر أهل السنة والجماعة نعرفهم جيدا ، ونعرفك ونعرف أهل الرفض والتشيع، ونعرف سبب هذا الحقد يا عدو الله، فإن هؤلاء الرجال هم ممن أرغموا أنوف أسلافكم ومرغوها فى أوحال الذل والهزيمة والهوان ، وفرقوا شملكم ، ودمروا دياركم وحضاراتكم الجاهلية المجوسية الكافرة٠ هؤلاء ممن أعز الله تعالى بهم دينه، ونصربهم رسوله،ورفع بهم رايات التوحيد والعدل ، وأذل بهم الشرك وأهله، وهدم بهم أوثانكم وأربابكم التى تعبدونها من دون الله٠ ونعرفك يا إمام الرفض،وحامل لواء الكفر فى هذا العصر، ونعرف مجوسيتك التى أبيت لها إلا الظهور ، فرفعت لواء أجدادك وأسلافك المجوس واليهود، وجندت الجيوش محاولا إعادة دولة الكفر، ومحاربة الإسلام وأهله، وإطفاء نور الله تعالى ، وهدم دينه انتقاما لأجدادك وأسيادك من الأكاسرة والأباطرة ، وشفاءً لما كان فى صدورهم، وصدور أهل الرفض والضلال من الحقد والحسد والنقمة على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اصطفاهم الله تعالى وطهرهم وهيأهم لصحبة حبيبه ورسوله،ونصرة دينه، وهدم عروش الظلم وقتل ملوكها وسلاطينها ، ودك دولهم و حضاراتهم الكافرة٠ فرضي الله تعالى عنهم ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ، وزادكم ذلا وهوانا فى الدنيا والآخرة ٠

وأما الصوفية ، فرغم أنهم لا يطعنون فى الصحابة، ولا يصرحون برد رواياتهم ، فإنهم يتفقون مع أهل الرفض بما اخترعوه لأنفسهم وأتباعهم من مصدر بديل عن السنة المطهرة، وهو عبارة عن أقوال وأحوال شيوخهم وأئمتهم، وشطحاتهم ومواجيدهم فى حال

---

(١) كشف الأسرار للخميني (ص/ ١٢٦)٠
(٢) المصدر نفسه (ص/ ١٣٧)٠
(٣) المصدر السابق (ص/ ١٢٧)٠

يقظتهم وسكرهم مما يؤيدون به نظرياتهم الصوفية وأفكارهم، ويزعمون أنها من الكشوفات والعلوم الخاصة التى حصلت لهم ،وأنه لا يدركها ولا يفهمها إلا من ذاق طعم التصوف، وشرب من كؤوسها ، ودخل فى سلكهم ،ومارس أحوالهم ونحلتهم. فالصوفية وإن لم يصرحوا كالرافضة برد الأحاديث والسنن، فإن موقفهم من الحديث وأهله، وعلماء أهل السنة والجماعة، لا يقل فى خبثه عن موقف أهل الرفض . فهم يصدون أتباعهم عن الحديث وأهله، وعن دراسة السنن والآثار، ويحذرونهم من مجالسة أهل العلم،ويصرحون باستغنائهم عنهم وعن علومهم وسننهم وآثارهم ، شأن جميع أهل البدع والضلال فى محاربتهم الحق وأهله.

فالصوفية وافقوا الرافضة فى استغنائهم عما رواه الصحابة وحملوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين والشرائع، فقد شرعوا لأنفسهم عبادات كثيرة، وطقوسا فى الدين والسلوك والأخلاق تخالف ما كان عليه الصحابة ، وما رووه ونقلوه الى من بعدهم أداءً منهم للأمانة ونصحاً للأمة . ويزعمون كذبا وافتراءً أن دينهم وشرعهم يتلقونه عن الله تعالى مباشرة ، أوعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما قد خصهم به من الأذكار والعبادات والسلوك والأخلاق ، فيزعم بعضهم التلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فى حال منامهم،ويزعم آخرون تلقيهم عنه فى حال اليقظة ، ومنهم من يزعم التلقي من الخضر أو بعض شيوخهم الذين ماتوا من قرون ، وأنهم يتلقون منهم الأوراد والأذكار وحتى الشرائع من قبورهم. هذه وغيرها مصادر يؤمن الصوفية بها كمصدر لتلقي الشرائع والعبادات وأنها تغنيهم عن دراسة السنن ومعرفتها فى دينهم ونحلتهم .

نقل الشعراني فيما نسبه الى الفضيل بن عياض قوله: " من فهم معنى القرآن استغنى عن كتابة الحديث" (١) وروى أبو نعيم بإسناده الى الفضيل قوله: " ... وإني لأسمع صوت أصحاب الحديث فيأخذني البول فرقا منهم" (٢) ونقل أبو طالب المكي عن بشر بن الحارث قوله: " ... حدثنا وأخبرنا، باب من أبواب الدنيا، وقال مرة: الحديث ليس من زاد الآخرة". (٣)

ونقل أيضا عن أبي سليمان الداراني قوله: " من تزوج أو كتب الحديث، أو طلب معاشا، فقد ركن الى الدنيا" (٤) . وذكر الشعراني شرطا مهما عندهم من شروط تلقين الذكر فقال ما نصه: " ... شرطه أن يعطى الله الشيخ من العزم أنه يخلع على المريد حال

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٦٨) .
(٢) حلية الأولياء (٨/ ٩٤) .
(٣) قوت القلوب (١/ ١٥٦) .
(٤) نفس المصدر (١/ ١٥٧) .

تلقينه الذكر جميع علوم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وعلومها هي علوم الشريعة المطهرة، فلا يصير بعد التلقين يجهل شيئا من أحكام الشريعة المطهرة، فيستغني عن سؤال الناس، وعن النظر في كتاب الله. ويقول : ولما لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وخلع عليه ذلك، صار يقول : عندي من العلم الذي أسره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عند جبريل وميكائيل .." (١)
وروى أبو نعيم بإسناده الى علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من زهد في الدنيا علمه الله تعالى بلا تعلم، وهداه بلا هداية ، وجعله بصيرا ،وكشف عنه العمى". (٢)

ونقل الشعراني فيما نسبه الى الجنيد قوله: " المريد الصادق غني عن علم العلماء، وإذا أراد الله بالمريد خيرا، أوقعه الى الصوفية ومنعه من صحبة القراء" (٣) ويقول أبو طالب المكي :" .... قال بعض العلماء: كان أهل العلم على ضربين : عالم عامة، وعالم خاصة، فأما عالم العامة فهو المفتي في الحلال والحرام، وهؤلاء أصحاب الأساطين، وأما عالم الخاصة فهو العالم بعلم التوحيد والمعرفة ، وهؤلاء أهل الزوايا، وهم المنفردون، وقد كانوا يقولون : مثل الإمام أحمد مثل دجلة كل أحد يعرفها، ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد..." (٤)

هذه بعض أقوالهم ونقولهم وكذبهم مما يقنعون به أنفسهم وأتباعهم للاستغناء عن علم الحديث، وحتى النظر في كتاب الله مع استخفافهم بالعلماء وأهل العلم ونقله الآثار والسنن وتحقير شأنهم ومكانتهم لصد الناس عنهم وعن العلم والدين.

وأما عن تلقيهم عن الله مباشرة والاعتماد على ذلك كمصدر من مصادر التشريع ووصفه بالكشف وغيره من مصطلحاتهم المنحرفة. فقد نقل ابن خلدون عن أبي يزيد البسطامي قوله: " ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله، فإذا نسي صار جاهلا ، وإنما العالم الذي يأخذ من ربه في أي وقت شاء بلا تحفظ، ولا درس". (٥) ونقل عنه الشعراني قوله : "حظوظ كرامات الأولياء على اختلافها تكون من أربعة أسماء: الأول والآخر ، والظاهر، والباطن.... فأصحاب اسمه الظاهر يلاحظون عجائب قدرته، وأصحاب اسمه الباطن يلاحظون

---

(١) درر الغواص ــ بهامش الابريز (ص/ ٨٠)
(٢) حلية الأولياء (١/ ٧٢).
(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٨٥).
(٤) قوت القلوب (١/ ١٤٢).
(٥) شفاء السائل لتهذيب المسائل (ص/ ٢٦).

ما يجرى فى السرائر، وأصحاب اسمه الأول شغلهم بما سبق ، وأصحاب اسمه الآخر متربصون بما يستقبلهم، فكل يكاشف على قدر طاقته إلا من تولى الحق تعالى تدبيره..." (١)

ونقل ابن عربى عن أبي يزيد قوله مخاطبا بزعمه علماء الرسوم:" أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذى لايموت ، يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون حدثني فلان ، وأين هو؟ قالوا : مات. عن فلان . وأين هو؟ قالوا : مات." (٢)

ويقول ابن عربى:" وكان الشيخ أبو مدين إذا قيل له قال فلان عن فلان عن فلان يقول : ما نريد نأكل قديدا ، هاتوا ، إئتونى بلحم طري .... أنت ما خصك الله به من عطاياه من علمه اللدنّي، أي حدثوا عن ربكم واتركوا فلانا وفلانا ، فإن أولئك أكلوه لحما طريا ، والواهب لم يمت، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد ، والفيض الإلهى، والمبشرات ما سد بابها ،وهى من أجزاء النبوة..." (٣) ويقول ابن عربى أيضا :" فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه كيف ينتهى كلامه أبدا ، فشتان بين مؤلف يقول : حدثني فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله ، وبين من يقول : حدثني قلبي عن ربي ، وإن كان هذا رفيع القدر، فشتان بينه وبين من يقول : حدثني ربي عن ربي ، أى حدثني ربي عن نفسه...." (٤). وعن معرفة الصحيح من الضعيف فى السنن والآثار يقول إن بعض الأولياء يسمع الحديث من الروح الذى هوجبريل عليه السلام يلقيه على محمد صلى الله عليه وسلم، فيكون هذا الولى كالصحابة فى سماعهم حديث جبريل فى الإسلام والإيمان والإحسان، ثم يقول :" ورُب حديث يكون صحيحا من طريق رواته، يحصل لهذا المكاشف الذى قد عاين هذا المظهر فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث الصحيح، فأنكره". (٥)

ويقول القشيري :" سمعت منصور المغربي يقول : رأى بعضهم الخضر فقال له : هل رأيت فوقك أحدا ؟ فقال : نعم، كان عبد الرزاق بن همام يروي الأحاديث بالمدينة والناس حوله يستمعون ، فرأيت شابا بالبعد منهم رأسه على ركبتيه، فقلت له: يا هذا ،عبد الرزاق يروي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلِمَ لا تسمع منه؟ فقال : إنه يروى عن ميت ، وأنا لست بغائب عن الله. فقلت: إن كنت كما تقول ، فمن أنا ؟ فرفع رأسه وقال : أنت أخي أبو العباس الخضر، فعلمت أن لله عبادا لم أعرفهم". (٦)

---

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى(١/ ٧٧).
(٢) الفتوحات المكية(١/ ٢٨٠).
(٣) المصدر نفسه(١/ ٢٨٠).
(٤) المصدر السابق(١/ ٥٧).
(٥) المصدر السابق(١/ ١٥٠).
(٦) الرسالة القشيرية(٢/ ٦٨٥).

هكذا أوجدوا لأنفسهم أصلا فاسدا يصححون بموجبه ما وافق هواهم ويردون ما خالف مذهبهم بحجة الكشف والتلقي عن الله، وعن الروح مباشرة. والشعراني يكرر كاذبا زاعما سماعه هاتفا عن الحق تعالى يخاطبه ويرشده، تعالى الله عما يقول الظالمون ويزعمون علوا كبيرا.(١)

وقد قسم الغزالى العلوم الى علم المعاملة، وعلم المكاشفة(٢)، وأطال فى بيان هذا العلم المزعوم الذى شجعه وشجع المتصوفة والفلاسفة بعده على التطرف والغلو دون حرج بدعوى أنها حصلت بطريق الكشف والمشاهدة المباشرة بعد ارتفاع الحجب والأغطية عن قلوبهم وعقولهم .

لذلك يقول ابن عربى عن الصوفية ، أنهم يدينون الله بالمواجيد والمواهب التى يخصهم الله تعالى بها " وبما صح عندهم من أحاديث الأحكام ما اتُفق على ضعفه وتجريح نقلته ، وهم أخذوه من الكشف عن قائلة صحيحا ... على غير ما تقرر عند علماء الرسوم فينسبونهم الى الخروج عن الدين، وما أنصفوا ، فإن للحق وجوها يوصل إليه منها، هذا أحدها، ورُبَّ حديث قد صححوه، واتفقوا عليه، وليس بصحيح عندهم من طريق الكشف، فيتركون العمل به ..." (٣)

ويقول بهاء الدين محمد مهدى الشهير بالرواس الرفاعي الصيادي الهالك سنة ١٢٨٧هـ ويعتبر مجدد الطريقة الرفاعية: "..... ففى الليل ونحن على شاطئ النهر رأيت أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي يا ولدي : أنت بهاء الدين مهدي نُبي الطاهرين ، جدد، جدد، جدد. فقلت: روحي الفداء لعتبة بابك الطاهر، عبِّر لي الخضر أمرك هذا ، أكما عبَّر هو ؟قال : نعم .... قلت: دلني على الطريق الى الله ، قال : تمسك بولدي أحمد الرفاعى، تصل الى الله، فهو سيد أولياء أمتي بعدأولياء القرون الثلاثة ، وأعظمهم منزلة، ولا يجئ مثله الى يوم القيامة غير سميك المهدي بن العسكري..." (٤) ويزعم أنه رأى النبي مرة أخرى، بل مرات ومرات، وفى إحداها خصه بدعاء وقال له : " اقرأه كل يوم صباحاً ومساءً ثلاث مرات". (٥)

وهكذاانطلق مشايخ الطرق الصوفية وأتباعهم بعد تبنى هذه الدعوى المنحرفة فمنهم من يزعم اجتماعه بالنبي ومذاكرته إياه يقظة لا مناما (٦). ومنهم من يزعم اجتماعه بالخضر

---

(١) الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية، بهامش الطبقات الكبرى (١/ ١٥١)، (٢/ ١٨٨)

(٢) إحياء علوم الدين ـ المقدمة.

(٣) كتاب الفناء فى المشاهدة (ص/ ٤) مطبوع ضمن رسائل ابن عربى.

(٤) بوارق الحقائق (ص/ ٢١٢).

(٥) المصدر نفسه (ص/ ٤٠١).

(٦) الطبقات الكبرى للشعرانى (١/ ٢٠٣).

والمهدى وغيرهما، وحتى إبليس كان له حظ فى الاجتماع والمذاكرة مع الصوفية [١] ، ومنهم من زعم عروجه الى السموات والتقائه بالأنبياء والرسل وأهل كل سماء [٢] . وهكذا انفتح الباب على مصراعيه وولج منه المنحرفون ومروجوا الفلسفات اليونانية وأهل الوحدة وقدموا أفكارهم ونظرياتهم ومذاهبهم المنحرفة باسم الكشف والاطلاع حتى بلغ بهم الأمر الى القول بايمان إبليس [٣] وفرعون [٤] وغيرهما . وأما أفلاطون فهو إمام الصوفية، وقد شرب من ماء الحياة المزعوم، فهو حي باق إلى يومنا هذا . وكذلك أرسطو فكان مرافقا للخضر فى رحلته الى ماء الحياة التى شرب منها ، وقد كان يخدم الخضر واستفاد من علومه وتصوفه [٥] ، الى غير ذلك من الهراء الذى ملأوا به كتبهم و مصنفاتهم . وقد جعل الصوفية هذه الدعوى ملاذا لتفسير وترويج شطحاتهم ومخالفاتهم ومنكراتهم، واقناع الناس باستقامتها وسلامتها ليفوزوا بعدم الإنكار على أصحابها ، وعدم تنفيذ الحدود والعقوبات عليهم. وجعلوا من هذه الدعوى سترا وحجابا يسترون به حقيقة أمرهم ، حتى تبجح بعضهم بإظهار الكفر والزندقة والإلحاد قولا وفعلا ، الأمر الذى حمل علماء أهل السنة والجماعة للتصدى لهذا التيار الخطير الذى يهدد الأديان والشرائع، ويبطل الأحكام والحدود، فلا كفر ولا ردة ولا شرك، بل كل له قدر ونصيب من العبادة عندهم. فشهد القرن الثالث الهجرى صراعا عظيما بين العلماء والصوفية الذين ستروا كفرهم وباطلهم فى مظاهر الزهد والعبادة ولباس الصوف . يقول الهجويرى : "وللايمان والمعرفة فضل بأنهما غيبيان ، فإذا صارا عيانا يصير الإيمان خبرا، ويرتفع الاختيار فى عين ذلك، وتضطرب أصول الشرع، ويبطل حكم الردة ، ولا يصح تكفير بلعم وبرصيصا وإبليس لأنهم بالاجماع كانوا عارفين بالله عز وجل" . [٦] ويقول : "... فمن يكن عالما بالعبارات المجردة، وحفظها دون حفظ المعنى، يسمونه عالما ، ومن يكن عالما بمعنى الشيء وحقيقته، يسموه عارفا ، ولذلك فان هذه الطائفة (يعنى الصوفية) حين يريدون

---

(١) الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل (٢/٤٤) ، الطبقات الكبرى للشعراني (٢/١٣٩) ، الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية- بهامش الطبقات الكبرى للشعرانى (٢/١٥-١٧) .

(٢) رسالة الاسراء الى مقام الاسرى لابن عربى. الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل (٢/١٢) .

(٣) الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل (٢/٦١-٦٤) .

(٤) نفس المصدر (١/١١٧) .

(٥) المصدر السابق (٢/١١٦-١١٧) .

(٦) كشف المحجوب (٢/٥١٤) .

الاستخفاف بأقرانهم يسمونهم علماء". (١)

الحاصل أن الصراع بين أهل الحق والصوفية كان شديدا، فمنهم من صدرت الأحكام فيهم بالكفر والزندقة والمروق من هذا الدين، ومنهم من أُخرج من بلده، ومنهم من عُوقب، ومنهم من أُقيم عليه الحد فقُتل وصُلب . وهذا الأمر أزعج المتصوفة الذين أجمعوا أمرهم، واجتهدوا في مخرج من هذا الأمر سترا لقبائحهم، وتزيينا لباطلهم، وحفاظا على أجسادهم ورقابهم من إقامة الحدود وغير ذلك من ألوان العقوبات التي تلقوها على أيدي أهل السنة والجماعة. فهذا السراج الطوسي قد عقد كتابا في لمعه فقال: " كتاب تفسير الشطحيات والكلمات التي ظاهرها مستشنع، وباطنها صحيح مستقيم" ليقرر فيه أن إنكار الشطحات والطعن في قائليها باب للهلاك والفتنة، وأن تأويلها على وفق منهج أربابها هو السلامة والنجاة، فيقول: "وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة في الأولياء، ويقيس بفهمه ورأيه ما يسمع من ألفاظهم..." ويقول: " لا ينبغي لأحد أن يظن أنه يحوي جميع العلوم حتى يُخَطِّئ برأيه كلام المخصوصين ويُكَفِّرهم ويُزَنْدِقهم، وهو متعر من ممارسة أحوالهم ومنازلة حقائقهم وأعمالهم". (٢) ثم أخذ يعتذر ويتكلف في تأويل شطحات بعض شيوخ الصوفية كأبي يزيد والشبلي وغيرهما. (٣)

كما عقد بابا لذكر جماعة من المشايخ الذين تعرضوا لبعض الأحكام والعقوبات في هذا الصراع، يقول: " فمنها ما وقع لذي النون المصري حيث شهدوا عليه بالكفر والزندقة" (٤) " وأبو سعيد الخراز، أنكر عليه جماعة من العلماء ونسبوه الى الكفر بألفاظ وجدوها في كتاب صنفه وهو كتاب السر" (٥) " وسهل بن عبد الله التستري، كفّروه ونسبوه الى القبائح عند العامة حتى وثبوا عليه وأُخرج من تستر" (٦) وذكر عددا من المشايخ حتى الجنيد بأنهم شهدوا عليه بالكفر والزندقة. (٧)

ويقول أبو طالب المكي مبينا مقاما من مقامات أهل المعرفة من المتصوفة فيقول: " .... في هذا المقام يعلم العبد أن الله عز وجل يحبه، ويقول العبد: بحقي عليك،

---

(١) كشف المحجوب (٢/٦٢٦).
(٢) اللمع (ص/٤٥٣-٤٥٨).
(٣) نفس المصدر (ص/٤٥٩-٥١٦).
(٤) المصدر السابق (ص/٤٩٨).
(٥) المصدر السابق (ص/٤٩٩).
(٦) المصدر السابق (ص/٤٩٩).
(٧) المصدر السابق (ص/٥٠٠).

وبجاهي عندك، ويقول : بحبك لي٠ وهؤلاء هم المدلُون على الله تبارك وتعالى، والمستأنسون بالله تعالى،وهم جلساء الله تعالى ، قد رفع الحشمة بينه وبينهم، وزالت الوحشة بينهم وبينه، فهم يتكلمون بأشياء هى عند العامة كفر بالله تعالى ٠٠٠٠٠" (١)

ويبين القشيرى طرفا من هذا الصراع فيقول : " سمعت أبا علي الدقاق يقول : لما سعى غلام الخليل بالصوفية الى الخليفة، أمر بضرب أعناقهم، فأما الجنيد فإنه تستر بالفقه ، وكان يفتي على مذهب أبي ثور٠٠٠٠٠" (٢)

ويقول الهجويرى : " ٠٠٠ أظهر غلام الخليل عداوته لهذه الطائفة، وسلك مع كل منهم لونا من الخصومة، فأخذوا النوري والرقام وأبا حمزة ، وحملوهم الى دار الخلافة ، وقال غلام الخليل : هؤلاء قوم من الزنادقة٠٠٠٠" ٠ (٣) ويقول عين القضاة الهمذاني عن أبي حمزة البغدادى الصوفي: " ٠٠٠٠ كان له فى جميع علوم الصوفية لسان، سمعوا منه فى حال سكره كلاما شهدوا عليه بالزندقة، ومذهب الحلولية،وأخرجوه من طرسوس، وأُغير على دوابه ونودي عليها : هذه دواب الزنديق" ٠ (٤) ويقول ابن عربى: " وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهى،الذين منحهم أسراره فى خلقه، وفهّمهم معاني كتابه، وإشارات خطابه ، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام" ٠ (٥) ويصف علماء الرسوم بقوله: " أخذوا العلم من الكتب، ومن أفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا فى زعمهم أنهم من أهل الله بما علموا وامتازوا به عن العامة، حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى الله تعليمهم فى سرائرهم٠٠٠" ٠ (٦) ومازال الصوفية يتباكون على الحلّاج وغيره ممن أفتى العلماء بقتلهم وتكفيرهم فى ذلك الصراع بين الحق والباطل٠ يقول اليافعى فى ترجمته للحلّاج وقد ذكر طائفة من مشايخ الصوفية الذين قبلوا الحلّاج واعترفوا بفضله، ومنهم عبد القادر الجيلاني، وأبو حامد الغزالي ، وشهاب الدين السهروردي ٠ وذكر دفاعهم عنه ومن قول الجيلاني فيه : " عثر الحلّاج، فلم يكن فى زمنه من يأخذ بيده ، ولو كنت فى زمنه لأخذت بيده، وأنا

---

(١) قوت القلوب (٢/٧٧) ٠
(٢) الرسالة القشيرية (٢/٥٠٣) ٠
(٣) كشف المحجوب (٢/٤٢١) ٠
(٤) رسالة شكوى الغريب (ص/٢١) ٠
(٥) الفتوحات المكية (١/٢٧٩) ٠
(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة٠

لكل من عثر مركوبه من أصحابي ومريديّ ومحبيّ الى يوم القيامة آخذ" . ثم ذكر دفاع الغزالي والسهروردي عنه ثم قال : " إن الحلّاج ظفر به سلطان الشرع ، وأبو يزيد تحصن بدرع الحال الذى هو عن سلاح تسلط السلطان سائر . وما أحسن ما أُشار به بعض أرباب الأحوال في وقوع الحلّاج دون أبي يزيد حيث قال : الحلّاج خرج من بحر الحقيقة الى الساحل ، وظُفر به فأُسر وأُقيم عليه الحد . وأما أبو يزيد فلم يخرج من بحر الحقيقة والتحقيق ، فلم يكن لهم الى الظفر به طريق" . (١)

وقد جمع الشعرانى أحوال طائفة كبيرة من مشائخ الصوفية الذين نالهم ولحقهم الأذى في ذلك الصراع ، فيقول : " ونقل الثقات عن أبي يزيد البسطامي أنهم نفوه من بلده سبع مرات . . . . . وكذلك وقع لذي النون المصري ، . . . . وحملوه من مصر الى بغداد مغلولا مقيدا . . . . . وكذلك وقع لسمنون المحب . . . . هو وجماعة من الصوفية . . . فأمر الخليفة بضرب عنق سمنون وأصحابه ، فمنهم من هرب ، ومنهم من توارى سنين . . . وكذلك وقع لأبي سعيد الخراز الذى أفتى العلماء بتكفيره بألفاظ وجدوها في كتبه . . . . وكذلك شهدوا على الجنيد حين كان يقرر في علم التوحيد ثم إنه تستر بالفقه واختفى ، وأخرجوا محمد بن الفضيل البلخي بسبب المذهب ، . . . . . وعقدوا العبد الله بن أبي حمزة مجلسا حين قال أنه يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، فلزم بيته فلم يخرج إلا للجمعة حتى مات ، وأخرجوا الحكيم الترمذى حين صنف كتاب علل الشريعة وكتاب ختم الأولياء ، ثم يزعم الشعراني أن الترمذي ألقى كتبه في البحر فابتلعتها سمكة سنين ، ثم لفظتها وانتفع الناس بها . . . . . . وأخرجوا أبا الحسن البوشنجي وأنكروا عليه وطردوه الى نيسابور حتى مات . . . وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة بعد ضربه على رأسه ومنكبيه . . . . . وشهدوا على السبكي بالكفر مرارا . . . . . وأبو بكر النابلسى ، أخرجوه من المغرب مقيدا الى مصر وشهدوا عليه عند السلطان ، فأُخذ وسُلخ وهو حي ثم قتل ، وأخرجوا أبامدين المغربي ، وذكر طائفة أخرى ممن تعرض للأذى من قبل علماء أهل السنة والجماعة مما يدل على اعتراف الصوفية أنفسهم وشهادتهم على أنفسهم بموقف علماء أهل السنة والجماعة منهم . ومن مذهبهم . وذكر فيهم الغزالي ، وأبا الحسن الشاذلي وأحمد الرفاعى وابن عربي وعمر بن الفارض وعبد الحق ابن سبعين وغيرهم" . (٢)

وقال عن الحلّاج : " وأما الحلّاج فإنه كان من القوم ، وهو الصحيح ، فلايخفى محنته" ثم ذكر وزعم كرامات حصلت له في حياته ثم قال : " . . . . وضرب ألف سوط ، فلم يتأوه ،

---

(١) مرآة الجنان لليافعي (٢/٢٥٣ـ٢٥٦) .

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (١/١٥ـ١٧) .

وقطعت يداه ورجلاه وصلب ثم أحرق بالنار، ووقع الاختلاف فيه بين الناس أهو الذى صلب ؟ أم رُفع كما وقع فى عيسى عليه الصلاة والسلام" (١) .وقال الشعرانى أيضا : " وقد كان أهل بلد أبي يزيد البسطامى يرمونه بالزندقة ويقولون هذا يُظهر الاسلام ويُخفى الكفر. (٢)

هذه أقوال بعض أعلام أهل التصوف وشهادتهم على أنفسهم مما يدل على جهود علماء أهل السنة والجماعة فىإنكار المنكر وتغييره وإقامة الحدود والعقوبات بالمبتدعة والزنادقة والملحدين فى جميع العصور. وقد نقل الشعراني عن الجنيد قوله : " لايبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال ، حتى يشهد فيه ألف صدّيق من علماء الرسوم بأنه زنديق : وذلك لأن أحوالهم من وراء النقل والعقل " (٣) . فهذه شهادة من شيوخهم على أنفسهم .

ولقد تنبه دعاة التصوف أثناء هذا الصراع، وخاصة بعد مقتل الحلّاج، الى ضرورة التزام السرية فى دعوتهم وإخفاء حقائقهم الكفرية عن أهل العلم، وحتى عامة الناس، فاخترعوا مبدأ السرية وكتمان الحقائق والمعارف والكشوفات المزعومة عن غير أهلها. الأمر الذى انتهى بهم الى موافقة شيوخهم وأسيادهم الرافضة فى القول بالتقية، والاستفادة من خبرتهم وتجربتهم فى نشر الباطل ومحاربة الاسلام . كما اخترعوا حكايات كثيرة تحث المريدين والأتباع على التسليم لشيوخ التصوف وعدم الإنكار عليهم فى كل ما يرونه منهم مما هو مخالف فى ظاهره بزعمهم للشرع، وحاولوا جهدهم فى إقناع العامة من الناس أن أعمال الصوفية وأقوالهم لايجوز إنكارها من غير أهلها، لأنهم ما ذاقوا ولا وجدوا بزعمهم. كما استشهدوا بحكايات تخوف العامة من حصول الأضرار فى الأموال والأبدان لمن ينكر على الصوفية حتى فى قلبهو بينه وبين نفسه، ولقد نجحوا فى هذا الى حد ما، فنرى بعض العلماء يتحرجون من ذكر الصوفية بالجرح والتكفير، ويحاولون الاعتذار لهم بحجة أنهم اشتهروا بالزهد والعبادة وصلاح الأحوال الظاهرة.

روى السراج الطوسي بإسناده الى الجنيد قال : " كنت أصحب هذه الطائفة وأنا حدث، فكنت أسمع منهم كلاما لم أفهم عنهم ما يقولون، إلا أن قلبى قد سلم من الإنكار عليهم، فبذلك نلت ما نلت" (٤) دعوة وترغيب لمن أراد أن ينال الدرجات والمقامات المزعومة فى عالم التصوف، فإن عليه التسليم لجميع المنكرات والمخالفات وترك الإنكار على الشيوخ .

يقول ابن عربى فى قول الله تعالى : " ويقولون نوءمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا " . (٥)

---

(١) نفس المصدر (١٧/١) .

(٢) الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية ، بهامش الطبقات (١٤٧/١) .

(٣) نفس المصدر (١٣٤/١) .

(٤) اللمع (ص/٤٧٥) .

(٥) سورة النساء/١٥٠ .

" هم أصحاب علم الرسوم واكثر أهل النظر الفكري من الفلاسفة وأصحاب الكلام يصدقون ببعض ما يأتى به أولياء الله مما يتحققون به من المواجيد والأسرار التى شاهدوها ووجدوها ، فما وافق نظرهم وعلمهم صدّقوا به، وما لم يوافق نظرهم وعلمهم ردّوه وأنكروه٠٠ فهلا سلّم هذا القول لصاحبه ولا يلزمه التصديق ، فكان يجني ثمرة التسليم، وأنا والله أخاف على المنكرين على هذه الطائفة. وقد قال بعضهم : من قعد معهم يعنى مع أهل الحقائق من الصوفية، وخالفهم فى شئ مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه٠ " (١) بل إنك والله تخاف على عنقك أن تقطع وتضرب فى سبيل الله، وعلى دمك أن يراق فى ذات الله كما فعل المنكرون بالحلّاج وغيره، يتقربون بقتلك وأمثالك الى الله تعالى ويذبّون عن دينه وشرعه٠

ويقول الشعراني: " فالزم الأدب مع الذاكرين وغيرهم، فإنه فى الحقيقة أدب مع الله تعالى، فافهم ولا تكن من الغافلين ، فان وبال ذلك يرجع عليك فى الدنيا والآخرة بالمقت والطرد، كماهو مشاهد فى أهل الإنكار على الأولياء ثم يستشهد بقول تاج السبكي " ما رأينا أحدا مبتلى بالإنكار إلا وكانت خاتمته خاتمة سوء" ٠ (٢)

ويقول أيضا : " وأحذر من أن تذكر الأولياء الذين مضوا بسوء لما تنظر فى كلامهم من التلوين (كسيدى) عمر بن الفارض (وسيدى) محي الدين وغيرهم" ٠ (٣)

وقد شحن كتابه أثناء ذكر تراجم أسياده وشيوخه بالحكايات الكاذبة تخويفا للناس من الإنكار على الشيوخ٠ فيذكر أن ثلاثة فقهاء أنكروا على صوفي لحنه فى القرآن ، فسلط الشيخ عليهم أسدا عظيما (٤) ٠ ويذكر أن مُنكِرا جاء الى قبر ابن عربى فخسف به وابتلعته الأرض٠ (٥) ومن الشيوخ من يحبس بول الفقهاء والقضاة والسلاطين الذين حكموا عليه بالكفر واتهموه فى دينه وخُلُقه (٦) ٠ ويذكر عن شيخه أحمد الملثم الذى عاش أربعمائة سنة فيقول : " وكان أهل مصر لايمنعون حريمهم منه فى الرؤية والخلوة ، فأنكر عليه بعض الفقهاء" ثم انه حكم على الفقيه بالموت بعد أيام فمات ٠ وكذلك هدد القاضي الذى كتب فيه محضرا

---

(١) كتاب الفناء ـ ضمن رسائل ابن عربى(ص/ ٧ـ٨) ٠
(٢) الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية ـ بهامش الطبقات(١/ ١٢٦) ٠
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٨ـ٢٩) ٠
(٤) الطبقات الكبرى (١/ ١٤٧) ٠
(٥) نفس المصدر (١/ ١٨٨) ٠
(٦) المصدر السابق (١/ ٢٠٤) ٠

بتكفيره ، فهدده بسلب الإيمان منه فتاب القاضي" (١) ويستعمل ألفاظا شرعية لا تليق بالمخلوقين كقوله فتاب إليه، وقوله: " فاستغفروا " (٢) يعني توبة واستغفار المنكرين الى الشيوخ.

وقد ذكر فى ترجمة سيده أحمد البدوى الهالك سنة ٦٧٥هـ ألوانا من العقوبات التى أنزلها ذلك الصوفي الهالك فى المُنكِرين عليه سواء كانوا من الفقهاء والقضاة وحتى السلاطين أو من العامة. (٣)

بمثل هذه الخرافات تمكن الصوفية من تخويف جماهير من عوام المسلمين من التكلم فى شيوخهم أوحتى من إساءة الظن فيهم رغم ارتكابهم الفواحش والمنكرات .

الحاصل أن الصوفية استغنوا بمناهجهم ومصادرهم المتعددة فى التلقي عن السنة النبوية، وتجرأوا على السنن والآثار، بالتصحيح والتضعيف حسب ما يوافق مذهبهم بحجة الكشف والتلقي عن الله تعالى وعن رسوله مباشرة ، شأنهم فى ذلك شأن الرافضة فى رد السنة والاستعاضة عنها بأقوال وأحوال أئمتهم وطغاتهم. ونتيجة لتقسيم الدين الى ظاهر وباطن ، والعلم الى كسبي ولدنّي ، وموقفهم السيئ من القرآن والسنة، قسموا العلماء الى أهل الحقائق وأهل الرسوم أوالعامة ثم طعنوا فى أهل الحق ، بالقاب اخترعوها وحكايات دونوها فى مصنفاتهم، تنفيرا للناس عنهم وعن العلم الذى يكشف زيفهم وباطلهم. وهذا الأمر أدى الى صراع بين الحق والباطل صحبهُ قتل وتشريد وطرد عدد من المنحرفين من الرافضة والصوفية، مما أدى بهم الى اللجوء الى التقية إشفاقا منهم على أرواحهم و أبدانهم. من القتل والتعذيب، وإظهارا لباطلهم وضلالهم بمظاهر تروج بين الناس وتحظى بالقبول . وسيأتي تفصيل مسألة التقية فى المبحث القادم إن شاء الله تعالى .

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٨٣-١٨٧)

المبحث الرابع

التقيـة

المبحث الرابع
التَقِيَّة

ذكر أبو منصور الازهرى أن" التُقَاة ، والتَقِيَّة ، والتقوى ، والاتِّقاء ، كله واحد... وأصله من وقيت نفسى أقيها..."(١) وذكر اسماعيل بن حماد الجوهرى أن "التقوى والتقى واحد ، والتُقاة : التَقِيَّة ، يقال : اتقى تَقِيَّةً وتقاةً".(٢) وقال محمد بن يعقوب الفيروزابادى "....واتَّقيت الشيئ وتَقَيْتُه أَتَّقيه، وأتَّقيه تُقًى وَتَقِيَّةً اذا حذرته..."(٣)

فالتقيّة لغة من الوقاية بمعنى صيانة النفس أو المال أوغير ذلك ، ودفع الضرر عنها.

واصطلاحا أن يصون المرء نفسه فى حال ضعفه بمداراة الكفار الغالبين، فيظهر لهم ما يدفع به عن نفسه أو ماله أو غير ذلك، وان كان مما يحظر عليه شرعا إظهاره. قال الله تعالى :" لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير"(٤). قال إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله بعد ذكره أقوال السلف والائمة فى هذه الآية :" فالاغلب من معاني هذا الكلام:" إلا أن تخافوا منهم مخافة، فالتقية التى ذكرها الله فى هذه الآية، إنما هى تقية من الكفار، لا من غيرهم". وأسند الى ابن عباس رضي الله عنه قوله :" فالتقية باللسان، من حُمل على أمر يتكلم به، وهو معصية لله ، فيتكلم به مخافة الناس، وقلبه مطمئن بالايمان، فان ذلك لا يضره، إنما التقية باللسان"(٥) وقال الامام ابن كثير رحمه الله:"نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء ، ويُسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين. ثم توعد على ذلك .... " إلا أن تتقوا منهم تقاة": أي من خاف فى بعض البلدان والأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته".(٦)

---

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الازهري (٩/٢٥٧).
(٢) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية (٦/٢٥٢٧).
(٣) القاموس المحيط (٤/٤٠١).
(٤) سورة آل عمران/٢٨.
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير (٣/٢٢٩).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٥٧).

وقد تكلم العلماء من أهل السنة والجماعة فى التقية وأحكامها ، تتلخص بأنها تشرع وتجوز عند خوف المسلم على دينه أو نفسه أو ماله إذا كان بين أظهر الكافرين الغالبين ، إذا أكرهوه على ذلك، فيظهر لهم بلسانه وظاهره مايدفع به عن نفسه ضرهم وشرهم ليحافظ على نفسه أو ماله أو عرضه ، ولا يظهر لهم العداوة الواجبة عليه شرعا تجاههم ، بل يوافقهم فى أقواله وأحواله الظاهرة فقط • وهى رخصة ، وليست عزيمة، فاذا أظهر دينه وعداوته للكافرين حيث جاز له استعمال التقية كان أفضل وأولى ، وإن قتل كان شهيدا عند الله تعالى• والتقية جائزة الى يوم القيامة على أرجح قولي العلماء• هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة فى هذه المسألة، وقد توسطوا فيها بين طرفين متقابلين : الخوارج الغلاة فى الإفراط، والشيعة الغلاة فى التفريط • فالخوارج غلو فى التشديد فحرموا استعمالها فى حفظ ومراعاة النفس والمال والعرض فى مقابل شئ من الدين • بينما توسع الرافضة وأساءوا استعمالها ،فأوجبوها على أتباعهم وشيعتهم وجوبا مطلقا ، وجعلوها دينا وشريعة، فتاركها وتارك الصلاة بمنزلة واحدة ،وأوجبوا استعمالها فى جميع الأوقات والأحوال ، ومع جميع الخلق ، فلا فرق بين مسلم وكافر ، بل استعملوها حتى مع الشيعة ، ورغبوا فى ذلك، وحثوا عليه ليختلط الأمر على الناس ، فغدوا لا يُعرف لهم صدق من كذب ،ولاحق من باطل • يريدون من هذا كله إيجاد مخرج لهم من جميع التناقضات والأخطاء التى تظهر فى مذهبهم وأحوال أئمتهم•وها هم يتأولون جميع النصوص والأحوال التى تصطدم بمذهبهم،وتوافق مذهب أهل السنة مما يستدل بها على رد أقوالهم وعقائدهم فيزعمون أنها صدرت عنهم تقية ومداراة•

وهكذا تمكنوا من تأويل ما لايوافق هواهم بهذه البدعة المشئومة التى جعلوها أصلا عظيما، وحصنا منيعا يتحصنون بها عن كل رد ومناقشة موضوعية، وأسسوا على ذلك دينهم ، وأشاعوا استعمالها بينهم، وصبغوها بصبغة شرعية كاذبة فزعموا أن أنبياء الله ورسله دأبوا على استعمالها ، فهى من سننهم، وحرّفوا كلام الله تعالى عن مواضعه بتحريف معانيه بتأويلاتهم الخبيثة التى نسبوها الى أئمتهم وأهل عصمتهم افتراء على الله تعالى، وعلى رسله ، والأئمة • وغايتهم من هذاكله، إقناع شيعتهم، ومن وافقهم ببطلان إمامة الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم، والطعن فيهم وفى جمهور الصحابة، حملة الدين والشريعة والمنهج الحق بغية إبطاله وترويج رفضهم • وغاية أخرى ، وهى معالجتهم للكثير من المسائل التى ترد عليهم فى الإمامة ، وما نسبوه الى الأئمة من صفات وخصائص رفعوهم بها عن مستوى البشرية• الأمر الذى أوقعهم ، ومازال يوقعهم فى المأزق التى لايجدون لها مخرجا إلا فى التقية• فالتقية ترتبط بالامامة ارتباطا وثيقا، وهى من لوازمها ونتائجها، ولا يمكن للشيعة

تركها إلا بإبطال اعتقادهم فى الإمامة المزعومة المفتراة٠

إن الشيعة ومن وافقهم فى هذا المعتقد، يقفون فى صف مقابل لجميع المذاهب والنحل الأخرى فى العالم كله قديمه وحديثه٠ فجميع المذاهب تدعو الى ما تقرر فى جميع الفطر والنفوس، واتفق عليه الناس جميعا على اختلاف أصولهم وألوانهم، وعقولهم، وحتى أديانهم ومذاهبهم من التزام الصدق فى جميع الأقوال والأفعال، والوفاء بالعهد والوعد، وغير ذلك من الفضائل، وتندب الى تحمل الأذى فى سبيل ذلك، مع نبذ الكذب والغدر والخداع فى جميع الأقوال والأفعال الاختيارية٠ إلا أهل الرفض والتشيع، ومن وافقهم، فقد بنوا دينهم على التقية، وإظهار خلاف ما يبطنونه فى جميع أحوالهم مختارين لذلك غير مكرهين٠

وأما الدين الاسلامى، الذى ينتسب إليه المنحرفون، فإنه بلغ الغاية فى الحث على الفضائل والتزامها مع نبذ الرذائل واجتنابها ٠ وذلك لأنه الدين الذى رضيه الله تعالى لخلقه، وأكمل لهم، وأتم به النعمة عليهم، وختم به جميع الأديان والشرائع٠ وقد ذكر الله تعالى الصدق وفضله فى آيات كثيرة، وأثنى سبحانه على أهل الصدق من الأنبياء والمرسلين، والمؤمنين، قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (١) وقال تعالى: " ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أويتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما" (٢) وغيرها من الآيات الكثيرة التى تحث على الصدق وترغب فيه، وتبين فضله وثوابه العظيم٠

وكذلك جاءت السنة ترغب أهل الايمان بالصدق والتزامه وتحريه، وتبين فضله، روى الشيخان رحمهما الله فى صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه — واللفظ لمسلم — قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليكم بالصدق، فان الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا٠ وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار، ومايزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا" ٠ (٣)

وروى البخارى رحمه الله حديث أبي سفيان مع هرقل، وفيه أنه سأله: ماذا يأمركم؟ فقال: يقول اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئا٠٠٠ ويأمرنا بالصلاة والصدق

---

(١) سورة التوبة/ ١١٩٠

(٢) سورة الأحزاب/ ٢٤٠

(٣) صحيح البخارى، كتاب الأدب باب قول الله: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" ما ينهى عن الكذب، الفتح (١٠/ ٥٠٧)، وصحيح مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٣)٠

والعفاف والصلة٠٠٠٠٠ الحديث ، وفى أوله قول أبي سفيان" فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه" (١) وفيه بيان هدي رسولنا صلى الله عليه وسلم ، وسيرته حتى عند أعدائه وأهل الجاهلية، وقد اشتهر بالصدق والأمانة حتى قبل بعثته، لا كما يزعم المنحرفون أن دينه التقية٠ وفيه أيضا حرص أبي سفيان رضي الله عنه ألا يؤثر عنه الكذب لاستقرار قبحه فى الفطر والنفوس حتى عند أهل الجاهلية، فقد كان أبو سفيان آنذاك على دين أهل الجاهلية،رضي الله تعالى عنه٠

وروى الامام أحمد رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" لا يجتمع الايمان والكفر فى قلب امرئ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعا ، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعا"٠ (٢) فالقلب إما أن يكون محلا للصدق والأمانة، أوالكذب والخيانة٠

وروى الامام مسلم رحمه الله من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم: " أنا أول شفيع فى الجنة٠ لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجلٌ واحد".(٣)وفيه بيان لكذب أهل الرفض والتشيع فيما زعموه من تكذيب الصحابة للنبي ولدعوته، فقد كانوا صادقين فى أنفسهم مصدقين رسولهم فى دعوته ورسالته، فهم بعد رسل الله وأنبيائه أصدق الناس ، وأكثرهم تحريا للصدق والأمانة رضي الله تعالى عنهم ، وقد اشتهروا بهذه الفضائل حتى شهد لهم بها أعداؤهم ٠

روى الكلينى عن عبد الله بن يعفور قال قلت لأبي عبد الله:" إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لايتولونكم، ويتولون فلانا وفلانا، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق٠ قال : فاستوى أبو عبد الله جالسا، فأقبل عليَّ كالغضبان ثم قال : لا دين لمن دان بولاية امام ليس من الله"٠ (٤)

هذا هو دين الله تعالى وشرعه، وهو دين الفطرة والكمال، وهذا ما علمه المسلمون وحرصوا عليه،طاعة لربهم، واقتداء برسولهم وسلفهم، فالاسلام و الفطرة يحثان على الصدق والتزامه، إلا ما استُثنى شرعا وعقلا فى حالات الإكراه محافظة على النفس والمال والعرض٠

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحي ، باب٦.أنظر الفتح(١/١/٣١-٣٢)٠

(٢) مسند الامام أحمد(٢/٣٤٩)٠

(٣) صحيح مسلم فى كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلا (١/١٨٨)٠

(٤) أصول الكافى للكليني (١/٣٧٥)٠

• وأما دين الرافضة ، ومن وافقهم فإنه يخالف هذا الأصل ، فيكونون بذلك قد شذّوا عن الناس كافة،فضلا عن عقلائهم وفضلائهم ، وأهل الديانات عامة، والمسلمين منهم خاصة، وكفى بذلك سوء وخزيا وضلالا .

روى أبو جعفر الصفار والكليني بإسناديهما الى الصادق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن حديث آل محمد صعب مستصعب ، لا يؤمن به إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أوعبد امتحن الله قلبه للايمان ... " .(١) وروى الصفار بإسناده الى علي قوله : " إن حديثنا تشمأز منه القلوب ، فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم" .(٢)

وروى بإسناده الى سدير الصيرفى أنه سأل الصادق عن قول علي هذا ، فقال : إن من الملائكة مقربين وغير مقربين ، ومن الأنبياء مرسلين ، وغير مرسلين ، ومن المؤمنين ممتحنين ، وغير ممتحنين . وإن أمركم هذا (يعني التشيع) عرض على الملائكة ، فلم يقربه إلا المقربون ، وعرض على الأنبياء ، فلم يقر به إلاالمرسلون ،وعرض على المؤمنين ، فلم يقر به إلاالممتحنون" (٣)

بهذه الأكاذيب ، فتحوا لأنفسهم باب التقية بحجة صعوبة التشيع على الأفهام، واشمئزاز القلوب منه . وإن ما روى عن الصادق يتناقض مع ما روى عنه : " ما من نبي ولا من رسول أرسل إلا بولايتنا وبفضلنا عمن سوانا" .(٤) ومع ما وصف الله تعالى به ملائكته بأنهم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولكن الرافضة يريدون تقسيم الخلق الى شيعة ، وعامة حتى الملائكة والأنبياء ، تضليلا للناس وترويجا لباطلهم . وقد روى الصفار أيضا بإسناده الى علي أن يونس عليه السلام ممن أنكر ولايتهم، فعوقب بحبسه فى بطن الحوت حتى أقرّبها . (٥)

وقال شيخهم وصدوقهم ابن بابويه القمي فى بيان اعتقاداتهم – كما نقله عنه الشيخ إحسان الهى ظهير رحمه الله –" والتقية واجبة، لايجوز رفعها الى أن يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه ، فقد خرج عن دين الإمامية ، وخالف الله ورسوله والأئمة، وسئل الصادق عن قول الله عز وجل " إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (٦) قال : "أعملكم بالتقية . (٧)

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى للصفار (ص/٤١) ،وأصول الكافى كتاب الحجة باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب(١/٤٠١) .
(٢) بصائر الدرجات الكبرى للصفار (ص/٤٣) .
(٣) المصدر نفسه (ص/٤٧) .
(٤) المصدر السابق (ص/٩٤) .
(٥) المصدر السابق (ص/٩٥–٩٦) .
(٦) سورة الحجرات/١٣ .
(٧) الشيعة والسنة(ص/١٧٩)عن كتاب الاعتقادات للصدوق ابن بابويه القمى فصل التقية .

والتقية الشيعية لا ترتبط بخوف ولا إكراه، بل يريدونها خُلقاوسجية فى حياة كل شيعي، ولا يتقيد استعمالهم لها أن يكون مع الكفار أوالمخالفين، فإنهم يحثون شيعتهم على استعمالها فيما بينهم .

روى شيخ الطائفة الشيعية أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الهالك سنة٤٦٠ هـ بإسناده الى جعفر الصادق قوله مخاطبا شيعته وأتباعه: " عليكم بالتقية، فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره، مع من يأمنه، ليكون سجيته مع من يحذره" .(١)

وأما الكليني، فقد عقد بابا ضمنه ثلاثة وعشرين رواية شيعية فى التقية،والحث عليها وبيان أنها من دين الله ، وسنن المرسلين ، وهدي الأنبياء والصالحين، فروى بإسناده الى الصادق قوله فى قول الله تعالى " أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا" (٢) قال: بما صبروا على التقية ، وفى قوله تعالى: " ويدرؤن بالحسنة السيئة" (٣) قال : الحسنة التقية، والسيئة الإذاعة" . وبإسناده إليه أنه قال: " إن تسعة أعشار الدين فى التقية ، ولا دين لمن لا تقية له..." وقوله: " لا والله ما على وجه الأرض شئ أحب الى من التقية ، من كانت له تقية رفعه الله، ومن لم تكن له تقية، وضعه الله" (٤) وبإسناده الى الباقر أنه قال: التقية ديني، ودين آبائي ، ولا ايمان لمن لا تقية له" .(٥) وروى بإسناده الى الصادق مخاطبا أتباعه وشيعته داعيا إياهم الى خيانة ومخادعة من خالفهم فيقول فيما نسبه إليه الكليني: " إياكم أن تعملوا عملا يعيرونا به... صلوا فى عشائرهم ، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم.... والله ما عُبد الله بشيء أحب اليه من الخَبء . فقيل له وما الخبء ؟ قال : التقية." (٦) يريد أئمة الرفض من أتباعهم أن يخدعوا أهل السنة والجماعة ويخونوهم، فالتقية تتضمن تسعة أعشار الدين، ونفوا الايمان عن تارك التقية وشددوا عليه،فدينهم لا محل فيه للصادق الأمين، ولا محل فيه للتضحية فى سبيل المبادىء والفضائل ، ولا محل فيه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول الحق. فلا أدرى أين موضع الصحابي الجليل، سيد شباب أهل الجنة الحسين بن على من دينهم وشرعهم؟

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ، الجزء الحادى عشر (ص/٢٩٩-٣٠٠) .
(٢) القصص /٥٤.
(٣) سورة الرعد/٢٢.
(٤) أصول الكافى،كتاب الايمان والكفر باب التقية (٢/٢١٧) .
(٥) المصدر نفسه (٢/٢١٩) .
(٦) المصدر السابق (٢/٢١٩) .

لم يقفوا عند هذا الحد، فراحوا ينسبون هذه البدعة الخبيثة للأنبياء والصالحين، فنسبوها لنبي الله يوسف عليه السلام[١]، وقد برأه الله تعالى ووصفه بالصدّيق، كما نسبوها الى أصحاب الكهف، وكذبوا عليهم، واتهموهم بالنفاق ومخادعة الناس وارتكاب البدع والمحرمات، فقد روى الكليني بإسناده الى جعفر الصادق قوله: " ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف، إن كانوا ليشهدون الأعياد، ويشدون الزنانير، فأعطاهم الله أجرهم مرتين".[٢]

وذكر الرافضي نعمة الله الجزائري رواية شيعية خبيثة تمثل مدى وقاحتهم ومكرهم، فيزعم أن الصادق سُئل في مجلس الخليفة عن الشيخين فقال: " هما إمامان، عادلان، قاسطان، كانا على الحق، فماتا عليه، عليهما رحمة الله يوم القيامة". هذه هي الرواية المزعومة، وإنى أسوقها ليتدبرها كل من انخدع بالشيعة وشعاراتهم. فإنه يزعم فيقول: "فلما قام من المجلس، تبعه بعض أصحابه وقال: يا ابن رسول الله، قد مدحت أبا بكر وعمر هذا اليوم. فقال: أنت لا تفهم معنى ما قلت. فقال: بيِّنه لي. فقال: أما قولي هما إمامان، فهو إشارة الى قوله تعالى" ومنهم أئمة يدعون الى النار"[٣] وأما قولي: عادلان، فهو إشارة الى قوله تعالى " ثم الذين كفروا بربهم يعدلون"[٤]. وأما قولي: قاسطان، فهو المراد من قوله عز من قائل" وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا".[٥] وأما قولي: كاناعلى حق غيرهما، لأن الخلافة حق علي بن أبي طالب، وكذا قولي: ماتا عليه، فإنهما لم يتوبا، بل استمرا على أفعالهما القبيحة الى أن ماتا. وأما قولي: عليهما رحمة الله، المراد به النبى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[٦] فهو القاضي والحاكم والشاهد على ما فعلوه يوم القيامة. فقال: فرجت عني فرج الله عنك".[٧]

إن أمة تتخذ من الكذب والتقية دينا، ومن الخيانة والخداع شعارا ومنهجا، يصعب على الناس التعامل معها أو التفاهم، فضلا عن الاتفاق والاتحاد. إن هذه العقيدة الخبيثة لمن أقوى الموانع والعقبات التى تقف فى طريق التقارب والوفاق، وإنها لحجر عثرة عظيمة

---

(١) أصول الكافي كتاب الايمان والكفر باب التقيه (٢/٢١٧).
(٢) المصدر نفسه (٢/٢١٨).
(٣) سورة القصص /٤١.
(٤) سورة الأنعام/١.
(٥) سورة الجن/ ١٥.
(٦) سورة الأنبياء/١٠٧.
(٧) الأنوار النعمانية (١/٩٩).

تتحطم عليها جميع وسائل وسبل الوحدة بين هؤلاء وبين الناس عامة، والمؤمنين من أهل السنة والجماعة خاصة، أعني تلك الهتافات الكاذبة والشعارات الزائفة التى يرفعها الرافضة بين الحين والآخر إمعانا منهم فى تضليل جماهيرهم وغوغائهم، وترويجا لباطلهم فى صفوف ضعاف الايمان والعلم من أهل السنة ،والعوام الغافلين، وخاصة مايصدر منهم فى هذا العصر بعد قيام دولتهم التى جندت الامكانات الضخمة فى سبيل ترويج هذه الدعاوى وكسب الرأى العالم الاسلامى والعالمى تمهيدا لنشر مذهب الرفض، وكلما انكشفت أمورهم، وافتضحت دعاواهم ومؤامراتهم ازداد نعيقهم، وعلا صراخهم،زاعمين توحيد الجهود الإسلامية، ووحدة الشعوب ، ونبذ الخلافات والعصبيات التاريخية والمذهبية التى فرقت بين المسلمين وشتتت شملهم وأضعفت شوكتهم . وعلم الله والمؤمنون العالمون إنهم لكاذبون .

إن مثل هذا الأسلوب والمكر، ليس بمستغرب ولا مستنكر على هؤلاء لأنهم قوم آمنوا بالتقية التى هي فى الواقع كذب وخيانة، واتخذوها شعارا لهم. ولكن المستغرب والمؤسف فى الأمر هو تلك الأصوات التى تنضم الى نعيق أهل الرفض، والتى تصدر عن أناس ليسوا منهم، ولكنهم ساروا فى ركبهم ممن باع دينه وأمته بدنياه،أو ممن يتخبط فى ظلمات جهله حتى غدا لا يفرق بين السنة والشيعة. ولقد انخدع جمع عظيم من أهل السنة بتلك الشعارات الشيعية، وبمواقف من انضم إليهم من حملة الأقلام وممن يُنسبون الى العلم والعلماء، فراحوا يطبلون لدولة الشيعة ولأئمة الرفض، ويعقدون عليهم الآمال لبناء الدولة، الاسلامية الراشدة، وما علموا حقيقة ما ينعق به الشيعة ، ويدعون إليه. فإنا لله وإنا اليه راجعون .

أما القسم الأول من هؤلاء ، فقوم عرفوا الحق وأهله، ولكنهم آثروا الدنيا وزينتها، فأمرُهم الى الله تعالى وحده، وعاملهم سبحانه بما يستحقونه لما ساهموا به فى ترويج الباطل وإضلال العامة من المسلمين. وأما القسم الثانى، وهم الجاهلون والغافلون، فإنه حري بهم التبصر فى دين الله فإنما شفاء العي السؤال . وليعلموا أن الرافضة قوم استباحوا الكذب وأوجبو التظاهر لمن خالفهم بخلاف مايبطنونه، ودانوا لأسيادهم وأئمتهم بالكذب ومخادعة الناس بشعارات وهتافات كاذبة . وليرجعوا الى تاريخهم مع هؤلاء الرافضة فإنه حافل بالمخازي والمؤامرات ضد المسلمين. وكيف يمكننا أن نصدق من يتقرب الى أئمته بالكذب علينا؟ إن من العسير أن نقبل منهم إقرارا أو اعترافا وتنازلا فى شئ من عقائدهم، لصعوبة التمييز بين صدقهم وكذبهم، وبين صادقهم وكاذبهم. فكيف يتم الاتفاق والاتحاد بين طرف صادق وآخر كاذب؟ وهل يمكن الجمع بين الصدق والكذب ؟ حاشا وكلا، اللهم إلا عند أناس مرضت عقولهم ، وفسدت فطرهم ونفوسهم . وهذه كتبهم ومصنفاتهم كانت ومازالت تؤكد وتؤصل هذا المبدأ، وتلك مناقشاتهم وردودهم على علماء أهل السنة الذين تصدوا للرد عليهم وبيان

كذبهم وبطلان مذهبهم، فإنها مليئة بالكذب والبهتان واتهام أهل الحق بما لم يقولوه، وما ليس فيهم ، وإنهم ليحرفون أقوالهم وأدلتهم. كيف وهم قوم قد حرفوا كلام الله فى نصه ومضمونه، وحرفوا كلام رسوله ونسبوا إليه ما يريدون ، وتجرأوا على السلف بالوضع عليهم، وبتكفيرهم خدمة لمذهبهم، وحرفوا كذلك الحقائق التاريخية لتوافق ما هم عليه. فكيف يرضى من كان فى قلبه ذرة من الغيرة لله ولرسوله ولدينه أن يضع يده فى أيدي هؤلاء الذين حرفوا الدين والتاريخ.

ولقد نادى أئمة الرفض بمبدأ آخر وأسموه بالكتمان والإسرار والإخفاء، وهذا فرع ولازم من لوازم التقية، ولكنهم دأبوا فى ترويج مذهبهم على تسمية الأشياء بما يكفل لها البقاء والرواج. وقد عقد الكليني بابا مستقلا فى الكتمان وضمنه ستة عشر رواية شيعية تبين الأمر بالكتمان ، وفضله فى الدنيا والآخرة. فروى بإسناده الى الصادق قوله: أُمر الناس بخصلتين ، فضيعوهما ..... الصبر والكتمان". وقوله: " إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذلة الله" [1]. وقوله : " إن أمرنا مستور، مقنع بالميثاق ، فمن هتك علينا أذله الله" [2] ونسبوا الى علي قوله: "جُمع خير الدنيا والآخرة فى كتمان السر ومصادقة الأخيار ، وجُمع الشر فى الإذاعة ومؤاخاة الأشرار". [3]

ولتدعيم بدعتهم، وتأصيلها، روى أبو جعفر الصفار والكليني بإسناديهما الى زين العابدين أنه قال: " والله لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، فما ظنكم بسائر الخلق. إن علم العالم صعب مستصعب، لايحتمله إلا نبى مرسل ، أو ملك مقرب، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان". وقال: " انما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت..." [4] وروى الكشي بإسناده الى الصادق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ياسلمان ، لو عرض علمك على مقداد لكفر ، يا مقداد ، لوعرض علمك على سلمان لكفر". [5] وروى المفيد النعمان بإسناده الى جعفر الصادق قوله: " علم سلمان علما ، لو علمه أبو ذر لكفر". [6] وذكره الفيض الكاشاني بلفظ :

---

(١) أصول الكافي، كتاب الايمان والكفر باب الكتمان (٢/٢٢٢).
(٢) المصدر نفسه (ص/٢٢٦).
(٣) الاختصاص للمفيد النعمان (ص/٢١٨). وبحار الأنوار للمجلسي ، باب فضل كتمان السر وذم الإذاعة (١٦/١٣٧).
(٤) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٤٥). وأصول الكافي كتاب الحجة باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب (١/٤٠١). وذكره الفيض الكاشاني فى المحجة البيضاء فى تهذيب الإحياء للغزالى (١/٦٥).
(٥) اختيار معرفة الرجال — المعروف برجال الكشي (ص/١١).
(٦) الاختصاص للمفيد النعمان (ص/١٢).

" لو علم أبو ذر ما فى بطن سلمان من الحكمة لكفره ـ وفى رواية لقتله" ٠ (١)

ان هذه الروايات تعني أن أبا ذر لم يصل الى درجة من الايمان بحيث يحتمل علم التشيع والرفض ٠ إنه علم لو انكشف لأبي ذر لسارع الى قتل صاحبه، أو لكان سببا فى ارتداده وكفره هو ٠

ونسبوا لزين العابدين رحمه الله قوله:

إنى لأكتم من علمى جواهره	كيلا يرى الحق ذوجهل فيفتتنا
وقد تقدم فى هذا أبو حسن	الى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا رُب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا (٢)

بمثل هذه المزاعم، يسترون كفرهم ونفاقهم ومؤامراتهم ضد الاسلام والمسلمين ، فالرسول أسر وكتم ، والصحابة أسروا وكتموا ، والائمة أسروا وكتموا ، فهو دين يجب كتمه وإسراره، وإظهاره سبب فى القتل والهلاك ، وتعطيل لدعوة الرفض والتشيع ٠

ولقد علم المسلمون صدق الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم ، وعلموا براءتهم من هذه الكفريات، فسلمان وأبو ذر والمقداد وزين العابدين وغيرهم لم يكونوا يبطنون شيئا من الكفر والضلال ، بل كانوا حملة الهدى والعلم، والنور، ولم يكونوا ممن يكتم من الحق والهدى شيئا ٠ بل كانوا من أبر الناس قلوبا ، وأبعدهم عن التكلف والتنطع فى دين الله تعالى ، كيف وهم قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وحمل دينه وهداه٠

ويقول إمامهم الخميني، متبنيا هذه المبادىء ، وداعيا إليها ، ومعلنا للناس عامة ، والمخدوعين بالشيعة خاصة أن رافضة اليوم ملتزمون بدين أسلافهم، وعلى عقائدهم ومناهجهم ماضون ، وبأذيالهم متمسكون ، لا تغيير ولا تبديل ٠ يقول الخميني: " إياك أيها الصديق الروحاني ، ثم إياك ، ٠٠٠٠ أن تكشف هذه الأسرار لغير أهلها ٠٠٠٠ فان علم باطن الشريعة، من النواميس الإلهية ، والأسرار الربوبية ، مطلوب ستره عن أيدي الأجانب، وأنظارهم ٠٠٠٠ " (٣)

فالرافضة يقرون، ويعترفون بأنهم يحملون أسرارا دينية ومذهبية ، إذا انكشفت

---

(١) الحجة البيضاء فى تهذيب الاحياء (١/٦٥) ٠

(٢) المصدر السابق (١/٦٥) ، والحقائق فى محاسن الأخلاق (ص/١٢) ٠

(٣) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/١٥٤) ٠

للأجانب، وظهرت للمخالفين ، فإنها ستؤدى الى مفاسد دنيوية ودينية، وستلحق بهم الأضرار والأذى ، وربما القتل والهلاك ٠ إن التقية والكتمان متلازمان ، يقول المفيد النعمان الرافضي فى شرحه وتعليقه على عقائد ابن بابويه القمي الصدوق، المعتمدة عندهم ما نصه : " النقية، كتمان الحق ، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين ، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا فى الدين أو الدنيا ٠ وفرض ذلك إذا علم بالضرورة أو قوي فى الظن ٠٠٠ " (١)

إن هذه العقيدة التى تمثل ركنا مهما من أركان الدين الشيعي، تحمل فى مضمونها معاني الذل والخوف والجبن ، والسكوت عن الحق ، وترك كثير من الواجبات الشرعية كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بالاضافة الى كتم العلم، وعدم إذاعته، الى غير ذلك مما هو فى حقيقته إفساد فى الدين والأخلاق ٠ إن هذه العقيدة تتعارض مع كثير من الآيات القرآنية التى تدعو وتحث المؤمنين على الإقدام والقتال ، والقيام بأمر الشرع، والدعوة الى دين الله إعلاءً لكلمة الله ،واظهاراً لشرعه ٠والجهاد فى الاسلام إنما شرع لهذه الغاية العظيمة ، فالله تعالى يحب القتل والقتال فى سبيله ، ومجابهة المخالفين ، وإراقة الدماء فى سبيل الدعوة والتبليغ وإذاعة شرعه ودينه بين الناس كافة ، قال الله تعالى: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون " (٢) وقال تعالى : " الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا " (٣) وغير ذلك من الآيات الكثيرة فى تحريم كتمان الهدي وما أنزله الله من الحكمة والعلم، وكلها تعارض وتنقض مذهب أهل الرفض والتشيع٠

ولقد كان السلف وأعلام بيت النبوة والرسالة ممن علم مراد الله تعالى وآمنوا بما جاءهم الله تعالى به على لسان رسوله، فقاموا بأمر دينهم وحقه خير قيام، وكانوا جميعا هداة دعاة، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر ، مبلغين رسالة ربهم، ناشرين العلم والفضل ، متحملين الأذى والصعاب ،صابرين ، يقولون الحق ، ولايخافون فى الله لومة لائم، مجاهدين باذلين أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله تعالى ٠ وحاشاهم جميعا ما ينسبه إليهم الرافضة من الذل والجبن ، فقد كانوا جميعا ، حتى علي وأولاده من أشجع الناس وأبعدهم عن مداراة الباطل وأهله، وحاشاهم أن يتركوا المجاهدة والتضحية فى سبيل ربهم٠

لقد بالغ الرافضة فى نسبة التقية والكذب والخوف الى أئمة أهل البيت وأعلامهم ، وحتى رسول الله لم يسلم من افتراءاتهم وتقيتهم، فالرسول زوج ابنتيه لعثمان رضى الله عنه

---

(١) تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد ، أوشرح عقائد الصدوق (ص/١١٥) ٠

(٢) سورة التوبة/١١١٠

(٣) سورة الأحزاب/٣٩٠

تقية ومداراة لظاهر حاله. وتزوج هو من عائشة وحفصة مداراة لأبي بكر وعمر رضى اللـــه عنهما. وعلي زوج ابنته لعمر تقية وخوفا، وكذا مبايعته للخلفاء وسكوته عن حقه وعن تحريـف كتاب الله، وعن حق فاطمة فى ميراثها، وكذا تسميته أولاده بأسماء الخلفاء، وغير ذلك مــن الأعمال والأقوال والأحوال التى صدرت منه تقية ومداراة كما يزعمون. وكذا ما كان من أولاده من بعده كتنازل الحسن وعدم خروجه، وتزويج الحسين ابنته فاطمة لعبد الله بن عثمان بن عفان. وكذا قبول بعض الأئمة بأعمال الولايات وغيرها مما يسندها الخلفاء إليهم، وغيرها مـن الأمور الكثيرةالتى وقعت وصدرت عنهم اختيارا منهم بلا إكراه ولا خوف ، وتدل دلالة واضحـة على حسن العلاقة والمودة بينهم وبين الصحابة والخلفاء،وقد اشتهر ذلك فى سيرتهم كمـــا يذكرها ليس أهل السنة فحسب، بل حتى الشيعة يقرون بوقوعها، ولكنهم يزعمون أنها مـــن باب التقية بمعناها الفاسد خدمة لمذهبهم،مع مافيها من اتهـام آل البيت وأئمتهم بما يناقـض الكمال والفضل. يتهمونهم بالخوف، وكتم الحق، مع إيمانهم جميعا بأن أئمتهم من أشجـــع الناس، وأكثرهم إقداما ، وأنهم يملكون من المعجزات والخوارق ما لايعلمها إلا الله تعالى، وإنهم قد اجتمعت لديهم معجزات الأنبياء جميعا، ويؤمنون بخصائص اختُصوا بها تجعلهـم يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم وأن الحياة والموت بأيديهم، وأنأدعيتهم مستجابة ، وأنهم مؤيدون بروح القدس ، وغير ذلك من الخصائص التى خصهم بها أهـــل الغلو. [1] وستأتى مفصلة فى مبحث الإمامة والولاية إنشاء الله تعالى. فاذا كان الأئمــة يملكون هذه الخصائص، ففيم خوفهم، وسكوتهم على الباطل ، ودخولهم فى السراديب، وعـدم ظهورهم للناس بأمر الله تعالى ؟ وهذه واحدة من تناقضاتهم الكثيرة فى مذهبهم .

إن التقية اخترعها مؤسسوا هذا الدين المنحرف لمعالجة ما وقعوا فيه منالتناقـض والتضاد، وما اصطدموا به من النصوص والروايات التى تدل على بطلان دعاواهم التى ابتدعوها لمحاربة الدين الإسلامى وأهله. ومن أهم الأسباب التى ألجأتهم واضطرتهم الى القـــول بالتقية ما يأتى:

أولا : القول بالأمامة وجعلها أصل الدين، ووصف الأئمة بالعصمة والعلم والتلقي، عن الله تعالى وغير ذلك من الغلو فى علمهم وحفظهم وعصمتهم عن كل زلل وخطأ. فإنهـم لما زعموا ذلك، اصطدموا بواقع حالهم، وحقيقة أمرهم من الوقوع فى الخطأ، والنسيـــان،

---

(١) ذكر جملة من الغلو فى الصفات والخصائص التى نسبوها لأئمتهم أبو جعفر الصفار فى كتابه بصائر الدرجات الكبرى. والكليني فى أصول الكافى باب الحجة وغيره. والمفيد النعمان فى الاختصاص. وغيرهم ممن صنف فى الأئمة وصفاتهم .

والتناقض فى الأقوال والأحوال ، ثم أدرك ذلك حتى الشيعة فإنهم لم يجدوا بداً من القول بهذه البدعة خروجا من هذا المأزق إنقاذا لعقيدتهم فى الإمامة والعصمة المزعومة ·

إن هذه الحقيقة أدركها قوم من الشيعة، فكانت سببا فى رجوعهم عن القول بالإمامة والتشيع· ذكر الحسن بن موسى النوبختي ـ وهو من أعلامهم فى القرن الثالث الهجري ، ومن أول من صنف فى المقالات والفرق منهم ـ ذكر عن سليمان بن جرير أنه قال لأصحابه:
" إن أئمة الرافضة، وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدا ، وهما القول بالبداء، وإجازة التقية، ···· ثم قال : وأما التقية، فإنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم فى الحلال والحرام، وغير ذلك من صنوف أبواب الدين ،فأجابوا فيها، وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم، وكتبوه ودونوه، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد ، وتفاوت الأوقات····· فوقع فى أيديهم فى المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة ، وفى مسائل مختلفة أجوبة متفقة· فلما وقفوا على ذلك منهم، ردّوا اليهم هذا الاختلاف والتخليط فى جواباتهم، وسألوهم عنه، وأنكروه عليهم····· قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذا للتقية، ولنا أن نجيب بما أحببنا ، وكيف شئنا ···· ثم يقول : فمتى يظهر من هؤلاء على كذب ، ومتى يعرف لهم حق من باطل" · ثم يقول النوبختي :" فمال الى سليمان بن جرير لهذا القول ، جماعة من أصحاب أبي جعفر ، وتركوا القول بإمامة جعفر····" (١)

وذكر قصة شيعى آخر مع الباقر الذى اضطرب فى جواب سؤال سأله إياه وأعاده عليه بعد عام، فكلمه فى ذلك فأجابه" إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية" فشك عمر فى إمامته قائلا :" علم الله أني ما سألته الا وأنا صحيح العزم على التدين··· فلا وجه لاتقائه إياى····· وما حضر مجلسه فى واحدة من المسألتين غيري" فرجع عن إمامته وأصبح يقول : لايكون إماما من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله، ولا من يرخى ستره، ويغلق بابه ، ولا يسع الامام الا الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ويقول النوبختي: إنه مال ، ومال معه نفر يسير· (٢)

كان هؤلاء من الشيعة الامامية، ولكنهم أعملوا عقولهم، ولم يرضوا لأنفسهم حياة البهائم، لا تعي ولا تفكر بما يراد بها مما يدور حولها من المؤامرات والمخططات، وهؤلاء

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى (ص/٦٤ـ٦٦) • وقد ذكر الكشى قصة عمر بن رباح ومفارقته الشيعة بعد انتقاده للتقية · اختيار معرفة الرجال (ص/٢٣٧) ·
(٢) فرق الشيعة للنوبختى(ص/٦٠ـ٦١) ·

إنما أرشدتهم عقولهم الى معرفة بطلان مذهب الرافضة ومخالفتها للفطر والعقول ٠

ثانيا : صدور أقوال ،وأحوال كثيرة عن أئمتهم فى رواياتهم وسيرتهم ، وهى تصطدم بما قرره الرافضة من عقيدة منحرفة فى الولاء والبراء ٠ لقد كثرت الروايات عن الأئمة فى مدح الخلفاء والصحابة وخاصة أبي بكر وعمر، والثناء عليهم ،والاعتراف بامامتهم وخلافتهم، وفضلهم، وسبقهم فى الاسلام، والقيام بأمر الله تعالى وأمر رسوله ،وحسن سيرتهم وهديهم، واقتفائهم هدي الرسول صلى الله عليه وسلم٠ وكذلك ما ورد فى سيرتهم مع الخلفاء مما يدل علىحسن العلاقة والألفة التى كانت تسود حياتهم، والروابط الوثيقة التى كانت تربطهم كالمصاهرات التى جمعتهم، والتسمى بأسماء بعض مما يدل على المحبة فيما بينهم، وانتفاء ما يزعمه المنحرفون من العداء والكراهية التى يزعمون أنها كانت سائدة بينهم ٠ إن تلك المرويات وحسن السيرة التى اشتهرت عنهم أوقعت أئمةالرفض فى حيرة عظيمة، وجعلتهم فى مأزق واضطراب ، أخرجهم منه أئمتهم بإقناعهم ببدعة التقية ٠

هذا هو مذهب اهل الرفض فى التقية، والأمر بالكتمان والسرية، ومن تدبر مذهبهم بعقل مجرد عن كل عاطفة، وبفطرة سليمة عن كل هوى وتعصب ، مع ارادة الله تعالى به خيرا، فإنه سيدرك لامحالة أن بونا شاسعا ، وهوة عظيمة بين مذهبهم وبين الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه سلف هذه الأمة وأعلام أئمة أهل البيت جميعا ٠

وأما الصوفية ، فقد وافقوا أهل الرفض فى هذا المبدأ الذى جعلوه أصلا لنحلتهم ، و ركنا عظيما يعتمدون عليه فى نشر مذهبهم ، لمارأوا فيه بغيتهم، وملاذا لهم، وملجأ فى بث أفكارهم ، ونظرياتهم، وممارسة طقوسهم، وشطحاتهم، ومخالفاتهم ، وهم مع ذلك كله فى مأمن من تسلط العلماء والقضاة عليهم بالأحكام، ومن ثورة العامة وسيف السلطان لمّا كانت دولة الاسلام ترفض كل مذهب دخيل وبدعة محدثة فى دين الله تعالى ٠

يجد الباحث فى التصوف أنهم لما قسّموا المجتمع الاسلامى الى أهل الشريعة والرسوم وهم العامة من الناس فى نظرهم، والى أهل الحقيقة والأذواق ،وهم الخاصة من الناس ، فإن هؤلاء الخاصة وخاصتهم و كبراءهم يتواصون فيما بينهم ، أنى وأين تواجدوا ، بأن يُظهروا لأهل الشريعة والعوام ما يوافق مذهبهم، وأن يكتموا عنهم الأسرار وعلوم الصوفية لثقلها على الأفهام ، وصعوبتها على النفوس بزعمهم٠ والحق أنهم يفعلون ذلك حقنا لدمائهم وأرواحهم، وسترا لباطلهم وكفرهم، وهذه هى التقية، وإن مال كثير منهم الى تسميتها بالكتمان وحفظ الأسرار الخاصة، فإنهم كعادتهم يسمون الأشياء بغير اسمها، كما يكذبون فى علتها وسببها ،

فقد أشاعوا كاذبين. ومازالوا أنهم يوجبون الكتمان صيانة للعامة وعقائدهم لأنهم أقوام لم يتذوقوا، ولم يشربوا من كأس التصوف، ولا تستطيع عقولهم وأفهامهم أن تدرك مصطلحاتهم وعلومهم لأنها من وراء النقل والعقل. فالتقية اشتهرت عندهم بغير اسمها كذبا واحتيالا. مع أن بعضهم قد صرح بها. فهذا السراج الطوسي أول من صنف في التصوف يقول في كتابه: " مسألة في التقية"، ويورد نقولا و أقوالا لأئمة التصوف، منها قوله: " قال قوم: التقية: حرم المؤمن، كما أن الكعبة حرم مكة". (١) وذكر محمود عبد الرؤف قاسم بيتا للغزالي يقول فيه :

" إذا كان قد صح الخلاف فواجب على كل ذى عقل لزوم التقية" (٢)

ويتغنى شاعر الصوفية عمر بن الفارض فيقول :

" فلاحٍ وواشٍ ذاك يُهدي لعـزةٍ ضلالاً وذا بي ظل يَهذي لغـرَّةٍ
أخالفُ ذا في لومه عن تقىً كمـا أخالفُ ذا في لؤمٍ عن تقيةٍ" (٣)

فالتقية هى الملجأ والملاذ الذى فيه أمانهم عند شعورهم بالخوف أو الخطر من الوشاة ومن المخالفين لهم من أهل العلم والفضل، فيتحصنون بها كما يتحصن الخائف بالكعبة فيشعر بالأمان ويزول عنه الخطر ما دام فى مقامه ذلك. فالتقية هى الأمان للصوفية من سلطان العلم وسلطان السنان.

يقول الشعراني أن الجنيد كان ينصح الشبلي كثيرا فيقول: " لا تفش سر الله تعالى بين المحجوبين". ويقول: " لا ينبغى للفقير قراءة كتب التوحيد الخاص، إلا بين المصدّقين لأهل الطريق، والمسلّمين لهم، وإلايخاف حصول المقت لمن كذبهم" ويعلق الشعراني" ومن هنا أخفى الكاملون من أ هل الطريق، الكلام فى مقامات التوحيد الخاص شفقة على عامة المسلمين، ورفقا بالمجادل من المحجوبين، وأدبا مع أصحاب ذلك الكلام من أكابر العارفين". وقال: " وكان الجنيد لا يتكلم قط فى علم التوحيد إلا في قعر بيته، بعد أن يغلق أبواب داره، ويأخذ مفاتيحها تحت وركه، ويقول: " أتحبون أن يكذب الناس أولياء الله تعالى، وخاصته، ويرمونهم بالزندقة، والكفر". ويقول الشعراني معلقا: وكان سبب فعله ذلك تكلمهم فيه — يشير الى تكلم العلماء والعامة فيه وفي غيره من الصوفية

---

(١) اللمع للسراج، كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم فى الأجوبة. مسألة فى التقية (ص/ ٣٠٣).

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية (ص/ ٤٣) ، عن النفحات الغزالية (ص/ ١٤٩).

(٣) ديوان ابن الفارض، التائية الكبرى، المسماة بنظم السلوك (ص/ ٢٦).

كما ذكره هو وغيره " فكان بعد ذلك يستتر بالفقه الى أن مات" .(١)

ويقول الجنيد مقررا هذا المبدأ : " الصوفية أهل بيتواحد ، لايدخل فيهم غيرهم"(٢) ويعاتب الشبلي فيقول : " نحن حبّرنا هذا العلم تحبيرا ، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ"(٣) ويوضح سبب هذه السرية فيقول : "أهل الأُنس يقولون في كلامهم، ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة" . وقال مرة : لوسمعها العموم لكفروهم، وهميجدون المزيد في أحوالهم بذلك، وذلك يُحتمل منهم، ويليق بهم" .(٤)

يتضمن هذه النصوص أن استعمالهم للتقية، إنما كان بعد نشوب الصراع بينهم وبين الفقهاء والعلماء من أهل السنة والجماعة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، والذي أدى الى تشريد وتعذيب عدد من مشايخ الصوفية، في مختلف الأمصار والبلاد الاسلامية، ويعتبر مقتل الحلّاج الشيعي الصوفي المنحرف سنة ٣٠٩ هـ دليلاعلى حقيقة الصراع وعمقه بين أهل الحق والباطل .

والجنيد أحد أولئك المشايخ الذين لحقهم الأذى في ذلك الصراع، و كان معاصرا للحلّاج والشبلي، وهما ممن اشتهر بالشطحيات والانحرافات العقائدية والسلوكية في ذلك الوقت. و لكن الجنيد أحس بخطورة الموقف إذا استمر المتصوفة في إظهار عقائدهم وأفكارهم ، خاصة بعد المحنة التي اشتهرت عندهم باسم محنة غلام خليل ، وقد اتُهم فيها نحو سبعين صوفيا بالزندقة والكفر، وكان الجنيد أحد أولئك السبعين ، ولكنه تستر بالفقه، و كان يفتي على مذهب أبي ثور . وقد شهدوا عليه بالزندقة حين كان يقرر في علم التوحيد كما ذكره مصنفوا الصوفية.

ذكر المحنة المزعومة كل من السراج الطوسي(٥) والقشيري(٦) والهجويري(٧) واليافعي(٨) والشعراني(٩) وغيرهم.

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ، المقدمة(١/١١) .

(٢) الرسالة القشيرية (٢/٥٥٣) .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/١٧٢) .

(٤) إحياء علوم الدين، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا- بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأُنس (٤/٢٩٢) . وذكره مختصراً أبو طالب المكي في قوت القلوب(٢/٧٧) .

(٥) اللمع (ص٤٩٣ ، ٥٠٠) .

(٦) الرسالة القشيرية (٢/٥٠٣) .

(٧) كشف المحجوب(١/٣٠-٣١) ، (٢/٤٢١) .

(٨) نشر المحاسن الغالية(ص/٤٢٢) .

(٩) الطبقات الكبرى للشعراني(١/١٥) .

فالجنيد إنما أُخذ فى تلك المحنة لاعلانه عقائد القوم وما يسمونه بعلم التوحيد، وكان بعد ذلك يظهر علم الفقه، و أما علم القوم فكان يتكلم به فى قعر بيته بعد إغلاقه الأبواب وأخذ مفاتيحها تحت وركه، كما تقدم قريبا. وكان يحث الشبلي وغيره من الصوفية بالتكتم وعدم إظهار علومهم والأخذ بالتقية لإنقاذ الصوفية والتصوف من بطش العلماء والحكام.

والجنيد عاصر أبايزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٦١ هـ، والذى اشتهر بالشطحيات القولية والفعلية ، الأمر الذى أدى الى طرده وإخراجه من بلده بعد الحكم عليه بالكفر والزندقة، وأقواله المنحرفة تتكافأ مع أقوال الحلّاج وانحرافاته، إن لم تزد عليها، ولكن لعل الصراع فى أيام أبي يزيد كان فى أوله، أو كان ضعيفا، أو لم يكن من الحكام من ينفّذ أحكام العلماء فى الصوفية ، كماكان الأمر أيام الحلّاج سنة ٣٠٩ هـ ، والجنيد اضطربت أقواله وأحواله تجاه أبي يزيد والحلّاج ، واستعمل التقية التى أنقذته بزعمه وزعم الصوفية من ذلك الموقف. اشتهر عنه اعتراضه على الحلّاج، بينما اجتهد كثيرا فى تفسير شطحيات أبى يزيد . وقد جمع السراج الطوسي اعتذاراته عنه فى كتابه اللمع، الذى كرس فيه جهده للدفاع عن شطحات الصوفية وانحرافاتهم، فعقد فصولا و أبوابا فى خدمة الصوفية وتبرير ما صدر عنهم من كفر وزندقة. لأنه كان قريب عهد بمقتل الحلّاج، ومعاصرا للصراع بين الصوفية وأهل العلم. فالجنيد دافع عن أبي يزيد ووصفه معتذرا له بأنه" مغترف من بحر قد انفرد به، وجُعل ذلك البحر له وحده" (٢) وتناول شطحياته و فسرها، متأولا محرفا الكلم عن مواضعه. ولمّا قيل له فى اضطراب موقفه، وأحس بالخوف من البطش به، لجأ الى التقية فقال فى أبي يزيد" إن أبا يزيد مع عظم حاله وعلو إشارته، لم يخرج من حال البداية، ولم أسمع منه كلمة تدل على الكمال والنهاية" . (٣) واستعملها بعده تلميذه الشبلي ، وكان أصرح منه فيها لأنه حضر وشاهد مقتل الحلّاج ومصيره، وكان صديقه ، وقد تأثر كثيرا وحزن على رفيقه . ويذكر أنه صاح ومزق ثيابه أثناء قتله (٤) . فالشبلي لما سئل عن أبي يزيد ، ولعله سئل فى امتحان له أثناء محاكمة الحلّاج، فقال : " لو كان أبو يزيد هاهنا لأسلم على يد بعض صبياننا" (٥) . لمّا رأى تكفير الحلّاج ، واجماع العلماء على ذلك، وسيف السلطان يؤيدهم ، خاف وأظهر التقية فأشار الى تكفير أبي يزيد موافقة منه لموقف العلماء فى تكفير الحلّاج. والا فقد أعلن أنه والحلّاج على أمر واحد وعقيدة واحدة. ذكر

---

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى (١٥/١) .
(٢) اللمع (ص/٤٥٩) .
(٣) المصدر نفسه (ص/٤٧٩) .
(٤) أخبار الحلّاج (ص/٢٤) .
(٥) اللمع (ص/٤٧٩) .

الهجويري هجر الجنيد وغيره للحلّاج ، وسبب ذلك فقال : " ولم يكن هجر المشايخ له يعني الطعن في دينه ومذهبه، بل في حال دنياه، فقد كان في بداية أمره مريد سهل بن عبد الله، و انصرف عنه دون استئذان ٠٠٠٠ فتعلق بالجنيد فلم يقبله، ولهذا السبب هجروه، فهو مهجور المعاملة، لا مهجور الأصل ٠ أما رأيت أن الشبلي قال : أنا والحلّاج شيء واحد، فخلصني جنوني، وأهلكه عقله" ثم يعلل ويذكر سبب ما حصل للحلّاج أنه من غضب الشيوخ عليه، وعقوقه إياهم٠ (١)

فالجنيد المتوفى سنة٢٩٧هـ ، والشبلي المتوفى سنة٣٣٤هـ من أكثر من رويت عنهم أقوال وأحوال يصح اعتبارها من باب التقية، و لعلهما من أول من دعا الى هذا المبدأ، وحثا عليه إنقاذا للصوفية والتصوف٠ وقد أ خذ على نفسه تطبيق هذا المنهج فلزم تدريس الناس والعامة الفقه ، وتدريس الخاصة علوم التوحيد المزعومة في السراديب وخلف الأبواب الموصدة الى أن مات ، كما اشتهر عنه ، وكان مكرها على ذلك الفعل، ولكن المصلحة الدينية والمذهبية تحتم عليه ذلك ٠ روى أبو بكر الكلاباذى قال سمعت فارسا، يقول سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول : كنا عند الجنيد إذ مر به النوري، فسلم فقال له الجنيد : وعليك السلام يا أمير القلوب ، تكلم ٠ فقال : يا أبا القاسم ، غششتهم، فأجلسوك على المنابر٠٠٠٠ وقال له : إذا رأيتم الصوفى يتكلم على الناس، فاعلموا أنه فارغ٠ ثم ذكر أن الجنيد كان يقول : ما رأيت قلبي أحزن منه في ذلك الوقت" ٠ (٢)

ذلك لأنه علم أن جلوسه كان تقية وحذرا من علماء ذلك الوقت رحمهم الله، فقد أثمرت جهودهم المباركة في إظهار الحق وإخفاء الشر والكفر والنفاق في البيوت والسراديب المظلمة، ولقد أثرت تلك الجهود الى حد كبير رغم أن الصوفية أقنعوا أتباعهم ومريديهم بعدم الالتفات الى تجريح علماء أهل السنة والجماعة للمشايخ وأصحاب الطرق المنحرفة، وأشاعوا هذه الحيلة بينهم، حتى زعم بعضهم أن تلك الأحكام والتجريحات بمثابة شهادات تقدير واعتراف يعتزون بها لدلالتها كما زعموا على تعمقهم في التصوف٠ يقول الجنيد في هذا المعنى: " لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صدّيق من علماء الرسوم بأنه زنديق ، وذلك لأن أحوالهم من وراء النقل والعقل " ٠ (٣)

فالصوفية اعتمدوا على التقية ، وعملوا بها ، وأوجبوها على مريديهم، بمعنى أن يتظاهروا بالاسلام والشريعة، ويخفوا عقائدهم الصوفية ويكتموها إلا عن أهلها٠ نقل

---

(١) كشف المحجوب للهجويري(١/ ٣٦٢_٣٦٣) ٠
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/ ١٧٣_١٧٤) ٠
(٣) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية _ بهامش الطبقات للشعراني(١/ ١٣٤) ٠

أبو بكر الكلاباذي عن بعض شيوخه في قول الله تعالى : " ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين" .... الاية(١) ، قال : " أي لو نطق بالمواجيد على أهل الرسوم" .(٢) يحرفون كلام الله تعالى، ويتلاعبون بنصوصه، بعلمهم الباطني وتفسيرهم الباطني، لتشهد لهم على باطلهم ومذهبهم .

ويقول القشيري مؤكدا هذا المنهج : " وهذه الطائفة يستعملون ألفاظا فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم ، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها...... "(٣)

ويقول أبو حامد الغزالي مقررا عقيدة التقية : " أما بعد، فقد سألتني..... أن أبث إليك أسرار الأنوار الإلهية..... ثم ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار . ولقد قال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر..... "(٤) .

ويبين الغزالي ويوضح الحقائق التي لا تُعرض والأسرار التي لا تُكشف، وسر الربوبية التي يزعم أن كشفها كفر، فيقول مبينا حال من زعمهم عارفين ومكاشفين : " .... فلم يبق عندهم إلا الله، فسكروا سكرا ، وقع دونه سلطان عقولهم ، فقال بعضهم: أنا الحق . وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني . وقال الآخر: " ما في الجبة إلا الله".

ثم قال : وكلام العشاق في حال السكر يُطوى ولايُحكى.... "(٥)

هذه الأقوال الكفرية هي أسرار الربوبية التي يجب كتمها عن الناس في مذهب المتصوفة ويكتمونها اتقاء وحذرا من تكفير الناس لهم وإقامة الحدود عليهم وتنفير الناس عنهم بعد انكشاف أمرهم وكفرهم .

ويقررها أيضا عبد القادر الجيلاني فيزعم ما معناه أن الأسرار وأحكام الطريق يجب أن تحفظ عن الأجانب ، وتكتم عنهم، مع النظر اليهم بعين الشفقة و الرحمة كما يجب الصبر

---

(١) سورة الحاقة/٤٤ .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/١٧٤) .

(٣) الرسالة القشيرية . باب تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها (٢٢٩/١) .

(٤) مشكاة الأنوار للغزالي، المقدمة (ص/٥ـ٦) .

(٥) نفس المصدر(ص/١٨) .

على سوء أخلاقهم والأولى ترك معاشرتهم ومخالطتهم، والابتعاد عنهم.[١]

الحق أنهم يتقون الأجانب، يعني أهل السنة والجماعة ـ حفاظا على رقابهم وشفقة على أنفسهم، وحقنا لدمائهم ، وترويجا لباطلهم ، وإلا فهم حريصون كل الحرص على إشاعة التصوف بين الناس، وتكثير سوادهم.

أما الصوفي الكبير المنحرف، أبو بكر بن عربي فقد أكثر من الدعوة الى التزام التقية في مصنفاته التي ملأها بالظلمات والضلالات . يقول : " وهذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثر الخلق لما فيه من العلو، فغوره بعيد، والتلف فيه قريب ... وقد كان الحسن البصري إذا أراد أن يتكلم في مثل هذه الأسرار..... دعا بفرقد السبخي، ومالك بن دينار، ومن حضر من أهل الذوق، وأغلق بابه دون الناس، وقعد يتحدث معهم في مثل هذا الفن، ولولا وجوب كتمه ما فعل هذا". ثم راح يبحث عن أدلة أقوى من قصة الحسن، وأكثر اقناعا للناس، فذكر حديثا عن ابن عباس في قول الله تعالى:"الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر..."[٢] الآية " فقال : " لو ذكرت تفسيره لرجمتموني، ولقلتم أني كافر"[٣] . وحديثا عن أبي هريرة أنه تلقى عن رسول الله جرابين من العلم فبثّ أحدهما، وكتم الآخر لئلا يُقتل ببثه[٤]، ثم وصف الصوفية فقال : " وكتب أهل طريقتنا مشحونة بهذه الأسرار ..... فالساترون لهذه الأسرار في ألفاظ اصطلحوا عليها غيرة من الأجانب.."[٥]

يعمد المتصوفة الى تحريف النصوص ومعانيها ، ووضع الأحاديث ونسبتها الى الرسول والصحابة لخدمة مذهبهم ، شأن الرافضة والمبتدعة جميعا. فإذا كان الصحابة قد كتموا الأسرار، فالصوفية والشيعة أولى . يكذبون على الله تعالى وعلى رسوله تبريرا لباطلهم،

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق (٢/١٧٠).
(٢) سورة الطلاق /١٢.
(٣) رواه ابن جرير في تفسيره بإسناده الى ابن عباس ولفظه: " لوحدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها ". وفي إسناده ضعف من جهة ابراهيم بن مهاجر. (١٥٣/٢٨).
(٤) حديث أبي هريرة رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب حفظ العلم، ولفظه: " حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين : فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته ، قطع هذا البلعوم ." الفتح (٢١٦/١) ونقل الحافظ عن ابن المنير قوله: " جعل الباطنية هذا الحديث ذريعة الى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرا وباطنا ، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين".
(٥) كتاب الفناء في المشاهدة ـ ضمن رسائله (ص٣ـ٤) ، وانظر الفتوحات المكية . المقدمة (٣٢/١).

ويزعمون أنهم يفعلون ذلك شفقة منهم على العامة ، وقد كذبوا ، والحق كما صرح به هنا ابن عربى من حيث يدرى أو لايدرى بقوله" والتلف فيه قريب" أي تلف أرواحهم و دمائهم وأموالهم ومذهبهم ٠

وقد أكد هذا المعنى فى موضع آخر فقال : " فالسكوت عن العلوم العلمية بأهل طريقتنا أولى من كل وجه، بل هوحرام عليهم بسطها بحيث يدركها الخاص والعام، فيستعين بها المفسدون على فسادهم ٠٠٠٠٠ ويقول كاذبا إنه يكتمها حتى " لايصل إليها من ليس منهم، ولا أبالى من تكذيبه إياى إذا سلم لي ديني، والحمد لله"٠ (١)

بريد بالمفسدين ، علماء السنة، وبفسادهم ، إقامة الحدود على المتصوفة المنحرفين ، وعلم الله أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون٠ ثم يزعم عدم مبالاته من تكذيب العلماء له إن سلم له دينه، والحق أنه بريد سلامة دنياه ورقبته لأن دينه سيسلم حتى إن قتل ، بل سيكون شهيد دينه ومذهبه كحلّاج المحبة وشهيدها كمايزعمون ويصفون٠

ويقول أيضا مخاطبا الامام الرازى فى رسالة بعثها إليه: " ٠٠٠ وكنت أريد أن أذكر الخلوة، وشروطها ، وما يتجلى فيها٠٠٠ لكن منعني من ذلك الوقت، وأعني بالوقت علماء السوء الذين أنكروا ما جهلوا ، وقيّدهم التعصب، وحب الظهور والرئاسة عن الإذعان للحق ، والتسليم له إن لم يكن الايمان" (٢) ويقول أيضا : "٠٠٠٠ إن عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك، فالستر أولى ، وأيسره أن تكون كائنا بائنا"٠ (٣)

ويقول أيضا عن علومهم الخاصة: " ٠٠٠٠ ولا يسع معرفة ذلك الكافة، وإفشاء سر الربوبية كفر، وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد ، وأفشى سر الوحدانية ، فقتله أفضل من إحياء عشرة٠ وقال بعضهم : للربوبية سر، لو ظهرت لبطلت النبوة ، وللنبوة سر ، لو كشفت لبطل العلم، وللعلماء بالله سر، لو ظهر بطلت الأحكام، فقوام الايمان واستقامة الشرع بكتم السرية"٠ (٤)

هكذا يريد المتصوفة إقناع الناس بهذه السرية والتقية، والتسليم لهم فى ذلك وعدم الإنكار عليهم على أقل تقدير، وإلا فالأولى إيمانهم بهذا وخروجهم من دائرة الاسلام التى

---

(١) كتاب الميم والواو والنون ــ ضمن رسائله(ص/٨)٠
(٢) رسالة الشيخ الى الامام الرازى ــ ضمن رسائله(ص/٧)٠
(٣) كتاب التراجم ــ ضمن رسائله ــ (ص/٤٨)٠
(٤) رسالة الشيخ الى الامام الرازى ــ ضمن رسائله(ص/١٠)٠

حظيرة التصوف المنحرف ٠فيزعمون أن فى كشف تصوفهم إبطال للنبوات والشرائع وحتى الأحكام والحدود، طمعا منهم فى تسليم الناس لهم مبدأ الكتمان والتقية، جملةً وإن ظهر لهم شيء منها، فيردوها الى أهلها ولا يخوضوا فيها ولا يبحثوا ويتعمقوا لأنهم ربما أوصلتهم الى إبطال النبوات والأديان، أى الكفر والردة لأنهم لا يتحملونها ولا يفهمونها لأن تصوفهم كالتشيع صعب مستصعب لا يحتمله إلا الممتحنون من أهل الايمان والمقربون من الملائكة٠ فيا أيها المخالفون إياكم والتعرض للصوفية إن ظهرت لكم منهم بعض الشطحات القولية أو الفعلية، فضلا عن التجرأ والتسرع فى تكفيرهم والتشهير بهم لما أظهروه من علم وكشف، إنكم إن فعلتم ذلك فإن الأديان ستضطرب والشرائع تتعطل ،فعليكم بالتسليم والإذعان، وعدم الإنكار، وأنتم أيها الصوفية ما دمتم فى دولة أهل السنة وسلطانهم وغلبة علماء الرسوم ، فعليكم بالسرية و الكتمان أمام العامة، وإذا ماخلوتم فاعلوا ما شئتم وأظهروا ماهو كفر وزندقة عند علماء الرسوم والظاهر٠

هذا هو لسان حال الصوفية جميعا، إن لم يكن لسان مقالهم، ويتجلى ذلك فى مواقف كثيرة أذكر منها موقفهم قديما وحديثا من زنديق المحبة، فانه بالرغم من إجماع علماء عصره على كفره، والحكم عليه بالقتل والصلب، فإنهم قديما، ومازالوا يتباكون عليه، وينوحون عند ذكره، وينعقون بالترحم والثناء عليه فى جميع مصنفاتهم ومقالاتهم، ومن تكلم فيه وعاب عليه ، إنما عابه بسبب إظهاره واذاعته الأسرار الصوفية على العامة ، لا بسبب كفره وخروجه ومروقه عن الدين والايمان٠ ولقد كان الشيعة أكثر ذكاء من الصوفية فى موقفهم من الحلّاج، فقد حكموا عليه بالخروج عن التشيع، وتبرأوا منه وأخرجوا فى ذلك صكوكا موقعة معتمدة . فزعموا أنه قد صدرت فى حقه، والبراءة منه مراسيم شيعية من أروقة الدولة الرافضية من سرداب سامراء بتوقيع صاحب الأمر والزمان المهدي ٠ علما بأنه كان من أكابرهم ، وممن زعم أنه من الأبواب بين الشيعة والمهدى أثناء غيبته الصغرى٠

ذكر الشعراني أن أصحاب عبد الله القرشي طلبوا منه التكلم فى علم الحقائق، وكان أصحابه ستمائة رجل فقال اختاروا منهم مائة ، ومن المائة عشرين ، ثم من العشرين أربعة، يقول الشعراني يصف الأربعة: " وكانوا أصحاب كشوفات ومعارف ، ثم يذكر أن الشيخ قال :" لو تكلمت عليكم فى علم الحقائق والأسرار، لكان أول من يفتي بكفرى هؤلاء الأربعة". (١)

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ، المقدمة (١/ ١٢)٠

يفتخرون بتكفير الناس لهم، بلا حياء ولا خجل، ويعتزون بذلك ويعدّونها فى مناقبهم، ذلك لأن إمامهم وشهيدهم الحلّاج المقتول قرر لهم ذلك فقال، مخاطبا بعض خواصه: "السلام عليك يا ولدى، ستر الله عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة شرك خفي، وحقيقة الكفر معرفة جلية." (١)

وأورد عبد الحليم محمود عن شيخه أبى مدين أنه قيل له: ما حقيقة سرك فى توحيدك؟ فقال: سرى مسرور بأسرار، تستمد من البحار الالهية، التى لا ينبغى بثها لغير أهلها....، وأبت الغيرة الإلهية إلا أن تسترها، وهى أسرار محيطة بالوجود، ولايدركها إلا من كان وطنه مفقودا، وكان فى عالم الحقيقة بسره موجودا..." (٢)

فالصوفية المعاصرون يؤكدون استمرارهم على الأخذ بالتقية، ومبدأ الكتمان للأسرار التى هى كفر محض، لما وجدوا فى ذلك من الفسحة لهم فى دينهم ونشر دعوتهم، وممارسة طقوسهم ومنكراتهم، ولما فيها من السلامة لأرواحهم وأموالهم، لذلك اتخذوه أصلا فى طريقتهم، وركنا فى مذهبهم وزينوصبا يكفل لهم رواجه بين مريديهم، والعامة من الناس بما أوّلوه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وبما اخترعوه من روايات وأكاذيب حتى على علماء أهل السنة والجماعة فى موقفهم وصراعهم ضد الصوفية والتصوف.

لما وافق الصوفية أهل الرفض فى التزام التقية والكتمان، صدرت عنهم جميعا التصريحات والصرخات التى يطلقونها و ينعقون بها تمويها على الناس والعوام والتظاهر لهم بأنهم من أهل الحق والدعاة إليه. تتجلى هذه عند الرافضة بما يتظاهرون به، ويتباكون عليه، ويذرفون له دموع التماسيح الكاذبة، من الدعوة الى الوحدة بين المسلمين. وما ينكرونه من عقائد شيعية وأصول دينية مقررة عندهم فينكرونها تقية وكذبا، أمام أهل السنة فى دعوتهم إياهم التقريب بين المذاهب بزعمهم. و هم فى الحقيقة إنما يسعون الى نقل أهل السنة من نور الجماعة والسنة الى ظلمة الرفض وحظيرة التشيع إن أمكنهم ذلك، وإلا فيأملون فى بلبلة أفكارهم وتمييع مواقفهم ضد أهل الرفض وغيرهم من المبتدعة، وتشكيكهم فى تاريخهم وعلمائهم، وبالتالى إيجاد جيل من المسلمين من أهل السنة يسلّمون للشيعة تشيعهم، ولا ينكرون عليهم، ولايطعنون فيهم، بل يتركونهم وشأنهم ليتمكنوا منهم فى نهاية الأمر ويصرفوهم عن دينهم الحق.

---

(١) رسالة الشيخ الى الامام الرازى – ضمن رسائل ابن عربى (ص/١٣)، وأخبار الحلاج (ص/٥٠).

(٢) أبو مدين الغوث (ص/١٤١)

وكذلك الصوفية ، فإن لهم أقوالا يقررون فيها مذهب أهل السنة والجماعة كادعائهم بأن مذهبهم مقيد بالكتاب والسنة، وزعمهم محاربة البدع وغيرها. روى القشيرى بإسناده الى أبي يزيد البسطامى قوله : " لو نظرتم الى رجل أُعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي و حفظ الحدود ، وأداء الشريعة (١)

وروى عن الجنيد بإسناده إليه قال : " مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة ". وقوله : " من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث ، لا يُقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة" . (٢)

اكتفى بهذا القدر من الأقوال ، وإلا فكتبهم مشحونة بمثل هذه الأقوال التى قالوها تقية، وممارسة لتلبيسهم على أهل السنة، وترويجا لتصوفهم، وسلامة لأرواحهم وأموالهم . وهذه الأقوال تناقض أقوالا كثيرة، وأحوالا صدرت منهم، واشتهرت عنهم. فأبو يزيد هو القائل فيما رواه بالإسناد إليه جامع كراماته وأقواله ، والسراج الطوسي وغيرهما : " رُفعت مرة حتى أُقمت بين يديه فقال لى : يا أبا يزيد، إن خلقي يريدون أن يروك. قال أبو يزيد : يا عزيزى إني لا أحب أن أراهم. فإن أحببت ذلك مني فإني لا أقدر أن أخالفك، فزيِّني بوحدانيتك حتى إذا رآني خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك ، قال أبو يزيد : ففعل ذلك. فأقامني وزيَّني ورفعنى ثم قال : أُخرج الى خلقي. فخطوت من عنده خطوة الى الخلق ، فلما كان الخطوة الثانية ، غشي عليَّ، فناداني: ردوا حبيبى، فإنه لايصبر عني" . (٣) وقد اشتهر بمثل هذه الأقوال المنكرة، وقد أتعب من بعده من الصوفية فى تفسيرها، وتبريرها والاعتذار عنه بما هو أقبح. كما فعل ذلك الجنيد فيما نقله عنه السراج الطوسي أثناء دفاعه عن الشطح والشطحات الصوفية القولية والفعلية (٤) . وقد ذكر جملة من هذه الكفريات صاحب كتاب النور فى كلمات أبي طيفور، وبروبها بالإسناد اليه، وفيها من الجرأة على الله تعالى ، والكذب، والغلو فى كراماته ومعجزاته ما يُستحى حتى من ذكره . والجنيد، صاحب تلك الأقوال السنِّية، هو من كرس نفسه للدفاع عن أبي يزيد

---

(١) الرسالة القشيرية (١/١٠٣) .

(٢) المصدر نفسه (١/١٣٤) .

(٣) النور فى كلمات أبي طيفور (ص/١٤٩) . واللمع الطوسي (ص/٤٦١) .

(٤) اللمع (ص/٤٦١) ، وقد عقد بابا خاصا فى ذكر شطحات أبى يزيد وتفسيرها وتخريجها .

المبحث الخامس

الإمامة

و

الولاية

حتى فى مقالته المتقدمة. ويذكر السراج الطوسي أن له كتابا فى تفسير كلام أبي يزيد[١]. وهو القائل فيما اشتهر عنه أنه لا يجب للمبتدىء الاشتغال بالتكسب، والتزوج. وطلب الحديث، وأن عدم القراءة والكتابة للصوفي أجمع لهمته، وأن الصوفى الصادق غني عن علم العلماء.[٢]. الى غير ذلك من الأقوال والأحوال التى تُروى عنه مما تتعارض مع منهج أهل السنة والجماعة، وقد مر قريبا اعتزازه وافتخاره إذا شهد علماء الرسوم عليه بأنه زنديق لما يزعم أن أحوالهم من وراء النقل والعقل. فأين تقيدهم بالكتاب والسنة إن كانت أحوالهم من وراء النقل والعقل ؟

إن أقوالهم تلك ما هى إلا تقية وكذبا، لأن التقية كما قرروها بأدلتهم المزعومة ودعاواهم الكاذبة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن دعوة القرآن الكريم أيضا، ومنهج الصحابة وسلف الأمة . وقد كذبوا. فإن الله تعالى أمر الأنبياء والمرسلين بالدعوة والتبليغ، وأمر بذلك المؤمنين. فإن قوام الأديان، واستقامة الشرائع الإلهية إنما تكون مع التبليغ، وهلاك الأمم وضياع الأديان فى الكتمان والتقية.

---

(١) اللمع (ص/ ٤٦١).

(٢) تقدم ذكرها وتخريجها فى مبحث القرآن والسنة (ص/ ٢٣٨).



المبحث الخامس
الإمامة و الولاية

الإمامة لغة واصطلاحا

يقول الأزهري : الإمام كل من ائتم به قوم، كانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ضالين " . (١)

ويقول ابن فارس والجوهري : " الامام : الذى يُقتدى به" . (٢)

وجاء في لسان العرب : " أَمَّ القوم، وأَمَّ بهم: تقدمهم ، وهي الإمامة. وعن ابن سيده: الامام ما ائتُمّ به من رئيس وغيره، وإمام كل شيء قيمُه والمصلح له... والخليفة إمام الرعية" . (٣)

فالإمامة في اللغة مصدر من الفعل أَمَّ، بمعنى تقدم ورَأَسَ، سواء كان المتقدم على هدى وعلى صراط مستقيم، أو كان على الضلالة والفجور، فهي قيادة ورئاسة عامة مطلقة.

وأما في الاصطلاح فإنه أخص منه في اللغة، فهي تعني رئاسة العامة وقيادتهم لما فيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم وفق هدي الله تعالى وشرعه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن خلدون رحمه الله: " والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة. فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به" . (٤)

فالامامة في اصطلاح أهل السنة والجماعة هي الخلافة والولاية العامة للمسلمين كافة في سياسة أمورهم وأحوالهم باعتبار الشرع ومقتضاه لمافيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم ، ولا صلاح للإسلام والمسلمين إلا بالإمامة التى تحمي شعائر الدين وتقيم أحكامه و حدوده، وترد عن المسلمين وديارهم كيد الأعداء والظالمين. ولذلك أجمع المسلمون على وجوب الإمامة

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٦٣٨) .
(٢) مجمل اللغة لابن فارس(١/٨٢)، والصحاح للجوهري (٥/١٨٦٥) .
(٣) لسان العرب(١٢/٢٤) .
(٤) المقدمة(١/٢٤٤) .

ونصب الإمام، ولم يشذ فى هذا الأمر إلابعض من لا يعتد بهم من الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم.

يقول ابن حزم رحمه الله: " اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع المعتزلة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة فرض واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لايلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ...." (١)

ويقول ابن خلدون رحمه الله: " ثم إن نصب الامام واجب، قد عرف وجوبه من الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وتسليم النظر إليه فى أمورهم. وكذا فى كل عصر من بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى فى عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعا دالا على وجوب نصب الإمام. وقد ذهب بعض الناس الى أن مدرك وجوبه العقل .... وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع، منهم الأصم من المعتزلة، وبعض الخوارج وغيرهم ......" (٢)

ويقول ابن حجر الهيتمى المكي رحمه الله: " إعلم أيضا أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات، حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ...... ثم ذلك الوجوب عندنا معشر أهل السنة والجماعة، وعند أكثر المعتزلة بالسمع، أى من جهة التواتر والإجماع المذكور، وقال كثير بالعقل......." (٣)

فالشيعة ومن افقهم اتفقوا مع أهل السنة وغيرهم من الفرق على وجوب الإمامة ونصب الإمام، ولكنهم اختلفوا معهم فى موجب ذلك . فبينما ذهب أهل الحق، ومن وافقهم أن موجبه الشرع واستدلوا عليه بآيات كثيرة وأحاديث كثيرة وبالإجماع، ذهب الشيعة ومن وافقهم أن موجبها العقل، فأوجبوا على الله تعالى ما تمليه عليهم عقولهم ومذاهبهم المنحرفة ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

---

(١) الفصل فى الملل والنحل والأهواء (٤/١٤٩)، الكلام فى الإمامة والمفاضلة.
(٢) المقدمة لابن خلدون (١/٢٤٤ـ٢٤٥).
(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى (ص/١٥ـ١٦).

فالامامة عند أهل السنة والجماعة واجب شرعى عظيم، به قوام البلاد والعبـــــــاد ، وحفظ الإسلام والمسلمين، ورفعتهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة . وبه يحفظ الدين والشـــرع ، وبه تساس الحياة الدنيا وأمور المعاش وفق الشرع ومقتضاه. والإمامة العظمى يطلق عليهـــــا أيضا الخلافة وإمرة المؤمنين ، فالقائم بها يسمى إماما ، وخليفة ، وأميرا للمؤمنين ، كمـا دل على ذلك النصوص الشرعية واستعمالات واطلاقات سلف هذه الأمة رحمهم الله .

الولاية لغة واصطلاحا

يقول ابن دريد :" الوِلاية : الإمرة، والوَليُّ: خلاف العدو".(١)

وينقل الأزهرى عن ابن الأعرابى:" الوليُّ: التابع المحب. والوِلاية التى هى بمنزلة الإمارة، مكسورة".(٢)

ويقول ابن فارس:" والوَلْي : القرب . والولاية: النصرة والسلطان".(٣)

ويقول الجوهرى:" الوَلْي: القرب والدنو. والوَليّ : ضد العدو، والوِلاية والوَلاية: السلطان".(٤)

ويقول الفيروزابادى:" الوَلْي: القرب والدنو. والوَلِيُّ: الاسم منه، والمحب والصديق والنصير. والوِلاية: الإمارة والسلطان".(٥)

فالولاية فى اللغة ضد العداوة، وتتضمن المحبة والمتابعة ، والتقرب، والصداقة والنصرة. وهذه المعانى هى المرادة فى المعني الاصطلاحي والشرعي.

يقول الامام ابن جرير الطبري رحمه الله:" والأولياء جمع ولي، وهو النصير"(٦)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله:" والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد. وقد قيل: إن الولى سُمي وليا من موالاته للطاعات، أي متابعته لها ..... ثم يصف ولي الله بأنه: هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ، ويسخطه، ويأمر به ، وينهى عنه...."(٧)

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:" المراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته، المخلص فى عبادته".(٨)

---

(١) جمهرة اللغة(١/١٨٨).
(٢) تهذيب اللغة (١٥/٤٤٨ـ٤٤٩).
(٣) مجمل اللغة(٤/٩٣٦ـ٩٣٧).
(٤) الصحاح(٦/٢٥٢٨ـ٢٥٣٠).
(٥) القاموس المحيط(ص/١٧٣٢) ، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير(١١/١٣١).
(٧) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(ص/٢٩ـ٣٠).
(٨) فتح البارى ، كتاب الرقاق ، باب التواضع(١١/٣٤٢).

ويقول القاسمي: "الأولياء، جمع ولي، وهو في الأصل ضد العدو بمعنى المحب . أي يخافون ربهم فيفعلون أوامره ، ويتجنبون مناهيه من الشرك والكفر والفواحش، والأولياء هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير، المنجيين من كل شر." (١)

فالولاية في الشرع واصطلاح أهل السنة والجماعة تدور حول القرب من الله تعالى ومحبته ونصرة دينه ومتابعته وطاعته في أمره ونهيه، والإخلاص في ذلك كله. والولي هو الذي يتولى ربه وخالقه بالطاعة، ويتولاه ربه بالحفظ والتأييد والنصرة والمعية الخاصة كما دل عليه نصوص الكتاب والسنة. يقول الله تعالى : " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون" (٢) فالله سبحانه وتعالى فسر المراد بالأولياء بأنهم الذين آمنوا وكانوا يتقون . أي يؤمنون بالله تعالى وبما أوجب عليهم الإيمان به في كتابه وسنة رسوله إيمانا صحيحا كما أراد منهم ربهم سبحانه وتعالى ، ثم يتقون كل ما أمرهم مولاهم باتقائه، والبعد عنه من أنواع الشرك والمعاصي والذنوب، وما يلزم ذلك من امتثال ما أمرهم به، وحثهم عليه من أنواع الواجبات والمندوبات التي تكون سببا في قربهم من الله تعالى واستحقاق ولايته ومحبته سبحانه وتعالى .

فالولي عند أهل السنة والجماعة، كل من كان مؤمنا تقيا، وأفضل الأولياء عندهم هم الأنبياء والرسل ثم يتفاضل الخلق بعدهم بحسب إيمانهم وتقواهم ، والصحابة أفضل هذه الأمة . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: " ولايكون مَن بعد الصحابة، أفضل من الصحابة. وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بماجاء به الرسول، واتباعا له كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به، وعملاً به. فهو أفضل أولياء الله إذا كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم، وأفضلها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه". (٣)

فالأولياء إنما يتفاضلون فيمابينهم بحسب دينهم وتقواهم لا بأنسابهم وأحسابهم ، ولا بألوانهم ومظاهرهم. والولاية ليست محجورة على طائفة معينة ذات حسب معين ونسب ، أوذات مظاهر معينة وطريقة في الدين مبتدعة ، وإنما هي عامة لكل من آمن واتقى، ونشد الكمال في دينه وتقواه .

---

(١) محاسن التأويل ، المسمى بتفسير القاسمي (٩/٣٣٦٤) .
(٢) سورة يونس / ٦٢-٦٣ .
(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص/١٠٢) .

الإمامة الشيعية والولاية الصوفية

يعتقد الشيعة أن الإمامة من أهم أركان وأصول الدين والإيمان٠ فلا إيمان لمن لم يعرف إمامه ويؤمن به وبحقوقه ٠

ويعتقد الصوفية نحوه فى شيوخهم وأوليائهم فمن لاشيخ لهفى هذه الدنيا فإن الشيطان شيخه وإمامه وقائده الى جهنم، ولابد لمن أراد النجاة الالتزام بشيخ وولى والإيمان به واعتقاده وحفظ جميع حقوقه وأسراره وأحواله٠

ويعتقد الشيعة أن الامامة منصب إلهي، يختار الله له من خلقه من يشاء كاختياره واصطفائه من خلقه للنبوة والرسالة، وعليه فإنه لايجوز للنبي إغفال الإمامة أو تفويضها للأمة من بعده، بل عليه تعيين من اختارهم الله تعالى والنص عليهم وبيانهم للأمة٠

وكذلك الصوفية يؤمنون بأن الولاية فتح من الله تعالى واصطفاء منه وحده، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاها لبعض أصحابه دون غيرهم، ومازالت تنتقل الى الأولياء بالإسناد المتصل المزعوم ٠

ويعتقد الشيعة أن الامامة لطف من الله تعالى كالنبوة والرسالة، فلابد من وجود إمام فى كل عصر يخلف النبي فى وظائفه ومهامه العظيمة من هداية البشر وارشادهم، وبيان حكم الله تعالى فى كل نازلة تحل بهم، والفصل بينهم فى كل معضلة تنزل بهم، وقيادة البشرية الى ما فيه صلاحهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة ، فالإمامة استمرار للنبوة والرسالة، والأئمة حجج الله تعالى على خلقه، ولهم ما للأنبياء من حق التشريع، وطاعتهم واجبة مثل طاعة الأنبياء والمرسلين٠

وكذلك الصوفية يعتقدون أن الولاية الصوفية لطف وامتداد للنبوة والرسالة ، وأن الأولياء يخلفون الأنبياء، ويقومون بوظائفهم وهم حجج الله تعالى على جميع خلقه ولا يخلو منهم عصر وزمن٠ يهدون الناس ويقودونهم لما فيه خيرهم وصلاحهم، ويبينون حكم الله فى النوازل وغيرها، بما خصهم الله تعالى من اطلاع ، ومعرفة بالغيب، والإلهام، وبما خصهم به من علوم ومعارف٠

ويعتقد الشيعة عصمة الأئمة ، من جميع الرذائل والخطايا الظاهرة والباطنة، ومن كل سهو،و خطأ، ونسيان، وجهل ونقص ، من طفولتهم حتى موتهم، وأنهم يجرون فى ذلك مجرى عيسى ويحيى فى حصول الكمال حتى فى صغرهم ومهدهم كما يزعمون٠

وكذلك الصوفية يعتقدون فى شيوخهم وأوليائهم العصمة، وإن سموها بغير اسمها. فيقولون : " الشيوخ محفوظون "، ويأمرون المريدين باتباع الشيوخ فى كل مايقولون ويفعلون، مع ترك الاعتراض عليهم حتى فيما بدا فى ظاهره فى صور المعاصي والذنوب، وذلك لأنهم محفوظون عن كل ذنب ومعصية وزلل لأنهم كالأطفال فى حجر الحق، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ويعتقد الشيعة أن أئمتهم يمتازون بصفات وخصائص ميزهم الله تعالى بها، وخصهم بها دون غيرهم. وقد غلوا فيهم، وفى تلك الصفات والخصائص غلوا عظيما حتى وصفوهم بصفات الألوهية، وخصوهم بخصائص الربوبية من تصرفهم فى الأكوان، وإحاطتهم بكل شيء، ومعرفتهم بكل ما ظهر وما بطن، وعلمهم حتى بخافية الصدور وخائنة الأعين فى الحياة الدنيا، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل جعلوهم يُدخلون الجنة من شاءوا من أتباعهم ومحبيهم وشيعتهم بزعمهم، ويُدخلون النار من شاءوا من أعدائهم وسائر خلق الله تعالى، الى غير ذلك من أنواع الغلو الذى جعل الأئمة فى مراتب الألوهية والربوبية.

وكذلك الصوفية، فإنهم غلو فى شيوخهم وأوليائهم غلوا عظيما، ورفعوهم بإطرائهم فيهم الى منزلة الإلهية والربوبية، فأنواع من العبادات تصرف لهم من دون الله تعالى، وأمور كثيرة يتصرفون فيها فى هذه الحياة الدنيا، ولا يُسئلون عما يفعلون، ولا يُعترض عليهم فى شيء من ذلك كله لأن الله تعالى قد خصهم بالتصريف والأفعال، ليس فى الدنيا فحسب، بل حتى فى الآخرة يُدخلون الجنة من شاءوا من محبيهم ومريديهم، ولايذرون فى النار من مريديهم أحدا، مهما كان عاصيا مذنبا مستحقا للعذاب بما خصهم الله تعالى به من خصائص، وبما منحهم من مواهب وكرامات زعموها. تعالى الله عن ذلك كله علوا عظيما.

الحاصل أن التشيع والتصوف يقومان أساسا على تعظيم الأشخاص والغلو فيهم لدرجة العبادة. فالحق عند الفريقين يُعرف بالرجال، بل يدور مع رجال مخصوصين حيثما داروا، وهذا هو جوهر الخلاف بين الفريقين وبين أهل الحق الذين ينشدون الحق وهى ضالتهم. وشتان بين من يُمحِّص الرجال بالحق، وبين من يتخذ رجالا أربابا من دون الله، يشرعون لهم، ويبدلون لهم دينهم الحق، ويزينون لهم الرفض والضلال.

هذا ذكر مجمل للامامة عند الشيعة، والولاية عند الصوفية تبين قوة العلاقة والارتباط بين الفريقين فى أصول المذهب، ووسائل الدعوة، ومناهج التربية بينهما. وأذكر الآن تفصيلا لما تقدم إجماله مع الأدلة من كتب الفريقين المعتمدة، ومراجعهم المعتبرة عندهم، وبنصوص أربابها ليتبين مدى استفادة الصوفية وأخذهم عن الشيعة حتى ألفاظهم وعباراتهم واصطلاحاتهم، مما يؤكد انتمائهم وولائهم لهم فضلا عن مجرد العلاقة بينهما.

خصائص الإمامة والولاية عند الشيعة والصوفية

تمهيـــد :

قبل ذكر الخصائص والصفات التي اتفق الشيعة والصوفية على نسبتها لأئمتهم وأوليائهم، وخصوهم بها. أذكر اتفاق الفرقتين على أمر مهم في هذا الباب، وهو ما اتفق عليه الشيعة والصوفية حول شخصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فالشيعة بجميع فرقها ورغم اختلافهم وتفرقهم حتى في الإمامة والائمة وتعيينهم، يدينون جميعا بإمامة علي بن أبي طالب، وأنه أول الائمة، وأنهم جميعا من ولده ونسله، ومتفقون أيضا على أنه نالها بالوصية والتعيين من الله تعالى لرسوله. ويزعمون جميعا أنهم يأتمون به ويقتدون به وأنه مرجعهم ومنتهى مذهبهم، ويتفقون أيضا في غلوهم فيه غلوا شديدا .

يؤمن الشيعة أن الله تعالى قد أخذ الميثاق على بني آدم جميعا وهم في عالم الذر له سبحانه بالربوبية، ولمحمد بالنبوة والرسالة، ولعلي بالخلافة والإمامة والوصاية. (١)

ويؤمنون بأن الله تعالى ما بعث نبيا ولا رسولا إلا بالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبولاية ووصاية علي بن أبي طالب، ودعاهم سبحانه الى ذلك طائعين أو كارهين، وأنه سبحانه وتعالى أمر حتى محمدا بحب علي وولايته وأخبره ليلة المعراج أنه قد اختار له عليا فأمره أن يتخذه لنفسه خليفة ووصيا وأخبره بأنه قد نحله علمه وحلمه. (٢)

ويؤمنون بأن الله تعالى أمر نبيه محمدا أن يعلم عليا خاصة كل علومه ويجعله شريكا له في علومه، ويؤمنون بأن عليا ورث علم جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء. (٣)

وغلو في علومه وأحواله وخصائصه ومناقبه غلوا تضحك منه حتى النساء والأطفال. فرووا بأسانيدهم الشيعية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " كنت أنا وعلى

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى (ص/ ٩٠ـ٩٢) ، وأصول الكافي كتاب الحجة باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية (١/ ٤٣٦) .

(٢) بصائر الدرجات (ص/ ٩٢ـ٩٤) ، وأصول الكافي (١/ ٤٣٧) ، والاختصاص للمفيد النعمان (ص/ ٣٤٣) ، وأمالي الطوسي (٢/ ٢٨٣) .

(٣) بصائر الدرجات (ص/ ٣١٠ـ٣١٤) ، وأصول الكافي (١/ ٢٦٣) ، كتاب الحجة باب أن الله لم يعلم نبيه علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين، وأنه كان شريكه في العلم . وأيضا (١/ ٢٢٢ـ٢٢٣) كتاب الحجة باب أن الائمة ورثة العلم، يرث بعضهم بعضا العلم.

على يمين العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام..." (١)

ونسبوا الى علي أنه قال: " أعطيت تسعا لم يعط أحد قبلى سوى النبي. لقد فُتحت لى السبل، وعُلِّمت المنايا، و البلايا، والأنساب، وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي فما غاب عنى ما كان قبلي ولا ما يأتى بعدي، وأنه بولايتى أكمل الله لهذه الأمة دينهم، وأتم عليهم النعم، ورضي لهم إسلامهم". (٢)

ويفسرون علم البلايا والمنايا، فيروى شيخ طائفتهم الطوسي بإسناده" أن عليا أُلقي إليه علم البلايا والمنايا، فكان يلقى الرجل فيقول له يا فلان تموت ميتة كذا، وأنت يا فلان تقتل قتلة كذا، فيكون الأمر كما قاله. (٣)

ونسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " إن الله عز وجل نصب عليا عَلَماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن عدل بينه وبين غيره كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن جاء بعداوته دخل النار. (٤)

وأيضا قوله: " لا تضادوا بعلي أحدا فتكفروا، ولا تفضلوا عليه أحدا فترتدوا". (٥)

هكذا تختلط عندهم مفاهيم الشرك والردة والكفر، وتضطرب أصول الكفر والايمان، فالإيمان عندهم والتوحيد، مداره على معرفة علي بن أبي طالب ومعرفة حقه. والكفر عندهم والشرك مداره على إنكاره وجهله.

ونسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " من أصبح منكم راضيا بالله وبولاية علي فقد أمن خوف الله وعقابه". (٦)

وأيضا قوله: " يا علي خلقني الله وأنت من نور الله... فمن جحد وصيتك جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي أكبه الله على منخريه فى النار". (٧)

---

(١) أمالى الطوسى (١/١٨٦).
(٢) المصدر نفسه (١/٢٠٨).
(٣) المصدر السابق (١/١٦٨).
(٤) المصدر السابق (٢/١٠١).
(٥) المصدر السابق (١/١٥٣).
(٦) المصدر السابق (١/٢٨٩).
(٧) المصدر السابق (١/٣٠١).

وقوله: " ... ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من حب علي إلا أدخله الله الجنة". (١)

فالنجاة والفوز مناطه عند الشيعة محبة علي والاقرار بوصايته والرضى بولايته. وقد وضعوا أحاديث كثيرة في مناقبه وفضائله، ومناقب شيعته ليضمنوا لأتباعهم وشيعتهم الفوز بالجنة والنجاة من النار. فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا مدينة الجنة وعلي بابها، كذب من زعم أنه يدخلها من غير بابها". (٢) وقد نسوا أن للجنة ثمانية أبواب، اللهم إلا إن كانت جنتهم غير الجنة التي وعد الرحمن عباده.

وأنه قال: " ... هو أمير المؤمنين يجعله الله يوم القيامة على الصراط فيدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار". (٣)

وأنه قال: " يا علي إن الله قد غفر لك ولشيعتك ومحبي شيعتك.." (٤)

وأنه قال: " إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب..." (٥)

وأنه قال: " من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن... فليتول عليا بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعده...." (٦)

ويروى شيخ طائفتهم الطوسي عن جعفر الصادق بإسناده إليه قولا: ... ولولا ما على الأرض من شيعة علي ما نظرت الى غيث أبدا..." (٧)

ويؤمن الشيعة بأن عليا قسيم الله في الجنة والنار، يدخل من شاء من خلق الله وعباده الجنة أو النار، وذلك بحسب ولائهم ومعرفتهم به وبالأئمة من بعده كما يزعمون، لا بحسب إيمانهم وتوحيدهم وإسلامهم. (٨) ويروى شيخ طائفة الشيعة الطوسي. أنه قيل

---

(١) أمالي الطوسي (١/٣٣٩).
(٢) المصدر نفسه (١/٣١٥).
(٣) المصدر السابق (١/٢٩٦).
(٤) المصدر السابق (١/٣٠٠).
(٥) المصدر السابق (١/٢٩٦).
(٦) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٦٨)، وأمالي الطوسي (٢/١٩١).
(٧) أمالي الطوسي (٢/٢٨٧).
(٨) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٣٣٤-٣٣٨)، وأمالي الشيخ الطوسي (١/٢٠٩).

له : " إنك بالمكان الذى أنزلك الله به ، وأبوك يُعذب بالنار. فقال : ... لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض شفعه الله فيهم، وأني يُعذب بالنار،وابنه قسيم النار.... إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلق إلا خمسة..." (١)

ويؤمنون بأن عليا هو صاحب السر الأعظم ، فقد نسبوا الى الباقر رواية يقول فيها : " أسر الله سره الى جبريل ، وأسره جبريل الى محمد، وأسره محمد الى علي ، وأسره علي الى من شاء واحدا بعد واحد". (٢)

وروى شيخهم ومفيدهم محمد بن النعمان بإسناده الى الصادق قال : خطب علي الناس فقال : " .... أنا قلب الله الواعى ، ولسانه الناطق، وأمينه على سره، وحجته على خلقه، وخليفته فى عباده، وعينه الناظرة فى بريته، ويده المبسوطة بالرأفة والرحمة.." (٣)

وروى عن الباقر قال : " إن عليا ملك ما فوق الأرض وما تحتها، فعرضت له سحابتان .... فاختار الصعبة على الذلول، فدارت به سبع أرضين، فوجد ثلاثا خرابا ، وأربعة عوامر". وقوله أيضا : " .... أما انه سيركب السحاب، ويرقى فى الأسباب، أسباب السموات السبع والأرضين السبع ..." (٤)

وروى عن جعفر قال : " دعا رسول الله عليا، ودعا بدفتر. فأملى عليه رسول الله بطنه، وأغمى عليه، فأملى عليه جبريل ظهره، فانتبه رسول الله ..... فقال : " أناأمليت عليك بطنه ، وجبريل أملى عليك ظهره. وكان قرآنا". (٥)

ونقل محمد باقر الخوانسارى عن الخواجة نصير دينهم وملتهم الطوسي شعرا قال :

" لو أن عبدا أتى بالصالحات غدا ... وود كل نبي مرسل وولي

وصام ما صام صوام بلا ملل ... وقام ما قام قوام بلا كسل

وحج كم حجة لله واجبة ... وطاف بالبيت حاف غير منتعل

وطار فى الجو لا يأوي الى أحد ... وغاص فى البحر مأمونا من البلل

(١) أمالي الشيخ الطوسي(٢/٣١٢ ـ ٣١٣).
(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٣٩٧).
(٣) الاختصاص (ص/٢٤٨).
(٤) نفس المصدر (ص/١٩٩).
(٥) الاختصاص (ص/٢٧٥).

وأكسى اليتامى من الديباج كلهم — وأطعمهم من لذيذ البر والعسل
وعاش فى الناس آلافا مؤلفة — عار من الذنب معصوما من الزلل
ما كان فى الحشر يوم البعث منتفعا — إلا بحب أمير المؤمنين علي "(١)

ويقول محمد حسين آل كاشف الغطاء ، إمامهم وكبيرهم ما نصه: " يشهد الثقلان أنه لولا سيفه، و مواقفه فى بدر، وأحد، وحنين، والأحزاب ، ونظائرها، لما اخضر للإسلام عود، ولما قام له عمود" . ثم استشهد بقول الشيعي الرافضى ابن أبي الحديد:

" ألا إنما الإسلام لولا حسامه — كظرطة عنز أو كنعقة طائر"

وحفاظا على ماء وجهه الأسود النتن علق بقوله إنه" أساء التعبير"(٢) والحق إنك ، وإنه، و من كان على ملتكما أسأتما الإيمان والاعتقاد ، وأسأتما فى حق الله تعالى ثم حق رسوله، والصحابة والتابعين الذين بذلوا كل غال ونفيس فى سبيل الله، وسبيل هذا الدين العظيم .

ويقول الخمينى بعد وصفه عليا بأنه إمام أصحاب الكشف واليقين وأنه كان يستفيد من رسول الله حقائق العلوم، وغيبيات السرائر، بمقامه العقلى ، وشأنه الغيبي، قبل تلفظ الرسول بتلك العلوم ، والحقائق، وذلك لاتحاد نورهما بحسب الولاية الكلية المطلقة بينهما، بزعمه(٣) . ثم ينسب إلى علي قوله: " كنت مع الأنبياء سرا، ومع رسول الله جهرا"(٤) وقوله: " كنت مع الأنبياء باطنا، ومع رسول الله ظاهرا" ، وذلك لأنه صاحب الولاية المطلقة الكلية، التى هى باطن الخلافة ، وأنه بمقامه هذا يكون قائما على كل نفس بما كسبت" .(٥) ثم يزعم بأن عليا وأولاده، وصلوا الى مقام النبوة، مع الفارق أن مجال التشريع للرسول كان بالأصالة ،ولخلفائه المعصومين كان بالمتابعة والتبعية، بزعمه الفاسد، وأما روحانيتهم فواحدة. ثم نقل عن شيخه الذى وصفه " بأستاذ المعارف الإلهية" ما نصه: " لو كان علي ، ظهر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأظهر الشريعة كما أظهره النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكان نبيا مرسلا، وذلك لاتحادهما فى الروحانيات والمقامات المعنوية والظاهرية" .(٦)

---

(١) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات(٦/٣٠٥) .
(٢) أصل الشيعة وأصولها (ص/٢٥) .
(٣) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية(ص/١٢٧) .
(٤) نفس المصدر(ص/١٣٠) .
(٥) المصدر السابق (ص/١٤٢) .
(٦) نفس المصدر(ص/١٥٣) .

ويؤكد هذا المعنى فيقول : " و هو بحسب مقام الروحانية، يتحد مع النبي صلى الله عليه وسلم، لقول النبي" أنا وعلى من شجرة واحدة" • وقال أيضا : أنا وعلى من نور واحد" ، الى غير ذلك من الاخبار الكثيرة الدالة على اتحاد نورهما" • كما ذكر عن علي فيما نسبه إليه قوله : " وأنا اللوح ، أنا القلم ،وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السموات السبع ، أنا نقطة باء بسم الله" • (١)

هذا غيض من فيض فيما سطره الشيعة فى مصنفاتهم، قديما وحديثا ، من اعتقادهم وغلوهم فى شخصية هذا الصحابي، الذى نسبوا إليه ، والى أولاده تشيعهم، ومذهبهم المنحرف •

والصوفية لم ينسوا نصيبهم من التشيع حول شخصية هذا الصحابى، فوافقوا أهل الرفض • فزعموا أنه إمام لهم ، وقدوة فى تصوفهم، وأنه وارث علمهم، وحقائقهم ، ومعارفهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون أنه نالها منه بالوصية، كالشيعة تماما • ويزعمون أنه منتهى علومهم ، ومواجيدهم، فهو أول من تكلم بعباراتهم ، وحقائقهم • وقد وافق الصوفية الشيعة أيضا فى غلوهم فى صفاته، وعلومه، وخصائصه غلوا ، إن لم يزد على غلو الشيعة، فإنه لا ينقص عنه ولا يقل •

تقدم فى أوائل هذا الباب ذكر الصوفية فى طبقاتهم ومصنفاتهم،هذا الصحابي رضي الله عنه،والنص عليه بأنه من أئمتهم فى التصوف،وأنه أول من تكلم فى علومهم وبيان مقاماتهم ومعارفهم، وأول من عبر من مواجيدهم وأذواقهم ، وذلكلأنه قد خُص دون غيره من الصحابة بالعلوم والأسرار مما خصه به رسول الله صلى الله عليه وسلم،فكان أول من أخذ البيعة،وأول من لقن بالذكر والسر• فجعلوه مستند طريقتهم فى لبس خرقة التصوف ومنتهى أسانيدهم وسلاسلهم فى تصوفهم• ذكرت ذلك بنصوصهم من كتب أهل التصوف ومراجعهم المعتمدة عندهم، مما يغني عن إعادتها وتكرارها • (٢)

وقد وافق الصوفية أهل الرفض أيضا فى وضع روايات كثيرة على هذا الصحابى مما يروجون به مذهبهم،ويؤيدون به باطلهم،من نظريات فى زهدهم المنحرف أو طقوسهم وعباداتهم المبتدعة،أو فى موقفهم من الجنة و النار، كما وافقوا الرافضة أيضا فى الغلو فيه وفى خصائصه وقدراته و علومه وأحواله •

---

(١) شرح دعاء السحر (ص /٨٧-٨٨) •

(٢) راجع الفصل الأول : المبحث الثالث من هذا الباب (ص/ ١٤٢ — ١٤٥)

ذكروا عن الجنيد أنه قال عن علي رضي الله عنه "لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة، أو ما يقوم له القلوب ، (١) وقوله: " شيخنا في الأصول والبلاء على المرتضي" . (٢)

ووافقوا الرافضة أيضا فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه بالعلوم وأسر إليه بالمعارف دون غيره من الصحابة (٣) ونسبوا إليه قوله: " عندى من العلم الذى أسره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل (٤) . وقوله: " علمني رسول الله سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحد غيري" . (٥)

ووافقوا الرافضة بأن عليا إنما نال هذه المنزلة والخصوصية فى العلوم والأسرار بالوصية الإلهية المزعومة ، وقد صرح ابن الفارض بهذه العقيدة الخبيثة حيث يقول :

" وأوضح بالتأويل ما كان مشكلا علي بعلم ناله بالوصية" (٦)

ووافقوا الرافضة فى الغلو فيه وفى أوصافه، وأحواله ، والانتساب إليه ليس فى الطريقة فقط، بل حتى فى النسب، حتى لايكاد الباحث والقارئ فى أنساب شيوخ الطرق الصوفية يجد شيخا أو إماما منهم إلا ويزعم انتهاء نسبه الى علي رضي الله عنه. ولعل من أعظم صور الغلو فى علي ما زعمه الشعرانى نقلا عن بعض شيوخه من أن عليا رُفع الى السماء كما رُفع عيسى، وأنه سينزل كنزوله أيضا، وأنه رفع على لوح من ألواح سفينة نوح أبقاها نوح على اسم علي بن أبى طالب ، ولم تزل بزعمه محفوظة مصونة حتى رفع عليها. (٧)

ومما وافق الصوفية فيه أهل الرفض والتشيع ذكرهم الأئمة الاثني عشر أو بعضهم وعدهم من أولياء التصوف وقدوتهم فى مذهبهم ، وقد ذكرت بعضهم فى أوائل هذا الباب فى المبحث المتعلق بالشيعة وعلاقتهم بالتصوف . (٨) فأبو بكر الكلابادى (٩) والهجويرى (١٠)

---

(١) اللمع للسراج الطوسي(ص/١٧٩) ،ورسالة شكوى الغريب لعين القضاة الهمذاني(ص/١٩)
(٢) كشف المحجوب للهجويري(١/٢٧٤) .
(٣) راجع حلية الأولياء لأبى نعيم (١/٦١) ،وجمهرة الأولياء للمنوفى(١/١٥٩) .
(٤) درر الغواص للشعراني المطبوع بهامش الإبريز للدباغ(ص/٧٣) .
(٥) اللمع للسراج الطوسي(ص/٤٥٦) .
(٦) التائية الكبرى المسماه بنظم السلوك، ديوان ابن الفارض(ص/٦٠) .
(٧) الطبقات الكبرى للشعراني(٢/٤٣) .
(٨) راجع (ص/١٤٢) ومابعده من هذه الرسالة.
(٩) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/٣٦) .
(١٠) كشف المحجوب(١/٢٧٥-٢٨٤) .

والمنوفي [١] ذكروا ستة من الأئمة وحسب ترتيب الشيعة لهم و عدوهم من رجال الصوف وأهل علومهم و معارفهم، وممن نشر مقاماتهم وعبر عن مواجيدهم قولا وفعلا. وزاد الشعراني فعد سبعة، فبدأ بعلي، وانتهى بموسى بن جعفر الكاظم، ولكنه صرح بإيمانه باثني عشر إماما حيث يقول في ترجمة موسى بن جعفر ما نصه :" ومنهم موسى الكاظم، أحد الأئمة الاثني عشر وهو ابن جعفر بن محمد....." [٢] .وقد صرح أيضا بعقيدته بصاحب السرداب، فذكر عن شيخ من شيوخه أنه التقى به ونزل عنده سبعة أيام ولقنه الذكر والورد على الطريقة الصوفية ، جمعا منه وتوفيقا بين عقائد الشيعة والصوفية. [٣]

وأما يوسف بن إسماعيل النبهاني فقد عد الأئمة كالشيعة وعلى ترتيبهم وألقابهم حتى ذكر حادي عشر الأئمة الحسن بن محمد العسكري، وذكر له من الكرامات التي رآها له هو بنفسه كما يزعم عند زيارته لقبره وضريحه [٤] . ولا أدري لِمَ لَمْ يترجم للثاني عشر ، ولعله لم يجد له كرامة كغيره ممن ترجم لهم في كتابه، ولكنه نقل عن الشعراني قصة شيخه الذي التقى بالمهدي وأضافه في منزله سبعة أيام ، نقلها بكاملها وأقرها كالمعترف والمؤمن بعقيدة الشيعة في المهدي وأنه حي موجود. [٥]

الحاصل أن الصوفية والشيعة يتفقون في زعمهم بالإئتمام بعلي بن أبي طالب والاقتداء به، وهم كاذبون في ذلك كله، و مرادهم نسبة مذاهبهم وبدعهم الى سلف هذه الأمة ، وآل بيت النبوة، ترويجا لها بين الناس .

---

(١) جمهرة الأولياء للمنوفي (٢/ ٦٧-٨٠) .
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني(١/ ٣٨) .
(٣) المصدر نفسه(٢/ ١٣٩) .
(٤) جامع كرامات الأولياء للنبهاني(٢/ ٢١) .
(٥) المصدر نفسه(٢/ ٤٠) .

الخصائص المزعومة
عند الشيعة والصوفية
لأئمتهم وشيوخهم

الخصائص المزعومة عند الشيعة والصوفية لأئمتهم وشيوخهم

يتفق الصوفية مع الشيعة فى تعظيم الرجال ، والغلو فيهم غلوا يتجاوز حتى حدود العقل والمنطق ، فينسبون لأئمتهم وأوليائهم خصائص ، ويميزونهم بمميزات تجاوزوا بهم الحد الشرعي، وخرجوا بهم عن القصد،وعن العقل . وعلى هذه الظاهرة الخطيرة أقام الشيعة والصوفية أصول مذاهبهم، وبنوا عليها أسس مناهجهم التعليمية والتربوية، فكتب الفريقين طافحة بأنواع الغلو ، والمبالغات فى جوانب متعددة من حياة أئمتهم وأوليائهم، وحتى بعد موتهم ، وبعد بعثهم ووقوفهم بين يدى الله تعالى . ومصادر الفريقين فى هذا الباب لا يخرج عن كونه من الدعاوى التى لا تستند الى نصوص نقلية شرعية، ولا الى أدلة عقلية منطقية. فكلا الفريقين يعتمد على الدعاوى اعتمادا كليا، والدعوى باب عظيم لاحد له ، لذلك جمع كل فريق منهم فيمن يعظمونهم كمّا هائلا من الخصائص المزعومة، و الصفات المكذوبة، ومازالوا يغرفون من هذا البحر المزيد من الخصائص، ويضيفها اللاحقون من كتّابهم ومصنفيهم الى ما كتبه السابقون فى فضائل أئمتهم وشيوخهم، وكراماتهم، وامتيازاتهم بعد الموت وبعد البعث أيضا . فالدعاوى معين لا ينضب ، وصاحبه لا يعجز ولا يكل . ثم إنهم ينسبون دعاواهم الى الله تعالى، أو الى رسوله، أو من يعظمونهم من الرجال ، أو الى الملائكة والجن وحتى إبليس، فيما يزعمون أنهم بلغتهم فى مناماتهم، أوحتى يقظتهم ، يتلقون بعضها مباشرة، وبعضها عن طريق الهواتف والإلهامات ، وغيرها من أنواع مصادر التلقي الذى آمنوا به .

وقد قسمت دعاواهم هذه بحسب الجوانب المختلفة فى حياة أئمتهم وأوليائهم ، تسهيلا لفهم منهجهم فى هذه الظاهرة الخطيرة التى كانت ومازالت فى جميع الأمم، والأديان ، مطية وسببا عظيما من أسباب الشرك بالله تعالى .

أولا : أهمية الإمام والولى

تزعم الشيعة أن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، وهم الأئمة[١]. ولـو رفع الامام من الأرض ساعة لساخت بأهلها، وماجت كما يموج البحر بأهله.[٢]

فالأئمة أركان الأرض أن تميد بها، وهم الحجة البالغة على من فوق الأرض، ومـن تحت الثرى[٣]، وأنه لولاهم ما عُبد الله[٤]. فهم حجةالله، وباب الله، وولاة أمر الله، وجنب الله، وعين الله،وخزنة علمه.[٥]وهم معدن العلم، وشجرة النبوة، ومفاتيح الحكمة، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة[٦]. وهم موضع سر الله، ووديعته فى عباده.[٧]

روى المفيد النعمان بإسناده الى ابن عباس يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسـلـم فيما نسبوه إليه قوله: " ذكر الله عز وجل عبادة ، وذكرى عبادة ، وذكر علي عبادة، وذكـر الائمة من ولده عبادة ، والذى بعثنى بالنبوة، وجعلني خير البرية، إن وصيبى لأفضـــل الأوصياء، وإنه لحجة الله على عباده، وخليفته على خلقه، ومن ولده الائمة الهـــداة بعدي ، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض ،وبهم يمسك السماء أن تقع علـــى الأرض إلا باذنه، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم ، وبهم يسقي خلقه الغيث، وبهم يخرج النبات، أولئك أولياء الله حقا، وخلفائي صدقا، عدتهم عدة الشهور.... وعدة نقباء موسى، ثم تلا : "والسماء ذات البروج".... أما السماء فأنا، وأما البروج فالائمة بعدى: أولهم علـــي ، وآخرهم المهدى".[٨]

وروى أبو جعفر الطوسي بإسناده الى الصادق فيما نسبه إليه: "... العائب على أمير المؤمنين فى شيء، كالعائب على الله ورسوله، والراد عليه فى صغير أو كبير علـــى حد الشرك بالله. كان أمير المؤمنين باب الله لايؤتى إلا منه ، وسبيله الذى من تمسـك بغيره هلك، كذلك جرى حكم الائمة بعده، واحد بعد واحد ، جعلهم الله أركـــان الأرض

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٥٠٤) . وأصول الكافي كتاب الحجة باب أن الأرض لاتخلو من حجة(١/١٧٨-١٧٩).

(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٥٠٨) . وأصول الكافي(١/١٧٩).

(٣) أصول الكافى(١/١٧٩) . وأخصر منه فى بصائر الدرجات(ص/٢١٩).

(٤) أصول الكافى (١/١٩٣).

(٥) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٨١).

(٦) نفس المصدر(ص/٧٦) . وأصول الكافى(١/٢٢١).

(٧) بصائر الدرجات(ص/٧٧).

(٨) الاختصاص (ص/٢٢٣-٢٢٤).

وهم الحجة البالغة على من فوق الأرض، ومن تحت الثرى" [١] وروى أيضا بإسناده الى الباقر يقول :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين اكتب... اكتب لشركائك قال : قلت: ومن شركائي ؟ قال : الائمة من ولدك ، بهم تُسقى أمتى الغيث ، وبهم يُستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم تنزل الرحمة من السماء، وأومأ الى الحسن وقال : هذا أولهم، وأومأ الى الحسين وقال : الائمة من ولده". [٢]

ويصف الخمينى الائمة فيقول : " أهل بيت العصمة عليهم السلام، الذين هم معادن الوحي، وإن أقوالهم ،وعلومهم من الوحي الإلهى، والكشف المحمدي". [٣]

هذا الغلو وغيره حمل الرافضة على إعتقاد أن معرفة الامام شرط فى معرفة الله والايمان به ، وشرط فى قبول الأعمال و الطاعات. فقد روى الكليني فيما ينسبه الى أحد الائمة : " لا يكون العبد مؤمنا حتى يعرف الله، ورسوله ، والائمة كلهم، وإمام زمانه.." وأيضا ما نسبه الى الباقر قال : " إنما يعرف الله عز وجل ، ويعبده ، من عرف الله، وعرف إمامه منا أهل البيت ... ". [٤]

وروى أيضا عن الباقر قوله : " كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول .... وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق... وإن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا ، فأعمالهم التى يعملونها كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد". [٥]

ويقرر هذه العقيدة إمامهم الخميني، فيذكر الرواية المنسوبة الى الباقر مختصرة ، ويذكر أيضا عنه قوله : " لو أن رجلا قام ليله، وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله ، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولى الله فيواليه، فتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حق فى ثوابه، وماكان من أهل الايمان". وعزز هاتين الروايتين بما ينسبه هو وأئمة الرفض الى زين العابدين قوله : " إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ، ولو أن رجلا عمر ما عمر نوح فى قومه، ألف سنة إلاخمسين عاما، يصوم النهار ، ويقوم الليل فى ذلك الموضع، ثم لقي الله بغير ولايتنا ، لم ينفعه ذلك شيئا". ثم يختم

---

(١) أمالى الطوسي(٢٠٩/١).
(٢) نفس المصدر (٥٦/٢).
(٣) الآداب المعنوية للصلاة (ص/٨٨).
(٤) أصول الكافى، كتاب الحجة باب معرفة الامام والرد عليه(١٨٠/١ـ١٨١).
(٥) المصدر نفسه، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله (٣٧٥/١).

هذا الموضوع قائلا :" والأحاديث فى هذا الباب أكثر من أن تسعها هذه الرسالة".[١]
يقصد أن الأحاديث الدالة على بطلان العبادات والطاعات إن كان صاحبها لم يعتقد بأمامة أئمتهم كثيرة. إن هذه العقيدة ، وهذا القول من الخميني فيهما العظة والذكرى لأولئك الجماهير من غَفَلَة أهل السنة، وسذّجهم الذين ركضوا ، ومازال كثير منهم، وراء سراب الخميني فى دعوته المزعومة الى توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم أمام قوى الكفر والإلحاد.
ومازال كثير من هؤلاء فى غفلتهم وسذاجتهم يرددون الهتافات الخمينية، ويصرخون بها فى أماكن متعددة من بلاد المسلمين. وها هو الخمينى يقرر كفرهم، وعزلتهم عن الاسلام والايمان، فاستيقظوا وأفيقوا من سباتكم ، واعلموا ما يراد بكم قبل فوات الأوان.

يتبين مما تقدم جانب من جوانب غلو الشيعة فى أئمتهم. وأما الصوفية،فيزعمون مثل ذلك فى شيوخهم وأوليائهم شبرا بشبر، وذراعا بذراع.

يصف الطوسى الصوفية فيقول :"هم أمناء الله عز وجل فى أرضه، وخزنة أسراره وعلمه، وصفوته من خلقه...."[٢]

ويقول أبو طالب المكي فى وصفه للصوفية وجوعهم ورياضاتهم، ثم يستدل لهم بما نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أسامة بن زيد:" إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه فى الدنيا.... تبكى الأرض إذا فقدتهم، ويسخط الله تعالى على كل بلد ليس فيها منهم..... يا أسامة ، إذا رأيتهم فى بلدة فاعلم أنهم أمان لتلك البلدة، لا يعذب الله عز وجل قوما هم فيهم، الأرض بهم رحيمة، والجبار عنهم راض ، إتخذهم لنفسك أخدانا عسى أن تنجو بهم ..."[٣]

ويقول أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير قوله تعالى :" وهوالذى مد الأرض وجعل فيها رواسى"[٤].

قال بعضهم: هو الذى بسط الأرض ، وجعل فيهاأوتادا من أوليائه، وسادة من عبيده. فإليهم الملجأ ، وبهم النجاة،فمن ضرب فى الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان بغيته لغيرهم خاب وخسر".[٥]

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة(ص/٢٦٠-٢٦١).
(٢) اللمع للسراج الطوسى(ص/١٩).
(٣) قوت القلوب(٢/١٦٥).
(٤) سورة الرعد/٣.
(٥) التفسير والمفسرون للذهبى(٢/٣٨٧-٣٨٨)، فيما ينقله عن السلمي فيتفسيره.

ونقل أبو نعيم الأصبهانى عن ذي النون المصرى حديثا طويلا يصف فيه من يزعمهم الأبدال والأقطاب ، وفيه:

" .... فبهم يحيى ويميت، ويمطر وينبت، ويدفع البلاء...." (١) وفيه أيضا: " فهم حجج الله تعالى على خلقه" (٢) وأيضا: " بهم تدفع النقمات ، وعليهم تنزل البركات .... سراج العباد ، ومنار البلاد، مصابيح الدجى ، ومعادن الرحمة، ومنابع الحكمة، وقوام الأمة..." (٣) ونقل عنه أيضا قوله: " ان لله خالصة من عباده، ونجباء من خلقه...... أولئك نجباء الله من عباده، وأمناء الله فى بلاده، والدعاة الى معرفته، والوسيلة الى دينه.... على أنه لا تخلو الأرض من قائم فيها بحجته على خلقه لئلاتبطل حجج الله....." (٤) وذكر عن أبى يزيد وصفه للأبدال بأنهم أوتاد الأرض". (٥)

ويقول أبو القاسم القشيرى : " جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه، جعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق ..... ورقّاهم الى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ..... وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية." (٦)

ويقول عبد الرحمن الأنصارى المعروف بابن الدباغ ـ المتوفى سنة ٦٩٦هـ، بعد ذكره الأولياء العارفين وحفظهم وعصمتهم ما نصه: " .... فهذا وأمثاله بهم يرحم الله تعالى الخلق ، قال عليه السلام: " بهم تمطرون ، وبهم ترحمون". فرحمة الله تعالى لعباده بَعْثُ الأنبياء لهم.. فمن كان أكثر أخذا لما جاءت به الأنبياء عليهم السلام، كان أوفر نصيبا من هذه الرحمة الإلهية المبثوثة فى العالم بواسطتهم ، والكامل فى الوراثة النبوية هو القطب والغوث ، وهوخليفة الله تعالى فى هذا العالم. وهذه الرتبة كما قلنا آخر رتب الانسانية، وأول رتب الملائكة ....." (٧)

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٩).
(٢) نفس المصدر (١/ ١٢).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٤ـ١٥).
(٤) المصدر السابق (٩/ ٣٤٩).
(٥) المصدر السابق (١٠/ ٣٧).
(٦) الرسالة القشيرية (١/ ٢٥ـ٢٦).
(٧) كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب(ص/ ١٠٣).

وذكر المنوفي فى وصفهم بأنهم حجج الله تعالى على خلقه، وأنهم سبب لدفع النقمات، ونزول البركات، وأنهم منار للبلاد، وسراج للعباد، ومعادن الرحمة [١] كما ذكر أن الله تعالى" أقامهم مقام المنفذين لإرادته" [٢]. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. فيزعم هذا المنحرف أن هؤلاء السكارى أقامهم الله وأنابهم عنه فى تنفيذ إرادته.

ويقول أيضا: " وأولياء الله وأحبابه لا يخلو قط منهم زمان، ولا تغيب عنهم بلدان، لأنهم حاملوا نور النبوة، الموروث لهم بالنبوة من الله عز وجل. فالناس بهم يُرحمون ويُرزقون". [٣]

وأيضا: " وأرض الله لا تخلو دائما من قائم لله بحجة الى أن تقوم الساعة...." [٤] ويقول الخمينى مدليا بدلوه فى هذا الباب:

"..... والعارف أمين ودائع الله، وكنز أسراره، ومعدن أنواره، ودليل رحمته على خلقه، ومطية علومه، وميزان فضله وعدله....." [٥]

وروى الكشي باسناده الى علي بن أبى طالب فيما ينسبونه إليه قوله: " ضاقت الأرض بسبعة، بهم تُرزقون، وبهم تُنصرون، وبهم تُمطرون...." [٦]

يتبين من هذه النقول غلو المتصوفة فى شيوخهم وأوليائهم، وأن منهجهم فى هذا الغلو قريب جدا من منهج الرافضة، وكما حمل الغلو أهل التشيع على الادعاء ببطلان عبادة من لم يأتم بإمام ويواليه، فإن الصوفية أيضا حملهم غلوهم على مثل هذه الدعوى من حيث أهمية الالتزام بشيخ، وطاعته، واعتقاده:

يقول أبوالقاسم القشيرى: " ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن من لم يكن له أُستاذ لا يفلح أبدا". هذاأبو يزيد يقول: " من لم يكن له أستاذ، فإمامه الشيطان" ويقول: سمعت أبا على الدقاق يقول: " الشجرة إذا نبتت بنفسها، من غير غارس، فإنها

---

(١) جمهرة الأولياء للمنوفى (١/ ١٠٢-١٠٣).
(٢) نفس المصدر (١/ ١١٦).
(٣) جمهرة الأولياء (١/ ١٢٠).
(٤) نفس المصدر (١/ ١٤٠).
(٥) الاداب المعنوية للصلاة (ص/ ١٧٨).
(٦) اختيار معرفة الرجال (ص/ ٦-٧).

تورق ، ولكن لا تثمر ، وكذلك المريد ،إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا نفسا ، فهو عابد هواه ، لا يجد نفاذا ".(١) ولا شك أنهم يعنون بالأستاذ ، من كان متصوفا لأنهم يحذرون أتباعهم من أهل العلم بالسنن والآثار كماتقدم ذكره(٢) ،وكما سيأتى ذكر طرف آخر عنه فى هذا المبحث قريبا.

ويقول عين القضاة الهمذاني: "وقد أجمع أرباب الحقيقة منأهل التصوف على أن من لاشيخ له فلادين له".(٣)

ويقول شهاب الدين السهروردى ، أثناء ذكره آداب المريدين مع الشيوخ ما نصه : " أن يكون مسلوب الاختيار ، لا يتصرف فى نفسه ، وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره.... ، والشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي . فكما لا يخون جبريل فى الوحي ، لا يخون الشيخ فى الإلهام. وكما أن الرسول لاينطق عن الهوى ، فالشيخ مقتد برسول الله ظاهرا وباطنا ، لا يتكلم بهوى النفس ....."(٤) ويقول ابن عجيبة : " ولابد من شيخ كامل يخرجك من تعب نفسك الى راحتك بشهود ربك".(٥)

هكذا يقررون هذه العقيدة ، فمنهم من يصرح ، ومنهم من يحوم حول الحمى ، فمن لم يكن على مذهبهم ،فهوعابد لهواه ، ولايجد لعبادته وطاعاته نفاذا أى قبولا عند الله ، لكونهقد ائتم بالشيطان بزعمهم . وأصرحهم فى هذا الباب عين القضاة ، ويظهر أنه قُتل وصُلب لصراحته فى تصوفه(٦) . وأما السهروردى فإنه يقارن بين شيوخ الصوفية وبين جبريل والرسول ، بحجة أنهم أمناء الإلهام ، و من أين له أن الدين لا يتم إلا بالإلهام ؟ وعلم المسلمون أن الله تعالى قد أتم دينه وأكمل شرعه بما أنزله إليهم من كتاب وسنة.

ولقد حمل هذا الغلو أهله على تفضيل أئمتهم وشيوخهم وأوليائهم على أنبياء الله ورسله.

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٧٣٥).

(٢) راجع المبحث الثانى والثالث من هذا الفصل.

(٣) رسالة شكوى الغريب(ص/١٠).

(٤) عوارف المعارف ، (ص/٣٦٤-٣٦٥).

(٥) ايقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة(ص/١٣).

(٦) هو عبد الله بن محمد بن على الميانجي ، الملقب بعين القضاة الهمذاني ، قتل ثم صلب بعد تكفير العلماء له ،لما صدر منه من غلو فى تصوفه سنة٥٢٥هـ.

روى الصفار والكليني بإسناديهما حديثا فيه: "٠٠٠٠٠ إن الله عز وجل جمع لمحمد سنن النبيين من آدم وهلم جرا الى محمد٠ قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وأن رسول الله صيّر ذلك كله عند أمير المؤمنين٠ فقال له رجل: يا ابن رسول الله ، فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول؟ إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته أن الله جمع لمحمد علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين، وهويسألني أهو أعلم أم بعض النبيين؟" نسبه الصفار الى جعفر الصادق، ونسبه الكليني الى محمد الباقر٠ (١)

وروى الصفار أيضا عن جعفر الصادق أنه قال: " ان الله خلق أولو العزم من الرسل، وفضلهم بالعلم ، وأورثنا علمهم وفضلهم ، وفضّلنا عليهم فى علمهم، وعلّم رسول الله مالم يعلموا، وعلّمنا علم الرسول وعلمهم" ٠ (٢) وذكر الصفار أحاديث أخرى فى هذا الباب ٠ ثم عقد بابا آخر فى الائمة ، وفيه:

عن الباقر أنه قال: " لقد سأل موسى العالم مسألة، لم يكن عنده جوابها٠ ولقد سأل العالم موسى مسألة، لم يكن عنده جوابها٠ ولو كنت بينهما لأخبرت كل واحد منهما بجواب مسألته، ولسألتهما عن مسألة لا يكون عندهما جوابها" ٠ وروى بنحوه عن جعفر الصادق أيضا (٣) ٠ هكذا يروى أئمة الشيعة أحاديثهم بأسانيد مظلمة، وأساليب ساقطة، وينسبونها الى الائمة ترويجا لمذهبهم ٠

ويذكر الخمينى أن عليا رضي الله عنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم: " أنت أفضل أم جبريل؟ فقال: إن الله فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، و فضلني على جميع النبيين٠ والفضل بعد ذلك لك وللائمة من بعدك ٠ وإن الملائكة لخدامنا، وخدام محبينا ٠٠٠٠٠ يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ، ولاحواء، ولا الجنة ، ولا النار، ولا السماء والأرض ٠ فكيف لا نكون أفضل من الملائكة٠٠٠٠ وذكر حديثا طويلا فى فضل الائمة وأنهم لولاهم لما عرفت الملائكة فضلا عن غيرهم من الخلق تسبيح الله وتهليله و تحميده وغير ذلك من معرفة اللهوذكره٠ (٤)

---

(١) رواه الصفار فى بصائر الدرجات الكبرى ٠ باب فى أمير المؤمنين وأولو العزم، أيهم أعلم؟ (ص/٢٤٨-٢٤٩) ٠ والكلينى فى أصول الكافى كتاب الحجة (١/٢٢٢-٢٢٣) ٠

(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٢٤٨) ٠

(٣) نفس المصدر (ص/٢٥٠) ٠

(٤) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/١٢٤-١٢٦) ٠

ويعتقد الخمينى وغيره من أهل الرفض" أن منضروريات مذهبهم أن لائمتهم مقامـــا لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل ، وأن لهم مع الله حالات لا يسعها ملك مقـــرب ، ولانبي مرسل " . (١)

وذكر الخوانسارى فى ترجمة هاشم بن سليمان البحرانى أن منمصنفاته كتـــاب : " تفضيل الائمة على الأنبياء" . وقد ذكر أنه من أئمتهم وعلمائهم ، وأثنى عليه كثيرا . وممـــا قاله فيه : " كان محدثا فاضلا جامعا متتبعا للأخبار بما لم يسبق إليه سابق ، ســـــوى المجلسي . . . ." وذكر أن وفاة هذا الرافضى كان سنة ١١٠٧هـ . (٢)

وأما الصوفيــة :

فقد ذكر أبو نعيم الأصبهانى فيما نقله عن بشر بن الحارث الحافي قوله : " قـــال موسى : يارب . فقال الله تعالى له : لبيك يا موسى . قال : إني جائع فأطعمنى، قـــال : حتى أشاء . . . . ثم قال : يارب أرني وليا من أوليائك ." ثم يذكر أن الله تعالى دله علـــى عظام لولي قد أرسل عليه السباع وأخرجه من الدنيا جائعا، ظمآنا . وفى آخر الروايـــــة الصوفية يقول الله تعالى لموسى : " وذلك لمنزلته عندى ، ولو رأيتها لزهقت نفسك شوقـــا إليها، إني لا أرضى الدنيا لولى من أوليائي" . (٣)

وقد ألف الصوفى المنحرف محمد بن على ـ المعروف بالحكيم الترمذى ـ كتـــاب ختم الولاية وفضّل فيه الأولياء على الانبياء . نقل الامام الذهبى عنأبي عبد الرحمن السلمـــي أنه قال : أخرجوا الحكيمهن ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب ختـــم الولاية ، وكتاب علل الشريعة . . . . ونقل عنه أيضا قوله : "وليس فيه ما يوجب ذلـــك، ولكنلبعد فهمهم عنه" ثم يقول الذهبي رحمه الله : كذا تكلم فى السلمي من أجل تأليفـــه كتاب حقائق التفسير، فياليته لم يؤلفه، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحـــات البسطامية، وتصوف الاتحادية، فواحزناه على غربة الاسلام والسنة . . ." (٤) ونقـــل تاج الدين السبكى أيضا مثله عن السلمى، وذكر اعتذاره عنه . (٥)

وتبنى هذه العقيدة الشيعية الفيلسوف المتصوف ابن عربى، فيقول فى فصوصـــه : " وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل ، وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الانبياء و الرســل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتـــم ، حتى أن الرسل لا يرونه ـ متى يرونه ـ إلامن مشكاة خاتم الأولياء ، فان الرسالـــــة

---

(١) الحكومة الاسلامية (ص/٥٢) .
(٢) روضات الجنات (٨ / ١٨١ـ١٨٢) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ٣٥١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٤١ـ٤٤٢) .
(٥) [illegible]

والنبوة ــ أعنى نبوة التشريع والرسالة ــ تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبدا ٠ فالمرسلون من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء" ٠ (١) ثم يزعم أنه هو صاحب هذا المقام الخاتم فى الولاية فيقول فى فتوحاته :

" أنا خاتم الولاية دون شك لورث الهاشمى مع المسيح" (٢)

وتولى كبر هذه العقيدة تلميذ ابن عربى ، عبد الكريم الجيلي، الذى تتبع منكرات ابن عربى وكفرياته، فشرح غامضها ، وأفصح عن رموزها ٠ وقد تعرض لمقام الأولياء، ومقارنتهم بالأنبياء وقال : " وفى هذا المقام، قال المحمديون من الأولياء ما قالوا" فذكر عن عبد القادر الجيلانى قوله : " معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب ، وأوتينا ما لم تؤتوه" ٠ وعن أبي الغيث ابن جميل : " خضنا بحرا ، وقف الأنبياء بساحله" (٣) ٠

ويشير الى هذا المعنى فى موضع آخر فيقول : " اعلم أن الله تعالى ، لما أوجد هذا الوجود ، وأنزل آدم من الجنة ، وكان آدم وليا قبل نزوله الى الدنيا ، فلما نزل ، آتاه النبوة ٠٠٠٠٠ وذلك هو الولاية" ٠ (٤)

وجاء الشعرانى ، وأدلى بدلوه لينال حظا من هذه العقيدة الخبيثة، فذكر عن أبي يزيد البسطامى قوله : " خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله" (٥) ، وقد تقدم بنحوه منسوبا لأبى الغيث بن جميل ٠ وذكر عن شيخه أبي المواهب الشاذلي، أنه ذكر قول الناظم :

"مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولي "

ثم شرحه وعلله بأن" مقام النبوة يُعطي الأخذ عن الله بواسطة وحي الله، ومقام الرسالة يعطي تبليغ ما أمره الله به للعباد، ومقام الولاية الخاصة يُعطي الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص" ٠ (٦) وذكر فى ترجمة أحمد البدوي أن سيده وشيخه محمد السروري ،

---

(١) فص حكمة نفثية فى كلمة شيثية ــ شرح فصوص الحكم (ص/ ٤٩) ٠
(٢) الفتوحات المكية، الباب الثالث والأربعون (١/ ٢٤٤) ٠
(٣) الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل (١/ ١٢٤) ٠
(٤) نفس المصدر (٢/ ١٢٠) ٠
(٥) الصفات الكبرى للشعرانى (٢/ ١٦) ٠
(٦) نفس المصدر (٢/ ٥٨) ٠

تخلف سنة عن الحضور فى مولد البدوي السنوي ، فيزعم قائلا : " فعاتبه سيدي أحمد ، وقال : موضع يحضر فيه رسول الله ، والأنبياء ، وأصحابهم ، والأولياء ، ما تحضره؟ " (١) يريد أن من علو مقامه ، وعظيم منزلته ، أن النبى وسائر الأنبياء والصحابة والأولياء يحضرون مولده ، وفيه إشارة الى تفضيله على الأنبياء ، فضلا عن الصحابة والأولياء .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن لفظ : " خاتم الأولياء " إنه : "اللفظ باطل ، لا أصل له . وأول من ذكره محمد بن على ، الحكيم الترمذى ، وقد انتحله طائفة ، كل منهم يدعى أنه خاتم الأولياء : كابن حمويه ، وابن عربي ، وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها ، وكل منهم يدّعي أنه أفضل من النبي عليه الصلاة والسلام من بعض الوجوه ، الى غير ذلك من الكفر والبهتان ..... ثم ذكر رحمه الله أن خاتم الأولياء لا يقاس بخاتم الأنبياء ، وأن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، وأن خاتم الأولياء هو آخر مؤمن تقي يكون فى الناس ، وليس ذلك بخير الأولياء ، ولا أفضلهم ، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ، اللذان ما طلعت شمس ، ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما " . (٢)

هذا هو الحق ، وهوعقيدة السلف . ولكن الصوفية ، محاكاة منهم وموافقة لأهل الرفض زعموامازعموا رغم ما فيه من تطاول على مقام النبوة ، ثم مقام الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، شأن المبتدعة والزنادقة .

هذا ، وممن انتحل هذا المقام المزعوم ، وهذه الولاية المختلقة أبو العباس التيجاني ، وزعمها له أتباعه ومريدوه ، وزادوا بأن نفوها عن ابن عربي لتصفى لشيخهم وإمامهم فى الضلالة والكفر . (٣)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " وكذلك طائفة من الغلاة يعتقدون الإلهية أو النبوة فى علي ، وفى بعض أهل بيته : إما الاثنا عشر ، وإما غيرهم .

وكذلك طائفة من العامة والنساك يعتقدون فى بعض الشيوخ نوعا من الالهية أو النبوة ، أو أنهم أفضل من الأنبياء ، ويجعلون خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء ،

---

(١) المصدر السابق (١٨٦/١) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام رحمه الله (٤٤٤/١١) .

(٣) رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم ـ بهامش جواهر المعاني لعلي حرازم (١٤/٢ـ١٥) . والرماح لعمر بن سعيد الفوتي الطوري .

وكذلك طائفة من هؤلاء يجعلون الأولياء أفضل من الأنبياء.

ويعتقد ابن عربي ، ونحوه أن خاتم الأنبياء يستفيد من خاتم الأولياء، وأنه هو خاتم الأولياء" (١) . انتهى كلام الشيخ. والحاصل أن ما ذكره كله من صور الضلال المفضي الى الكفر والشرك بالله تعالى، ومن الغلو في دين الله تعالى ، وهذا كله هو ما قرره أهل الرفض، وأهل التصوف في مذاهبهم ، ومن ضروريات نحلتهم المنحرفة.

ومما اتفق عليه الصوفية والشيعة من المضحكات المبكيات التى تتصل بهذا الباب، مايزعمه أهل النحلتين من أن أئمتهم وشيوخهم يفدونهم بأعمارهم وأنفسهم لدفع البلاء والعقاب عنهم في الدنيا والآخرة.

روى الكليني بإسناده الى إمامهم موسى بن جعفر فيما نسبه إليه قال : إن الله عز وجل غضب على الشيعة، فخيرني نفسي أوهم، فوقيتهم والله بنفسي" . (٢)

وذكر الشعراني عن أحمد الرفاعي - صاحب الطريقة - في مرض موته أنه قال : "جرت أمور اشتريناها بالأرواح، وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم، فتحملته عنهم ، وشريته بما بقي من عمري ، فباعني . وقال : كان يمرغ وجهه وشيبته على التراب ، ويبكي ويقول : اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء الخلق ....." (٣)

---

(١) منهاج السنة النبوية (٨/٥٩).

(٢) أصول الكافي ، كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم (١/٢٦٠).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١/١٤٤-١٤٥).

ثانيا : الإمامة والولاية لطف واصطفاء

يعتقد الشيعة أن الامامة لطف من الله تعالى ، واصطفاء منه واختيار، بتفضل من الله تعالى على من اختصه من خلقه كالنبوة • فالامامة عندهم كالنبوة في منزلتهم عند الله، فلذلك اصطفاهم واختارهم، وكذلك في حقوقهم •

والصوفية نهجوا ذات المنهج في أوليائهم وشيوخهم، فالله تعالى يصطفى من خلقه من يشاء للولاية ، ويؤيدهم بحفظه، ويتولاهم بعنايته، كما يفعل سبحانه وتعالى بالأنبياء والمرسلين•

فالامامة والولاية وراثة للنبوة والرسالة وامتداد لهما حتى لا تخلو الأرض من حجة لله ظاهرة أو مستترة •

روى الصفار والكليني بإسناديهما الى جعفر الصادق ـ واللفظ للكليني ـ قوله : " أترون الموصي منايوصي إلى من يريد؟ لا والله، ولكنه عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر الى صاحبه"• (١)

وقوله أيضا : "ما مات منا عالم حتى يعلمه الله الى من يوصي"• (٢)

وروى الصفار بإسناده إليه أيضاقوله: " إن الامامة عهد من الله عز وجل لرجل مسمى ، ليس للامام أن يزويها عمن يكون من بعده"• (٣)

وروى أيضا بإسناده الى على بن الحسين ـزين العابدين ـ قال: إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أمين الله فى أرضه، فلما قُبض صلى الله عليه و سلم ، كنا أهل البيت ورثته، ونحن أمناء الله فى أرضه، عندنا علم البلايا،والمنايا ، وأنساب العرب، ومولد الاسلام•••• " (٤)

وروى الكليني بإسناده الى الصادق يقول: " الائمة بمنزلة رسول الله، إلا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي • فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم" • (٥)

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٤٩٠)• وأصول الكافى لكتاب الحجة باب أن الامامة عهد من الله••• (١/٢٧٨)•

(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٤٩٣)• وأصول الكافى(١/٢٧٧)•

(٣) المصدر نفسه (ص/٤٩٢)•

(٤) المصدر السابق (ص/١٣٨ـ١٣٩)•

(٥) أصول الكافى، كتاب الحجة باب فى أن الائمة بمن يشبهون ممن مضى(١/٢٧٠)•

ويقول مفيدهم النعمان فى بيان عقائدهم: "القول فى النبوة أهى تفضل أواستحقاق ؟ ثم يقرر: أنها تفضل من الله تعالى على من اختصه بكرامته لعلمه بحميد عاقبته، واجتماع الخلال الموجبة فى الحكمة بنبوته فى الفضل عمن سواه ٠٠٠٠"، ثم يقول: " القول فى الإمامة أهى تفضل أم استحقاق ؟ إنها كالنبوة تفضل "على ماقدمت من المقال" ثم يقرر أن الامام مستحق للتعظيم والتبجيل، وأنه مفترض له كالنبى تماما٠ وفى عقيدتهم فى العصمة يقول "إن الائمة القائمين مقام الأنبياء فى تنفيذ الأحكام ، واقامة الحدود، وحفظ الشرائع ، وتأديب الأنام٠٠٠٠" (١)

ويقول محمد رضا المظفر وهو يقرر عقائدهم، " نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لايتم الإيمان إلا به٠٠٠٠ كما نعتقد أنهاكالنبوة لطف من الله تعالى ، فلا بد أن يكون فى كل عصر إمام هاد يخلف النبي فى وظائفه من هداية البشر، وإرشادهم الى ما فيه الصلاح والسعادة٠٠٠٠ وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شوؤنهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم ٠٠٠٠ فالإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذى يوجب إرسال الرسل ، وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضا نصب الامام بعد الرسول " (٢)

هكذا يقرر أهل الرفض وراثة الإمامة للنبوة فى كل شئ من أمور التشريع ، وبمثل هذه النصوص المزعومة جعلوا لأئمتهم منزلة النبى صلى الله عليه وسلم باستثناء عدد الزوجات، وقد استثنوا هذا الأمر ، لإضلال الناس بهذه الحيلة الخبيثة وإقناع العامة بأنهم ليسوا من أهل الغلو٠ ثم إن من أصول مذهبهم أنهم شرعوا لأنفسهم وأئمتهم من باب أولى نكاح المتعة، وهو باب عظيم من أبواب الفساد٠

وفى هذه النقول أن الامام لايموت حتى يعلمه الله الى من يوصي من بعده ، ومن أصول مذهبهم أن الأئمة حتى الثاني عشر منهم قد ذكرهم رسول الله بأسمائهم ، وأنهم مذكورون بأسمائهم فى مصحف فاطمة٠ وفىهذا تناقض بين ، ولكن عقول الرافضة قد مرت بتجارب عديدة، وممارسات شيعية حتى أصبحت تقبل كل أنواع التناقضات، وحتى المحالات . وهذه المسألة تتعارض أيضا مع عقيدة أخرى منعقائد الشيعة، حيث قرروا مبدأ البداء، فيزعمون أن جعفر الصادق كان قد أوصى وأشار الىإمامة ابنه اسماعيل، ثم مات فى حياة أبيه ، فأحالها وجعلها فى ابنه موسى ، وهذا الأمر أدى الى اضطراب شيعته

---

(١) أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات (ص/٦٩ـ٧١)٠

(٢) عقائد الامامية (ص/١٠٢ـ١٠٣)٠

فقال لهم فى ذلك: " إن الله عز وجل بدا له فى إمامة اسماعيل ". يقول النوبختى: "فأنكروا عليه البداء و المشيئة من الله، وقالوا : هذا باطل ، لايجوز " ثم ذكر ميلهم عن القول بإمامته، وخروجهم عن مذهب الامامية [١] . فهل فى مصحف فاطمة ذكر إسماعيل أم موسى ، إماما سابعا من أئمتهم الاثني عشر ؟ ومن أصول مذهبهم أن الله تعالى أخذ العهد على الأنبياء والمرسلين ، وعلى الخلق أجمعين فى عالم الذر بولاية الأئمة ،ومعرفة فضلهم وحقهم [٢] ، فهل كان إسماعيل أم موسى ، ممن أُخذ له العهد والميثاق ؟ إن فى هذا لبلاغا لمن كان له قلب ، ووفقه الله تعالى للحق . فإن صحت أصولهم ومصاحفهم ، فلماذا يعين جعفر ابنه اسماعيل ؟

وأما الصوفية ، فقد توسعوا فى هذه المسألة ، وبالغوا فى ذكر الألطاف الإلهية نحوهم، واصطفائه إياهم من بين خلقه. فكثيرا ما يذكرون فى تراجم أعلامهم، عن بداية أمرهم، أن هاتفا من الله تعالى جاءهم مبشرا إياهم بالولاية والاصطفاء ، فإبراهيم ابن أدهم هتف به هاتف وهو فى رحلة صيد ولهو [٣] . وبشر بن الحارث يُنادىٰ ويُبشّر بتطييب اسمه فى الدنيا والآخرة ،لأنه طيب ورقة مكتوب فيها اسم الله تعالى [٤] وعلى بن الهيتي يزعمون أن فتحه كان عن طريق الوهب والاصطفاء بلا شيخ ، وبلا أخذ بالأسباب . وينقل الشعراني عن عبد القادر الجيلاني قوله فيه: " انفتق رتق قلب علي بن الهيتي وهو ابن سبع سنين ، فكان يخبر عن المغيبات، و تظهر على يديه الكرامات..... " [٥] وينقل الشعراني عن أحد شيوخه أنه قال : " لو طالع الفقير ــ يعني الصوفي المريد السالك لطريق القوم ــ فى كتب القوم عدة رمل عالج ، فى مده عمر نوح ، لا يصير صوفيا بمحض المطالعة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، ومن لم يقذف الله تعالى فى قلبه نورا..... لا يصلح لهذا الباب. " [٦]

ويعتقدون أن بعض من اصطفاه الله يملك أن يعطي غيره شيئا مما اصطفاه الله تعالى به، وبعض المواهب اللدنّية، فيعطيها من يشاء، ويمنعها عمن يشاء. فذكر الشعراني

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى (ص/ ٦٤) .

(٢) راجع مثلا : بصائر الدرجات الكبرى (ص/ ٩٠ ، ٩٢ــ٩٥ ، ٩٩ــ١٠١) . وغيره من أصولهم ومراجعهم .

(٣) طبقات الصوفية للسلمى (ص / ٢٧) .

(٤) الرسالة القشيرية (١ / ٨٤) .

(٥) الطبقات الكبرى للشعرانى (١ / ١٤٥) .

(٦) الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية ــ بهامش الطبقات (١ / ١٦٨ــ١٦٩) .

أن صوفيا كان يختار بعض العامة ويقول له :" يا فلان تكلم على العلماء، فيتكلم عليهم فى معاني الآيات والأحاديث ، حتى لو كان هناك عشرة آلاف محبرة لكلّت عنه. ثم يقول له : اسكت، فلايجد ذلك العامي معه كلمة واحدة من تلك العلوم". (١)

وذكر عن آخر فقال :" كان الرجل العربى إذا اشتهى أن يتكلم بالعجمية، أوالعجمي يريد أن يتكلم بالعربية، يتفل فى فمه ، فيصير يعرف تلك اللغة كأنها لغته الأصلية" (٢) فالتفلة الصوفية عبارة عن دورة من دورات اللغات. هذه بضاعتهم ، وهذه مناهجهم ، فالأصل هو الفتح والاصطفاء ، وأما الأسباب فلا حاجة للمرء أن يأخذ بها، بل لو أخذها والتزمها فإنها لن توصله الى الغاية الصوفية المزعومة ، فالأولى ترك الاسباب وانتظار الفتوح، وترقب الهواتف والألطاف .

ويشير السراج الطوسي الى اصطفاء الله تعالى للصوفية، ويردّ على القائلين بأن الاصطفاء للأنبياء فقط ، بأن اصطفاء الانبياء يكون بالعصمة، والتأييد والوحي، وتبليغ الرسالة (٣) . وللصوفية بصفاء المعاملة، وحسن المجاهدة ، والتعلق بالحقائق،والمنازلة . ويكرر فى كتابه عند ذكره لهم وصفهم بأنهم " أهل الصفوة".

وأما أبو بكر الكلابادى فقد عقد أبوابا لتقرير هذه الدعوى. فيقول :"الباب السابع والستون : فى لطائف الله للقوم وتنبيهه إياهم بالهاتف . والذى يليه: "تنبيهه إياهم بالفراسات" والذى يليه:" تنبيهه إياهم بالخواطر ". والذى يليه:"تنبيهه إياهم فى الرؤيا ولطائفها". والذى يليه:"لطائف الحق بهم فى غيرته عليهم". والذى يليه:" لطائفه بهم فيما يحملهم". والذى يليه: "لطائفه بهم فى الموت وبعده"، والذى يليه: "من لطائف ما جرى عليهم" (٤) . وضمّن هذه الأبواب طائفة من أخبارهم وأحوالهم ومزاعمهم فى هذه الدعوى.

ويقول ابن عجيبة فى ذكره آداب المريدين بأنهم :" مطالبون بالتصديق للأشياخ فى كل ما نطقوا به ، إذ هم ورثة الأنبياء ، فهم على قدمهم، فللأنبياء وحي الأحكام ، وللأولياء وحي الإلهام....." (٥). يزعم أن شيوخ الصوفية على قدم الأنبياء بمعنى أن لهم ما للأنبياء من حق الطاعة والامتثال، وحق التشريع وغيره، بحجة أنهم يوحى إليهم ،

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني(١/١٥٧).
(٢) نفس المصدر (١/١٥٢).
(٣) اللمع (ص/١٠٩).
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص/١٧٨ــ١٩٠).
(٥) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم(ص/٢٧).

وأنهم ورثة الأنبياء. ما أعظم غربة الدين إن كان هؤلاء هم ورثة الأنبياء! ونقل المنوفى عن أبي سعيد الخراز قوله: " إذا أراد الله تعالى أن يولي عبده، فتح عليه باب ذكره. فاذا استلذ الذكر، فتح عليه باب القرب، ثم رفعه الى مجالس الأنس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجاب .... فوقع فى حفظ الله، وبريء من دعاوى نفسه، فصار وليا ". (١)

ويُعرِّف المنوفي الولاية بقوله: " الولاية عبارة عن تولي الحق سبحانه عبده، بظهور أسمائه وصفاته عليه، علما وعيناً، وحالاً وأثر لذةٍ، وتصرفاً." ويقول عن حقيقة الولاية: " هى قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، ولذلك يتولاه الحق حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين". (٢) فالولاية عندهم نول ولطف محض من الله تعالى لعبده، ليس كسبا واجتهادا مع توفيق الله تعالى.

---

(١) جمهرة الأولياء للمنوفى(١/٩٨).

(٢) نفس المصدر والصفحة.

ثالثا : علم الإمام والشيخ الولى

يغلو الشيعة والصوفية فى علم أئمتهم وشيوخهم ، فيعتقدون جميعا أن أئمتهم ، وشيوخهم مخصوصون بعلوم وهبية إلهامية، خصهم الله تعالى بها لمنزلتهم، ومكانتهم عنده . ويزعمون أن تلك العلوم الخاصة ، من الأسرار الإلهية، والمواهب الربانية، ومن المكاشفات، والمشاهدات ، والخواطر، لا يجوز كشف كثير منها أو إباحتها إلا لأهلها .

وأما عن مصادر وطرق تلقيهم تلك العلوم، فإنهم يزعمون أنها تكون، بالأخذ عن الله تعالى مباشرة، أو بالوحي عنه تعالى ، أوبالقذف ، والنقر فى القلوب والآذان، أوبالسماع عنه بواسطة الهواتف يقظة ومناما، الى غير ذلك من أساليب زعموها .وتكون أيضا بالأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، برؤيته فى المنام أو اليقظة ، والاجتماع به، أوالمجيء الى قبره للأخذ والتلقي. وتكون أيضا بالأخذ عن الملائكة ، أو الخضر، أو بعض الجن ، وحتى إبليس قد أخذوا عنه واجتمعوا به ، كل هذه المصادر، وغيرها يزعمها المتقدمون منهم والمتأخرون . ومما اشتهر به الصوفية من مصدر، لعلهم انفردوا به عن شيوخهم الرافضة ، تلقيهم وأخذهم العلوم والفوائد والأسرار المزعومة عن مشايخهم الأموات . وقد تقدم ذكر أقوالهم، وأدلتهم فى أكثر هذه المزاعم فى المبحث الثانى من هذا الفصل .[1]

إن من أهم ما يزعمه الفريقان فى هذا الباب ، أن الأئمة و الشيوخ يعلمون الغيب، ويطّلعون على ما فى ضمائر العباد، وما تكنه صدورهم ، فيُخبرون، ويكشفون ذلك كله لأصحابهم قبل أن يتلفظوا به .

روى أبو جعفر الصفار روايات كثيرة تدل على أن الأئمة" يعرفون ما فى الضمائر ، وحديث النفس قبل أن يُخبروا به"[2] ، "ويعرفون الآجال وأسبابها"[3] ، "ويعرفون شيعتهم من أعدائهم بوجوههم وأسمائهم" .[4] " ويعرفون متى يموتون"[5] "ويعرفون أهل الجنة وأهل النار بسيماهم فى الدنيا" .[6]

---

(١) راجع الفصل الثانى من الباب الثالث . مبحث العلم اللدنّي (ص/ ١٩٠) .
(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٢٥٥) .
(٣) نفس المصدر (ص/٢٨٢) .
(٤) المصدر السابق (ص/٤٠١) .
(٥) المصدر السابق (ص/٥٠٠) .
(٦) المصدر السابق (ص/٥١٥) .

وروى الكلينى بإسناده الى رجل من أهل فارس أنه سأل الإمام" أتعلمون الغيب؟ فقال أبوجعفر : يبسط لنا العلم فنعلم، ويقبض عنا فلانعلم . وقال : سر الله عز وجل أسره الى جبريل ، وأسره جبريل الى محمد، وأسره محمد الى من شاء". (١)

فعلم الغيب هو ما يسميه الشيعة بسر الله تعالى حيث يزعمون أن الائمة عندهم سر الله تعالى كما بوب الصفار فى بصائره ثم روى عن الباقر قوله: أسر الله سره الى جبريل ، وأسره جبريل الى محمد، وأسره محمد الى على ، وأسره على الى من شاء ، واحدا بعد واحد". (٢)

وروى الكلينى باسناده الى عمّار الساباطي قال : سألت أبا عبد الله عن الامام يعلم الغيب؟ فقال : لا ، ولكن اذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك". (٣)

وبوب فى كتابه الكافي أبوابا تشير الى علم الائمة للغيب فقال مثلا : باب أن الائمة يعلمون علم ما كان ، وما يكون ،وأنه لا يخفى عليهم الشيء. (٤) وباب أن الائمة لو سُتر عليهم لأخبروا كل امرىء بما له وعليه، وروى عن أبي جعفر قوله : " لو كان لألسنتكم أوكية لحدثت كل امرىء بما له وعليه". (٥) وباب أن الائمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا (٦) وباب أن الائمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم. (٧)

وروى صدوقهم ابن بابويه القمي الصوفي الشيعي بإسناده الى الباقر أنه سُئل : " بم يعرف الإمام ؟ فقال : بخصال : أولها : نص من الله .... وأن يُسأل فيجيب ، وأن يُسكت عنه فيبتدىء ، ويخبر الناس بما يكون فى غد ، ويكلم الناس بكل لسان ولغة" (٨)

وروى عن على بن موسى الرضا فى ذكر علامات الامام حديثا أشبه وأقرب ما يكون الى الأساطير القديمة وحكايات ألف ليلة وليلة ، يقول فيها : للامام علامات: " أن يكون

---

(١) أصول الكافى(١/٢٥٦) .
(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٣٩٧) .
(٣) أصول الكافى(١/٢٥٧) .
(٤) نفس المصدر (١/٢٦٠) .
(٥) المصدر السابق (١/٢٦٤)
(٦) المصدر السابق (١/٢٥٨) .
(٧) المصدر السابق (١/٢٥٨) .
(٨) معانى الأخبار لابن بابويه القمى(ص/١٠٢) .

أعلم الناس، وأحكم ... وأشجع ... ويولد مختونا، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يكون له ظل، وإذا وقع من بطن أمه، وقع على راحتيه رافعا صوته بالشهادتين، ولايحتلم، وتنام عينه، ولا ينام قلبه، ويكون مُحدثا، ولا يرى له بول ولا غائط لأن الله قد وكل الى الأرض بابتلاع ما يخرج منه، .... ودعاؤه مستجاب حتى لو دعا على صخرة لا نشقت نصفين، وعنده صحيفة فيها أسماء الشيعة الى يوم القيامة، وعنده الجامعة... والجفر الأكبر والأصغر، وإهاب ماعز واهاب كبش فيهما جميع العلوم، ويكون عنده مصحف فاطمة". (١)

وأخيرا ها هو الخمينى يرد على من سماهم بالمشاغبين لنفيهم علم الغيب عن الأنبياء والأولياء، فيقول: " إن رجال الدين لا يقولون إن النبى، أو الإمام يقول الغيب من عنده، أو بدون إرادة من الله.... ثم يقول مستدلا على علمهم بالغيب: إن القرآن يقول: إن النبى ـ بأمر من الله ـ يعلم الغيب، ويكشف ما خفي من الأمور، وينبئ بالمستقبل. ثم يذكر بعض شواهد القرآن، ثم يستدل "بشواهد من أقوال فلاسفة العالم: الاسلاميين والأوربيين ثم يختم هذا المبحث بقوله: "... فهل يجوز لنا أن نعرض عن شواهد القرآن البينة حول المعجزات والتنبوء بالغيب، ونتجاهل أقوال كبار فلاسفة العالم المسندة بالبراهين الدامغة، وآراء فلاسفة أوربا المعاصرين، وما نقل عن ملايين المسلمين والنصارى واليهود....وننبذ ماجاء فى آيات القرآن، ونضع تحت أقدامنا أقوال مشاهير العالم، ونصدق حفنة من شذاذ الآفاق؟ (٢).

هذه هى طريقة الخيمني، وهذا منهجه فى دينه ومذهبه، يعظم أقوال الفلاسفة ويجعلها من الأصول التى لايمكن تجاهلها، والبراهين الدامغة بزعمه.

وأما عن مبلغ علم الائمة في دين الشيعة، فإنهم يعتقدون أن الائمة قد ورثوا جميع العلوم التى خرجت الى الملائكة والانبياء والمرسلين، والأوصياء الذين من قبلهم (٣). وعندهم علم ما فى السموات والأرض، والجنة والنار، وما كان وما هوكائن الى يوم القيامة (٤) وعندهم صحيفة فيها أسماء جميع أهل الجنة، وأسماء جميع أهل النار. (٥) وأنهم يتكلمون

---

(١) نفس المصدر (ص/١٠٢ــ١٠٣).

(٢) كشف الأسرار للخميني (ص/٦٧ــ٧٢).

(٣) بصائر الدرجات الكبرى (ص/١٣٨). وأصول الكافى (١/ ٢٢٣، ٥٥). والاختصاص للمفيد النعمان (ص/ ٢٩٢).

(٤) بصائر الدرجات الكبرى (ص/١٤٧).

(٥) المصدر نفسه (ص/ ٢١٠).

جميع الألسن واللغات [١] . ويعرفون منطق الطير والبهائم والدواب وحتى المسوخ. [٢]

ويقول الخميني: " إعلم أن ليلة القدر، حيث أنها ليلة مكاشفة رسول الله، وأئمة الهدى، فلهذا تنكشف لهم جميع الأمور الملكية عن غيب الملكوت .... وهذه المكاشفة، مكاشفة ملكوتية محيطة بجميع ذرات عالم الطبيعة، ولا يخفى لولي الأمر شيء من أمور الرعية.... وقد ورد أن الأعمال تعرض على ولي الأمر، رسول الله، وأئمة الهدى". [٣]

هذا بالنسبة للشيعة الرافضة وادعائهم علم الغيب. وأما الصوفية: ذكر ابن عربي علوم أبدال وأقطاب الصوفية، ومما ذكر: .... علم الأنوار، وعلم المشاهدة، وعلم الفناء، وعلم إبليس، وعلم الحشر، وعلم النار، وعلم الغيوب، وعلم الكنوز والنبات والمعدن، وعلم الجنون، وعلم الجنة، وعلم الخلود، وعلم منطق الطير، وعلم لسان الرياح " [٤]. وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالدين والدنيا، والأوهام والخيالات، وحتى المحالات.

ويزعم أيضا ": أن وزراء المهدى – الموجود فى عقيدته مع وزرائه – عارفون، يُطلعهم الله على الكشف، ويشهدون على الحقائق" [٥] . وينص أيضا على ضرورة وجود من يعلم الغيب فيقول: " لابد من واحد يعلم الغيب من أهل الكشف" [٦] ويزعم ابن عربي أنه قد علم بطريق الكشف المزعوم، أن الخضر هو الذى يقتله الدجال فى آخر الزمان." [٧]

وأما عن اطلاع الصوفية على ما فى النفوس، وما تكنه الصدور فكثير جدا فى مؤلفاتهم. ذكر أبو نعيم طرفا من ذلك فى ترجمة ذي النون المصرى [٨] وابراهيم الهروي، [٩] وغيرهما. ويقول السهروردي عن تربية الشيخ للمريد: "... يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى ....، ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن" [١٠]

---

(١) المصدر السابق (ص/٣٥٣) والاختصاص للمفيد النعمان (ص/٢٨٩).
(٢) بصائر الدرجات (ص/٣٦١)، والاختصاص للمفيدالنعمان (ص/٢٩٢–٢٩٥).
(٣) الاداب المعنوية للصلاة (ص/٥١٢).
(٤) الفتوحات المكية . الباب السادس عشر (١٦١/١).
(٥) نفس المصدر (٣٢٨/٣).
(٦) المصدر السابق (٣٣٨/٣–٣٣٩).
(٧) المصدر السابق (٣٢٩/٣).
(٨) حلية الأولياء (٣٤٠/٩، ٣٥٥، ٣٦٤).
(٩) نفس المصدر (٤٣/١٠).
(١٠) عوارف المعارف (ص/٩٦).

ويقول الهجويرى إنه خرج من دمشق مع اثنين لزيارة شيخ الصوفية زكي بن العلاء ، واتفقوا أن يضمر كل منهم حاجة وطلبا ، ليختبروا الشيخ هل يعلم ما أبطنوه أم لا ؟ ثم يزعم أن الشيخ بعد دخولهم عليه ذكر ما أبطنه الهجويرى ، وكان عبارة عن أشعار ومناجاة الحلّاج. ثم فعل مع صاحبيه كذلك. [١] أى أنه قد علم ما أبطنوه فى نفوسهم .

وأما الشعراني فإنه فارس ميدان الدعاوى والغلو فى الشيوخ والأولياء المزعومين . فقد ذكر فى ترجمة المدعو على بن الهيتى أنه صاحب القطبية العظمى وأنه فُتح عليه عن طريق الوهب المحض بلا شيخ ولا كسب ، وقال : كان الشيخ عبد القادر يقول : " انفتق رتق قلب على بن الهيتى وهو ابن سبع سنين ، فكان يخبر عن المغيبات، وتظهر على يديه الكرامات. . . . " [٢]

وذكر فى ترجمة سيده إبراهيم المتبولى أنه كان يجتمع بالنبي يقظة ومناما ، وأنه قال عن نفسه : " يا ما تقاسي مصر بعد هذه اللحية، أنا أمان لها. . . " ويقول الشعراني : " وكان رضي الله تعالى عنه لا يراه أحد يصلى الظهر فى مصر أبدا. . . " وكان اذا رأى إنسانا يعلم ما فى نفسه، وما هو مرتكبه من الفواحش". [٣]

ويقول أحمد بن مبارك السلجماسي أنه قال لشيخه عبد العزيز بن مسعود الدباغ ـ غوث الزمان المزعوم ـ : " إن علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم، اختلفوا فى النبي ، هل كان يعلم الخمس المذكورات فى قوله تعالى" : " إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير" [٤] فقال : وكيف يخفى أمر الخمس عليه صلى الله عليه وسلم، والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة، لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس. " ويقول : " وكذا سألته عن قول العلماء فى معرفة ليلة القدر وأنه لم يعينها النبي لأنها غُيبت عنه. فقال : سبحان الله، وغضب ثم قال : والله لو جاءت ليلة القدر، وأنا ميت، وقد انتفخت جيفتي، وارتفعت رجلي ، كما تنتفخ جيفة الحمار، لعلمتها وأنا على تلك الحالة ، فكيف تخفى على سيد الوجود . " ثم يقول : " ثم ذكر أسرارا عرفانية فى معرفة الخمس السابقة ، وفى معرفة ليلة القدر. . . . و قد عينها لنا فى أعوام مختلفة، فمرة عينها فى رجب ، وعينها لنا فى عام آخر فى شعبان ، وفى عام آخر فى رمضان ، وفى عام آخر فى ليلة

---

(١) كشف المحجوب (٢/ ٥٨٦) .
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٤٥) .
(٣) المصدر نفسه (١/ ٨٣ـ٨٦) .
(٤) سورة لقمان / ٣٤ .

الفطر. وكان يعينها لنا قبل أن تأتي ، ويأمرنا بالتحفظ عليها... وكذلك يعين ساعة الجمعة ..." [١] كل هذا وهم له مصدقون. هذه هى الصوفية، لا نقل ولا عقل مع طاعة الشيخ .

وأما عن مصادرهم فى العلم والتلقي ، فقد زعمت الرافضة أن أئمتهم يُلهمون ، ويُوحى اليهم، ويُنقر فى قلوبهم وآذانهم ، وغير ذلك، وقد تقدم ذكر أدلتهم فى مبحث العلم اللدني [٢] . وكذلك الصوفية شاركوهم فى هذه المصادر المزعومة، فيزعم ابن عربى أن الملَك ينزل على النبى، وعلى الولي [٣] . وابن عجيبة بزعم :" أن للأنبياء وحي الأحكام ، وللأولياء وحي الإلهام" [٤] فهم يعتقدون أن الأولياء يُوحى اليهم ويُلهمون، ثم يفرقون بين وحي الانبياء ووحى الأولياء بأقوال يوهمون فيها للعوام بأنهم يفرقون بين الانبياء و الأولياء. وأما عن سماع الهواتف والأخذ عن الرب مباشرة فهو من أهم مصادرهم حتى أصبحوا يعيبون على المحدثين والفقهاء أخذهم علومهم وآثارهم عن الأموات ، ثم أخذوا يتبجحون بأخذهم علومهم عن الحي الذى لايموت . وكذلك يُكثرون من زعمهم سماع هواتف فى خلواتهم وأثناء سياحتهم وغيرها من أحوالهم. وقد أورد أبو نعيم طرفا من تلك المزاعم فى تراجم الصوفية الذين ترجم لهم. [٥] وقد أكثر الشعراني من ذكر الهواتف محاولا إثباتها وإقناع العوام بحقيقتها ، ووقوعها فى حياة الصوفية للتأكيد على أنها من المصادر التى يعتمد عليها فى دين الله . وهى إن كانت تقع لهم فإنها دون شك أوريب هواتف شيطانية يراد بها تضليل الناس عن دين الله الحق ، وصدهم عن سبيل العلم والتعلم.

ويقول الشعراني محددا مصدر هذه الهواتف:" إعلم أن الهاتف المذكور لايخلو إما أن يكون ملَكا ، أو وليا ، أو من صالحي الجن ، أو هو الخضر لأنه حى باق ، لم يمت، وقد اجتمعنا بمن اجتمع به، وبالمهدي ، وأخذ عنهما طريق القوم ...." [٦] وقد زعم أنه سمع هاتفا على لسان الله تعالى [٧] . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وكذلك الخضر جعلوه من مصادر تلقيهم لعلومهم المزعومة، فزعمت الشيعة أن الخضر شهد لعلي والائمة من ولده بالإمامة. فقد روى الكليني بإسناده الى الباقر قال :

---

(١) الإبريز من كلام عبد العزيز (ص/٢٨٣-٢٨٤) .
(٢) مبحث العلم اللدنى(ص/ ١٩٠) .
(٣) الفتوحات المكية (٣/٣١٦) .
(٤) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم(ص/ ٢٦) .
(٥) راجع حلية الأولياء(٦/٨) ، (٩/٢٥٩، ٣٥٥) ، (١٠/١٢٠- ١٢١، ٢٧٤، ٣١٢، ٣٤٤) .
(٦) الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية - بهامش الطبقات (١/٤) .
(٧) نفس المصدر (١/١٥١) ، (٢/١٨٨) .

" أقبل أمير المؤمنين ومعه الحسن ... إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلّم على أمير المؤمنين ....." وأنه قال: " أشهد أنك وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائم بحجته" ، ثم ذكر الحسن ، والحسين ، وعلى بن الحسين ، ومحمد بن على، وجعفر بن محمد، وهكذا حتى أتى على المهدى بأسمائهم ، ويقول : " ثم قام فمضى فقال أمير المؤمنين : اتبعه فانظر أين يقصد، فخرج الحسن فقال : ما كان إلا أن وضع رجله خارجا من المسجد، فما دريت أين أُخذ من أرض الله" . ثم قال علي: " أتعرفه ؟ قلت: الله ورسوله أعلم . قال : هو الخضر عليه السلام."

إن مما ذكره الخضر فى هذه الرواية المصطنعة أن موسى بن جعفر هو القائم بأمر جعفر ووصيه من بعده، فلماذا يا شيعة الأرض جعلها جعفر فى ولده اسماعيل أولا ؟ ثم نقلها بعد موته الى موسى ؟

المهم أن الخضر له دور فى حياة الشيعة، وأما الصوفية فانهم يصرحون بأنه من أهم مراجعهم فى دينهم وطريقتهم ومستند خرقتهم فى مذهبهم المنحرف . والصوفية جميعا يؤمنون بأنه حي باق لا يموت، ويدّعى أكثر شيوخهم التقاءهم به وأخذهم عنه وتعلمهم منه.

نقل الشعراني عن السكندري قوله: " واعلم أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاوءه، والأخذ عنه، واشتهر ذلك الى أن بلغ حد التواتر الذى لايمكن جحده" (١) ثم ذكر عن جملة من شيوخ الصوفية قصص التقاءهم به. (٢)

ويتفق الشيعة والصوفية فى وجود المهدى المزعوم وأنه يزورهم ويجالسهم ويدارسهم العلوم المزعومة . فالشيعة قاطبة تؤمن بحياته ووجوده فى سرداب فى سامراء وأنه يخاطب الشيعة ويكتب لهم الرسائل ، ويحل لهم المعضلات والمشكلات عن طريق السفراء والوزراء والنواب بزعمهم .

ويزعم ابراهيم بن سليمان القطيفي البحراني ــ وهو من علماء الإمامية فى القرن العاشر الهجري ــ أن المنتظر دخل عليه فى صورة رجل يعرفه وذاكره العلم. (٣) ويزعم الصوفى حسن العراقي أن المهدى زاره فى منزلة وأقام عنده سبعة أيام ، ولقنه الذكر والورد . (٤)

---

(١) لطائف المنن فى مناقب أبى العباس المرسي وشيخه أبي الحسن للسكندرى ــ مطبوع بهامش لطائف المنن والاخلاق للشعراني (١/٨٤).

(٢) نفس المصدر (١/٨٤ــ٨٦).

(٣) روضات الجنات (١/٢٥ــ٢٦).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/١٣٩).

وحتى إبليس يلتقي بالشيعة والصوفية ويذاكرهم العلم ويتلقون عنه. فقد ذكر محمد ابن النعمان، شيخ الشيعة ومفيدهم حديثا عن علي مع إبليس الذى يقر له ولولده بالامامة، ويؤكد الولاء والبراء على مذهبهم المنحرف.(١) ونقل الشعراني أن الجنيد التقى به في السوق وكان عريانا(٢)، ثم زعم أنه التقى بنفسه به وذاكره العلم.(٣)

الحاصل أن الشيعة والصوفية جعلوا لأنفسهم مصادر يتلقون علومهم ومعارفهم بواسطتها، وقد أكثروا من تلك المصادر المزعومة، وهي ليست إلا دعاوى لا تقوم عليها بينات، ولا تستند الى براهين. وبهذا تمكنوا من صد الناس عن الطرق والوسائل الشرعية والمنطقية والعقلية في تلقى العلوم والمعارف، وجعلوا بين أتباعهم وبين أهل العلم حواجز وعقبات تضمن لهم بقاء الأتباع في ظلمات الجهل والضلال.

يقول ابن عربى مؤكدا هذا المعنى: "رُب حديث يترك أهل الحديث العمل به لضعف أحد رواته، أو كذبه، ويكون الحديث صحيحا في نفسه، ورُب حديث يعملون به لصحة سنده، ويكون ضعيفا، أوموضوعا، فالمكاشف يحصل له العلم من غير طريق علماء الرسوم والفقهاء، فإنه يسمع العلم والحديث من الروح مباشرة، يلقيه على حقيقة محمد في أي زمان، ومكان، فيكون ذلك الولي في مرتبة الصحابة في سماعهم حديث جبريل المشهور حين جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم "(٤).

ويقول الشعراني: " لا يصير صوفيا بالقراءة والمطالعة، ولو قرأ عمر نوح، وعدد رمل عالج"(٥) تأكيدا منهم وتقريرا لمصادرهم الإلهامية اللدنية المزعومة، وتشكيكا في علوم الفقهاء والمحدثين، وطرقهم في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، واستنباط الأحكام منها.

وأما عن مبلغ علم الأولياء وشيوخ الصوفية، فإنهم يعتقدون أن شيوخهم قد ورثوا علم النبوة، واختُصوا بالأسرار الربانية والعلوم اللدّنية المزعومة. وقد ذكر ابن عربي بعض علومهم، وبيّن أنهم يعلمون ما في الأرض وما تحتها، وما في السموات، والملكوت

---

(١) الاختصاص للمفيد النعمان (ص/١٠٨ـ١٠٩)
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (١/٨٥).
(٣) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية ـ بهامش الطبقات (٢/١٥ـ١٧).
(٤) الفتوحات المكية (١/١٥٠).
(٥) الأنوار القدسية ـ في بيان آداب العبودية ـ بهامش الطبقات (١/١٦٨).

وغيرها كما تقدم ذكره[١] . وذكر الشعراني عن أحد شيوخ الصوفية أنه يتكلم جميع الألسن ، وأنه بتفلة واحدة يتفل فى فيّ مريديه يجعل العربي منهم يتكلم العجمية كأنها لغتـــــه ، والعكس كذلك. [٢] ويقول أحمد بن مبارك عن شيخه الدباغ : " وما رأيت من يعرف السريانية وجميع اللغات التى لبني آدم وللجن وللملائكة وللحيوانات مثله" [٣] ويزعم شيخه أيضـــا أن جميع المعجزات التى كانت للأنبياء وقد اجتمعت فى الأولياء من أمة محمد صلى الله عليـــه وسلم. [٤]

---

(١) انظر ص (٢٧٤-٢٧٦) .

(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى (١/ ١٥٢) .

(٣) الإبريز (ص/ ٢١٣) .

(٤) نفس المصدر (ص/ ٣٤٣) .

رابعا : العصمة والحفظ للأئمة والشيوخ

يقول شيخ الرافضة ومفيدهم محمد بن النعمان فى بيان عقائد الامامية : " إن الائمة القائمين مقام الانبياء فى تنفيذ الاحكام وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع، وتأديب الأنام معصومون كعصمة الانبياء، وإنهم لايجوز منهم صغيرة إلا ما قدمت ذكر جوازه على الانبياء. (١) وإنه لايجوز منهم سهو فى شيء فى الدين، ولاينسون شيئا من الاحكام، وعلى هذا مذهب سائر الامامية إلا من شذ ...." (٢) ويقول أيضا : .... والانبياء والائمة من بعدهم معصومون فى حال نبوتهم، وإمامتهم من الكبائر كلها، والصغائر ..." (٣)

ويقول أيضا : " وقد جاء الخبر بأن رسول الله والائمة من ذريته كانوا حججا لله تعالى... ولم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص وجهل، فإنهم يجرون مجرى عيسى ويحيى فى حصول الكمال لهم مع صغر السن.... ونقطع على كمالهم فى العلم والعصمة فى أحوال النبوة والإمامة ..... ونقطع على أن العصمة لازمة منذ أكمل الله تعالى عقولهم الى أن قبضهم ." (٤)

ويقول علّامة الرفض عبد الله شُبَّر : " يجب أن يكون الواسطة بين الله تعالى، وبين خلقه، نبيا كان أو إماما معصوما. وهذا مما تفردت به الامامية... ويجب فى الحجة أن يكون معصوما من الكبائر ، والصغائر، منزها عن المعاصي قبل النبوة وبعدها على سبيل العمد والنسيان..." (٥)

الحاصل أن الشيعة تؤمن إيمانا راسخا بعصمة أئمتها. وهذا أمر معلوم من دينهم بالضرورة، وأما الصوفية ، فإنهم وافقوا الشيعة فى هذه العقيدة المنحرفة ولكنهم ، كما هى عادتهم ، يحاولون إخفاء التوافق بينهم، وبين الشيعة، سترا لعلاقتهم بهم، وترويجا لمذاهبهم فى أوساط أهل السنة والجماعة. لذلك لجأ كثير من علمائهم ومؤلفيهم الى تسمية العصمة بالحفظ.

---

(١) ذكر فى باب عصمة الانبياء أنه يجوز وقوع الصغائر التى لايُستخف فاعلها منهم قبل نبوتهم، على غير تعمد. وأما بعد النبوة فممتنع منهم أيضا. أنظر كتابه أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات ـ وهو من مراجعهم المعتمدة فى عقائدهم ـ (ص/٦٧) .

(٢) أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات (ص/٧١ـ٧٢) .

(٣) تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد ـ أو شرح عقائد الصدوق للمفيد النعمان (ص/١٠٦)

(٤) نفس المصدر (ص/١٠٧ـ١٠٨) .

(٥) حق اليقين فى معرفة أصول الدين (١/١٩١) .

يقول أبو بكر الكلاباذي : "ولطائف الله تعالى فى عصمة أنبيائه، وحفظ أوليائه من الفتنة أكثر من أن تقع تحت الإحصاء والعد" . (١) وقد عقد أبوبا فى هذا المعنى. عقد بابا فى "لطائف الله للقوم وتنبيهه إياهم بالهاتف" (٢) ، وآخر بالفراسات (٣) ، وآخر بالخواطر (٤) ، وآخر فى الرؤيا ولطائفها (٥) ، وغير ذلك من الأبواب التى ذكر فيها جملة من الحكايات عن شيوخ الصوفية يزعمون أنه ما يكاد أحدهم يهم بأمر أو عمل لا يليق بزعمهم مع توكلهم، أوعبادتهم ، أو محبتهم ، أوغير ذلك من أحوالهم، إلا وهاتف يهتف به، أو خاطر يرد عليه، أو رؤيا يراها ، أو غير ذلك من أنواع اللطائف التى تنبههم عن ذلك الفعل أو الأمر عصمة لهم وحفظا لهم من وقوعهم أو ارتكابهم تلك الأفعال التى لا تليق بزعمهم.

ونقل أبو نعيم الأصبهانى عن ذي النون مقالة طويلة يصف فيها العارفين والمحبين بزعمه ، وفى آخره يقول : " فليس للغفلة عليهم مدخل ، ولا للهو فيهم مطمع، قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات ، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات..." (٦) وذكر عن أبي تراب النخشبي زعمه بأن بينه ، وبين الله عهد ألا تمتد يده الى حرام، فإن مدها أن تقصر ولا يتمكن من تناوله (٧) . وذكر نحوه عن الحارث المحاسبي فى قصته مع الجنيد حيث بزعم الحارث أن بينه وبين الله علامة فى ذلك (٨) حفظا وعصمة لمشايخ الصوفية من تناول الحرام والمشتبهات فى الأطعمة وغيرها.

وذكر القشيري عن الشبلي قوله : " عزمت وقتا أن لا آكل إلامن الحلال ، فكنت أدور فى البراري ، فرأيت شجرة تين ، فمددت يدى إليها لآكل ، فنادتني الشجرة : إحفظ عليك عقدك، لا تأكل مني فإني ليهودي" . (٩)

ويقول ابن عربى عند ذكره سلمان الفارسي و إضافته الى آل البيت فى الحديث المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نصه : " فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهى والعصمة".

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/١٥٥) .
(٢) الباب السابع والستون من كتابه التعرف .
(٣) الباب الثامن والستون من المصدر السابق.
(٤) الباب التاسع والستون من المصدر السابق.
(٥) الباب السبعون من المصدر السابق .
(٦) حلية الأولياء لأبى نعيم(٩ / ٣٨٠) .
(٧) نفس المصدر (١٠ / ٤٨) .
(٨) المصدر السابق (١٠ / ٧٤-٧٥) .
(٩) الرسالة القشيرية (٢ / ٧٠٨) .

ويقول عن آل البيت إنهم "عين الطهارة" ويقول أيضا : " فما ظنك بالمعصومين المحفوظين ... فشرفهم أعلى وأتم، وهؤلاء الأقطاب ... " (١) هكذا يربط اصطلاحات وعقائد الشيعة باصطلاحات وعقائد الصوفية . ويقول أيضا : " فأمّا الرسل والأشياخ، فلا يأمرون بمعصية أصلا ، فإن الرسل معصومون من هذا ، والشيوخ محفوظون " . (٢)

ويقول عبد الرحمن بن محمد الأنصاري - المعروف بابن الدباغ - والمتوفى سنة ٦٩٦هـ : " ومن شرط هذا العارف الولي أن يكون محفوظا مما يخالف الشرع ، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما ... " (٣)

ونقل الشعراني عن عبد القادر الجيلاني قوله في عصمة الملائكة والأنبياء : " ... وبقية الخلق من الجن والإنس المكلفين لم يعصموا ، غير أن الأولياء يحفظون عن الهوى .... " (٤) . ونقل عن علي بن الهيتي قوله : "علامة صحة الحال أن يكون صاحبه محفوظا " (٥) . ويزعم الشعراني أن الجيلاني بلغ مرتبة ومقاما يأمن فيه من بلغه من الدعوى، ويسدد ، ويحفظ في أقواله وأفعاله .... " (٦) وقد نقل عن أم عبد القادر الجيلاني التي وصفها بقوله : " وكان لها قدم في الطريق " قولها : " لما وضعتُ ولدي عبدالقادر كان لايرضع ثديه في نهار رمضان . ولقد غم على الناس هلال رمضان ، فأتوني، وسألوني عنه، فقلت لهم إنه لم يلتقم اليوم له ثديا، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان .... " (٧)

وقد أشار الصوفية الى هذا الحفظ المزعوم والعصمة في تعريفاتهم للولي والولاية في اصطلاحهم. فيقول القشيري في معنى الولي: " الولي من توالت طاعاته من غير تخلل معصية" ويقول : " هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي ، فلا يخلق له الخذلان ، الذي هو قدرة العصيان ، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة" (٨)

---

(١) الفتوحات المكية (١/ ١٩٦-١٩٧) .
(٢) كتاب التجليات ، ضمن رسائل ابن عربي (٢/ ٥٢) .
(٣) كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب (ص/ ١٠٣) .
(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٣٠) .
(٥) نفس المصدر (١/ ١٤٥) .
(٦) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية - بهامش الطبقات - (١/ ١٦١)
(٧) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٢٦) .
(٨) الرسالة القشيرية (٢/ ٦٦٤-٦٦٥)

ويقول أيضا : "و اعلم أن من أجل الكرامات التى تكون للأولياء : دوام التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات" . (١)

ويقول المنوفى فى تعريف الولى: " هو من يتولى الله تعالى رعايته وحفظه ، فلا يكله الى نفسه.... ويتولى هو عبادة الله و طاعته.... ، وكلا المعنيين شرط فى الولاية ، ومن شرط الولاية والولي أن يكون محفوظا، كما أن شرط النبي أن يكون معصوما" . (٢)

ويقول النبهاني فى جامعه فى تعريف الولي: " من توالت طاعاته من غير تخلل معصية" ويقول ايضا : " هوالذى يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على التوالي عن كل أنواع المعاصى، ويديم توفيقه على الطاعات" . (٣)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره للولاية وتعريفه للولي فى دين الله وشرعه حيث بين رحمه الله وقوع الخطأ منهم مع كونهم أولياء لله تعالى ، فقال : "وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والإيمان . وإنما يخالف فى ذلك الغالية من الرافضة،و أشباه الرافضة من الغالية في بعض المشائخ، ومن يعتقدون أنه من الأولياء. فالرافضة تزعم أن الاثني عشر معصومون من الخطأ والذنب . ويرون هذا من أصول دينهم . والغالية في المشائخ قد يقولون : إن الولي محفوظ، والنبي معصوم . وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه، فحاله حال من يرى أن الشيخ والولى لايخطيء، ولا يذنب، وقد بلغ الغلو بالطائفتين الى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي وأفضل منه، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعا من الإلهية.." (٤)

فالصوفية أخذوا مبدأ العصمة أو الحفظ لشيوخهم وأوليائهم المزعومين ، عن الشيعة، ونهجوا فى غلوهم بشيوخهم منهج الشيعة، وسلكوا مسلكهم فى مخالفة أهل العلم والإيمان كما ذكره شيخ الاسلام رحمه الله . ان هذه العقيدة الخبيثة جعلت الشيعة والصوفية يؤمنون بأن أئمتهم وشيوخهم لا يخطئون ولا يعصون ، بل لا يُتصور وقوع شيء من ذلك منهم ، وجعلت من هؤلاء الأتباع تصديق كل ما يرد عن طواغيتهم،وطاعتهم فى كل ما يأمرونهم به، والايمان بأن كل ما يصدر منهم طاعة ودين ، وإن كان فى ظاهره منكرا وشرا، وهذا ما أراده الطواغيت ، مؤسسوا دين الرفض والتصوف ، وهو إيجاد قاعدة بشرية تذعن كل الإذعان بلا إنكار ولا تردد فى دينهم و مذهبهم .

---

(١) نفس المصدر (٢/٦٦٧) .
(٢) جمهرة الأولياء(١/ ٩٧) .
(٣) جامع كرامات الأولياء(١/ ١٤) .
(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام(١١/ ٦٧) .

روى أبو جعفر الصفار بإسناده الى الباقر قوله: " .... إنما كلف الله الناس ثلاثة: معرفة الائمة، و التسليم لهم فيما يرد عليهم....."، وقوله أيضا: " ... ليس للناس النظر فى أمره، ولا التخير عليه، وإنما أُمروا بالتسليم ". (١)

وروى عنه أيضا : " أما و الله إن أحب أصحابي اليّ وأورعهم وأفقههم، وأكتمهم بحديثنا. وإن أسوأهم عندي حالا ، وأمقتهم اليّ الذى إذا سمع الحديث يُنسب الينا ، ويُروى عنا ، فلم يعقله، ولم يقبله قلبه ، اشمأز منه ، وجحده، وكفر بمن دان به ، وهولا يدرى لعل الحديث من عندنا خرج ، وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجا عن ولايتنا". (٢)

وروى عن سفيان بن السيط قال قلت لأبي عبد الله: " جعلت فداك ، انالرجل ليأتينا من قِبلك، فيخبرنا عنك بالعظيم من الامر، فيضيق بذلك صدورنا، حتى نكذبه . قال فقال أبو عبد الله : أليس عني يحدثكم؟ قال قلت: بلى . قال فيقول :للليل إنه نهار، وللنهار إنه ليل....." وروى عن إمام آخر قوله: " لا تقل لما بلغك عنا، أو نُسب إلينا، هذا باطل، وإن كنت تعرف خلافه، فإنك لا تدرى لم قلنا، وعلي أى وجه وصفه". وروى عن الصادق قوله : " لاتكذبوا بحديث أتاكم به أحد، فإنكم لا تدرون لعله من الحق، فتكذبوا الله فوق عرشه". (٣)

والرافضة قد جعلوا لأئمتهم حق الطاعة المطلقة على الخلق ، أُسوة بالانبياء، فقد بوب الكليني فى الكافي: باب فرض طاعة الائمة، ذكر فيه عدة أحاديث منسوبة الى الائمة المزعومين، منه ما نسبه الى الصادق قوله: " نحن قوم فرض الله طاعتنا..." وقوله : "أُشرك بين الأوصياء والرسل فى الطاعة". وما نسبه الى الرضا قوله: " الناس عبيد لنا فى الطاعة ، مُوالٍ لنا فى الدين، فليبلغ الشاهد الغائب ". وما نسبه الى الصادق قوله : " نحن الذين فرض الله طاعتنا، ولا يسع الناس الا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا ، من عرفنا كان موءمنا، ومن أنكرنا كان كافرا...". (٤)

تمكن أهل الرفض بهذه المرويات من إحكام قبضتهم على الشيعة ، وجعلهم أداة طائعة فى أيديهم كما يشاءون، فلا عقول لهم تفكر فيما يُملى عليها من أصول وعقائد منحرفة ،

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٥٤٣). ورواه الكليني بلفظه فى أصول الكافى (١/٣٩٠).
(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٥٥٧).
(٣) نفس المصدر (ص/٥٥٧-٥٥٨).
(٤) أصول الكافى ، كتاب الحجة، باب فرض طاعة الائمة (١/١٨٦-١٨٧).

ولا اختيار لهم فى هذا الدين المنحرف فضلا عن إنكار شئ وردّه ورفضه خوف الخروج عن ولاية الائمة المزعومين ، وخوف الطرد عن رحمة الائمة وشفاعتهم وجنتهم فى الاخرة.

ولقد سلك الصوفية فى أتباعهم ومريديهم ذات المنهج، لِمَا رأوا فيه من شدة إحكام القبضة على الأتباع، فاخترعوا قصصا وحكايات تحذر من تسول له نفسه الإنكار على الشيوخ أوردّ شيئ من أقوالهم وأوامرهم.

يقول أبو عبد الرحمن السلمي أن شيخه أبا سهل الصعلوكى كان له مجلس لقراءة القرآن، فرفعه وعقد مجلسا للغناء، فداخله من ذلك شيء لاستبداله مجلس الختم بمجلس الغناء. فيقول : فقال لى يوما : " يا أبا عبد الرحمن : أيش يقول الناس لي؟ قلت: يقولون : رفع مجلس القرآن، ووضع مجلس القول، فقال : من قال لأُستاذه: لِمَ؟ لا يفلح أبدا. (١)

ويعلق الإمام الذهبى رحمه الله فيقول : " قلت: ينبغى للمريد أن لا يقول لأُستاذه: لم اذا علمه معصوما لايجوز عليه الخطأ، أما اذا كان الشيخ غير معصوم وكره قول : لِمَ؟ فإنه لا يفلح أبدا... " (٢)

ويقول القشيرى : " سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول :" بدء كل فرقة المخالفة . يعنى : أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته، وانقطعت العلقة بينهما، وان جمعتهما البقعة، فمن صحب شيخا من الشيوخ ، ثم اعترض عليه بقلبه، فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة، على أن الشيوخ قالوا : عقوق الأُستاذين لا توبة عنها". (٣)

فالاعتراض على الشيخ، وإن كان فى القلب من العقوق الذى لا توبه عنه فى دين الصوفية، أي أنه أشد حتى من الإشراك بالله تعالى والكفر بدينه.

ويقول أيضا : " ولم يكن عصر من الأعصار فى مدة الاسلام، إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة، ممن له علوم التوحيد، وإمامة القوم، إلاوأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ، وتواضعوا له، وتبركوا به .... وهذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعي رضي الله عنهما، فجاء شيبان الراعي ، فقال أحمد: أريد أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم. فقال الشافعى: لا تفعل ! فلم يقنع"....

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٦٣٤) . وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٥١) ، واللفظ للذهبي.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/٢٥١) .
(٣) الرسالة القشيرية. باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم (٢/٦٣٣ ــ ٦٣٤)

فيزعم أن أحمد سأله، فأجاب شيبان الصوفي: " فغشي على أحمد، فلما أفاق ، قال له الشافعي: ألم أقل لك لا تحرك هذا ! " ويزعم أن شيبان كان أميا ثم يقول: " فاذا كان حال الأمي منهم هكذا، فما الظن بأئمتهم؟ " (١)

ثم ذكر قصصا أخرى عن مشايخ الصوفية مع الفقهاء والعلماء الذين يستسلمون بزعمه للمشايخ ترويجا لتصوفه ومذهبه • وهذه القصص لا شك أنها من الكذب والوضع الذى اشتهر به المتصوفة ترويجا لبضاعتهم، وهذه هى عمدتهم وعمدة من أعيته الأدلة والنصوص الشرعية•

ويقول بعد جملة من تلك القصص والأكاذيب : " ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لايفلح أبدا• وهذا أبو يزيد يقول : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان " • (٢) غايتهم فى الاستدلال قول لأبي يزيد أو غيره من المنحرفين الذين ضلوا طريق العلم والحق •

ويقول فى ذكر شرط المريد مع شيخه مانصه: "و من شرطه أن لايكون بقلبه اعتراض على شيخه•••• ثم يجب عليه حفظ سره••• إلا عن شيخه، ولو كتم نَفَساً من أنفاسه عن شيخه، فقد خانه فى حق الصحبة، ولو وقعت لمخالفة فيما أشار اليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه فى الوقت ،ثميستسلم لمايحكم به عليه شيخه،عقوبة له علىجنايته ومخالفته، أمابسفر يكلفه،أو أمر مايراه، ولايصح للشيوخ التجاوز عنزلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله•••" (٣)

بمثل هذا الهراء ، وهذه الدعاوى تمكن المنحرفون من استعباد الناس واذلالهم وتسخيرهم لمصالحهم• فالزلات عندهم لايتجاوز عنها، ولابد من تنفيذ العقوبات لأنها فى حق المشايخ • ويزعم القشيرى أن التجاوز فيه تضييع لحقوق الله• والحق أن فيه تضييع لحقوق الشيطان والنفس الخبيثة المنحرفة المتصوفة•

ويقول عبد القادر الجيلانى: "فصل : وأما آدابه مع الشيخ ، فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه فى الظاهر، وترك الاعتراض عليه فى الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه، وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه ، بل يكون خصما على نفسه لشيخه أبدا••

---

(١) نفس المصدر (٢/ ٧٣٢_٧٣٣) •

(٢) المصدرالسابق (٢/ ٧٣٥) •

(٣) المصدر السابق (٢/ ٧٣٦_٧٣٧) •

وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره فى الشرع.... وإن رأى فيه عيبا من العيوب ستره عليه ، ويعود بالتهمة على نفسه، ويتأول للشيخ فى الشرع ، فإن لم يجد له عذرا فى الشرع استغفر للشيخ ودعا له بالتوفيق والعلم والتيقظ والعصمة .... ولا يخبر به أحدا..." ثم يبين أن للشيوخ فى حال تنقلهم من مقام الى آخر، ومن منزلة الى أخرى، حال وفصل ورجوع إلى رخص الشرع وإباحته وترك العزيمة كالدهليز بين الدارين ، والمنزلة بين المنزلتين... على حد تعبيره . ويقول إن من الآداب : " أن يجعله وسيلة وواسطة بينه وبين ربه عز وجل" ثم يبين لمريديه ضرورة الالتزام بالشيوخ فيزعم أن الله عز وجل أجرى العادة بأن يكون فى الأرض شيخ ومريد" ثم يستدل على قوله الذى أراد به الباطل ويبين أن الله تعالى كان مع آدم بعد خلقه كالاستاذ مع التلميذ، وكالشيخ مع المريد. وكذلك الملائكة مع آدم ، وجبريل مع آدم وهكذا مع الأنبياء جميعا حتى ذكر مشايخ الصوفية ثم يقول : فالمشايخ هم الطريق الى الله عز وجل ،والأدلاء عليه، والباب الذى يُدخل منه اليه، فلابد لكل مريد لله عز وجل من شيخ ..." ويقول فى الآداب أيضا : " ويحذر مخالفته جدا، لأن مخالفة الشيوخ سم قاتل، فيها مضرة عامة فلا يخالفه بتصريح ولا بتأويل ..." (١)

ويقول شهاب الدين السهروردي :" فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته، وتأدب بآدابه ، يسرى من باطن الشيخ حال الى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج . وكلام الشيخ يلقح باطن المريد.... ولا يكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من أراده نفسه ، وفني فى الشيخ بترك اختيار نفسه...." (٢)

ويقول :" .... ولبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه، وجميع تصاريفه ، ويحذر الاعتراض على الشيوخ ، فإنه السم القاتل للمريدين، وقل أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح..." (٣)

ويقول :"فالطالب الصادق إذا دخل فى صحبة الشيخ، وسلّم نفسه، صار كالولد الصغير مع الوالد، يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله...." (٤)

ويقول ابن عربى :" يجب على كل مسلم ألا يذم أحدا من أهل البيت، مهما حصلت منه أمور منكرة من ظلم وغيره ، فان هذه تكون كذلك فى ظاهر حكم الشرع ، وإلا فى الحقيقة ليسوا كذلك". ثم يزعم أنه إن صحت محبة المرء لله ولرسوله لأحبهم —

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق (٢/١٦٤ـ١٦٨) .

(٢) عوارف المعارف للسهروردى (ص/٩٣) .

(٣) نفس المصدر (ص/٩٤) .

(٤) المصدر السابق (ص/٩٦) .

ـ أي أهل البيت ـ ورأى كل ما يصدر عنهم مما لا يوافق طبعه، ولا أغراضه، جمال يتنعم به ، ويزعم أن الناس فى حاجة الى أهل البيت. (١) وقد بين حقيقة مراده، وأفصح عن مذهبه المنحرف الذى أشار إليه هنا، حيث زعم أن بعض الأولياء يُسقط الله تعالى عنهم المؤاخذة فى فعل المحرمات التى حرمت على غيرهم ، ولكن إن ظهر منه ما يوجب حدا أقامه عليه علماء الرسوم وأهل الفتوى لأن الله تعالى انما أسقط عنه المؤاخذة فى الآخرة، ولم يُسقط عنه الحد فى الدنيا. واستدل قائلا: " فإنه قال فى أهل بدر ما قد ثبت من إباحة الأفعال لهم .... فالذى يقيم عليه الحد مأجور، وهو نفسه غير مأثوم كالحلّاج، ومن جرى مجراه ...." (٢) هذا هو التصوف وهذا ما يريده أرباب هذا الدين المنحرف، خروج عن حدود الأمر والنهى، وفعل المحرمات واستباحة مطلقة للحرمات باسم الولاية والعصمة والكرامة قبحهم الله وأخزاهم، ثم حثوا المريدين والاتباع ممن قد يكتشفون تلك الجرائم بالستر والكتمان على الشيوخ المزعومين. وهذا لاشك هو الافساد فى دين الله، وبث الفوضى فى حياة الناس ومجتمعاتهم .

ويقول ابن خلدون فى ذكره الشروط التى بها يتوصل المريد ويتمكن من مجاهدة الكشف والاطلاع حيث يحصل له العلم الإلهامى الذى يحصل بالتصفية بزعمه. فيقول: "الشرط الثالث: الاقتداء بشيخ سالك قد خبر المجاهدات ، وقطع طريق الله، وارتفع له الحجاب .. فاذا ظفر بالشيخ فليقلده أمره، وليهتد بأقواله وأفعاله، ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بقائده ، ويلقي نفسه بين يديه كالميت بين يدى الغاسل، ويعلم أن نفعه فى خطأ شيخه ، أكثر من نفعه فى صواب نفسه". (٣)

ويقول ابن عجيبة : " على المريدين تصديق الشيوخ فى كل ما نطقوا به إذ هم ورثة الأنبياء، فهم على قدمهم ، فللأنبياء وحي الأحكام، وللأولياء وحى الإلهام، لأن القلوب اذا صفت عن الأكدار والأغيار، وملئت بالأنوار والأسرار، لا يتجلى فيها إلا الحق ، فاذا نطقوا بشئ من وعد أو وعيد يجب على المريد تصديقه، فاذا دخله تشكيك، أو ترديد فيما وعده الله على لسان نبيه أو شيخه ، قدح ذلك فى نور بصيرته..." (٤)

---

(١) الفتوحات المكية (١/١٩٧ـ١٩٨).

(٢) نفس المصدر (٢/٣٧٠)، وقد تبنى هذه الفكرة الخبيثة من المعاصرين، يوسف بن إسماعيل النبهانى حيث نقل قول ابن عربى فى جامع كرامات الأولياء (١/٣٩).

(٣) شفاء السائل لتهذيب المسائل (ص/٤١).

(٤) إيقاظ أولى الهمم فى شرح الحكم (ص/٢٦ـ٢٧).

ويقول الشعرانى: " فالزم الأدب مع الذاكرين فإنه فى الحقيقة أدب مع الله، فافهم، ولا تكن من الغافلين، فإن وبال ذلك، يرجع عليك فى الدنيا والآخرة بالمقت والطرد، كما هو مشاهد فى أهل الإنكار على الأولياء. وقد قال التاج السبكي :ما رأينا أحدا مبتلى بالإنكار إلا وكانت خاتمته خاتمة سوء....."(١) وقد أكثر الشعرانى من نقل قصص وحكايات تحذر المنكرين والمعترضين، ويذكر ما حصل لهم من أنواع الأمراض والهلاك فى المال والولد والنفس فى كتابه الطبقات فى تراجم شيوخ التصوف ، فذكر فى ترجمة أبي العباس الملثم أنه هدد أحد القضاة بعد كتابته محضرا بتكفيره بسلب إيمانه من قلبه(٢). ودعا على أحد الأمراء المنكرين على الصوفية فصار رقاصا لسوء أدبه واعتقاده ــ على حد قول الشعرانى(٣). وفى ترجمة البدوى ذكر عمن أنكر المولد وما فيه من الفواحش والمحرمات أنه غص بشوكة بقيت فى رقبته تسعة أشهر، وعن آخر أنه سلب القرآن والعلم والإيمان حتى صار لا يدرى شيئا(٤) وذكر عمن أنكر ضريح ابن عربى وجاء ليحرقه أنه خسف به دون القبر بتسعة أذرع فغاب فى الأرض(٥) وغير هذا من القصص والأكاذيب التى يخوف بها عامة الناس، والمريدين ، وقد نقل عن شيخه القرشي قوله: " ما رأينا أحدا قط أنكر على الفقراء وأساء بهم الظن ، إلا ومات على أسوأ حالة" و قوله أيضا: " احتقار الفقراء سبب لارتكاب الرذائل".(٦)

ويلاحظ أن الصوفية فى منهجهم وأسلوبهم لكسب طاعة الأتباع و المريدين ، يلجأون الى التخويف والتهديد بسوء العاقبة والخاتمة فى الدنيا والآخرة، ويعتمدون على القصص والحكايات المكذوبة لما حصل للمنكرين والمعترضين على الشيوخ من العلماء والقضاة والأمراء حتى العوام، ويشددون فى هذا الأمر حتى أن مجرد إساءة الظن بهم أو الاعتراض القلبي عليهم قد يكون مدعاة للنقمة والطرد من رحمة الله تعالى . وهم فى أسلوبهم هذا زادوا على الشيعة الرافضة فى هذا الباب . ولعل السبب أن الصوفية لم ينصوا ويصرحوا بأن طاعة شيوخهم من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، وأن شيوخهم والرسول فى الطاعة سواء وشركاء، ولم يصرحوا بأنهم معصومون كعصمة الأنبياء والرسل، كما فعلت الرافضة ، فلما اختلفوا عن شيوخهم من أهل الرفض فى التصريح بجعل أئمتهم بمنزلة الرسول، وخشوا أن ذلك قد يؤثر فى مقدار طاعة شيوخهم، أو أن يفهم بعض الأتباع أن الحفظ أقل درجة من العصمة فى عدم حصول الذنب والخطأ والعصيان، لجأوا الى هذا الاسلوب ليضمنوا عبودية مريديهم، واستسلامهم لهم فى جميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

---

(١) الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية، بهامش الطبقات (١٢٦/١).
(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى (١٥٧/١).
(٣) نفس المصدر (١٥٨/١).
(٤) المصدر السابق (١٨٧/١).
(٥) المصدر السابق (١٨٨/١).
(٦) المصدر السابق (١٥٩/١).

خامسا : قدرات الأئمة والشيوخ وتصرفهم فى الأكوان

إن من أهم مظاهر الغلو الذى يتميز به الشيعة والصوفية فى تعظيمهم لأئمتهم وشيوخهم هو ماخصوهم به من خصائص الربوبية التى تتمثل فى تصرفهم فى الأكوان، وطاعة الأشياء لهم، وماوصفوهم به من قدرات خارقة تفوق القدرات البشرية، وما زعموه من علمهم باسم الله الأعظم الذى إذا دعوه به أُجابهم ونفّذ رغباتهم ٠

عقد أبو جعفر الصفار أبوابا أكثر فيها من الحكايات والروايات التى تبين غلوهم فى أئمتهم وقدراتهم وتصرفاتهم ٠ قال :" باب من القدرة التى أُعطى النبي والائمة من بعده أن الشجر يطيعهم بإذن الله تبارك وتعالى". وضمنه أحاديث بأمر الائمة فيها الأشجار الميتة أن تعود مخضرة مثمرة وتساقط عليهم من ثمرها، وتفعل الأشجار جميع ما تأمرهم به الائمة٠ (١)

وقال :" باب فى الائمة أنهم يحيون الموتى ويبرءون الأكمة والأبرص باذن الله٠" وضمنه أحاديث على مذهبهم وطريقتهم تبين أحوالا لبعض شيعتهم كأعمى يعود بصيرا بمسحة من الباقر على عينيه، ومن أصيب ببياض فى مفرق رأسه فيمسح عليه الباقر فيبرأ٠ ومسخ الصادق للطائفين حول الكعبة حتى صاروا قردة وخنازير وغير ذلك (٢) ، وفيه حديث أبي حمزة الثمالي يقول لعلي بن الحسين : أسألك جعلت فداك عن ثلاث خصال أنفى عنى التقية ٠قال : فقال : ذلك لك ٠ قلت أسألك عن فلان وفلان٠ قال : فعليهما لعنة الله بلعناته كلها، ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم ٠ ثم قلت: الأئمة يُحيون الموتى، ويبرءون الأكمة والأبرص ، ويمشون على الماء ؟ قال : ما أعطى الله نبيا شيئا قط الا وقد أعطاه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه مالم يكن عندهم ٠٠٠٠ فقد أعطاه أمير المؤمنين ٠٠٠ ثم الحسن والحسين ، ثم من بعد كل إمام إماما الى يوم القيامة مع الزيادة التى تحدث فى كل سنة ، وفى كل شهر ٠٠٠ وفى كل ساعة" ٠ (٣)

هذا دين الشيعة، يلعنون سادات الأمة وصحابة الرسول وأحب الناس إليه ويدّعون محبة رسول الله وأهل بيته٠وفى هذه الرواية الإشارة الى أن ما أُعطي للائمة من المعجزات والكرامات والقدرات أعظم مما أعطى حتى لمحمد صلى الله عليه وسلم ٠

ثم يقول الصفار :" باب فى أن الائمة أحيوا الموتى باذن الله تعالى". وفيه أحاديث وحكايات فى إحياء الصادق لطفل ميت، وبقره ميته ، وإخراج علي لميت من قبره بعد

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى (ص/ ٢٧٣ـ٢٧٧) ٠
(٢) نفس المصدر (ص/ ٢٨٩ـ٢٩٢) ٠
(٣) المصدر السابق (ص/ ٢٨٩ـ٢٩٠) ٠

ركضه لغيره برجله • وغير ذلك من هراء أهل الرفض. (١)

ويقول :" باب فى أن الائمة يزورون الموتى، وأن الموتى يزورونهم" وفيه زيارة علي وأبي بكر لرسول الله بعد موته فى مسجد قباء حيث قضى بزعمهم لعلي على أبي بكر• وعن الصادق أنه أدخل قوما من شيعته على أبيه الباقر فرأوه بعد موته، وقوما آخرين على علي ابن أبي طالب ، وعلى يخاطب الرسول فى قبره فيرد عليه بصوت يسمعه من حضر، ويحتج على أبي بكر وعمر فيحضرهما عند قبر النبى، فيخرج ويقيم عليهما الحجة ثم يعود الى قبره، وجعفر الصادق يخرج بعد موته الى قوم من شيعته يزورهم. (٢) وغير ذلك من الأكاذيب والافتراءات التى إن صحت لاتعدو أن تكون خيالاتشيطانية• و فيه رواية عن جعفر الصادق فيما نسبوه إليه قوله: " يموت من مات منا وليس بميت، ويبقى من بقى منا حجة عليكم" • (٣)

ويقول :" باب فى الائمة انهم يعرفون منطق البهائم ويعرفونهم ويجيبونهم إذا دعوهم وفيه حكايات يخاطب الائمة فيها البهائم والدواب وتخاطبهم" • وذكر عن الباقر أن ذئبا جاءه من رأس جبل حتى انتهى إليه ، فمد عنقه الى أذن الباقر يُسرُّ إليه• ثم قال له الباقر: " إمض ، فقد فعلت، فرجع مهرولا • " ثم سأله أصحابه فقال :"إنه قال لى يا ابن رسول الله، إن زوجتى فى ذلك الجبل، وقد تعسر عليهاولادتها• فادع الله أن يخلصها، ولا يسلط أحدا من نسلي على أحد من شيعتك • قلت: قد فعلت" • (٤)

فهنيئا للشيعة الرافضة ، ولتأمن من افتراس الذئاب والوحوش بمثل هذه الروايات•

ويقول :" باب الائمة أنهم يعرفون منطق المسوخ ويعرفونهم" وفيه عن الصادق أن الوزغ رجس ومسخ ، ويأمر من قتله أن يغتسل• وفيه أن الباقر كان جالسا مع رجل من شيعته يذكرون عثمان، " فاذا وزغ قد قرقر من فوق الحايط، فقال أبو جعفر: أتدري ما يقول؟ قلت: لا ، قال : يقول: لتكفّن عن ذكر عثمان أو لأسبن عليا". (٥) يعنون قبحهم الله أن الوزغ مسخ عن شيعة عثمان، أو أنهم كانوا من أهل السنة والحق ثم مسخهم الله تعالى • هذا هو دين أهل الرفض، وهذه عقولهم ومستوى تفكيرهم •

ويقول :" باب فى الائمة أنهم أعطوا خزائن الأرض" • ذكر فى هذا الباب روايات عن علي بن أبي طالب، وعن الباقر، وعن علي بن موسى الرضا فى إخراجهم الجواهر، والدراهم،

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى (ص/ ٢٩٢ـ٢٩٤) •
(٢) نفس المصدر (ص/ ٢٩٤ـ٣٠٢) •
(٣) المصدر السابق (ص/ ٢٩٥) •
(٤) المصدر السابق (ص/ ٣٧١) •
(٥) المصدر السابق (ص/ ٣٧٣ـ٣٧٤) •

والذهب من باطن الأرض[١] . وروى فيه بإسناده الى جعفر الصادق قال : " لنا خزائن الأرض ومفاتيحها . و لو شئت أن أقول بإحدى رجليّ أخرجي مافيك من الذهب، لأخرجته ، فقال بإحدى رجليه، فخطها فى الأرض خطا ، فانفجرت الأرض ، ثم قال بيده، فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر، فتناولها، فقال : أنظر فيها حسا حسنا، لا تشكّوا. ثم قال : انظر فى الأرض، فإذا سبائك كثيرة، بعضها على بعض يتلألأ ...." [٢]

ويقول : "باب ما أُعطى الائمة من القدرة أن يسيروا فى الأرض" وفيه روايات كثيرة عن سير الأئمة فى الأرض من مشرقها إلى مغربها فى ليله، وفى ساعة . وفيه عن جعفر الصادق أن الامام يقدر " أن يسير فى صباح و احد مسيرة سنة يقطع اثني عشر شمسا، واثني عشر قمرا ، واثني عشر مشرقا، واثني عشر مغربا، واثني عشر برا، واثني عشر بحرا، واثني عشر عالَما ...." [٣] كل شيء فى الخلق والكون يتكون من اثني عشر على عدد أئمتهم ، يريدون تأكيد هذا العدد وإجرائه على كل شيء ، وعنه أيضا قوله: " .... يسير فى ساعة من النهار مسيرة شمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف مثل عالَمكم هذا...." [٤] فى ساعة من نهار يقطع اثني عشر ألف عالَم ، وفى نهار كامل يقطع اثني عشر عالم . ومثل هذا الخلط سائغ فى دين الرفض . وفيه ما رواه عن الصادق قوله: "إن الأوصياء لتطوى لهم الأرض ، ويعلمون ما عند أصحابهم" . [٥]

ويقول : " باب فى الائمة أنهم يُسَيِّرون فى الأرض من شاءوا من أصحابهم بقدرة الله التى أعطاهم" . وفيه روايات تبين أن الائمة قد مكّنوا بعض أصحابهم من السير فى الأرض، ومن رؤية الحوض وآنيته وحور الجنة وشجرها، ومن الشرب من الحوض، ومن السير فى ملكوت السموات والأرض وبلوغ الظُلمة التى سلكها ذو القرنين، و عين الحياة التى شرب منها الخضر، وغير ذلك من غرائب الخلق . [٦]

ويقول : "باب فى قدرة الائمة وما أعطوا من ذلك" . وفيه رواية بإسناده الى جعفر الصادق فيما نسبه إليه يقول : " إن الدنيا تُمَثَّل للإمام فى فلقه الجوز، فما تعرض لشيء

---

(١) المصدر السابق (ص/٣٩٤-٣٩٦) .
(٢) المصدرالسابق (ص/٣٩٤) . ورواه بلفظه مفيد الشيعة محمد بن النعمان فى كتابه الاختصاص (ص/٢٦٩) .
(٣) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٤٢١) .
(٤) نفس المصدر والصفحة .
(٥) نفس المصدر (ص/٤١٨) . ورواه أيضا مفيدهم النعمان فى كتابه الاختصاص (ص/٣١٥-٣١٦) .
(٦) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٤٢٢-٤٣٧) .

منها ، وأنه ليتناولها من أطرافها ، كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء ، مايعزب عنه منها شيء. (١)

وأورد محمد بن النعمان شيخ الشيعة ومفيدهم روايات مسندة الى الائمة فى قدرتهم وتصرفهم فى الأكوان ، منها : ما نسبه الى الصادق الذى ذكر عن علي بن أبي طالب قوله : " لو شئت لرفعت رجلي هذه ، فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام ، فنكسته عن سريره ". (٢)

وروى بإسناده الى عبد الله بن مسعود فيما نسبه اليه قال : أتيت فاطمة فقلت لها : أين بعلك ؟ فقالت : عرج به جبريل الى السماء ، فقلت : فى ماذا ؟ فقالت : إن نفرا من الملائكة تشاجروا . فسألوا حكما من الآدميين ، فأوحى الله تعالى إليهم أن تخيروا . فأختاروا علي بن أبي طالب ". (٣)

ولا أدرى هل كان هذا المعراج فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم أم بعد وفاته؟ ولا أدرى لماذا لم يضرب علي معاوية رغم حرصه على قتله ومقاتلته فى الحروب التى جرت بينهما . كل هذه القدرات والتصرفات التي نسبوها لهم ، لم يستعملوا شيئا منها فى إحقاق الحق ، وإظهار العدل المزعوم ، وإقامة دولتهم وحكومتهم . لقد أتعبوا عليا والائمة بهذه الخصائص ، وحتى جبريل عليه السلام.

وعقد فصلا فى غرائب أحوال الائمة وأفعالهم . ضمنه العديد من الروايات والحكايات والغرائب والعجائب من أحوال الائمة ، وأقوالهم وتصرفاتهم. (٤) . وفيه عن الصادق أن الرعد والبرق من أمر علي. (٥) وعن علي بن الحسين أنه دخل فى أربعة عشر عالَما ، كل عالَم أكبر من الدنيا ثلاث مرات. (٦) وعن جعفر قوله : " إن المؤمن إذا قال لهذه الجبال : أقبلي ، أقبلت . فاذا الجبال أقبلت ، فقال لها : على رسلك ، إني لم أُردك ". (٧)

---

(١) نفس المصدر (ص/٤٢٨) ، ورواها أيضا المفيد فى الاختصاص(ص/٢١٧) .
(٢) الاختصاص(ص/٢١٢ـ٢١٣) .
(٣) نفس المصدر(ص/٢١٣) .
(٤) المصدر السابق (ص/٣٢٠ـ٣٢٧) .
(٥) المصدر السابق (ص/٣٢٧) .
(٦) المصدر السابق (ص/٣٢٠) .
(٧) المصدر السابق (ص/٣٢٥) .

في مرويات أبي جعفر الصفار أن العوالم التى دخلها الأئمة اثنا عشر عالَما، وفي مرويات مفيدهم أنها أربعة عشر عالَما، وقد روى أيضا مثل روايات الصفار وعد العوالم اثنى عشر عالَما، واثنى عشر ألف عالم. كل هذا ولا تناقض ولا اختلاف فى رواياتهم فى مذهبهم ودينهم، لأن عقولهم تقبل كل شيء.

وروى شيخ الطائفة الشيعية أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي بإسناده الى الباقر قال: " لما خرج أمير المؤمنين الى النهروان، وطعنوا فى أرض بابل، حين دخل وقت العصر، فلم يقطعوها حتى غابت الشمس، فنزل الناس يمينا وشمالا يصلون، إلا الأشتر وحده، فإنه قال: لا أصلى حتى أرى أمير المؤمنين ... فلما نزل قال: يا مالك، هذه أرض سبخة، ولا تحل الصلاة فيها، فمن كان صلى فليُعِدُ الصلاة. ثم قال: استقبل القبلة فتكلم بثلاث كلمات، ماهن بالعربية، ولا بالفارسية، فإذا هو بالشمس بيضاء نقية، حتى إذا صلى بنا، سمعنا لها حين انقضت جريرا كجرير المنشار". (١)

ويقول إمامهم الخميني: إن الله تعالى أيد أنبياءه وأولياءه بالمعجزات والكرامات، وهى "فروع إظهار الربوبية، والقدرة، والسلطنة، والولاية فى العوالم العالية، والسافلة ". ولكنهم رغم جعل الله هذه الربوبية فى أيديهم، إلا أنهم يأبون إظهارها إلاعند الضرورة، وذلك" لقوة سلوكهم، وطهارة نفوسهم، وعدم ظهورهم بالربوبية التى هى شأن الرب المطلق مع أن هيولي عالم الإمكان مسخرة تحت يدي الولي يقلبها كيف يشاء." ثم يستدل على كفره هذا بما نسبه الى رسول الله فيما يرويه عن ربه مخاطبا أهل الجنة: " من الحي القيوم الذى لايموت، الى الحى القيوم الذى لا يموت، أما بعد: فإني أقول للشيء كن فيكون، وقد جعلتك تقول للشيء: كن فيكون، " فقال صلى الله عليه وسلم: " فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء: كن، إلا ويكون" (٢) ويقول أيضا: " إن العالم بجميع أجزائه وجزئياته، من القوى العلامة و العمالة للولي الكامل. (٣)

ويقول فى تعريف الولى ما نصه: " فإن الولاية هى القرب أو المحبوبية، أوالتصرف، أوالربوبية، أوالنيابة ...." (٤)

ويقول أيضا: "إن للامام مقاما محمودا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ..." (٥)

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي (٢/٢٨٤).
(٢) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية (ص/٩٠-٩٢).
(٣) نفس المصدر (ص/١٣٠).
(٤) المصدر السابق (ص/٥٧).
(٥) الحكومة الاسلامية (ص/٥٢).

ويقول أيضا : إن الحق تعالى ينفذ إرادة صاحب هذا القلب فى العوالم الغيبية، ويجعله مثلا أعلى لنفسه ، فكما أنه تعالى وتقدس يُوجِدُ كل ماأراد بمجرد الارادة، يجعل إرادة هذا العبد أيضاكذلك · كما رواه بعض أهل المعرفقن النبي"، ثم ذكر النص المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم والمذكور آنفا ". (١)

هذا بالنسبة لغلو الشيعة فى أئمتهم، وأما الصوفية فقد فاقوا أساتذتهم فى هذا الباب :

يقول أبو طالب المكي: " قال بعض العلماء: من طوى أربعين يومامن الطعام ، ظهرت له قدرة من الملكوت". (٢) ورفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نسبه إليه· "إلبسوا الصوف ، وشمروا ، وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء" ونسب الى عيسى عليه السلام قوله: " أجيعوا أكبادكم ، واعروا أجسادكم ، لعل قلوبكم ترى الله عز وجل ". (٣)

يتطلع الصوفية دائما الى التمكن من القدرات الخارقة، والخروج عن مستوى البشرية، والدخول فى عالم الملكوت، ويجعلون ذلك أسمى أهدافهم وغاية خلقهم وإيجادهم· ويسلكون فى سبيل بلوغ غايتهم كل مسلك ، مهما خالف شرع الله تعالى ، وابتعد عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم· فأبو طالب المكي يجعل من الجوع سبيلا لبلوغ هدف المتصوفة فى الدخول فى الملكوت، والخروج عن الغاية التى خلقهم الله تعالى من أجلها وهى العبودية و الطاعة، و الدخول فى خصائص وصفات الربوبية من تصرف وقدرات فى الكون، ولتأكيد عبادة الجوع ،وإنها من أعظم الطاعات يقول : روينا فى حديث أسامة بن زيد وأبي يزيد الطويل : " إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه و عطشه وحزنه فى الدنيا····" (٤) ونسب الى عائشة قولها : " إن أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشبع····" (٥)

وذكر أبو نعيم الأصبهانى فى ترجمة ابراهيم بن أدهم أنه قطف الرُطب من شجر البلوط • وأمر بمائدة لإفطاره فنزلت من السماء، وروى عنه بإسناده إليه قوله: " لو أن وليا

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة (ص/ ٧٢) ·
(٢) قوت القلوب (٢/ ١٦٦) ·
(٣) نفس المصدر (٢/ ١٦٧) ·
(٤) المصدر السابق (٢/ ١٦٥) ·
(٥) المصدر السابق (٢/ ١٦٨) ·

من أولياء الله قال للجبل زل لزال ، قال : فتحرك الجبل من تحته، فضربه برجله فقال : أسكن ، وإنما ضربتك مثلا لأصحابى" .(١)

وذكر عن ابراهيم الهروى ـ وهو من أصحاب ابن أدهم، وأقران أبي يزيد ـ قوله : ....لو أقسمت على الله أن يجعل هذا الشجر ذهبا لجعله.." (٢)

وروى القشيرى بإسناده الى أبي الحسن البصري قال : " كان بعبادان رجل أسود فقير ، يأوى الى الخرابات ، فحملت شيئا وطلبته ، فلما وقعت عينه عليّ تبسم، وأشار الى الأرض ، فرأيت الأرض كلها ذهبا يلمع ...." (٣)

وذكر عن الفضيل بن عياض أنه كان على جبل من جبال منى فقال : " لوأن وليا من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد. قال : فتحرك الجبل ، فقال : اسكن ، لم أردك بهذا ، فسكن الجبل " .(٤)

وذكر عن أبى جعفر الأعور قال : كنت عند ذي النون المصرى، فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء، فقال ذو النون : من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت، ثم يرجع مكانه فيفعل . قال : فدار السرير.... وعاد الى مكانه، وكان هناك شاب ، فأخذ يبكى حتى مات فى الوقت" .(٥)

وذكر عن ابراهيم بن أدهم أنه كان يعمل فى بستان ، فأخذه النوم ، فنام ، فإذا حيّة عظيمة في فيها طاقة نرجس تروحه بها .(٦) وذكر عمن يمشي على الماء(٧) . وعن الجنيد أنه قال عن فقير قال لاسطوانة وأمرها أن يتحول نصفها الى ذهب، ونصفها الآخر الى فضة، فكانت.(٨) وعن عبد الواحد بن زيد الذى أخذ حصى من الأرض فصارت فى يده ذهبا .(٩) وغير ذلك من الروايات الكثيرة فى هذا المعنى. و قال فى آخر هذه الروايات المزعومة ما نصه : " واعلم أن الحكايات فى هذا الباب تربو على الحصر...." (١٠)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/٣ـ٤) .
(٢) نفس المصدر (١٠/٤٣) .
(٣) الرسالة القشيرية (٢/٦٧٥) .
(٤) نفس المصدر (٢/٦٨٧) .
(٥) المصدر السابق (٢/٦٨٨) .
(٦) الرسالة القشيرية (٢/٦٨٩) .
(٧) نفس المصدر (٢/٦٩٠) .
(٨) نفس المصدر والصفحة .
(٩) المصدر السابق (٢/٦٩٩) .
(١٠) المصدر السابق (٢/٧١٣) .

ويقول ابن‌عربى: " ثم اعلم أن رجال الله على أربع مراتب: رجال لهم الظاهر، ورجال لهم الباطن، ورجال لهم الحد ، ورجال لهم المطلع٠٠٠ فرجال الظاهر هم الذين لهم التصرف فى عالم الملك والشهادة " ثم يذكر أن شيخه أبا السعود بن الشبل البغدادي من رجال هذه الطبقة وأنه أُعطى التصرف منذ خمس عشرة سنة ، ولكنه تركه حيث يقول: " نحن تركنا الحق يتصرف لنا". ويعلق ابن عربى أنه امتثل قول الله تعالى: " فاتخذه وكيلا " (١) أى أن شيخه اتخذ الله تعالى وكيلا عنه يتصرف له فى عالم الملك والشهادة٠ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ٠

ثم يقول: "وأما رجال الباطن، فهم الذين لهم التصرف فى عالم الغيب والملكوت"٠ ويقول: " وأما رجال الحد، فهم الذين لهم التصرف فى عالم الأرواح النارية، عالم البرزخ والجبروت"٠ ويقول: " وأما رجال المطلع، فهم الذين لهم التصرف فى الأسماء الإلهية٠٠" (٢) ويقول موضحا حال شيخه أبي السعود أنه ترك التصرف لأنه رضى بالله كيلا٠ ثم يزعم أن الله تعالى خاطبه فى سره: " من اتخذنى وكيلا ، فقد ولّاني ، ومن ولّاني فله مطالبتى ، وعليّ إقامة الحساب فيما ولّانى "٠ ثم يعلق : " فانعكس الأمر، وتبدلت المراتب " (٣) هذه عقيدتهم، وهذا دينهم ، كفر وزندقة و جرأة على الله تعالى ٠

ويقول فى تأويل " بسم الله" ،فيزعم أن قول بسم الله للعبد فى التكوين ، بمنزلة قول الحق كن، فببسم الله يتكون عن بعض الناس ما شاءوا ٠ واستشهد بقول الحلّاج إمامه وقدوته وحجته ، : " بسم الله من العبد، بمنزلة كن من الحق ٠٠٠"، ولهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد، التشبه بالاله ، وتقول الصوفية: إن الغاية، التخلق بالاسماء، فاختلفت العبارات وتوحد المعنى ٠٠٠٠" (٤)

هكذا يفصح بكل وقاحة عن غايتهم التى ينشدونها، وهى بلوغهم مرتبة الربوبية والخروج عن منازل العبودية التى خلقهم الله تعالى لها٠

ويقول موضحا هذا الكفر:" الباب الأحد والستون وثلاثمائة فى معرفة منزلة الاشتراك مع الحق فى التقدير"٠ يقول: "٠٠٠٠ لم يرد فى مخلوق أنه أُعطى" كن" سوى الانسان خاصة، فظهر ذلك فى وقت النبى فى غزوة تبوك فقال: " كن أبا ذر، فكان٠ وورد الخبر فى أهل الجنة أن الملَك يأتي إليهم بكتاب فيه: من الحى القيوم الذى لا يموت٠٠ الحدث٠ (٥)

---

(١) سورة المزمل/ ٩٠

(٢) الفتوحات المكية (١/ ١٨٧ـ١٨٨) ٠

(٣) نفس المصدر (٢/ ٣٧٠ـ٣٧١) ٠

(٤) المصدر السابق (٢/ ١٢٥ـ١٢٦) ٠

(٥) نفس المصدر (٣/ ٣٩٥) ، والحديث تقدم فى ص / ٣١٩٠

هكذا يحرفون الكلم عن مواضعه، فيستشهد بقول النبي" كن أبا ذر" على أنه خلق وتقدير، وأنه من باب الاشتراك مع الحق فى التقدير. ويعلم أهل الايمان أن قول الرسول لا يعدو كونهرجاء وطلباً من الله تعالى . ولكن الصوفية هذا دأبهم ومنهجهم فى إثبات دينهم ومذهبهم وفسادهم.

ويتضح التوافق بين مذهب الصوفية والشيعة كما نقله عنهم الخميني فيما تقدم. ويقول ابن عربى أيضاكاشفا عن زندقته و إلحاده: " والعارف يخلق بالهمة ما يكون له وجود من خارج محل الهمة ، ولكن لا تزال الهمة تحفظه ، .... فمتى طرأ على العارف غفلة عن حفظ ما خلق عدم ذلك المخلوق". ثم يقول: " وقد أوضحت هنا سرا لم يزل أهل الله يغارون على مثل هذا أن يظهر لمافيه من رد دعواهم أنهم الحق ، فإن الحق لايغفل ، والعبد لابد له أن يغفل عن شيء دون شيء. فمن حيث الحفظ لما خلق له أن يقول "أنا الحق" ،ولكن ما حفظه له حفظ الحق، وقد بينا الفرق. ومن حيث ما غفل.... فقد تميز العبد من الحق.... وهذه مسألة أخبرت أنه ماسطرها أحد فى كتاب لا أنا ولا غيرى إلا فى هذا الكتاب ، فهى يتيمة الدهر وفريدته، فإياك أن تغفل عنها... ولايعرف ما قلناه إلا من كان قرآنا فى نفسه ، فان المتقى يجعل الله له فرقانا، وهو مثل ما ذكرناه فى هذه المسألة فيما يتميز به العبد من الرب، وهذا أرفع فرقان . ثم أنشد:

فوقتا يكون العبد ربا بلا شك ... ووقتا يكون العبد عبدا بلا إفك

فإن كان عبدا كان بالحق واسعا ... وإن كان ربا كان فى عيشة ضنك

فمن كونه عبدا يرى عين نفسه ... وتتسع الآمال منه بلا شك

ومن كونه ربا يرى الخلق كله ... يطالبه من حضرة المُلْك والمَلَك

ويعجز عما طالبوه بذاته ... لذا ترى بعض العارفين يبكى" (١)

هذا الذى مازال الصوفية يقدسونهويعظمونه، ويلقبونه بالشيخ الأكبر ، وغير ذلك من ألقاب التبجيل، ولم يترك من أثر أو علم سوى الكفر والإلحاد وهراء الصوفية ودعاواهم ، فهو يزعم أنه أوضح هنا سرا، وهو فى حقيقته كفر، ثم يزعم أن الصوفية تغار على هذا السر لكونه يبطل دعواهم أنهم الحق، لأنه بزعمه كشف عن فرّق بين الخلق وبين الحق. وما كشفه وبينه هو الفارق بين الحق والخلق، وما علموا فرقا سوى ذلك، قبحهم الله،

---

(١) فصوص الحكم، فص حكمه حقية فى كلمة إسحاقية، شرح الفصوص (ص/ ٩٩-١٠٣) .

وكما هو دأبهم يحيط ضلاله بأوصاف ليزّين بها الباطل، ويرّوج بها دينه وكفره فيزعم أنها يتيمة الدهر، وهى عين الكفر والضلال والعياذ بالله ٠

وأما الشعراني فقد أكثر من ذكر حكايات تصرف شيوخ الصوفية، ووصفهم بأنهم أصحاب التصريف، فى طبقاته التى ملأها بالظلم، والظلمات٠

فذكر عن عثمان بن مرزوق القرشي، تصرفه بماء النيل نقصا وزيادة [١]، وانتقاله من مصر الى مكة، ثم الى المدينة، ثم الى القدس، ثم عودته الى مصر، وقد رافقه خادمه فى هذه الأسفار التى لم تزد على بعض ساعات من الليل ٠ [٢] وذكر أنه كان يتفل فى أفواه مريديه، والتفلة الواحدة كانت بمثابة دورة فى اللغات فالأعجمى يتكلم العربية وكأنها لغته ، ثم بتفله أخرى يرجع كما كان الى لغته٠ [٣]

وذكر عن حياة ابن قيس الحرّاني أنه "صاحب الفتح السَني، والكشف الجلي ، وهو أحد الأربعة الذين يتصرفون فى قبورهم بأرض العراق" ٠ [٤]

وفى ترجمة شيخه وسيده محمد وفا الشاذلي، قال إنه كان يقول : " العارف يتلون فى اليوم والليلة مائة مرة، والعابد يقيم على حالة واحدة كذا وكذا سنة، وذلك لأن العارف مائل الى دائرة التصريف، والعابد مائل الى دائرة التكليف" ٠ [٥]

وذكر عن سيده عبد العزيز الدرينى أنه أحيا فرخة ذُبحت وُطبخت وُقدمت له، فأحياها بقوله : هش لأن زوجةً ضيفةً تشوشت على الفرخة٠ [٦]

وفى ترجمة سيده يوسف العجمي الكوراني ذكر أنه أمر مملوكا عنده أن يقول للاسطوانه كونى ذهبا ، فصارت ذهبا ٠٠٠٠ " [٧]

وفى ترجمة سيدأبى بكر الدقدوسي قال : "إنه من أصحاب التصريف النافذ ،وكانت الأعيان ُتقلب له" ٠ وذكر أنه كان يقترض الأموال ، فإذا طلبها أصحابها يعد لهم من الحصى

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٥١) ٠
(٢) المصدر نفسه (١/ ١٥١) ٠
(٣) المصدر السابق (١/ ١٥٢) ٠
(٤) المصدر السابق (١/ ١٥٣) ٠
(٥) المصدر السابق (١/ ٢٠١) ٠
(٦) المصدر السابق (١/ ٢٠٣) ٠
(٧) المصدر السابق (٢/ ٦٦) ٠

بقدر الدين ويرسلها الى أصحاب الدبون، فتنقلب دنانيرا وذهبا." (١)

وذكر عن سيده وشيخه محمد بن أحمد الفرغل قال: "كان من الرجال المتمكيـن أصحاب التصريف" وذكر أن امرأة اشتهت الجوز الهندي فقال للنقيب ادخل الخلوة فوجـد شجرة جوز فقطع منها . وذكر أن تمساحاخطف طفلة، فقال للنقيب اذهب الى مكانه ونـاد "يا تمساح كلم الفرغل" ،فخرج التمساح من البحر كالمركب يمشي، والخلق بين يديه يمينـا وشمالا الى أن وقف على باب الدار. فأمر الشيخ الحداد أن يقلع أسنانه، وأمره بلفظها مـن بطنه، فلفظ البنتَ حيةً مدهوشة، وأخذ على التمساح العهد أن لايعود يخطف أحدا مـن بلده ، مادام يعيش ،ورجع التمساح ، ودموعه تسيل حتى نزل البحر. وذكر عنه أنه كـان يقول: "كثيرا ما كنت أمشي بين يدى الله تعالى تحت العرش، وقال لي كذا، وقلت لـه كذا..." (٢)

وذكر في ترجمة سيده ابراهيم المتبولى أنه" كان من أصحاب الدوائر الكبرى فـي الولاية، ولم يكن له شيخ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم". (٣) وقال إنه" رأى يومـا شخصا كثير العبادة والأعمال الصالحة، فقال له : ياولدى مالى أراك كثير العبادة، ناقـص الدرجة، لعل والدك غير راض عنك ، فقال: نعم . فقال: تعرف قبره. فقال : نعم. فقال: اذهب بنا الى قبره لعله يرضى . قال الشيخ يوسف الكردي: فوالله لقد رأيت والـده خرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ.فلما استوى قائما قال الشيـخ: الفقراء جاءوا شافعين، تُطيّب خاطرك على ولدك هذا. فقال: أُشهدكم أني قد رضيت عنـه . فقال: ارجع الى مكانك، فرجع " . وذكر عنه أنه كان يقبض على لحيته ويقول: ياما تقاسي مصر بعد هذه اللحية، أنا أمان لها ...." (٤) هذا بعض ما زعمه الشعراني لشيوخـه وشيوخ الصوفية عامة، وبعض ما ملأ به كتابه الطبقات الذى شحنه بأنواع الغلو فى تعظيـم التصوف ورجاله حيث خصصه لتراجمهم ، وذكرِ أحوالهم، و علومهم . ولم ينس الشعرانـي نفسه ، فقد ألف كتابا يقع في ضعفي حجم الطبقات ، خصصه لذكر كراماته هو وأحوالـه وصوفياته، وسماه: "لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطـلاق" أو: "المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى". مشيرا الى أنه سطر ما فيه من باب التحـدث

---

(١) المصدر السابق (١٠٥/٢) .
(٢) المصدرالسابق (١٠٤/٢) .
(٣) المصدر السابق (٨٣/٢) .
(٤) المصدر السابق (٨٥/٢) .

بنعمة الله، وأنه واجب . و عند ذكر كل نعمة يقول : " ومما أنعمَ ، أو مَنَّ، الله تبارك وتعالى به عليَّ "...،ثم يذكر مايزعمه نعمةً أو كرامةً أو حالا من أحواله الخاصة.

ومما ذكره: " ومما من الله تبارك وتعالى به عليَّ كشف الحجاب حتى سمعت تسبيح الجمادات والحيوانات من البهائم وغيرها.... أسمع من يتكلم فى أطراف مصر ، ثم اتسع الى قراها ، ثم الى سائر أقاليم الأرض، ثم البحر المحيط فصرت أسمع تسبيح السمك ..." (١)
ويقول : " ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ الاطِّلاع على بعض المنعمين ،و المعذبين فى قبورهم...." (٢)

وأماعبد الكريم الجيلي فإنه بعد ذكره لداود وسليمان عليهما السلام ، وما اختُصوا به من معجزات وقدرات قال : "وهذا الأمر الذى جعله الله لداود وسليمان عليهما السلام ، غير محصور فيهما ، ولامقصور عليهما ، وإنما هو أمر عام فى جميع الخلفاء ، أعني الخلافة الكبرى. وما اختُص داود وسليمان إلا بظهور ذلك ، والتحدى به، والا فكل واحد من الأفراد، والأقطاب له التصرف فى جميع المملكة الوجودية، ويعلم كل واحد منهم ما اختلج فى الليل والنهار، فضلاعن لغات الطيور . وقد قال الشبلي: لو دبت نملة سوداء ، على صخرة صماء، فى ليلة ظلماء ، ولم أسمعها، لقلت إني مخدوع، أو ممكور بي . وقال غيره : لا أقول ، ولم أشعر بها، لأنه لا يتهيأ لها أن تدب إلا بقوتي ، وأنا محركها ، فكيف أقول : لا أشعر بها وأنا محركها؟...." (٣)

الحاصل أن الصوفية ربما فاقوا الشيعة فيما أضافوه الى شيوخهم وأوليائهم، وأساطينهم من القدرات و التصرفات الخارقة للعادة. وإنمما يناسب هذا الباب ، مما اتفق عليه الفريقان معرفة الاسم الأعظم، تلك المعرفة التى جعلوا منها أسطورة خيالية توافق مناهجهم، وأساليبهم ، ودعاواهم فى باب الكرامات والفضائل.

يقول الكليني : " باب ماأُعطي الأئمة من اسم الله الأعظم" وفيه عن الباقر مما نسبه إليه بروايته عنه بإسناده اليه قال : " إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا. وإنما كان عند آصف منها حرف واحد.... ونحن عندنا من الاسم الأعظم ، اثنان وسبعون

---

(١) لطائف المنن والأخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق (١٧٦/١).

(٢) نفس المصدر (٨٢/١).

(٣) الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل (١٢٢/١).

حرفا ، وحرف واحد عند الله تعالى ، استأثر به فى علم الغيب عنده٠٠٠٠٠ "(١)

وروى باسناده الى الصادق قال : " إن عيسى بن مريم أُعطي حرفين٠٠٠ وأُعطي موسى أربعة أحرف ، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف ، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفا ، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفا٠٠٠٠ ، و أُعطي محمد اثنين وسبعين حرفا٠٠٠٠ "(٢)

وروى محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي باسناده الى الباقر فى حديث ارتداد الصحابة المشهور فى دين أهل الرفض، قال : " ٠٠٠٠ إن عند أمير المؤمنين اسم الله الأعظم ، لو تكلم به لأخذتهم الأرض ٠٠٠٠ "(٣)

وروى أيضا بإسناده الى الصادق قال : " سلمان علم الاسم الأعظم "٠(٤)

فالرافضة تزعم أن الله تعالى مَكّن عليا من إقامة الحق وإظهاره ، ودحر الباطل وأهله بزعمهم ، ثم هو لم يفعل٠ زعموا أنه أوتي القدرة أن يقول برجله هكذا ، وهو فى الكوفة، فيضرب بها صدر معاوية ويسقطه من على سريره وهو بالشام٠ وهُهنا يزعمون أنه علم الاسم الذى لو تكلم به لأخذت الأرض أعداءه بزعم أهل الرفض ٠ فالله تعالى مكّنه وآتاه القوة التى تمكّنه من إظهار دينه الحق ، ثم هو لم يفعل٠ أن هذا لو صح يا أهل الرفض ، ويا أشباه الرجال ، لكان طعناً فى علي بن أبي طالب ، وتواطؤ منه فى عدم إقامة دينكم المزعوم والموصوف عندكم بأنه الحق ، والدين الذى أراده الله تعالى٠

ويقول الخمينى : " إعلم هداك الله الى الاسم الأعظم ، وعلمك ما لم تكن تعلم، أن لله تبارك وتعالى اسما أعظم، إذا دُعى به عن مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت ، وإذا دعى به على مضايق أبواب الأرض للفرج انفرجت ٠٠٠ "(٥) ثم ذكر ما روي عن الباقر والصادق ، مما رواهما عنهما الكليني كما تقدم٠

وكما ادعت الرافضة معرفة أئمتهم ، وغيرهم بهذا الاسم على هذا النحو المزعوم ، ادعت الصوفية ذلك لمشايخها وأوليائها ٠

فذكر أبو نعيم الأصبهانى عن ابراهيم بن أدهم أنه التقى برجل أثناء سياحته بين الكوفة ومكة، وصحبه مدة ورأى من كراماته وعجائبه ما رأى٠" ثم ذكر أنه علمه اسم الله

---

(١) أصول الكافى(١ / ٢٣٠) ٠
(٢) نفس المصدر والصفحة٠
(٣) اختيار معرفة الرجال ، المعروف برجال الكشي(ص/ ١١) ٠
(٤) نفس المصدر (ص/ ١٣) ٠
(٥) شرح دعاء السحر للخميني(ص/ ٨٥) ٠

الأعظم، فسأله شيخ: وما هو ؟ فقال ابراهيم: إنه لكبير في قلبي أن أُنطق به لساني. فإني سألت الله مرة، وإذا برجل يحجزني، فقال : سَلْ تعطه. فراعني ذلك، وفزعت منه فزعا شديدا. فقال : لابأس ، ولاروع، أنا أخوك الخضر ، فقال إن أخي داود علمك اسم الله الأعظم ..." وداود هو البلخي، وصفه أبو نعيم بأنه من متقدمي شيوخ المشرق.(١)

وروى أبو نعيم بإسناده الى يوسف بن الحسين قال: "بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم، فخرجت من مكة قاصدا إليه..."(٢)

وذكر عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يعرف الاسم الأعظم أيضا.(٣)

وذكر ابن عربي الاسم الأعظم فقال: " بالاسم الأعظم أحيا أبو يزيد البسطامي نملة وأحيا به ذو النون ابن المرأة الذى ابتلعه التمساح...."(٤)

ويقول الشعراني: " ومما من الله تبارك وتعالى به على معرفتي باسم الله الأعظم، الذى إذا دُعي به أجاب .... ولايطلع أحد عليه إلا من طريق الكشف..."(٥)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٤٤-٤٥).
(٢) نفس المصدر (٩/ ٣٨٦).
(٣) المصدر السابق (١٠/ ٣٩).
(٤) الفتوحات المكية (٣/ ٣٢٩).
(٥) لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق- المسمى بالمنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى (٢/ ١٦٦).

سادسا : كرامات الأئمة والشيوخ ومعجزاتهم

لقد جعل الرافضة لأئمتهم فى دينهم، كل ما جعله الله تعالى للأنبياء والمرسلين ، وخصوهم بكل ما خصه الله تعالى من خصائص وأحوال للأنبياء والمرسلين ، ولم يكتفوا بهذا ، بل زعموا أن منزلة الإمامة أعظم قدرًا من منزلة الأنبياء و المرسلين ، ولقد تقدم ذكر جملة من مظاهر غلوهم بأئمتهم فى ثنايا هذه الرسالة.

لقد بوب أئمة الرفض أبوابا فى أن الأئمة ورثوا علم النبي، وجميع الأنبياء والأوصياء(١) وأبوابا فى الأئمة أنهم ورثوا جميع الكتب التى نزلت من عند الله كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم(٢) . وأبوابا فى الأئمة وما ورثوه من سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآيات الأنبياء ، مثل عصى موسى وألواحه ، وحجره ، وقميص آدم، وخاتم سليمان ، والطست ، والتابوت، والألواح ،وثوب ابراهيم الذى نزل به جبريل من الجنة، و ألبسه إياه قبيل القائه فى النار لئلا تضره ، بزعمهم ، وأن ذلك كله صار الى أئمتهم، يتوارثونه حتى يقوم قائمهم المزعوم.(٣) وأبوابا فى أن الأعمال كما تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ، تعرض كذلك على أئمتهم، مستدلين على دعواهم بقول الله تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " زاعمين بأن المراد بالمؤمنين فى هذه الآية : أئمتهم المزعومين .(٤) وبوب أبو جعفر الصفار بأن الأعمال تُعرض على جميع الأئمة ، الأحياء منهم والأموات(٥) . وأن الامام يرى ما بين المشرق والمغرب .(٦) وأن الامام يرفع له فى كل بلد منار ينظر فيه الى أعمال العباد(٧) . وقد تقدم ذكر القدرات والمعجزات التى وصفوا بها أئمتهم من إحياء الموتى وإبراء المرضى ، ومعرفتهم نطق الطيور والبهائم والمسوخ ، وزيارتهم للموتى، ومعرفة أحوال أهل القبور، وحتى زيارة الموتى لهم ، حتى بوب أبو جعفر الصفار فى الأئمة أنه عُرض عليهم ملكوت السموات والأرض كما عُرض على رسول الله حتى نظروا الى ما فوق العرش.(٨)

الحاصل أنهم بلغوا الذروة فى غلوهم بأئمتهم حتى أنهم لم يتركوا شيئا مما كان

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى (ص/١٣٨) ،وأصول الكافى(١/٢٢٣) .

(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص/١٥٥) ، وأصول الكافى(١/٢٢٧) .

(٣) بصائر الدرجات الكبرى (ص/١٩٤) ، وأصول الكافى(١/٢٣١-٢٣٢) .

(٤) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٤٤٤) ، وأصول الكافى(١/٢١٩-٢٢٠) .

(٥) بصائر الدرجات الكبرى (ص/٤٤٧) .

(٦) نفس المصدر (ص/٤٥٤) .

(٧) المصدر السابق (ص/٤٥٥) .

(٨) المصدر السابق (ص/١٢٦) .

فى الأنبياء والمرسلين، وحتى الملائكة ، إلاجعلوها لأئمتهم ، وزادوا على ذلك بما اخترعوه واصطنعوه لهم فى باب الفضائل والخصائص والمعجزات. وأن هذا الغلو والكذب حمل الشيعة قاطبة على الايمان بأن الائمة أعلى مقاما من الانبياء والمرسلين ، وأعظم درجة، وأسمى مكانة منهم ، وأن ماأوتوه من العلم والفضل ، والقدرات والمعجزات، يفوق ما أتاه الله تعالى للأنبياء والمرسلين .

إن هذا الغلو هو الذى جعل أئمة الرفض ينصُّون على أن أئمتهم أوتوا المعجزات، وترفعوا عن وصف ما نسبوه إليهم من خوارق العادات بالكرامات، إيمانا منهم بأن ما خُص به الانبياء يستحقه أئمتهم وزيادة .

فهذا شيخهم ومفيدهم محمد بن النعمان نصَّ فى كتابه الذى جمع فيه خصائص الائمة وغرائب قدراتهم وأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم فقال معنونا: "معجزة لأمير المؤمنين". (١) وقال: "معجزةلأمير المؤمنين فى مسيره الى كربلاء". (٢) وقال: "معجزة لأبى عبد الله الصادق". (٣) وقال: "معجزة لعلي بن موسى الرضا". (٤) وهكذا حتى عد أكثر الائمة ، ووصف مانسبه إليهم من خوارق بالمعجزات.

ويقول شيخهم ومفيدهم محمد بن النعمان فى بيان عقائدهم وأصولهم: "القول فى الإيحاء الى الائمة وظهور الاعلام عليهم والمعجزات. أقول: إن العقل لا يمنع من نزول الوحي إليهم، وان كانوا أئمة غير أنبياء...... وأما ظهور المعجزات على الائمة ،والاعلام، فإنه من الممكن الذى ليس بواجب عقلا، ولا ممتنع قياسا ، وقد جاءت بكونه منهم الأخبار على التظاهر والانتشار، فقطعت عليه من جهة السمع، وصحيح الاثار، ومعي فى هذا الباب جمهور أهل الإمامية". (٥)

ثم قال: " القول فى ظهور المعجزات على المنصوبين من الخاصة والسفراء والأبواب." (٦) توسعوا فى إضافة المعجزات حتى إلى من نصبهم أئمتهم المزعومون من

---

(١) الاختصاص (ص/٢١٢).
(٢) نفس المصدر (ص/٢١٩).
(٣) المصدر السابق (ص/٢٤٦).
(٤) المصدر السابق (ص/٢٧٠).
(٥) أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات(ص/٧٥ـ٧٦).
(٦) نفس المصدر (ص/٧٦).

السفراء والوزراء أثناء الغيبة الصغرى التى جعلوها لمنتظرهم حين زعموا أنه اختفى خشية القتل رغم مازعموه له من القدرات والخوارق ، ورغم اعتقادهم بأنه لا يموت إلا باختياره ، وأنه يعلم متى يموت. ثم لمّا رأوا أن الفوضى طمت وعمت فى دينهم ومذهبهم اخترعوا عقيدة الغيبة الكبرى ليضعوا حدا للدعاوى التى كثرت من الشيعة، حيث زعم كثير منهم أنه من الأبواب أوالسفراء المزعومين . كل هذا التناقض والتعارض يجده الباحث والقارئ فى كتب ومصنفات دين الشيعة .

ويقول عبد الله شُبَّر فى بيان عقائدهم وأصول مذهبهم ما نصه : " يجب الإيمان بأن نبينا وآله المعصومين ، أفضل من الأنبياء والمرسلين ، ومن الملائكة المقربين ، لتظافر الأخبار بذلك وتواترها ...." (١) ثم ذكر نصوصا وأخبارا زعم أنها تؤيده فى دعواه.

وذكر فى كتاب الامامة قال : " شرائط الإمامة" ، فذكر الشرط الأول فى معرفة وصحة الامام : " العصمة" .

والشرط السابع من هذه الشروط قال : " أن تظهر منه المعاجز التى يعجز عنها غيره لتكون دليلا على إمامته" . (٢)

وقال تحت عنوان : " طريق معرفة الإمام" . فذكر طرقاء الثانى منها قوله : "المعجز الخارق المقرون بدعوى الإمامة" . (٣)

لما تمكن الرافضة من حمل أتباعهم على الايمان بأئمتهم بأن لهم ما للأنبياء وزيادة من الله تعالى فى الفضائل والخصائص والمعجزات والمكانة، لم يحتاجوا أن يتوسعوا فى ذكر ونقل خوارق عاداتهم، وغرائب أحوالهم كما هو شأن أقرانهم المتصوفة. فإن أقطاب المتصوفة لما حرصوا أن يُظهروا مذهبهم ودينهم بمظهر سُنّي، ويحافظوا على صبغته السُّنّية المزعومة، ومخالفته لمذهب التشيع، لم يجرؤوا على التصريح بعلو شأن شيوخهم، ومكانتهم مثل ما فعل الشيعة بأئمتهم ، وان كان قد صرح به بعضهم كابن عربى وابن الفارض وغيرهما كما تقدم (٤) مع إحاطته بنوع من رموز الصوفية وغموضهم . علما بأن واقع حال الصوفية يبرهن على أنهم يُبطنون هذه العقيدة الخبيثة، ويتبين ذلك من شدة غلوهم فى طاعة شيوخهم وتقديم أمرهم ونهيهم على أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، والإذعان لهم، وتقديسهم، وغير

---

(١) حق اليقين فى معرفة أصول الدين (١/ ٢٠٩) .

(٢) نفس المصدر (١/ ٢٥٦-٢٥٧) .

(٣) نفس المصدر (١/ ٢٥٧) .

(٤) راجع" أهمية الامام والولي" (ص/ ٢٨٧-٢٩٠) .

ذلك من أحوال التعظيم والتقديم، مما لا يفعله كثير منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع سنته.

والصوفية، إنما يفعلون ذلك، ويسترون حقيقة مذهبهم وتوافقهم مع الشيعة حرصا منهم على تضليل أهل السنة والجماعة، لقبول دينهم وشرائعهم وعقائدهم، أو على الأقل السكوت عنهم، وعدم الإنكار عليهم فى ممارسة طقوسهم وشعائرهم. وهذا كله، لاشك إنه يخدم دين الشيعة والرفض.

لذلك احتاج الصوفية فى التوسع فى تأليف واختراع المئات والآلاف من القصص والحكايات التى تفيد فى حمل أتباعهم على الإيمان بأن لشيوخهم وأوليائهم مكانة عظيمة، ومنزلة لا تدانيها منزلة من حيث الفضائل والمعجزات وطاعة الأشياء لهم، وحتى التصرف المباشر منهم فى الأكوان والمخلوقات، شأنهم فى ذلك شأن الأنبياء والمرسلين، بل ربما يفوقون عليهم فى جوانب وخصائص. لذلك فإن التراث الصوفى يعتمد فى مناهجه على المبالغة فى تعظيم الشيوخ وإحاطتهم بقصص خيالية، وأساطير كثيرة لحمل الأتباع على الإذعان لهم وتقديسهم وتعظيمهم لدرجة العبادة. فإذا نظر الباحث فى أي كتاب صوفى، قديم أو حديث يجد ويلاحظ الاعتماد على باب الكرامات اعتماداً يكاد يكون كليا فى إثبات ومعرفة الشيوخ والأولياء، وللدلالة على صحة كونهم أولياء. وكلما كان الصوفى أكثر كرامة، واتصافا بالخوارق، كان أعظم فى باب الولاية والقرب بزعمهم. هذا وقد تقدم ذكر جملة من مزاعم الصوفية وأساطيرهم فى باب الخوارق والكرامات قريبا، وأذكر هنا جملة أخرى.

عقد السراج الطوسى فى لمعه" كتاب إثبات الآيات والكرامات" ضمّنه سبعة أبواب فى هذا الموضوع. ذكر عن سهل بن عبد الله قوله: " من زهد أربعين يوما، صادقا مخلصا فى ذلك، تظهر له الكرامات من الله عز وجل. ومن لم يظهر له ذلك، فلِمَا عدم فى زهده من الصدق والإخلاص". ولما قيل له ﷺ: كيف يكون ذلك؟ ـ أي الكرامات ـ قال: " يأخذ ما يشاء من حيث يشاء". (١)

وذكر عن الجنيد قوله: " من يتكلم فى الكرامات، ولا يكون له من ذلك شيء، مثاله مثل من يمضغ التبن". (٢)

وذكر عن يحيى بن معاذ الرازى قال: " إذا رأيت الرجل يشير الى الآيات والكرامات، فطريقة طريق الأبدال..." (٣)

---

(١) اللمع للسراج الطوسى (ص/ ٣٩٠)، والرسالة القشيرية (٢/ ٦٧٣)، وجامع كرامات الأولياء (١/ ٣٣).

(٢) اللمع (ص/ ٣٩٠).

(٣) نفس المصدر (ص/ ٤٠٣).

على مثل هذه النصوص الصوفية اعتمد القوم في التوسع والاسترسال في باب الكرامات ، وانفتح باب الدعوى، فالنصوص صادرة عن أئمة التصوف وشيوخهم ، وهي عندهم أقوى وأصح حتى من أحاديث صحيح الإمامين البخارى ومسلم ٠

وذكر السراج عن سهل بن عبد الله أنه قال لشاب يصحبه :" إن كنت تخاف من السباع بعد ذلك فلا تصحبنى" ٠ وزعم السراج أنه رأى قصر سهل وفيه بيت يسمى "بيت السباع" ، لأن السباع كما زعم كانت تدخل عليه ويضيفها ، ويطعمها اللحم" ٠ (١)

يمنع الشاب من مصاحبته لأنه يخاف من السباع خوفا طبيعيا ، ويعتزل الناس لما فى مخالطتهم من الوحشة كما يزعمون ، ثم يأنس بالسباع والحيوانات ، ويفتح بيته ، ويعلن استضافته للسباع ، ويطعمها اللحوم٠ هذا هو دين الصوفية ٠

وذكر عن أبي عبد الله الحصرى قال : رأيت انسانا من الصوفية مكث سبع سنين لم يأكل الخبز ، ورأيت رجلا مكث سبع سنين لم يشرب الماء ، ورأيت رجلا إذا مد يده الى طعام فيه شبهة جفت ٠٠٠٠" (٢) يعيش الانسان بلا خبز ، وقد يكون هذا الصوفى ترك الخبز لما هو ألذ وألين ، والآخر استغنى عن الماء بالخمور وأنواع الشراب الأخرى ، وإن كان يريد أن من رآهما تركا الخبز والماء بلا عوض فإنه من الكذب الذى تعوده أهل التصوف واستحلوه فى ترويج دينهم ومذهبهم ٠

وقال أبو بكر الكلاباذي : " الباب السادس والعشرون : قولهم فى كرامات الأولياء" ٠ وقال : " أجمعوا على اثبات كرامات الأولياء ، وإن كانت تدخل فى باب المعجزات : كالمشى على الماء ، وكلام البهائم ، وطي الأرض ، وظهور الشئ فى غير موضعه ووقته ، وقد جاءت الأخبار بها ، وصحت الروايات ٠٠٠٠٠٠٠" ٠ (٣)

وأما أبو القاسم القشيري ، فقد عقد فصلا طويلا يقع فى نحو خمسين صفحة فى رسالته ، شحنه بذكر كرامات شيوخ الصوفية ، وغرائب أحوالهم ، وقدراتهم ٠ ذكر فيه عن صوفي يأوي الى الخرابات ، وإذا أشار بيده هكذا ، تنقلب له الأرض ذهبا (٤) ، ومنهم من يكلمه الحمار (٥) ، ومنهم من ينادي بخروج سمكة بوزن معين من البحر وإلا لأغرق نفسه ،

---

(١) اللمع (ص/٣٩١) ٠
(٢) نفس المصدر (ص/٤٠٨) ٠
(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص/٨٧ــ٨٨) ٠
(٤) الرسالة القشيرية (٢/٦٧٥) ٠
(٥) نفس المصدر (٢/٦٧٦) ٠

فتخرج كما أراد.[١] ومنهم من ينقلب له البحر يبسا[٢] . ومنهم من تُطوى له الأرض.[٣] ومنهم من يمشى على الماء، ويطير فى الهواء[٤] . ومنهم من يضحك بعد موته وأثناء تغسيله.[٥] ومنهم من يجلس متربعا فى الهواء[٦] . ومنهم من يُتهم بسرقة جوهرة، فيأمر جميع حيتان البحر أن تخرج ومع كل منها جوهرة، فخرجت على وجه الماء كذلك[٧] . ومنهم من يتخذ السباع دوابا يركبها فى المدن والقرى بين الناس . وأحاديثهم عن السباع كثيرة، ومنهم من يأمرها فتطيع[٨] . ومنهم من يرى الخضر[٩] . ومنهم من يشتهى سمكة مشوية، فإذا البحر يقذف سمكة وإذا بانسان يركض يشويها له، فيجلس ويأكل . ومنهم من يموت فى السفينة ، فيتحير الركاب فى دفنه، فيجف البحر، ليحفروا له قبرا، ثم يدفن فيه، ثم يرجع البحر كما كان.[١٠]

وذكر عن الفضيل بن عياض أنه كان على جبل من جبال منى فقال : " لو أن وليا من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد. قال : فتحرك الجبل ، فقال : أسكن ، لم أردك بهذا ، فسكن الجبل.[١١]

وذكر عن سهل بن عبد الله قوله : " ان الذاكر لله على الحقيقة لو همّ أن يُحييّ الموتى لفعل" . ثم ذكر أنه مسح على عليل بين يديه فبرئ وقام.[١٢]

وروى أبو نعيم بإسناده الى الفضيل بن عياض قال : "... أما انكم لو أطعتم الله، ثم شئتم أن تزول الجبال معكم زالت، ثم دق الجبل بيده، فرأينا الجبال أو الجبل ، اهتزت، وتحركت" .[١٣]

---

(١) المصدر السابق (٢ / ٦٧٦) .
(٢) المصدر السابق (٢ / ٦٧٨) .
(٣) المصدر السابق والصفحة.
(٤) المصدر السابق (٢ / ٦٧٩) .
(٥) المصدر السابق (٢ / ٦٨١) .
(٦) المصدر السابق (٢ / ٦٨٢) .
(٧) المصدر السابق (٢ / ٦٨٣) وانظر حلية الأولياء (٩ / ٣٥٧) وكشف المحجوب (١ / ٢٩٩) .
(٨) الرسالة القشيرية (٢ / ٦٨٤) .
(٩) نفس المصدر (٢ / ٦٨٥) .
(١٠) المصدر السابق (٢ / ٦٩٤) .
(١١) المصدر السابق (٢ / ٦٨٧) .
(١٢) المصدر السابق (٢ / ٧٠٠) .
(١٣) حلية الأولياء وطبقات الاصفياء (٨ / ١١٢) .

وذكر أبو نعيم عن أبي الخير الأقطع أن السباع والهوام يأنسون بمجالسته، ويأوون إليه، ويأنس هو بهم.(١) يهربون من واقعهم ومجتمعاتهم ويعيشون مع الحيوانات والهوام في أنس ووئام، إن صحت عنهم هذه الحكايات، وإلا فهي من باب الدعاية وترويج التصوف لا غير. ونُقل نحو هذا عن ابراهيم بن أدهم، وزاد بأن السباع والحيوانات كانت تفهم عنه وتعقل لغته(٢)، ونُقل أيضا أن الجن كانت تؤنسه، وتعينه في أسفاره وغيرها(٣)، تماما مثل أئمة الشيعة الذين يزعمون أن الجن والملائكة تخدمهم وتقضي حوائجهم.(٤) ونُقل أيضا أنه كان مع قوم في سفينة، فعصفت بهم الريح، وأشرفوا على الغرق، فخاف الناس جميعا، ثم سمعوا هاتفا بصوت عال يقول: " تخافون، وفيكم ابراهيم".(٥)

وصنف الحسين بن جمال الدين الأنصاري الخزرجي رسالة، عد فيها مشايخ القرن السابع الهجري وكراماتهم. فذكر عن أبي العباس الحرار أنه كان يجتمع بالخضر(٦)، وبموسى وعيسى عليهما السلام، وحتى بمحمد صلى الله عليه وسلم. حيث رأى الخضر بزعمه وكذبه، يكتب ديوانا يضم أسماء أصحاب الطرق الصوفية(٧). وذكر أنه كان يمشي في المقابر، وأن الله تعالى يكشف له أحوال أهل القبور المنعمين منهم والمعذبين(٨)، وأن الحجارة كانت تكلمه وتسأله بالله ألا يستنجي بها.(٩)

وذكر عن الشيخ الولي العارف المعظم بزعمه: العباس المريني أنه كان عظيم السياحات، عظيم الكرامات، وأنه أقام اثنتي عشرة سنه لم يحل بينه وبين السماء حجاب، ولا بينه وبين الأرض. وكان له صلة بالنبي صلى الله عليه وسلم يحادثه، ويجاوبه.(١٠) وزعم أنه " وجد من الحق سبحانه إذنا بالاجتماع، فمشى الى أن اجتمع به..."(١١) ويقول: " مشى"، مقررا عقيدته الخبيثة بأن الله تعالى في كل مكان، ثم كأن الله تعالى كان محتاجا للاجتماع والتشاور. تعالى الله عما يقول الظالمون ويعتقدون فيه علوا عظيما.

---

(١) نفس المصدر (١٠/٣٧٧).
(٢) المصدر السابق (٧/٣٩٢)، (٨/٤).
(٣) المصدر السابق (٧/٣٩٤ ـ ٣٩٥).
(٤) أصول الكافي (١/٣٩٣، ٣٩٤ ـ ٣٩٥) وبصائر الدرجات الكبرى (ص/١١٠، ١١٥).
(٥) حلية الأولياء (٨/٦).
(٦) سير الأولياء في القرن السابع الهجرى (ص/٢٤، ٢٥، ٢٩).
(٧) نفس المصدر (ص/٢٦).
(٨) المصدر السابق (ص/٣٤).
(٩) المصدر السابق (ص/٣٥ـ٣٦).
(١٠) المصدر السابق (ص/٩١).
(١١) المصدر السابق (ص/٩٢).

وذكر حكاية عن شيخ صحب العباس فى سياحة له قال :" فغبت عنه، وهو نائم، فجئت إليه، وإذا أجد حية عظيمة قد تطوقت على حلقة. ففتح العباس عينه، فرآها ثم نام الى أن سمعت غطيطه، فسمعت مخاطبة من السماء :" لقد عجبت ملائكة السماء من توكلك. ثم تحللت عنه وانصرفت". (١) يريد أن الملائكة لم تبلغ، ولم تر مثل توكله المزعوم. ثم قال :" جلس يوما على قرن جبل ....، فوجد حاله، وقد رمى بنفسه من قرن الجبل، فنزل فى البحر الى أن وصل الى قراره، فخرجت له يد رفعته من قرن الجبل الى مكانه، ثم قيل له، مخاطبةً من الجبل :.... لم تُجرِّب نفسك ؟ لقد جربناك، فوجدناك صادقا". (٢) كل شئ يخاطبهم، السماء، والجبال، والحجر، والدواب، وهم يفهمون عنهم، وهى تفهم عنهم، ويرمى بنفسه من أعلى الجبل توكلا على الله. هذا هو التوكل فى دين الصوفية. هذا وقد أكثر فى رسالته من ذكر الغرائب والطرائف باسم الكرامات، فذكر عن بعض شيوخهم أن شيخه أدخله ثلاثمائة وستين عالَما غير عوالم السموات والأرض (٣). كما زعمته الرافضة لأئمتها تماما كما تقدم عنهم قريبا. وعن شيخ آخر أنه أحيا فراخا مشوية قُدمت له ليأكلها. (٤) وذكر أن منهم من كان يُضرب بالسيوف الحادة العظيمة، فلا يحس ولا تؤثر فيه. (٥) ومنهم من كان لا ينام الى فى أرض يكثر فيها الثعابين والعقارب توكلا على الله بزعمهم. (٦) ومنهم من أقام عشر سنين ما شرب الماء أبدا. (٧) ومنهم من يأمر بالنار العظيمة فتوقد ثم يدخلها ويقيم فيها ثم يخرج منها باردا، كل ذلك باسم التوكل، جرأة منهم على الله تعالى. (٨) ومنهم من لايضطجع، ولا يجلس ليلاولا نهارا، ويدور فى الصحارى والجبال (٩) سياحة لله بزعمهم. ومنهم من كان صاحب مكاشفات من شيوخهم يقول عنه :" لم يكن يصلي، وكان يفطر فى نهار رمضان"، ثم يقول عنه" رضي الله عنه". (١٠) أي أنه ممن خرج عن التكليف وعن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. نعم خرج الى جهنم وبئس المصير، ومنهم من كان يصافح النبي صلى الله عليه وسلم بعد كل صلاة بزعمهم. (١١) ومنهم من كان

---

(١) المصدر السابق (ص/ ٩٤).

(٢) المصدر السابق والصفحة.

(٣) المصدر السابق (ص/ ٧٣).

(٤) المصدر السابق (ص/ ٩٦).

(٥) المصدر السابق (ص/ ١٠٣).

(٦) المصدر السابق والصفحة.

(٧) المصدر السابق (ص/ ١٠٩).

(٨) المصدر السابق (ص/ ١١٤).

(٩) المصدر السابق (ص/ ١٢٥).

(١٠) المصدر السابق (ص/ ١٣٢).

(١١) المصدر السابق (ص/ ١٤٠).

يتكلم بعد موته وهلاكه.[(١)]

وأما الشعراني ، فقد أسرف فى الغلو فى إضافة الخوارق المختلقة الى من زعمهم أولياء وعارفين. فقد شحن طبقاته بالقصص والحكايات الخيالية ، خدمةً منه للعقيدة الصوفية، ومنهجه فى تعظيم الشيوخ وتقديسهم. وكذلك يوسف النبهاني الذى سار على منهجه، وربما فاقه فى بعض الجوانب ، فقد صنف جامعا ضخما شحنه بمازعمه كرامات الأولياء.

ويقول محمود المنوفي : " .... وفى الأخبار القدسية يقول الله تعالى:" عبدى أنا الذى يقول للشيء كن فيكون ، فأطعنى، أجعلك بقدرتى ربانيا تقول للشيء كن فيكون "[(٢)] هذا ما تصبو إليه أفئدتهم ونفوسهم المريضة الخبيثة ، يريدون تسخير الكون والخلق لأوامرهم، دون الالتفات الى الوسائل الشرعية من عبادة الله تعالى وامتثال أوامره فى سبيل غايتهم ، بل بما ابتدعوه من طقوس ورياضات استفادوها من الديانات الوضعية القديمة الجاهلية. بتلك البدع يريدون الخروج من دائرة العبودية الى مراتب الربوبية.

ويقول أيضا: " كل ولي أراد الله أن ينفع به الناس، لايتعجل العقوبة والأذى لعباد الله، اقتداءا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث خيره ملك الجبال أن يجعل الأخشبين أن ينقضا على اعدائه من أهل مكة.... "[(٣)]

يريد هذا الصوفى المنحرف أن من زعمه وليا فى دين الصوفية يملك هذه القدرة، والاختيار فى إنزال العقوبة على الخلق فى الدنيا ، أوتأخيرها عنهم. والحق أنه هو، وأهل ملته أولى بالعقوبة من غيرهم من عباد الله. وهم من أعظم أسباب غضب الله تعالى ونقمته ، واستحقاق عقابه فى الدنيا قبل الاخرة.

إن الكرامات والخوارق التى أضافها الصوفية الى أنفسهم ، ونسبوها الى شيوخهم ، لم تقتصر على أيام حياتهم ، بل تعدتها الى مابعد مماتهم وهلاكهم. وفى هذا يقول ابن عربي مبينا أحوال الصوفية: " وأما أحوالهم بعد موتهم ، فعلى قدْر ما كانوا عليه فى الدنيا....، ومن أحوالهم بعد الموت أنهم أحياء بالحياة النفسية التى بها يُسبّح كل شيء.... ثم ذكر قصصا وشواهد لما زعمه ، منها :

---

(١) المصدر السابق (ص/١٤٣).
(٢) جمهرة الأولياء (ج١/١٠٦).
(٣) المصدر نفسه (ج١/١٠٩).

" أن رجلا دفن رجلا من الصالحين ، فلما جعله فى قبره، نزع الكفن عن خده، ووضع خده على التراب • ففتح الميت عينيه وقال له: يا هذا، أتذللني بين يدي من أعزني...." ثم يزعم أنه رأى بنفسه نحو ذلك فى صاحب له يُدعى عبد الله الحبشى ، ورآه أيضا من قام بغسله، حيث أن الغاسل هاب أن يغسله لِمَا رأى فيه من الخوارق، ففتح الحبشى عينيه، وقال : إغسل • أي أمره بالغسل ، مؤكدا موته ووجوب غسله، وإن كان يبدو غير ميت• (١)

ثم يزعم أنه رأى نحو ذلك فى أبيه الذى أخبر أنه سيموت فى يوم الأربعاء، فكان كما أخبر، وأنه ظهر على جبينه وبدنه نور يتلألأ عند الاحتضار، وذكر قصة عجيبة فى موته ، نسجها من خياله الصوفى بأسلوبه الرخيص • (٢) وهذا هو دأب الصوفية لا ينسون نصيبهم من الفضل والكرامة ، ولا نصيب آبائهم بعد إضافة شيء منها الى شيوخهم •

وأما الشعراني ، فقد جعل لنفسه الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر من الكرامات والخوارق ، فيقول : " ومما من الله تبارك وتعالى به عليّ، معرفتي بالولي إذا زرته فى قبره، هل هو حاضر، أو غائب ؟ فإن غالب الأولياء لهم السراح والإطلاق فى قبورهم، فيذهبون ويجيئون" • ثم زعم أن شيخه عليا الخواص كان كذلك، " فكان إذا رأى إنسانا عازما على زيارة بعض الأولياء يقول له: اذهب بسرعة، فإنه عازم على الذهاب الى موضع كذا• وفى بعض الأوقات يقول له: لا تَرُحْ له، فإنه ما هو هناك اليوم" •

ثم يقول : " وقد زرت مرة (سيدى) عمر بن الفارض (رضي الله عنه) • فلم أجده فى قبره فجاء الى بعد ذلك ، وقال : اعذرنى فانى كنت فى حاجة" ثم ذكر عن بعض الصوفية مثل هذا الهراء فى تحديد مواعيد زيارة بعض الشيوخ ثم يقول ما نصه: " وهذا أمر لا يعرفه إلا من كشف الله تعالى عن بصيرته..." (٣)

وذكر فى ترجمة أحمد البدوي ، أن شيخه محمد الشناوى أتى به الى ضريح البدوي وسلمه إليه وقال له: " يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك" فيزعم الشعراني أن يد البدوى خرجت من الضريح وقبضت على يده، ثم سمع صوته من القبر يقول : "نعم" •

ويقول أيضا إن زوجته فاطمه مكثت عنده خمسة أشهر وهى بكر، لم يتمكن من إزالة بكارتها، حتى جاءه البدوي وأخذه وزوجته وفرش لهما فراشا" فوق ركن القبة"، وطبخ

---

(١) الفتوحات المكية (١/ ٢٢١) •
(٢) نفس المصدر (١/ ٢٢٢) •
(٣) لطائف المنن والأخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق - أو المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى (١/ ١٤٩) •

لهما حلوى، ودعا الأحياء والأموات ، ثم قال له: " أزل بكارتها هنا. فكان الأمر تلك الليلة" .(١)

هكذا ، وبلا حياء ، ولا خجل ، ولا رجولة، فضلا عن مخافة الله عز وجل . يريد بمثل هذه القصص والحكايات أن شيوخ الصوفية لهم من التصرفات حتى بعد هلاكهم ، وأنهم يخدمون من يعتقد فيهم ، ويقومون على مصالح وشئون مريديهم وأتباعهم، حتى بعد الموت . وثنية صوفية ، وشرك بالله عز وجل باسم الولاية والكرامة ، وغير ذلك مما يزين به هؤلاء المنحرفون دينهم ومذهبهم . ويريدون إضافة القدسية الى شيوخهم وأنفسهم ، ويريدون جعل المريدين والأتباع فى طاعتهم وخدمتهم وتعظيمهم أحياءً وأمواتا، الأمر الذى يصرف الناس عن دينهم الحق والصراط المستقيم .

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١٨٦/١) .

المبحث السادس

تقديس

القبور والأضرحة

المبحث السادس
تقديس القبور والأضرحة

تمهيـــد :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلـم يوما فقال : ياغلام، إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهـــك ، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علـــى أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك..... الحديث[١] . وفـــى رواية أخرى قال : " يا غلام أو يا غليم، ألا أعلّمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت : بلى، فقال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إليه فى الرخاء، يعرفك فـى الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله . قد جف القلم بما هـــو كائن ، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقـــدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه .... الحديث.[٢]

لقد حرص الدين الاسلامى غاية الحرص فى تنظيم صلة العبد بربه، وأولاها عنايـــة عظيمة ، وأقامها على أساس إخلاص توحيد الله عز وجل فى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، والبعد عن جميع مظاهر الشرك به سبحانه وتعالى وأسبابه ودواعيه . فلاعبودية إلا للـــه وحده، عبودية تربط العبد بخالقه ورازقه دون وسيط أو شفيع .

فالإسلام يقوم على توحيد الله تعالى توحيدا خالصا من كل شوائب الشرك وألوانه ، ولا يتحقق ذلك إلا بالكفر بجميع الوسطاء والشفعاء المنصوبة بين العبد وربه، فليس فـــى الإسلام مكان للأصنام والأوثان التى يُصرف لها شيء من العبودية، فيرجى منها النفع، وحصـول المأمولات ، أو دفع الضر والمكروهات . وليس فى الاسلام خلق يمتازون عن غيرهم فى شـيء من الصفات والامتيازات الخَلْقية تؤهلهم لمنزلة الوساطة أو لمقام الشفاعة والوسيلة بين الحق تبارك وتعالى وبين بقية خلقه فى تقربهم إليه سبحانه وتعالى ، أو فى توجههم إليه فى طلـب العون والنفع أو دفع الضر.

وتأكيدا لهذا الأصل ، وحماية لهذه الصلة المباشرة بين العبد وربه حذر الديـــن الاسلامي من الغلو بجميع صوره وأشكاله، وعاب على أهل الكتاب غلوهم فى دينهم فى آيـــات

---

(١) رواه الإمام الترمذى فى سننه فى كتاب صفة القيامة باب رقم ٥٩ حديث رقم ٢٥١٦ (٦٦٧/٣) . والإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢٩٣، ٣٠٣).

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٣٠٧).

وأحاديث كثيرة · كما بين رسول الحق والهدى أن الغلو فى الدين كان من أسباب هلاك الأمم السابقة محذرا أهل الايمان الوقوع فيه ، فعن ابن عباس قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة، وهو على ناقته: أُلقط لي حصىً ، فلقطت له سبع حصيات ، هن حصى الحذف· فجعل ينفضهن فى كفه ويقول : أمثال هؤلاء ، فارموا· ثم قال : يا أيها الناس ! إياكم والغلو فى الدين ، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين " (١) وحماية منه صلى الله عليه وسلم لجانب القصد فى الدين ، وإشفاقا منه على أمته أن تنزلق وتقع فى شيء من الغلو ومجاوزة الحد حتى فى حبه وتعظيمه هو فى ذاته، أو بعض صفاته فضلا عمن هو دونه من الائمة والصالحين والأولياء، لذلك نهى صلى الله عليهوسلم عن إطرائه ، والمبالغة فى الثناء عليه ومدحه لأنها باب يلج منه المرء الى الغلو الذى ينافي القصد والاعتدال فى الدين ، بل هومطية الشرك بالله ، ولا شك أن الشرك هو أعظم ما عُصي الله تعالى به · فقال صلى الله عليه وسلم محذرا خطورة الإطراء فيما رواه عنه عمر رضي الله عنه قال : " سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله" · (٢)

فالاسلام يريد عبادا صلتهم بالله مباشرة قوية لا تضعفها واسطة وثن أو مخلوق مهما كان قربه من الله تعالى ، يريد عبادا يتصلون بربهم وخالقهم مباشرة فى سؤالهم واستعانتهم واستغاثتهم وقضاء جميع حوائجهم الدنيوية والأخروية ، يريد أمة قوية الصلة بربها لامكان فيها لوثن أو صنم أو أية واسطة أو وسيلة تحول بينها وبين مباشرتها لأنواع العبادات والطاعات لله تعالى ، من أولئك المزعومين بالأولياء والائمة التى نصبت أنفسها أو نصبها الخلق شفعاء ووسائل تقرب بين الحق والخلق بزعمهم · يريد الاسلام أمة لا مكان فيها للخرافات والأساطير التى تجعل من بعض الخلق من يتعالى على عباد الله، ويزعم لنفسه خصائص وامتيازات ترفعه عن مستوى البشر والخلق والعبودية· يريد الاسلام تحرير العباد من العبودية والخضوع لغير الله تعالى الخالق الرازق المحيي المميت· يريد أمة تحترم العقل والفكر فى الفرد، وحتى إنسانية الانسان، ولا تهدر شيئا من الطاقات التى خلقها الله عز وجل فى الفرد ليعيش الجميع حياة حرة كريمة بعيدة عن الرق والذل لأي مخلوق ·

---

(١) رواه النسائى فى سننه فى كتاب مناسك الحج باب التقاط الحصى (٥/٢١٨) · وابن ماجه فى سننفى كتاب المناسك باب قدر حصى الرمي(٢/١٠٠٨) · والامام أحمد فى مسنده(١/٢١٥، ٣٤٧) ، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما — واللفظ لابن ماجة·

(٢) رواه الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله" واذكر فى الكتاب مريم ···" ······· الفتح(٦/٤٧٨)·

هذا صراط الله المستقيم، ودينه الحق، وشرعه القويم. ولقد أبت الرافضة والصوفية إلا العمل على إعادة الحياة الجاهلية، بأعمالها الشركية والوثنية باسم تعظيم الأئمة والأولياء ومحبتهم . فشرعوا لأنفسهم وأتباعهم طقوسا شركية وأعمالا بدعية وأحاطوها بنصوص موضوعة وأدلة مكذوبة بغية ترويجها وتزيينها لأتباعهم، فاتخذوا أئمةً وأولياء مزعومين، ونصبوهم وسطاء وشفعاء فيما بينهم وبين الله تعالى ، وغلو فيهم غلوا جاوزوا به حد العقل والشرع والفطرة، ولقد تناول الغلو جوانب كثيرة، فغلوا فى ذواتهم وصفاتهم وأعمالهم وخصائصهم ، وغلوا أيضا فى ديارهم وأماكن تواجدهم فى حياتهم، وكذا غلوا فى قبورهم بعدمماتهم وهلاكهم. ولقد أدى هذا الغلو فى أئمتهم وأوليائهم، الاعتقاد بأنهم وسطاء ووسائل لابد من اتخاذها لدخول الجنة والنجاة من النار، كما أدى الى تقديسهم بعد مماتهم واتخاذ قبورهم أوثانا وأصناما يصرفون لها أنواعا من العبادات والطاعات التى لاينبغى صرفها لغير الله الخالق الرازق عز وجل ، ولقد تقدم فى ثنايا المباحث المتقدمة أنواعٌ من الغلو ، وأدلتهم المزعومة فى استحقاق أئمتهم وأوليائهم هذا الغلو والتعظيم، وسأذكر ما يزيد الأمر وضوحا، ثم أذكر أقوالهم ومذاهبهم فى اتخاذ الأئمة و الأولياء وسطاء وشفعاء ، وفى عبادة قبورهم وأضرحتهم بعد مماتهم وهلاكهم .

أولا : الغلو عند الشيعة والصوفية

(أ) غلوهم فى الائمة والأولياء :

إن الشيعة غلو فى علي بن أبي طالب وذريته حتى خصوهم بخصائص الربوبية والألوهية، وقد تقدم كثير من نصوصهم التى تدل على مذهبهم الفاسد فيما تقدم من مباحث وفصول وأبواب .

روى محمد بن عمر الكشي بإسناده الى سعيد بن المسيب، ذكر أن "علي بن الحسين، زين العابدين خرج من مكة، ونزل فى بعض المنازل ، فصلى ركعتين، فسبح فى سجوده، فلم يبق شجر ولا مدر إلا سبحوا معه...." (١)

وروى أيضا الى الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال : " والله لا يحبنا عبد أبدا، ولو كان أسيرا فى الديلم، إلا نفعه الله بحبنا، وإن حبنا ليساقط الذنوب من بني آدم، كما تساقط الريح الورق من الشجر" . (٢)

وروى بإسناده الى جعفر الصادق قال : "... إلينا الصراط، وإلينا الميزان ، وإلينا حساب شيعتنا، والله لإنّا لكم أرحم من أحدكم بنفسه..." (٣)

وروى شيخ طائفتهم محمد بن الحسن الطوسي بإسناده الى حذيفة بن اليمان يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من عبد ولا أمة يموت وفى قلبه مثقال حبة من خردل من حب علي ، إلا أدخله الله الجنة" . (٤)

وروى ابن أبي جمهور الإحسائى عن جعفر الصادق قال : "حب على حسنة لاتضر معها سيئة ، وبغض على سيئة لا تنفع معها حسنة" . وعنه أيضا قال : " لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله النار" . (٥)

وجاء فى نص الزيارة الجامعة، المنسوبة الى عدد من الائمة ،والمنقول عن عدد كبير من أئمتهم وعلمائهم وأساطينهم قديما وحديثا، وهى عمدتهم فى زياراتهم لمشاهد أئمتهم، جاء

---

(١) اختبار معرفة الرجال للكشى(ص/١١٧) .

(٢) نفس المصدر (ص/١١٢) .

(٣) المصدر السابق (ص/٣٣٧) .

(٤) أمالى الشيخ الطوسي(١/٣٣٩) .

(٥) عوالى اللئالئ العزيزية (٤/٨٦) .

فيها : "... وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم ،وفصل الخطاب عندكم ..." ويقـــول عبد الله شُبَّر فى شرحه لهذه الزيارة: " ذكر عن الباقر أنه قال : إذا كان يوم القيامـــة، جمع الله الأولين والآخرين لفصل الخطاب، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعـــا أمير المؤمنين .... ثم يُدعى بنا ، فيُدفع إلينا حساب الناس ، فنحن والله ندخل أهـــل الجنة الجنة، وأهل النار النار" .وذكر عن الصادق فى تفسير قول الله تعالى: "إن إلينـــا إيابهم ثم إن علينا حسابهم" (١) أنه قال : إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا إلينا، فماكان بينهم وبين الله استوهبه محمد صلى الله عليه وسلم من الله، وما كان فيما بينهـــم وبين الناس من المظالم، أداه محمد صلى الله عليه وسلم عنهم،وما كان بيننا وبينهم، وهبنـــاه لهم حتى يدخلوا الجنة بغير حساب".. (٢)

هذا هو دين أهل الرفض، وهذا بعض غلوهم فى أئمتهم، ذكرت منها ما كان مـــداره على حصول النفع لهم كشيعة وأتباع ، فالمهم فى دينهم أن يموت أحدهم على حب الأئمـــة واعتقاد أنهم من أهل العصمة وممن تميزوا عن الخلق ببعض صفات وخصائص الربوبية والألوهية فالإيمان بهذا وغيره ، من عقائد فاسدة، تكفل لهم الفوز بالجنة، والدخول إليها بغير حســـاب بعد تساقط جمع الذنوب عنهم . وسيأتي ذكر بعض أدلتهم فى هذا قريبا فى هذا المبحث.

والصوفية لم ينسوا نصيبهم من هذا النوع من الغلو لأنهم وجدوا فيه بغيتهم فـــى السيطرة على الأتباع،والتحكم بهم . يقول إمامهم القشيرى ما نصه: " فإذا كان أصول هـــذه الطائفة أصح الأصول ، ومشايخهم أكبر الناس، وعلماؤهم أعلم الناس، فالمريد الذى لـــــه إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج الى مقاصدهم ، فهو يساهمهم فيما خصوا بـــه من مكاشفات الغيب ، فلا يحتاج الى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة". ثـــم استدل لمذهبه الفاسد هذا برواية أسندها الى الجنيد أنه قال: " لو علمت أن لله تحـــت أديم السماء، أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا، لسعيت إليـــــه وقصدته" . (٣)

هذا ما يسعى إليه التصوف، كما هو الأمر فى التشيع ، إحكام السيطرة على الأتباع، فالقشيري يؤكد استغناء الصوفية عمن هو خارج عن طائفتهم . والجنيد، وقوله حجة عندهـــم

---

(١) سورة الغاشية /٢٥ـ٢٦.

(٢) الأنوار اللامعة فى شرح الزيارة الجامعة(ص/١٣٧).

(٣) الرسالة القشيرية(٢/٧٣٤ـ٧٣٥).

لا يعلم أشرف من التصوف، وما درى أن عدم علمه ومعرفته لا يعنى نفي وجود العلم الذى هو أشرف من التصوف والابتداع فى دين الله. والتصوف يضمن لكل من سار فى ركبهم، ونهج منهجهم أنه سينال من مكاشفات الغيب ومايتميز به أهل التصوف عن خلق الله تعالى من خصائص وامتيازات بزعمونها. وسيأتى قريبا ذكر جملة من نصوصهم التى تبث فى الاتباع الطمانينة والوعد بالفوز يوم الحساب .

وهذه رواية تبين مدى تعظيمهم لائمتهم والغلو فيهم . يقول أبو طالب المكي : " وقد كان أبو تراب النخشبي معجبا ببعض المريدين، فكان يوءيه ، ويقوم بمصالحه، والمريد مشغول بعبادته، ومواجيده. فقال له أبو تراب يوما : لورأيت أبا يزيد ؟ فقال المريد : إني عنه مشغول . فلما أكثر عليه أبو تراب ، هاج وجْدُ المريد فقال له : ويحك، ما أصنع بأبي يزيد؟ وقد رأيت الله، فأغناني عن أبي يزيد. قال أبو تراب : فهاج طبعي ، ولم أملك نفسى ، فقلت له : ويلك ! لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة . فبهت المريد من قولي ....." ثم يزعم أنه ذهب به الى أبي يزيد ليحظى بروءيته، ويزعم أيضا أنه بمجرد روءيته له صُعق المريد، ومات من لحظته، ثم تعاون الإثنان على دفنه.(١)

وقد ذكر القصة أبو حامد الغزالي(٢) ، وأبو بكر بن عربي ، وعند ابن عربى أنه قال للمريد : " لو رأيت أبا يزيد مرة كان خيرا لك من أن ترى الله ألف مرة". ثم يزعم أنه مات والتحق بأهل المقامات(٣) . وهذا من علم الكشف الذى أوتيه، فانكشفت له حال المريد بعد موته. وفى هذه القصة إقرار ممن ذكرها ونقلها بهذا الفكر المنحرف وهذا الغلو العظيم بطيفور بن عيسى البسطامي .

(ب) غلوهم فى أماكنهم وديارهم ومساجدهم :

كما يعظم الشيعة والصوفية ذوات الائمة والأولياء المزعومين ، ويغلون فى صفاتهم وخصائصهم ، فإنهم يعظمون ديارهم وأماكن تواجدهم مضاهاةً منهم للدين الحق الذى يعظم بعض الأماكن والبلاد على غيرها ، وصرفاً للناس عن دين الله تعالى حتى فى تعظيم الأماكن والبقاع. فقد شرع المبتدعة لأتباعهم تعظيمبلاد أئمتهم وأوليائهم ، والبقاع التى هى

---

(١) قوت القلوب(٢/ ٧٠) .

(٢) احياء علوم الدين ، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ، باب بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم(٤/ ٣٠٥) .

(٣) كتاب الكتب، المطبوع ضمن مجموعة رسائل ابن عربى(ص/ ٥) .

محل اجتماع طواغيتهم ، واجتهدوا فى وضع الأحاديث المرفوعة، والموقوفة ، والمقطوعة بلا حياء ولا خجل ، ولا خوف من الله تعالى ترويجا لباطلهم، فجعل الشيعة للكوفة وما جاورهـا من أرض كربلاء وغيرها منزلة وحرمة عظيمة لاتقل عن حرمة مكة والمدينة إن لم تـزد عليهما • كما جعلوا لمدينتهم قم مكانة دينية مقدسة فى نفوس شيعتهم وأتباعهم •

كما جعل الصوفية نحو ذلك لديار أوليائهم وشيوخهم كماهو عند الصوفية الرفاعية من تعظيم قرية أم عبيدة ، وقد جعلوا من أضرحتهم أماكن ذات قدسية وحرمة عظيمة، وأماكن تقصد للتبرك واستجابة الدعاء •

روى الكليني بإسناده الى جعفر الصادق فيما نسبوه إليه قال : " مكة حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين ، الصلاة فيها بمائة ألف صلاة ، والدرهم فيها بمائة ألف درهم • والمدينة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين ، الصلاة فيها ، بعشرة آلاف صلاة، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم • والكوفة حرم الله ، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين ، الصلاة فيها بألف صلاة ، والدرهم فيها بألف درهم" • (١)

وبإسناده إليه أيضا قال : "تتم الصلاة فى أربعة مواطن : فى المسجد الحرام ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين" • وفى رواية " وعند قبر الحسين" • (٢)

وذكر مفيدهم محمد بن النعمان رواية مسلسلة الإسناد بالأئمة من على بن محمد العسكري الى علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما أُسرى بي الى السماء الرابعة، نظرت الى قبة من لؤلؤ ، لها أربعة أركان ، وأربعة أبواب، كلها من استبرق أخضر • قلت يا جبرئيل ! ما هذه القبة التى لم أر فى السماء الرابعة أحسن منها ؟ فقال : حبيبى محمد ! هذه صورة مدنية يقال لها : قم، يجتمع فيها عباد الله المؤمنون ينتظرون محمدا وشفاعته للقيامة والحساب، يجرى عليهم الغم والهم والأحزان والمكاره • • • • • " (٣)

حتى مدينة قم لم يتركها المذهب الشيعي، وفى هذه الرواية يظهر منها أن رسول الله لم يسمع باسمها إلا بعد بلوغه السماء الرابعة، وأنها محل اجتماع المؤمنين • نعم

---

(١) فروع الكافى • كتاب الحج أبواب الزيارات (٤/٥٨٦) •
(٢) نفس المصدر (٤/٥٨٦ ـ ٥٨٧) •
(٣) الاختصاص باب فى مدح مدينة قم (ص/١٠١ـ١٠٢) •

هى محل اجتماع أساطين الشيعة ، وأئمة الرفض ، وأركان البدعة والضلال .

وذكر شيخهم ومحدثهم محمد مهدى الحائرى عن الصادق فيما نسبه إليه أنه ذكر الكوفة وقال : " ستخلوا الكوفة من المؤمنين ، ويأرز عنه العلم كما تأرز الحية فى جحرها ، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم ، وتصير معدنا للعلم والفضل ، فيفيض العلم منه الى سائر البلدان فى المشرق والمغرب ..... " ثم ذكر فى سبب تسميتها بقم فقال : " لأن أهلها يجتمعون مع قائم آل محمد ، ويقومون معه ، ويستقيمون عليه ... ، وقال : وفى رواية : " أن رسول الله فى ليلة المعراج رأى إبليس باركا بهذه البقعة ، يريد أن يغوى شيعة على ، ويمنعهم عن ولايته ، ومحبته ، ويحرضهم على الفجور ، فقال له : " قم يا ملعون ، فليس لك عليهم من سلطان ، ومن ذلك سميت بقم " وفى رواية أنه قال له : " قم يا ملعون ، فشارك أعدائهم فى أموالهم وأولادهم ونسائهم ، فان شيعتى وشيعة على ليس لك عليهم سلطان .. " (١)

إن رائحة الوضع والكذب والافتراء تفوح من هذه الرواية النتنة ، ويريد أساطين الكفر إثبات أن التشيع قديم فى الإسلام ، وأن رسول الاسلام على علم ودراية بانقسام المسلمين الى شيعة علي ، والى من يسمونهم الأعداء ، بل إنه هو الذى غرس فى الناس التشيع لعلي . ثم إن العنصر الفارسي واضح فى هذه الرواية ، حيث يريد دعاة هذا المذهب نقل قبلتهم من الكوفة الى بلادهم .

وذكر الحائرى عن الصادق أيضا — فيما نسبه إليه — قال : " إذا عمت البلايا فالأمن فى الكوفة ونواحيها من السواد ، وقم من الجبل ، ونعم الموضع قم ، للخائف الطائف " . وفى رواية أنه قال : " إذا عمت البلدان الفتن ، فعليكم بقم وحواليها ، ونواحيها ، فإن البلاء مدفوع عنها " . وذكر عنه أيضا قال : " إن لله حرما وهو مكة ، وإن للرسول حرما وهو المدينة ، وان لأمير المؤمنين حرما وهو الكوفة ، وإن لنا حرما و هو بلدة قم ، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة ، فمن زارها وجبت له الجنة ...... " (٢)

فالكوفة حرم علي بن أبي طالب ، وقم حرم الأئمة كما نص عليه شيخهم ومفيدهم محمد بن النعمان وغيره . هذا دين أهل الرفض ، جرأة متناهية فى الوضع والكذب خدمةً للمذهب وصداً للناس عن الدين الحق .

---

(١) شجرة طوبى ، المجلس الثامن فى فضيلة قم ووجه تسميتها (ص/ ٢٠) .

(٢) نفس المصدر (ص/ ٢١) .

وذكر الحر العاملي في فضل كربلاء مما ينسبه أهل الرفض الى أئمتهم، قال : " إن الله اتخذ كربلاء حرما آمنا قبل أن يتخذ مكة حرما " . ويقول:"إن الله تعالى اتخذ من كربلاء حرما قبل اتخاذ مكة حرما بأربعة وعشرين ألف عام". ثم ذكر أن الكوفة حرم الله تعالى وحرم رسوله وحرم علي رضي ا لله عنه . ثم ذكر رواية يخاطب الله تعالى فيها مكة قال : " ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر ، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك ، ولولا من ضمنه كربلاء لما خلقتك". (١)

وذكر أيضا رواية : " من زار أرض كربلاء ليلة عرفة ، وأقام بها العيد ، وقاه الله شر سنته" . (٢)

فأرض كربلاء أقدم وأشد حرمة من مكة المكرمة حفظها الله وحرسها من أيدى الرافضة وغيرهم ممن يتباكون ويتشدقون بتطهيرها ، من شراذم الخلق من أهل المذاهب الهدامة ، ومن بعض المنتسبين الى الاسلام وأهله ودعاته. رد الله كيدهم في نحورهم ، ووقانا وديارنا ومقدساتنا شرورهم .

إن غاية أهل الرفض هو صد المسلمين عن قبلتهم التى امتن الله بها على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعليهم ، تمهيدا لصدهم عن الدين كله ، وإخراجهم عن التوحيد الى الشرك بالله تعالى ، وتعظيم الخلق وعبادتهم .

وتتضح غايتهم الخبيثة هذه بغلوهم في الكوفة الذى فاق كل وصف ، عقد محدثهم وشيخهم الحائرى بابا في ذكر الكوفة ومسجدها . نسب فيه إلى علي بن أبي طالب قوله : " كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي ، تعركين بالنوازل ، وتركبين بالزلازل ، وإني أعلم أنه ما أراد بك جبار سوءًا إلا ابتلاه الله بشاغل ، ورماه بقاتل " . ويقول الحائرى :

ولا يخفى أن الكوفة بلدة قد شرفها الله على كثير من البلاد ، وقد جاء في فضلها عن أهل البيت شيء كثير ، منها ما قال علي : " نعمت المدرة الكوفة ، يحشر من ظهرها سبعون ألفا ، وجوههم على صورة القمر" . وقوله : " هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا ". وقال جعفر الصادق : "تربة تحبها وتحبنا ، اللهم ارم من رماها ، وعاد من عاداها" . وعن مسجد الكوفة ذكر عن علي قوله : " يا أهل الكوفة ! لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب به أحدا ، ففضل

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي (٥/٤٠٢-٤٠٤) .
(٢) نفس المصدر (٥/٣٤٧) .

مصلا كم، وهو بيت آدم ونوح، وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم الخليل، ومصلى أخي الخضر، ومصلاي، وإن مسجدكم هذا أحد الأربعة المساجد التى اختارها الله عز وجل لأهلها، وكأني به يوم القيامة فى ثوبين أبيضين، شبيه بالمحرم، يشفع لأهله، ولمن صلى فيه ولا تُردّ شفاعته، ولا تذهب الأيام حتى ينصب الحجر الأسود فيه، وليأتين عليه زمان يكون مصلى المهدى من ولدي، ومصلى كل مؤمن، ولا يبقى على الأرض مؤمن إلا كان به، أو حن قلبه إليه، فلا تهجروه، و تقرّبوا الى الله عز وجل بالصلاة فيه، فإن النافلة فيه تعدل بألف نافلة وعمرة مع رسول الله، والفريضة فيه تعدل بألف فريضة وحجة مع رسول الله، وارغبوا إليه فى قضاء حوائجكم، ولو علم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبوا على الثلج" . (١)

ونقل الحائرى أيضا عن الصادق قوله فى مسجد الكوفة: " إن ميمنته لروضة من رياض الجنة، وإن وسطه لروضة من رياض الجنة، وإن مؤخره لروضة من رياض الجنة، وما من عبد صالح ولا نبي إلا وقد صلى فيه، حتى أن رسول الله لما أسرى به الى السماء" ...... وذكر أنه استأذن ربه فى الصلاة فيه فأذن له، ثم ذكر عنه: "... وفيه ينفخ فى الصور، واليه المحشر ...." ونقل عنه أيضا قوله: "نعم المسجد مسجد الكوفة، صلى فيه ألف نبي، وألف وصي، ومنه فار التنور، وفيه جرت السفينة، الجلوس فيه بغير عبادة وتلاوة وذكر لعبادة، والصلاة فيه تعدل بألف صلاة" . (٢)

فالرافضة ينتظرون ويخططون ويستعدون لغزو الكعبة لتحقيق هذه النصوص المنسوبة الى علي والائمة من ولده لنقل الحجر الأسود الى مسجدهم فى الكوفة، ولقد حاولوا قبل أعوام، أيام حكم الخمينى لدولتهم، ولكن الله تعالى خذلهم وأذلهم. ثم إن مسجدهم أعظم فضيلة من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى مسجدهم عدة رياض من رياض الجنة بينما المسجد النبوى ليس فيه إلا روضة واحدة .

والصوفية شاركوا الشيعة فى هذا الضلال والصد عن الحق، وقد تمكن الشيعة والصوفية من جعل أتباعهم يعظمون أماكن وديار أئمتهم وأوليائهم، ويقصدونها بالزيارة والحج بقصد التبرك وحصول النفع الدنيوى والأخروى، وقد نجح الفريقان في تشريع طقوس خاصة

---

(١) شجرة طوبى (ص/١١ـ١٣) .
(٢) نفس المصدر (ص/١٣) .

يلتزمها الأتباع فى زياراتهم ، وأوراد خاصة ، وقراءات يتلونها فى زياراتهم البدعية تلك ٠

ذكر عبد الوهاب الشعراني فى ترجمة عبد القادر الجيلاني أنه قال : " أيما امرىء مسلم عبر على باب مدرستي خفف الله عنه العذاب يوم القيامة" ٠ (١)

إن الكرم الصوفي قد فاق الحدود ، فالله تعالى لم يجعل لمن عبر على باب بيته الحرام أو مسجد رسوله شيئا ، بل جعل الأعمال بالنيات ، بينما جعل الصوفية هذا الكرم العظيم لمن عبر أمام هذا المكان المقدس ، فما هو ترى ثواب من دخل تلك المدرسة الصوفية واعتنق مذاهبهم وآمن ببدعتهم ؟ ٠

ويقول محمد مهدى الرواسي الرفاعي يصف قرية أم عبيدة وهى موطن قطبهم وغوثهم أحمد الرفاعي ومدرسته الصوفية الشيعية التى تخرج فيها أساطين التصوف وأركان الشر فى الأمة الاسلامية مثل أحمد البدوي وغيره ، يقول : " هى دار البرهان والعرفان ، ومحل نفحات الرحمن ، ومضمار علوم انبجست من قلب سيد الأكوان ٠٠٠٠٠٠ " (٢) ويصفها أيضا بأنها : " محضر التدلي ، نائبة أم القرى " (٣) ٠ ثم يصف دخوله فيها فيقول : " وتقدمت على رؤوس الأصابع ، أتخطى الى أم عبيدة ، البقعة المقدسة ، طور سيناء ، قلوب العارفين ، كعبة همم المحققين ، حرم الأمان للطالبين ، مدينة أفئدة المتمكنين ، البيت المقدس الأمين ، إشارة والتين والزيتون ، سرارة تدليات الإفاضة من شوارق أمر كن فيكون ، مهبط الرحمات ، منبع الفتوحات ، عنوان المنشور النبوى ، نمط الجفر العلوي " ٠ (٤)

هكذا يبالغون فى تعظيم آثارهم ، وقد أشار هذا المنحرف الى غايتهم من تعظيم تلك القرية المهملة من بلاد العراق بأنها نائبة أم القرى ، مكة المكرمة ، ثم يصفها بأوصاف ، وألفاظ قرآنية شرعية لتجد لها فى قلوب الأتباع مهابة وحرمة ، ويهتك الله تعالى أستارهم ، ويظهر حقيقة طريقتهم واتصالها بالرفض والتشيع ٠ تضاف هذه الإشارة الى غيرها مما تقدم فى بيان وتأكيد صلة أحمد الرفاعى وطريقته الرفاعية بالشيعة والتشيع ٠ (٥)

---

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى (١ / ١٢٧) ٠

(٢) بوارق الحقائق (ص/ ٢١٩) ٠

(٣) نفس المصدر (ص/ ٢٢٠)

(٤) المصدر السابق (ص/ ٢٢١ــ٢٢٢) ٠

(٥) راجع الفصل الأول من الباب الثالث فى ذكر أعلام الصوفية وعلاقتهم بالشيعة والتشيع فى ترجمة أحمد الرفاعى صاحب الطريقة ، وترجمة مجدد الطريقة الرفاعية محمد مهدى الرواسى ٠

ويقول الرواسي الرفاعي أيضا : " وإن السلف من مشايخ الطريق نوهوا بذكر أم عبيدة، وأعظموا شأنها ، وذكروا فضل زيارتها وما يحصل من البركة والخير لزائرها " .(١)

وقال أيضا : "مر سلطان الرجال ،تاج العارفين ، أبو الوفا بأم عبيدة ـ وذلك قبل مولد أحمد الرفاعي ـ فقال : أم عبيدة، بقعة مباركة، سيقتتل عليها العارفون بالسلاح" . ثم ذكر تنبوءه بميلاد أحمد الرفاعي وأنه " يتواضع له كل صاحب سجادة على وجه الأرض... ودولة هذه الطريقة المحمدية له وذريته الى يوم القيامة" (٢) وفيها إشارة لمشابهتهم الشيعة فى استمرارية الدولة فى ذرية معينة، وتعظيم الرجال وتقديس ذرية خاصة وتمييزها على غيرها .

وقال أيضا : " وقال العارف بالله محمد بن عبد البصري شيخ العارف الشهاب السهروردي :" الزائر الى أم عبيدة يروح ويأتي تحت ظلال أجنحة الملائكة" . وقال أيضا : الزائر لأم عبيدة يمشى على أجنحة الملائكة، وله بكل نَفَس ألف ألف حسنة" . (٣)

وقال أيضا : " وقال أحمد الرفاعي ـ شيخهم وسيدهم ـ : وعدني العزيز سبحانه وتعالى أن يدخل فى هذه البقعة فى كل يوم رجلا من القوم الى قيام الساعة، ويخرج وفى قلبه حسرات مما يرى من نعم الله، ومواهبه وعطاياه، وإحسانه وبره المتواتر" وقال أيضا : " يواصل هذه البقعة الواوي فيصير أسدا ، ويقاطعها الأسد فيصير واويا" . وقال أيضا عن قريته : " ... وقد جعلها الله مباركة .... وكل النوال ينزل من جناب العزيز سبحانه وتعالى على مكة حرسها الله، ثم يتفرق باليد المحمدية على المملكة، ومن اليد المحمدية يفرغ الى أم عبيدة ، ومنها بيد أهلها يفرق على القرى والنواحي ..... اختار الله لهذه البقعة زبدة الوقت، فما يقصدها إلا من لله فيه عناية أزلية، لأنها مقصد الأحباب ، ومحل الأبدال والأقطاب .... ومنها يحصل فتح الباب ، وكل خطوة الى أم عبيدة يُمْن ودرجة الى العزيز سبحانه" . (٤)

ونقل عنه قوله أيضا : " .... وعدني العزيز سبحانه أن النار لا تحرق من دخل هذه البقعة ، أو من لمسته يده". ثم استشهد على هذا الوعد الصوفى بقصة يزعم أن أحد

---

(١) بوارق الحقائق (ص/ ٢٢٤) .
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) المصدر السابق (ص/ ٢٢٤ـ٢٢٥) .
(٤) المصدر السابق (ص/ ٢٢٥ـ٢٢٦) .

المريدين جاء الى شيخه أحمد الرفاعى بسمكة، وأراه إياها، فنظر الشيخ الى السمكة ثم أمر من يطبخها. ثم أن الطابخ لما عجز عن طبخها بعد تركها على النار مدة طويلة، أخبر الشيخ، الذى سجد لله شكرا وقال: " الحمد لله الذى صدقنا وعده"، ثم ذكر الوعد المذكور. (١)

ببركة البقعة المقدسة ، وبركة شيخ الطريقة الرفاعية كانت النار بردا وسلاما على تلك السمكة المباركة التى أمر الشيخ بها فدفنت خلف رواق معبده المقدس فى دين الصوفية . ولعله أمر بالصلاة عليها قبل دفنها إعظاما لشأنها حيث تحقق فيها ا نجاز وعد الله له. إن هذا بعض ما يحصل للرفاعية إن هم آمنوا وصدقوا واعتقدوا بهذه الطريقة، واتبعوا ذلك المنهج لأن الله تعالى — كمازعم وكذب — قد وعده لكل من يدخل تلك البقعة بجملة عظيمة من المواهب والعطايا والبر المتواتر والنوال العظيم الى يوم القيامة .

(جـ) غلوهم فى الأتباع والمريدين:

لم ينس الشيعة والصوفية أنفسهم كأتباع وشيعة من هذا الخير فى ذلك المهرجان العظيم الذى عقدوه لتوزيع الخيرات والفضائل والبركات ، فقد أعطوا أئمتهم وأولياءهم حتى غلو فى خصائصهم فى الدنيا والآخرة ، وأعطوا ديارهم ومساجدهم حتى غلو فى ذلك كله ، ثم كالوا لأنفسهم من بحر الوضع والكذب ،فجعلوا لأنفسهم وأتباعهم ما تقر به العيون، وتطيب له النفوس من خيرات الدنيا والآخرة.

لقد جعل الشيعة أنفسهم هم أهل الاسلام، وحماة الدين، ممن آمن بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته دون غيرهم من الناس، وذلك بعد أن جعلوا دعوة الرسول هي التشيع . فالدين ما هم عليه، وما عند الناس باطل لا أصل له، والله تعالى لايقبل صرفا ولا عدلا إلا من الشيعة، والجنة ليست إلا لهم، بل حتى فى الدنيا، لولاهم لما نزل الغيث من السماء. الى غير ذلك من كذبهم ، وقد تقدم فى المباحث المتقدمة أشياء كثيرة من هذا الغلو والكذب .

روى الكليني بإسناده الى الصادق حديثا طويلا فيه :" .... ان لله عز وجل ملائكة ، يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا، كما يسقط الريح الورق.... وما من آية نزلت تقود الى الجنة، وتذكر أهلها بخير إلاوهى فينا وفى شيعتنا، وما من آية نزلت تذكر أهلها بشر، وتسوق الى النار، إلا وهى فى عدونا ومن خالفنا...." (٢)

---

(١) المصدرالسابق (ص/٢٢٧).

(٢) روضة الكافى(٨/٢٩ـ٣١).

وروى أيضا بإسناده إليه قال فى الشيعة : " أما والله لايدخل النار منكم اثنـــان ، لا والله ولا واحد ٠٠٠٠ " (١)

ومعلوم فى دين هؤلاء الرافضة أن مرادهم بالأعداء والمخالفين هم نحن أهل السنـة ، على اختلاف مذاهبنا ، وعلى رأس قائمة الأعداء والمخالفين أبو بكر وعمر وعثمان وأجلاء الصحابـة الآخرين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، فطوبى للشيعة بهذه الوعود والأمانى والآمال التـــى لن تتحقق ، ولن تكون إلا فى خيالات وعقول الرافضة النتنة ٠

وروى الكليني بإسناده الى الصادق مخاطبا الشيعة فقال فيما نسبوه إليه : " أنتـــم شيعة الله ، وأنتم أنصار الله ، وأنتم السابقون الأولون ٠٠٠٠ قد ضَمِنَّا لكم الجنة بضمـــان الله عز وجل ، وضمان رسوله ٠٠٠ لقد مات رسول الله ، وهو على أمته ساخـــط الا الشيعة ، ألا وان لكل شيء عزا ، وعز الاسلام الشيعة ، ألا وإن لكل شيء دعامـــة ، ودعامة الاسلام الشيعة ، ألا وان لكل شيء ذروة ، وذروة الاسلام الشيعة ٠ ألا وإن لكل شيء شرف ، وشرف الاسلام الشيعة ٠ ألا وإن لكل شيء سيدا ، وسيد المجالس مجالس الشيعـة ٠ ألا وإن لكل شيء إماما ، وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة ٠ والله لولا ما فى الأرض منكم ٠ ما رأيت بعين عشبا ، والله لولا ما فى الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ، ولأصابوا الطيبات ، ما لهم فى الدنيا ، ولا لهم فى الآخرة من نصيب ٠٠٠٠ " (٢)

وبإسناده إليه أيضا قال : " ٠٠٠٠ ألا وإن لكل شيء جوهرا ، وجوهر ولد آدم : محمد ونحن وشيعتنا بعدنا ٠٠٠٠٠ ما أقربهم من عرش الله عز وجل ، وما أحسن صنـع الله لهم يوم القيامة ، والله لولا أن يتعاظم الناس ذلك ، أو يدخلهم زهوٌ ، لسلّمت عليهـــم الملائكة قبلا ٠٠٠٠ وان للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن ممن خالفه ، وأنتـم والله على فرشكم نيام ، لكم أجر المجاهدين ٠٠٠٠٠ " (٣)

وروى بإسناده إليه أيضا قال مخاطبا الشيعة : " أنتم أهل تحية الله بسلامه ٠٠٠ لاحساب عليكم ، ولا خوف ، ولا حزن ، أنتم للجنة ، والجنة لكم ٠٠٠٠٠ دياركم لكـــم جنة ، وقبوركم لكم جنة ، للجنة خلقتم ، وفى الجنة نعيمكم ، والى الجنة تصيرون " ٠ (٤)

---

(١) روضة الكافى (٨ / ٦٥) ٠

(٢) نفس المصدر (٨ / ١٨٠ ـ ١٨١) ٠

(٣) المصدر السابق (٨ / ١٨١) ٠

(٤) المصدر السابق (٨ / ٣٠٠ ـ ٣٠١) ٠

وروى عن الباقر رواية فيها "إن دعوة نبي الله ابراهيم للمذنبين من أهل الايمان بالمغفرة والرضا خاصة للشيعة دون من سواهم من الخلق وأهل الملل والأديان" .(١)

وروى بإسناده الى الصادق أنه قال مخاطبا الشيعة بزعمهم : " من أحبكم على ما أنتم عليه دخل الجنة، وإن لم يقل كما تقولون" .(٢)

فمن أحب الشيعة لتشيعهم ورفضهم ، ولم ينكر شيئا من مذاهبهم وعقائدهم، فإنه مشمول بالبركات و الرحمات والخيرات الشيعية، شمولا يدخل به مداخلهم، ويرد به مواردهم ، تلك الموارد التى لا نحسدهم عليها ، لا والله ولا نغبطهم، ولا نرجوها لمن نحب، لتبقى خالصة لهم يوم القيامة بما كذبوا الله تعالى وخالفوا أمره، وبما امتلأت به قلوبهم من حقد وبغض لرسول الله وآله وصحابته الذين نصروه فى ساعة العسرة، وبذلوا الأموال والأنفس فى سبيل ربهم ودينهم رضي الله تعالى عنهم ، وأقر عيونهم يوم القيامة وقلوبهم بما أعده سبحانه وتعالى لمن اتخذ دينه مطية لسب أولئك الرجال والطعن فيهم بكل أنواع القبائح. وأقر عيوننا ، وشفا غيض قلوبنا من هؤلاء الأقزام أعداء الأديان والبشرية.

وروى محمد بن الحسن الصفار بإسناده الى علي بن الحسين قوله: " .... وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان، وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم ، وأسماء آبائهم . أخذ الله علينا وعليهم الميثاق ، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا نحن النجباء.... " (٣)

ويتبجح الرافضة بلا حياء ولا خجل ويقررون أنهم الفرقة الناجية من بين الثلاث والسبعين فرقة التى ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم . فقد نقل محمد باقر الموسوى الخوانسارى، علّامة أهل الرفض ، فى ترجمة الخواجة نصير دينهم وملتهم محمد بن الحسن الطوسي، قوله فى شرح الحديث، فقال : " الفرقة الناجية هى الإمامية، وذلك إنى اعتبرت جميع المذاهب، ووقفت على أصولها وفروعها، فوجدت من عدا الامامية مشتركين فى الأصول المعتبرة فى الايمان، وان اختلفوا فى أشياء... ثم وجدت أن الطائفة الامامية يخالفون الكل فى أصولهم، فلو كانت فرقة ممن عداهم ناجيةً ، لكان الكل ناجين، فدل على أن الناجي هو الإمامية لاغير" .(٤)

---

(١) المصدرالسابق (٨/٣٢٢).
(٢) المصدرالسابق (٨/٢١٣).
(٣) بصائر الدرجات الكبرى فى فضائل آل محمد (ص/١٣٨-١٣٩).
(٤) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات (٨/٣٠٦).

هكذا يستدل نصير الشرك والالحاد على نجاة الرفض وأهله، وهيهات هيهات لما تعدون بأنفسكم وأتباعكم من الفوز والنجاة واختصاصكم بكل خير فى الدنيا والاخرة، هيهات أن تجدوا ريح الجنة وأنتم على ما أنتم عليه من الرفض لدين الله الحق ، ومن الطعن والتجريح فى سادات هذه الأمة الذين اختارهم الله تعالى واصطفاهم لصحبة نبيه ونصرة دينه.

وأما الصوفية فيزعمون أنهم صفوة أهل الايمان، ممن اصطفاهم الله تعالى واختارهم لنفسه، فلا الجنة يطلبون، ولا من النار يرهبون، وعبادتهم عبادة محبة لذات الله لا تشوبها الرغبة ولا الرهبة ، فهم قد سَمَوا بأرواحهم وأنفسهم عن المطامع والملذات الدنيوية والأخروية، فدينهم كما يزعمون هو الدين الحق، ولذلك خصهم الله تعالى بمصادر يتلقون فيها دينهم وشرعهم فى حال يقظتهم ومنامهم . فالناس جميعا مشغولون بالجنة والنار، وهم مشغولون بالله تعالى وحده بزعمهم . ومنهم الأبدال والأقطاب والأغواث الذين خصهم الله تعالى بأنواع من التصاريف وأحوال الخلق فى الدنيا والآخرة . ويزعمون أن التصوف هو حقيقة وباطن دعوة الرسول ورسالته، وأنه هو الغاية من بعثته . فقد نقل أبو نعيم الأصبهانى فيما نسبه الى جعفر الصادق قوله: " من عاش فى ظاهر الرسول فهو سُني، ومن عاش فى باطن الرسول فهو صوفي"(١) وهذه الدعوى يستوى فيها الرافضة والصوفية، فكلاهما يجعل من دينه ومذهبه أمرا يقابل السنية وأهل السنة، فالشيعة تزعم أن حقيقة دعوة الرسول هى التشيع ، وظاهرها التسنن ، وكذلك الصوفية تفعل ، حذو القذة بالقذة.

ولقد شرع الصوفية لأنفسهم طقوسا وشرائع لم يأذن بها الله تعالى، وجعلوها هى مدار الأمر فى دين الله، وأحاطوها بفضائل من صنع أنفسهم ترويجا لها، وصبغها بالصبغة الشرعية الدينية. أذكر بعضا منها لبيان حقيقة دينهم وشرعهم. فقد جعلوا لباس الصوف والمرقعة غاية شرعية عظيمة، لها أهميتها حتى فى زيادة الايمان، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " عليكم بلباس الصوف ، تجدون حلاوة الإيمان فى قلوبكم".(٢) لإثبات أنها سنة وشرع فى دين الله عز وجل.

وفى رواية نسبوا إليه قوله: " عليكم بلباس الصوف، لتدركوا حلاوة الإيمان"(٣) وزعموا أنه قال لعائشة رضي الله عنها: " لا تضيعى الثوب حتى ترقعيه"(٤) ونسبوا إليه أنه

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢٠).
(٢) كشف المحجوب للهجويرى (١/ ٢٤١).
(٣، ٤) المصدر نفسه (١/ ٢٤١).

كان يلبس الصوف[١] فى حياته كذبا وزورا ٠

وكذلك جعلوا من الجوع و الفقر غاية فى شرعهم ودينهم، حتى نسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " بطن جائع أحب الى الله من سبعين عابدا غافلا "[٢]

وقوله أيضا : " أجيعوا بطونكم ،واظمئوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم ، لعل قلوبكم ترى الله عيانا فى الدنيا "[٣] ويقول الهجويرى عن الجوع أنه " شرف كبير، وهو محمود عند الأمم والملل "[٤] ويزعم أن من ثمار الجوع المشاهدة[٥] ، وهى غاية الغايات ،ومنتهى الآمال عند المتصوفة ٠ ونقل عن سهل بن عبد الله قوله: " المعدة المملوءة بالخمر أحب اليّ من المعدة الممتلئة بالطعام ٠٠٠ "[٦]

وأما السماع والرقص والطرب فهى وسيلتهم التى لابد منها للوصول الى ذروة سنام دينهم وشرعهم من مشاهدة الحق التى يزعمونها، ومن الوصول الى الحضرة المزعومة بما يحصل لهم من حالات الغشي والصعق والسكر والجنون، وكل ذلك شرع ودين عندهم٠ نسب الهجويرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " من سمع صوت أهل التصوف ، فلا يُؤمن على دعائهم، كُتب عند الله من الغافلين "[٧] وقد عقد الهجويرى بابا فى السماع وأنواعه[٨] ، وما يترتب عليه من وجد وغشي وغيره من الحالات التى يزعمونها مقامات فى شريعتهم، وقد نسب زورا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يُغشى عليه، فزعم " أنه حين قرأ عليه قول الله تعالى " إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما "[٩] ، وقع مغشيا عليه "[١٠] وزعم أيضا : "أن رجلا قرأ أمام عمر بن الخطاب" إن عذاب ربك لواقع" ٠[١١] فصرخ ، ووقع مغشيا عليه، فرفعوه وحملوه الى منزله ٠٠٠٠ "[١٢] ثم ذكر عن أئمة المتصوفة ما حصل لهم من ذلك بعد أن مهد بما نسبه الى رسول الله، والى عمر ترويجا لبدعتهم، وأنها سنة قديمة وشرع ودين ، ثم زعم أن الدواب والحيوانات

---

(١) المصدر السابق (١ / ٤٣١) ٠
(٢، ٣، ٤) المصدر السابق (٢ / ٥٦٩) ٠
(٥) المصدر السابق (٢ / ٥٧٠) ٠
(٦) المصدر السابق (٢ / ٥٩٣) ٠
(٧) المصدر السابق (١ / ٢٢٧) ٠
(٨) المصدر السابق (٢ / ٦٣٨ـ٦٦٧) ٠
(٩) سورة المزمل / ١٢ـ١٣٠
(١٠) كشف المحجوب للهجويرى (٢ / ٦٤١) ٠
(١١) سورة الطور / ٠٧
(١٢) كشف المحجوب (٢ / ٦٤١) ٠

تظهر الطرب بالحان الصوفية وأناشيدهم حتى ذكر أن المتصوفة يصطادون الغزلان في خراسان والهند بالغناء والألحان ، فتسمع الغزلان أناشيدهم، فتقصدهم ثم يغمضون أعينهم من اللذة وينامون ، فيمسكهم الصيادون (١) . ثم ذكر أحوال المريدين مع مشايخ الصوفية، خاصة الذين أسلموا أرواحهم بزعمهم لله تعالى . وذكر عن الجنيد ينصح أحد مريديه فقال : " إذا أردت سلامة الدين ورعاية التوبة، لا تنكر السماع الذى يقيمه الصوفية... " (٢). ثم تكلم عن الوجد فقال : " وصفة الواجد: إماحركة غليان الشوق فى حال الحجاب، وإما سكون فى حال المشاهدة فى حال الكشف : إما زفير وإما نفير، وإما أنين وإما حنين، إما عيش وإما طيش ، إما كرب وإما طرب" (٣) وذكر أن الجنيد ومحمد بن مسروق وأبا العباس بن عطاء اجتمعوا ، فأنشد القوّال ، فتواجدوا والجنيد ساكن ، فقالا له: أليس لله نصيب من هذا السماع؟ فقرأ قوله تعالى : وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب" (٤) (٥)

إن هذا بعض ما عند هؤلاء المبتدعة من غلو فى شعائرهم وطقوسهم التى شرعوها لأنفسهم وأتباعهم، مستبدلين الذى هو أدنى بالذى هو خير مما شرعه الله تعالى وشرعه رسوله صلى الله عليه وسلم . ويظهر من هذا أن الصوفية كالشيعة تماما لا تعجزهم الأدلة والنصوص فى إثبات ما يريدون إضافته الى الشرع والدين ، فمعين نصوصهم لا ينضب ، وبحور أدلتهم لا تجف، ما داموا قد فارقوا الحياء والخجل .

وأما غلوهم فى أنفسهم وأتباعهم، وما أعده الله تعالى لهم من المنزلة والجاه والكرامة فمنه، مانقله أبو نعيم الأصبهانى عن الحارث المحاسبي أنه قال: " أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام..... ياداود ! تواضع لمن تُعلِّمه، ولا تطاول على المريدين، فلو يعلم أهل محبتى ما قدْر المريدين عندى ، لكانوا للمريدين أرضا يمشون عليها، ولَلَحسوا أقدامهم...." (٦) يريدون بهذه الأدلة الرخيصة والأساليب الخبيثة إثبات ألفاظهم واصطلاحاتهم، وأنها من الشرع، فضلا عن الفضائل والدرجات المزعومة.

ولقد اشتهرت الطرق الصوفية جميعا بالكذب فى فضائل أتباعهم ومريديهم ، وأن ذلك خاص بتلك الطريقة وأهلها دون غيرها ترغيبا للغوغاء من الناس فى البقاء فى حظيرتهم وتحت سلطانهم.

---

(١) المصدرالسابق (٢/٦٤٨) .
(٢) المصدرالسابق (٢/٦٦٠) .
(٣) المصدرالسابق (٢/٦٦١) .
(٤) سورة النمل/٨٨ .
(٥) كشف المحجوب (٢/٦٦٣) .
(٦) حلية الأولياء لأبى نعيم (١٠/٧٩-٨٠) .

يقول على حرازم بن العربي التجاني ويزعم عن شيخه أبي العباس التيجاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أن " كل من أحب التجاني، فهو حبيب النبي صلى اللهعليه وسلم، ولا يموت حتى يكون وليا قطعا" (١) . هكذا أخبره مباشرة، وهذا أسلوب مقبول عند الصوفية، بل هو من أقوى أنواع الأدلة الشرعية والمصادر الدينية.

وينقل عن شيخه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره يقظة لا مناما وقال له: " أنت من الآمنين، وكل من رآك من الآمنين، ان مات على الايمان، وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها، وكل من أطعمك، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب" (٢) لقد جعل الشيعة والصوفية من الجنة، سلعة رخيصة، تُنال بأقل الأعمال والمجهودات والتكاليف . ويؤكد هذا المنحرف على بدعةٍ صوفيةٍ، وهي رؤيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى في حال يقظتهم، وأخذهم عنه الأدلة والنصوص المزعومة مباشرة. وبهذه البدعة، فتحوا لأنفسهم ومن وافقهم بابا عظيما من أبواب الوضع والكذب، ومصدرا كبيرا من مصادر تشريع دينهم ومذهبهم ونحلتهم .

ثم يتابع التيجاني هذا المزاد الرخيص فى الجنة ومقاماتها ودرجاتها، فيقول: " فلما رأيت ما صدر لى منه من المحبة صلى الله عليه وسلم، وصرّح لى بها، تذكرت الأحباب، ومن وصلني إحسانهم، ومن تعلق بى بخدمة، وأنا أسمع أكثرهم يقولون لى: نحاسبك بين يدى الله إن دخلنا النار، وأنت ترى! فأقول لهم: لا أقدر لكم على شيء. فلما رأيت منه هذه المحبة صلى الله عليه وسلم، سألته لكل من أحبنى ولم يعادني بعدها، ولكل من أحسن الى بشيء من مثقال ذرة فأكثر، ولم يعادني بعدها ..... كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب .ثم قال: وسألته صلى الله عليه وسلم لكل من أخذ عنى ذكرا أن تغفر لهم جميع ذنوبهم، ما تقدم منها وما تأخر، وأن تؤدى عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله: من الموت الى دخول الجنة، وأن يدخلوا الجنة بلا حساب ولاعقاب، فى أول الزمرة الأولى، وأن يكونوا كلهم معي فى عليين فى جوار النبي صلى الله عليه وسلم. فقال لى صلى الله عليه و سلم: ضمنت لهم هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاورنى أنت وهم فى عليين ... " (٣)

---

(١) جواهر المعانى (١/١٠٨-١٠٩) .
(٢) نفس المصدر (١/١٠٩) .
(٣) نفس المصدر والصفحة.

كل هذه المحاورة حصلت يقظة بين التيجانى وبين من زعمه نبياً.
وهذا أمر مسلم فى دين الصوفية، لأنهم يؤمنون بالدعوى والتداعى ، فكل من كان صوفيا يحق له أن يدعى ما يشاء . أما أهل الايمان فإنهم لا يشكّون فى كفر هذا المدّعي، وبطلان دعواه . وفى هذه القصة التى جرت بينه وبين أحد الشياطين الذى صور له أنه رسوله ونبيه من الوقاحة وسوء الأدب ، بل والشرك بالله تعالى كقوله عن مريديه أنهم يحاسبونه بين يدى الله إن هم دخلوا النار وهو براهم . وقوله لنبيه ورسوله وطلب المغفرة منه مباشرة والأداء عن مريديه استقلالا . هذا هو دين هؤلاء الصوفية الذين يزعمون أنهم الصفوة من خلق الله ، لقد أغوتهم الشياطين وأعمتهم الأهواء وأسكرتهم الشهوات عن كل حق ودين .

ثانيا : الشفعاء والوسطاء بين الحق والخلق عند الشيعة والصوفية

تمهيد :

ذكر الله سبحانه وتعالى الشفاعة والشفعاء فى آيات كثيرة، وذكرها رسوله صلى الله عليه وسلم فى أحاديث كثيرة، وخلاصة ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله أن الشفاعة نوعان :

الأول : هى الشفاعة المنفية، وهى التى تمسك بها المشركون الجاهليون، ومن ضاهاهم من جهال هذه الأمة وضلّالهم أو ممن ينتسبون الى الاسلام وأهله. وهذه الشفاعة شرك بالله تعالى، لذلك جاءت نصوص كثيرة بنفيها. قال تعالى: " واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يُقبل منها شفاعة ولا يُؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون" (١) وغيرها كثير مما يبين ويؤكد أن حقيقة هذه الشفاعة هو الشرك بالله تعالى، وأن هؤلاء الشفعاء شركاء له سبحانه فى الملك والتصريف والتدبير. والنصوص الشرعية تقرر بهذا النفي توحيد الله تعالى الذى هو أجل الأعمال والطاعات، بل هو أصلها.

والثانى : هى الشفاعة المثبتة، وقد أثبتها الله تعالى فى آيات كثيرة منها قوله تعالى :" ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" (٢) وقوله تعالى: " من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه" (٣). كما ذكرها رسوله صلى الله عليه وسلم فى أحاديث بلغت بمجموعها حد التواتر. وحقيقة هذه الشفاعة أن يشفع الشفيع بإذن الله تعالى فيمن يحدّهم الله تعالى ويعيّنهم له ممن ارتضاهم سبحانه وتعالى من أهل التوحيد والإخلاص. فهى تفضُّل من الله تعالى على أهل التوحيد والاخلاص فيغفر لهم ذنوبهم بدعاء الشافع الذى أراد الله تعالى كرامته فى ذلك الموقف العظيم .

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة فى هذه المسألة، وسط بين الوعيدية الجفاة من الخوارج والمعتزلة الذين تجرأوا على النصوص فأنكروا ما أثبته الشرع ليؤكدوا مذهبهم الفاسد القائل بخلود عصاة الموحدين الذين يدخلون النار، وبأنه لا تنفعهم شفاعة أبدا. وبذلك أنكروا حقا من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكرامة أكرمه الله تعالى بها .

---

(١) سورة البقرة/٤٨.
(٢) سورة سبأ/٢٣.
(٣) سورة البقرة/٢٥٥.

فالعصاة وأهل الكبائر من الموحدين عندهم يُخلّدون فى النار، سواء شأنهم،وشأن فرعون وهامانوأضرابهما، جاهدين قول الله عز وجل :" أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار" (١) وقوله تعالى:" أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون " (٢) وغير ذلك من الآيات والنصوص الشرعية.

وبين المرجئة الغلاة الذين توسعوا فيما نفاه أولئك وضيقوه. فقد أثبت هؤلاء ما نفاه الله ورسوله من الشفاعة الشركية، مضاهاة ومحاكاة للنصارى ومشركي الجاهلية . ويمثل هؤلاء الشيعة والصوفية المحسوبون على الإسلام وأهله، فقد جعلوا لمن يعظمونهم من الائمة والاولياء المزعومين، حقا عند الله تعالى فى الشفاعة، فيشفعون لمن عظّمهم في الدنيا، وأحبهم، وأعتقد فيهم الإمامة والولاية ، ثم أفنى عمره فى تلك المحبة الشركية ، وتلك الطريقة البدعية، وقام بأداء حقوقهم المزعومة ، وخدمتهم، ثم مات على ذلك.

وبهذه العقيدة فى أئمتهم وأوليائهم أشغل الشيعة والصوفية أنفسهم عن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله، وعن محبة الله تعالى ومحبة رسوله، الطاعةوالمحبة الشرعية ، اعتمادا منهم على تلك الشفاعة التى ستكون خالصة لهم من دون الناس، والتى ستجعلهم يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب، والتى ستجعل لهم مقاما عظيما فى تلك الجنة التي يحلمون فيها ، وأنها لم تخلق الا لهم ولمن أحبهم ووافقهم على بدعهم ومنكراتهم. وأظنهم قد صدقوا فى هذا الحلم فإن لهم جنة خاصة بهم مع الطواغيت والأصنام التى يعكفون عليها ، هى جنتهم التى قد جعلها ربنا وخالقنا دار قرار لهم يذوقون فيها ما أعده سبحانه وتعالى لهم من ألوان العذاب فى نار جهنم ، وليجتهد أساطينهم وطواغيتهم فى جعل نار الله تعالى بردا وسلاما عليهم كما يزعمون ويعتقدون، وقل يا أهل الزيغ والضلال انتظروا، فإنا منتظرون.

---

(١) سورة ص/٢٨.
(٢) سورة القلم /٣٥-٣٦.

الشفاعة والشفعاء عند الشيعة :

يقول شيخهم ومفيدهم محمد بن النعمان فى بيان عقائدهم وأصول مذهبهم: " القول فى الشفاعة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة فى مذنبي أمته من الشيعة خاصة٠٠٠، ويشفع أمير المؤمنين فى عصاة شيعته٠٠٠، وتشفع الأئمة فى مثل ماذكرناه من شيعتهم ٠٠٠٠ وعلى هذا القول إجماع الإمامية٠٠٠٠" (١) ويروى بإسناده الى موسى بن جعفر أنه قال: " من كانت له إلى الله حاجة، وأراد أن يرانا، وأن يعرف موضعه من الله، فليغتسل ثلاث ليال، يناجي بنا، فإنه يرانا، ويُغفر له بنا٠٠٠ ثم قيل له إن رجلا رآك فى منامه وهو يشرب النبيذ ٠ فقال: ليس النبيذ يفسد عليه دينه، إنما يفسد عليه تركنا، وتخلفه عنا ٠٠٠٠ إن أشقى أشقيائكم من يكذبنا فى الباطن بما يُخبر عنا ٠٠٠ نحن أبناء نبي الله٠٠٠ وأحباب رب العالمين، نحن مفتاح الكتاب ٠٠٠ نحن حجر البيت فى السماء والأرض، بنا غُفر لآدم، وبنا ابتُلى أيوب، وبنا افتقد يعقوب، وبنا حُبس يوسف، وبنا دُفع البلاء، وبنا أضاءت الشمس ٠٠٠" (٢)

إن شيخهم هذا ممن يحتج به فى أخباره وتقريره لعقائدهم، وقد لقبوه بالشيخ وبالمفيد٠ وهو يقرر هنا اختصاص شفاعة النبي وغيره من الشفعاء بالشيعة دون غيرهم، وذلك لأنه قد تقرر أن الشفاعة يستحقها من أشرك بالله تعالى وجعل له أندادا يحبونهم كحب الله أو أشد حبا٠ ويقرر أن مناجاه الله تعالى إن كانت بالوسطاء فإنه أحرى للوصول والبلوغ الى أهدافهم وغاياتهم٠ كما يقرر مبدأً مهما من مبادئ التشيع وهو الخضوع والانقياد والإذعان ظاهرا وباطنا لكل ما ينسب إلى من زعموهم أئمة ، فالويل حتى لمن تحدثه نفسه بكذب شيء مما نُسب اليهم فضلا عن رد ما كان من جنس الخرافات والأساطير٠

وكذلك فعل أحمد بن علي الطبرسي – من علمائهم فى القرن السادس – فقد أورد نصا، نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين فيه حاجة الناس عامة الى شفاعة من يزعمونهم أئمة أهل البيت، وحتى الأنبياء ذكر حاجتهم لتلك الشفاعة، فآدم لما عصى الله تبارك وتعالى، تواضع لمحمد وآل محمد، ودعا الله بهم، فأفلح كل الفلاح ببركة تمسكه بعروة أهل البيت٠ (٣)

---

(١) أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات (ص/ ٩٠)٠

(٢) الاختصاص للمفيد النعمان (ص/ ٩٠–٩١)

(٣) الاحتجاج للطبرسي (١/ ٥٣)٠

وأورد الجزائرى الرافضي نصا يراه هو وأمثاله دليلا وحجة ، فيزعم أن حوت يونس خرج أيام زين العابدين وقال بلسان عربي مبين : " إن الله تعالى لم يبعث نبيا من آدم الى محمد، إلاوقد عرض عليه ولاية الائمة · فمن قبلها منهم سلِم، ومن توقف عنها وتتعتع لقي ما لقي من المصيبة ····" ثم ذكر ما لقى آدم ونوح ، وابراهيم ويوسف وأيوب وداود ويونس من البلايا والمصائب ، وأنهم ما سلموا مما لاقَوه ، إلا بالتمسك بأئمة أهل البيت·(١)

وقد أورد الحر العاملى الرافضي نصوصا عن الشفاعة، منها ما نسبه الى جعفر الصادق أنه قال : " شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا " ·(٢) والى على بن موسى الرضا أنه قال : " من زار قبور الائمة رغبة، وتصديقا ، كانوا شفعاءه يوم القيامة " ·(٣)

وفى الزيارة الجامعة المتلقاة بالقبول عند جميع أئمتهم قديما وحديثا ما نصه : " ····أنتم السبيل الاعظم ، والصراط الاقوم ، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة····" وجاء فى شرحه فى الأنوار اللامعة لعبد الله شُبَّر ما نقله عن الباقر والصادق قولهما : " والله لنشفعن فى المذنبين من شيعتنا حتى يقول أعداؤنا : "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم" (٤) · وعن الصادق قوله : " الشافعون، الائمة···· ولنا شفاعة فى شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة فى أهل بيتهم" · وعن الصادق أيضا قوله : " من أنكر ثلاثة أشياء، فليس من شيعتنا : المعراج، والمسألة فى القبر، والشفاعة" ·(٥)

ويقول إمامهم الخمينى مبينا التوسل البدعي الشركي ما نصه : "··· فيتوسل بأولياء الأمر، وخفراء الزمان، وشفعاء الإنس والجان، يعني الرسول، والأئمة المعصومين ، ويجعل تلك الذوات الشريفة شفيعا وواسطة· وحيث أن لكل يوم خفيرا ومجيرا : فيتعلق يوم السبت بالوجود المبارك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويوم الاحد لأمير المؤمنين عليه السلام، ويوم الأحد للامامين الهمامين السبطين عليهما السلام، ويوم الثلاثاء للحضرات:

---

(١) الأنوار النعمانية (١/٢٤ـ٢٥) ·
(٢) وسائل الشيعة (٥/٣٢٢) ·
(٣) نفس المصدر (٥/٢٥٣) ·
(٤) سورة الشعراء/١٠٠ـ١٠١ ·
(٥) الأنوار اللامعة فى شرح الزيارة الجامعة (ص/١٤٥ـ١٤٦) ·

السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، ويوم الأربعاء للحضرات: الكاظم والرضا والتقي والنقي عليهم السلام، ويوم الخميس للعسكري عليه السلام، ويوم الجمعة لولي الأمر عجل الله فرجه الشريف، .... ويسأل الحق تعالى رفع شر الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء بشفاعتهم، فإنهم مقربون لجناب القدس، والمحارم لخلوة الأنس، ويجعلهم وسائط في الإتمام، وقبول العبادات الناقصة، والمناسك غير اللائقة. فالحق تعالى كما جعل محمدا وأهل بيته وسائط الهداية.... وعيّنهم الهداة لنا... فيرمم بشفاعتهم قصورنا، ويتمم نقصنا، ويقبل طاعاتنا وعباداتنا غير اللائقة...." (١)

لقد جعل لكل يوم من أيام الأسبوع ذاتا يتعلق هو وأمثاله بها من دون الله عز وجل، ليشفي غليل نفسه التواقة الى الشرك بالله تعالى، واتخاذ الأنداد والأوثان في دين الله تعالى، وتبريرا للأعمال الشركية والوثنية التي يدعوا لها هو وغيره من أئمة الرفض، فإنه يفسر الشرك تفسيرا يوافق طبعه وهواه. فيقول:

" إن الشرك هو طلب الشيء من غير رب العالمين، على أساس كونه إلها. وأما ما دون ذلك، ليس بالشرك ". (٢)

انطلق الخميني من خلال هذا التعريف يدعو الناس الى تعظيم الأشخاص، وتقديسهم، وطلب الحوائج منهم مدعيا بأنه يكفي لعدم الوقوع في الشرك عدم اعتقاد الألوهية فيمن يُطلب منه قضاء الحوائج، ويقول نتيجة لهذا التعريف الخبيث إن طلب الحاجة من الرسول، والامام، وأي شخص ليس بشرك، وأنه يستوى في ذلك الحي والميت، بل حتى الحجر والصخر، وإن كان باطلا لعدم منح الله تعالى إياها القدرة على قضاء الحوائج، بخلاف من" نطلب منهم المدد من الأرواح المقدسة للأنبياء والائمة ممن قد منحهم الله القدرة". (٣)

هذا هو دين الرافضة والصوفية، ومازالوا متمسكين بهذه الشركيات والوثنيات الى يومنا هذا، فهاهم يزورون الأئمة والأولياء المزعومين، الأحياء منهم والأموات بقصد التبرك وحصول المنافع، وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم لِمَا زعموا أن لأئمتهم وأوليائهم القدرة والتصرف أحياءً وأمواتا.

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة (ص/ ٥٦٩ـ٥٧٠).
(٢) كشف الأسرار للخميني (ص/ ٤٩).
(٣) نفس المصدر (ص/ ٤٦ـ٤٩).

ولمّا لم يجد الخميني، ولن يجد الرافضة والصوفية، ولو اجتمعوا، دليلا شرعيـــا يسعفه فى كفره ومذهبه الباطل، لجأ الى من زعمهم العلماء ، وكبار الفلاسفة فاستشهـــد بترهاتهم ، واستدل بأقوالهم الساقطة بحجة أن هذه المسألة تعتبر من المسائل الفلسفيـة الحتمية، فيقول : " نكتفى هنا بنقل آراء بعض كبار الفلاسفة الموثوق بآرائهم" ٠ (١) فذكــر رأي : ثاليس المالطي ، وأنكيسماس، وأنبذقلس الذى زعم أن لقمان الحكيم أخذ عنه الحكمة ، وفيثاغورس الحكيم بزعمه، وسقراط الفيلسوف الكبير على حد قوله، وأفلاطون العظيـــم ، وأرسطوطاليس، وقد ذكرهم بالتعظيم والثناء والتمجيد، ثم ذكر آراء من زعمهم فلاسفة الإسلام، فذكر رأى ابن سينا، وشهاب الدين السهروردي المقتول، ومحمد بن ابراهيم الشيرازي الرافضي الصوفى، والملقب عند الشيعة بصدر المتألهين٠ وأخيرا استشهد واستدل برأى ديكـــارت الفيلسوف الفرنسى الملحد (٢) ٠ إن أقوال ومذاهب هؤلاء هى أدلته فى الشفاعة، وغيرهـــا من أبواب العقائد المنحرفة، فهؤلاء هم قدوته وأساتذته، حشره الله تعالى معهم ٠

يقول : " يقولون : طلب الشفاعة من الأموات شرك" (٣) يورد هذه الحقيقة علـــى أنها شبهة ، وأنه سيرد عليها، فيزعم أن مصدر هذه الشبهة" الوهابيون" (٣) ٠ ولقد كـذب وفجر، بل هو مذهب أهل الحق، ومقتضى النصوص الشرعية٠ ثم يقول فى رده على ما زعمـــه شبهة " بأن الشفعاء لن يكونوا بعد توديعهم الحياة أمواتا، بل إن موتهم يعنى خلـــود أرواحهم فى العالم الآخر، ووقوفهم على كثير من الأمور المسلم بها" ٠

ويقول أيضا : " واستنادا الى فلاسفة الروح القدامى، فإن طلب الشفاعة من الامـــام والنبي الذى يصبح بعد موته كقطعة خشب أو حجر أو أى جماد آخر ٠٠٠ لن يعـــد شركا" ٠ (٥) ثم راح بعد إثباته لهذا المذهب مستندا على أقوال من زعمهم فلاسفة الـــروح القدامى، يستشهد ببعض الآيات القرآنية زاعما أنها تشهد لعقيدته فى الشفاعة٠

إن فى ذكر أقوال الخميني الرافضي المتصوف بيان أن الرفض والتشيع مـــا زال، كما كان قديما معول هدم لأركان الإسلام والإيمان والتوحيد، ولا فرق بين رافضة الأمـــس

---

(١) المصدر السابق (ص/ ٥٠)

(٢) المصدر السابق (ص/ ٥٠ـ٥٦) ٠

(٣) المصدر السابق (ص/ ٩٤) ٠

(٤) المصدر السابق والصفحة٠

(٥) المصدر السابق والصفحة٠

واليوم ، ولا ينبغى الاغترار بالشعارات والهتافات التى يرفعها الرافضة فى وسائل إعلامهم، ومؤلفاتهم التى يكتبونها لأهل السنة تقيةً، بغية إضلال عامتهم، وتمييع مذهب أهل السنة والجماعة فى موقفهم من الرفض وأهله ٠

الشفاعة والشفعاء عند الصوفية :

روى القشيرى عن محمد بن الحسين قال : سمعت عبد الرحمن بن محمد الصوفي يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : " كنا قعودا فى مجلس أبي يزيد البسطامي ، فقال : قوموا بنا نستقبل وليا من أولياء الله تعالى : فقمنا معه، فلما بلغنا الدرب ، فاذا إبراهيم بن شيبة الهروي٠ فقال له أبو يزيد: وقع فى خاطرى أن أستقبلك، وأشفع لك إلى ربي ٠ فقال ابراهيم: ولو شفعت فى جميع الخلق لم يكن بكثير، إنما هم قطعة طين ! فتحير أبو يزيد من جوابه"٠ ثم يعلق القشيرى على هذه الرواية فيقول : " وكرامة إبراهيم فى استصغار ذلك أتم من كرامة أبي يزيد فيما حصل له من الفراسة، وصدق له من الحالة في باب الشفاعة"٠ (١)

يقرر القشيرى ما فى هذه الرواية الصوفية من انحرافات، فأبو يزيد يعلم الغيب، والهروي يُزكى على أنه من الأولياء، ومذهب الصوفية فى الشفاعة التى نفاها الله تعالى٠ ونفاها رسوله ، يقررها هؤلاء، فأبو يزيد عندهم يملك الشفاعة، ويستحقها، وله أن يضعها فيمن يختارهم هو، بل يملكها فى مذهبهم من هو دون أبي يزيد الذى يُعد ممن يُقتدى به فى التصوف ٠

ويزعم ابن عربى أن أحدا من أمة الدعوة الذى بُعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم، لا يكتب شقيا، ولا يبقى فى النار، بل يخرجون جميعا منها٠ وإن بقى أحد منهم فيها، فإنها تكون عليه بردا وسلاما ببركة أهل البيت٠ ويزعم أن هذا تحقيق لقول النبي " أهل بيتى أمان لأمتي"٠ (٢)

فأهل البيت يشفعون فى هذه الأمة ، وببركة شفاعتهم ودعائهم يخرج الناس من النار ، أو تكون عليهم بردا وسلاما إن هم بقوا فيها٠ وهذه من موافقات ابن عربى الصوفي للشيعة والتشيع٠

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٧٠٦)٠
(٢) الفتوحات المكية، السؤال الخمسون ومائة" أهل بيتى أمان لأمتى" (٢/١٢٧)٠

ويقول أحمد مبارك السلجماسي عن شيخه الدباغ : " ولما مات الشيخ كنت أتكلف الذهاب الى زيارة قبره كثيرا . فوقف عليَّ فى المنام، وقال لى :إن ذاتي ليست بمحجوبة فى القبر ، بل فى العالم كله، عامرة له ومالئة، وفى أى موضع تطلبني تجدني، حتى إنك لو قمت الى سارية فى المسجد، وتوسلت بي الى الله عز وجل ، فإني أكون معك حينئذ..... وإياك أن تظن أني أنا ربك عز وجل ، فإن ربك غير محصور فى العالم ، وأنا محصور فيه...." وقال عنه أيضا : " وكذا سمعته فى حياته يقول : إن العالم كله قد يكون أحيانا فى وسط جوفي" . (١)

إنها زندقة صوفية ، وكفر بالله تعالى. فالدباغ يحذر مريديه أن يظنوا أن فيه شيئا من الربوبية، فالرب غير محصور فى العالم، وهو محصور فيه. وقد سبق أن أخبره بأن العالم كله أحيانا يكون فى جوفه، أى أنه أعم وأعظم من العالم، وأنه غير منحصر فى العالم، تعالى الله عز وجل عما يقول الظالمون علوا كبيرا. أما التوسل به،وجَعْله واسطة وشفيعا بينه وبين ربه عز وجل فانه أمر مفروغ منه، وهو من ضروريات مذهب الصوفية والشيعة، وكأن دعاء الله عز وجل مباشرة ، وبلا واسطة أمر ممنوع فى دينهم ومذهبهم.

وهذا الشعراني عبد الوهاب ، صاحب الجولة والصولة فى هذا الباب، بل وفى جميع أبواب التصوف والضلال . يقول كاشفا عن عقيدته فيما ينقله عن سيده ابراهيم الدسوقى : " إذا صدق المريد مع شيخه ، ونادى شيخه من مسيرة ألف عام، أجابه حيا كان الشيخ أو ميتا ، فليتوجه الصادق بقلبه الى شيخه فى كل أمر دهمه فى دار الدنيا ، فإنه يسمع صوت شيخه ، ويغيثه مما هو فيه، ومهما ورد عليه من مشكلات سره: يطبق عينيه ، ويفتح عين قلبه، فإنه يرى شيخه جهارا . فإذا رآه فليسأله عما شاء وأراد" . (٢)

دعوة صوفية للتوجه الى المخلوق ، حيا كان أو ميتا ، حتى فى حالات الشدة والكرب. وهذا كله لايسمى شركا ، بل هو عندهم من أرفع الأعمال ، وأعظمها ، وأحراها للقبول ، وما على المريد إلا أن يغمض عينيه عن جميع النصوص الشرعية التي تدعو الى توحيد الله عز وجل فى العبادة والطلب ، والشدة والرخاء، والى نبذ الشرك فى جميع صوره وأشكاله،

---

(١) الابرايز للدباغ (ص/٤٠٧) .
(٢) الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية (١/١٨٩) .

مهما قل أو دق فى عرف الناس لخطورته، ثم يفتح عين قلبه، أى ما أملاه عليه أئمة التصوف من الشركيات والوثنيات ليرى بتلك العين العوراء الخبيثة شيطانا مريدا على صورة شيخه أو ربه الذى يتوجه إليه بالسؤال عن كل شيء.

وينقل عبد الوهاب عن شيخه وسيده أبو محمد الكتاني قوله: " من الشيوخ من ينتفع به مريده الصادق بعد موته، أكثر من انتفاعه به حال حياته، وبعضهم سمع نطق شيخه من قبره، يأمره، وينهاه...." (١)

يريدون بقاء المريد فى عبودية وخضوع لغير الله تعالى حتى بعد موت شيخه، أملاً فى حصوله على المنافع بعد هلاك ذلك الشيخ، وإلا أى خير فيمن منعك نفعه حين كان يملكه، حتى ترجوه منه يوم لا يملك نفع نفسه.

ولقد بالغ الشعرانى فى غلوه بشيوخه، فقد زعم أن منهم من يشفع عند الله تعالى ليغفر للملائكة الذين يقعون فى المعاصي والذنوب، مكذبا قول الله عز وجل عن ملائكته" لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" (٢)، ترويجا لبدعتهم، وإضلالا للمريدين والاتباع والغوغاء من الناس. فقد ذكر فى ترجمة سيده عبد الرحيم المغربي القناوى أنه كان يوما فى حلقته" فنزل شبح من الجو، لا يدرى الحاضرون ما هو؟ فأطرق الشيخ ساعة، ثم ارتفع الشبح الى السماء، فسألوه عنه. فقال: هذا ملَك، وقعت منه هفوة، فسقط علينا، يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتنا فيه. فارتفع". (٣)

هنيئا لهذا الملَك بتوفيقه بالسقوط على هذا الشيخ الذى لاترد شفاعته ووساطته. وهنيئا لمريديه وأتباعه، فقد قُبلت شفاعته فى العفو عمن لم يخلق إلا للطاعة، فكيف ان شفع فيمن خلق الله تعالى فيه الخير والشر؟

ويقول محمد مهدى الرواسى الرفاعي فيما نقله عن علي بن عثمان الرفاعي القطب المزعوم أنه قال لأصحابه ومريديه ناصحا إياهم، ودالهم على ما ينفعهم: " إذا طلبتم الحق، فاطلبوه بين سوارى رواق أم عبيدة، وإذا كانت لكم الى الله حاجة، فاضرعوا إليه بساكنها، تقضى حوائجكم...." (٤)

---

(١) نفس المصدر (١٨٩/١)

(٢) سورة التحريم/٦.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١/١٥٦-١٥٧).

(٤) بوارق الحقائق (ص/٢٢٧).

أين هذه النصيحة من نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه. إنهم يريدونها عودة الى ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى، إنهم يريدون صرف الناس عن الاخلاص والتوحيد.

ويقول عمر بن سعيد الفوتي الطوري عن شيخه التيجاني: " وأما كيفية التوسل به وبجده صلى الله عليه وسلم ، فهى إنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة: فصل على رسول الله بصلاة الفاتح مائة مرة ، واهد ثوابها لرسول الله بنيّة الحاجة التى تريدها . ثم تقول :

يا رب! توسلت إليك بحبيبك ، ورسولك، وعظيم القدْر عندك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فى قضاء الحاجة التى أريدها مائة مرة .

ثم تقول :

اللهم إنى أسألك ، وأتوجه إليك بجاه القطب الكامل سيدى أحمد بن التجاني، وجاهه عندك أن تعطينى كذا وكذا ، وتسمى حاجتك بعينها عشرا. ثم تصلى على رسول الله بصلاة الفاتح مرة ، ثم تقول : اللهم اعطنى كذا وكذا ، وتسمى حاجتك بعينها. ثم تصلى على رسول الله بصلاة الفاتح أيضا ثلاثا ". (١)

يجعل هذا المنحرف التوسل بقطبه الكامل المزعوم أحمد التجانى مرة واحدة تغنى عن التوسل بالرسول وبالصلاة عليه مائة مرة . لم يكتف ببدعة التوسل بالذوات والجاه ، حتى جعل توسله بالتجاني مرة، تساوى التوسل برسول الله مائة مرة. وما ذلك إلا لِمَا قد استقر فى قلبه، وقلوب أمثاله أن عظمة الشيخ وجاهه أعظم من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما محمد التيجانى، مجنون التيجانية، وحامل لوائها، الداعي الى كل بدعة وضلال . فقد زعم من فرط عشقه لطريقته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تراءى له ومكّنه من تقبيل يديه فى مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية (٢) . وزاره فى منزله حيث جلس معه وشرب، من زعمه رسول الله، القهوة معه (٣) وأنه بشره بالسعادة

---

(١) رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم ـ مطبوع بهامش جواهر المعاني (٢٥٨/١) .

(٢) (٣) الفوز والنجاة فى الهجرة الى الله (ص/١٨٢) .

وأنها قد سبقت له وكتبت[١] وأنه قد أنكر على من لم يأخذ الطريقة التيجانية، وأنه دعا الناس إليها بأذكارها وأورادها.[٢]

يقول هذا التيجانى أن شيوخ الصوفية يشفعون فى مقلديهم وأتباعهم ، كما يلاحظونهم عند خروج أرواحهم، وعند السؤال فى القبر، وعند النشر والحساب والميزان والصراط، ولا يغفلون عنهم فى موقف من المواقف .[٣]

ويقول فى باب: " الكلام على التوسل والاستغاثة..." ما نصه:

" إعلم أن التوسل بالأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، وشد الرحال إليها سبب فى قضاء الحاجات، ونيل الكرامات .... فمابالك بمن اجتمع فيه الولاية، بل ختمها واللمحة النبوية، أستاذى وشيخى ، غوث البرايا، قطب الأقطاب ، سيدى الشيخ أحمد بن محمد التيجانى.... فاستشفع به، بل استغث بمدده، ترى الألطاف الخفية، والامدادات الربانية".

ثم نقل عمن قال مستشفيا فى مرضه:

" أمولاى يا قطب الوجود وغوثها ۞ وحامى الحمى أنى يضيع جاره

....

أمولاى جدلي بالدواء معجلا ۞ لعلي أرى دائي استحال عقارا"[٤]

ثم نقل ما يراه هو وأمثاله دليلا وحجة على هذا الشرك والكفر فقال :

" قال الشيخ رزوق فى قواعده عند ذكر المقابر: كل من جاز التبرك به حيا ، جاز التبرك به ميتا...."[٥]

ثم استدل بما نقله الشعراني عن بعض مشايخه أنه ذكر له أن الله تعالى يوكل بقبر كل ولي ملكا، يقضى حوائج من توسل بهم، وتارة يخرج الولى من قبره، ويقضي الحاجة، لأن للأولياء الانطلاق فى البرزخ، والسراح لأرواحهم، فربما خرج الشخص منهم من قبره على

---

(١) نفس المصدر (ص/١٨٣).

(٢) المصدر السابق (ص/١٨٤).

(٣) المصدر السابق (ص/١٢٢).

(٤) المصدر السابق (ص/١٩٧-١٩٨).

(٥) يقول أحمد زروق أن المقابر تزار" للانتفاع بها، لأن كل من يتبرك به فى حياته يجوز التبرك به بعد موته". وأجاز شد الرحال لهذا الغرض خاصة" لمن ظهرت كرامته بعد موته، أو من جربت إجابة الدعاء عند قبره، وهو غير واحد فى الأقطار" ثم نسب الى الشافعى قوله: " قبر موسى الكاظم الترياق المجرب". راجع: قواعد التصوف لزورق . القاعدة ١٥٤ (ص/٩٦-٩٧).

صورته، وقضى حوائج المتوسلين به. (١)

ثم نقل عن أبى عبد الله بن النعمان فى كتابه" سفينة النجاة"، إن زيارة قبور الصالحين، والتشفع بهم، معمول به عند العلماء المحققين من أئمة الدين، فمن أراد حاجة،فليتوسل بهم الى الله تعالى، فإنهم الواسطة بين الله وخلقه." (٢)

ثم ذكر عن غير هؤلاء من الأقوال الساقطة نظما ونثرا، وكأنها حجج وبراهين على مذهبه، فنقل عن شيخهم زروق فى كتابه" بذل المناصحة" عن شيخه الحضرمي قال: " رأى بعض الصالحين، سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى النوم. فسأله عن أفضل الأعمال. فقال: وقوفك بين يدى ولي من أولياء الله تعالى قدر حلب شاة أو ناقة. قال: قلت: حيا أو ميتا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: حيا كان أو ميتا". (٣)

هكذا ختم أقوال أئمة التصوف ، والتى هى من أقوى الأدلة على ما ذهبوا إليه، فالدعاوى فى دين الصوفية هى عين الأدلة والحجج ، ختم الأدلة المزعومة بأقواها حجة فى دينهم ، وأكثرهاقبولا فيما بينهم ، لأن هذا المدّعي قد أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة بلا واسطة ولا إسناد. ومثل هذه الدعاوى من أهم وأقوى مصادر التشريع عندهم بعد الأخذ عن الله تعالى مباشرة.

ويقول محمد زكى ابراهيم، رائد العشيرة المحمدية، وشيخ الطريقة الشاذلية، كما يصف نفسه، يقول مبينا معنى قولهم"مدد يا سيدى": " والقائل" مدد يا سيدى فلان"؛ "إما إنه يطلب المدد من الحي، أو من الميت. فطلب المدد من الحي معناه: طلب دعائه، وارشاده، وروحانيته، وتوجيهه ، وتربيته، وبركة صلاحه وتقواه، وسره مع الله، وما هو من هذا السبيل. وطلب المدد من الميت معناه : التوسل به الى الله، والاستشفاع به إليه تعالى فى قضاء الحوائج ، ودفع الحوائج ،والتماس بركة مقامة عند الله ، والاستمداد من مدد الله وسره، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا". (٤)

إن هذا التوسل عند شيخ الشاذلية شرع منصوص، وأمر متفق عليه، حيث يقول:

---

(١) الفوز والنجاة فى الهجرة الى الله(ص/١٩٨).
(٢) نفس المصدر (ص/١٩٩).
(٣) المصدر السابق (ص/٢٠٠).
(٤) الافهام والافحام ـ أو قضايا الوسيلة والقبور(ص/٣٩).

" ولم يكد يختلف على جوازه أحد من السلف ... الى القرن السابع، حيث ابتدع ابن تيمية هذا الخلاف الفتان ، ولم يكن ليهتم به أحد حتى تبناه الوهابية منذ القرن الثالث عشر لأسباب سياسية، وعصبية قبلية، فمنعوا التوسل الى الله بصالحي الموتى، وتستروا باسم التوحيد المظلوم" .(١)

إنه والصوفية عامة لا يعتبرون طلب المدد من فلان أو فلان من مشايخهم الأموات من أمور الشرك، ولقد سبقتهم الشيعة الرافضة الى هذا المذهب . فالشرك عندهم أمر آخر، ويبين هذا الشاذلي، ويكشف مذهبه فيقول : " إن الدعاء لا يكون عبادة إلاحين يعتقد الداعي ربوبية المدعو.... فإن تخلف اعتقاد الربوبية من الداعي، استحال أن يكون الدعاء عبادة" .(٢)

فالصوفى الذى لا يعتقد الربوبية فى شيخه وسيده لايعتبر مشركا بالله تعالى إن توجه بالدعاء وطلب المدد من ذلك الشيخ. ما أقرب مقالة هذا الصوفى الشاذلي وأشبهها بمقالة امام الرفض والتشيع الخمينى الصوفى(٣) . ورحم الله شيخ الاسلام ابن تيمية، وابن عبد الوهاب لتمسكهما بالحق ، والذّب عن دين الله تعالى، وكفاهما فخرا وعزا مناصبة أهل الزيغ والضلال لهما العداء.

إن الشفاعة فى دين الشيعة والصوفية من أهم الأصول التى يتبنونها ، وتمثل موقعا مهما فى حياتهم الدنيوية والأخروية ، وتعد من أعظم المبررات التى يتعلقون بها فى تركهم الفرائض والواجبات الدينية ، وارتكابهم المحذورات الشرعية، فيرى الشيعة أن الأئمة هم الشفعاء دون غيرهم، لأنهم ولاة أمر الله فى خلقه، وهم الوسيلة بينه وبين خلقه، ولا نجاة من عذاب الله لأحد من الخلق إلا بمعرفتهم ومعرفة حقوقهم وأدائها. وكذلك الصوفية ترى فى أئمتها وشيوخها أنهم الأولياء المقربون ، المخصوصون بالألطاف والكرامات والتصرفات . وأنه لايمكن لأحد من الخلق أن يعرف ربه ودينه إلا عن طريقهم،وأنه من

---

(١) نفس المصدر (ص/٧) .

(٢) المصدر السابق (ص/١٤٩_١٥٠) .

(٣) راجع قول الخمينى قبل وريقات(ص/٣٦٤_٣٦٥) وتأمل مدى مطابقته لقول الشاذلي فى تفسير الشرك والكفر، وكذلك طعنه فى أهل الحق ونبزهم بالألقاب الشنيعة.

لا شيخ له فإن الشيطان شيخه وسيقوده بزعمهم الى الضلال فى الدنيا ، والى عـــــذاب الله فى الآخرة٠

فالدين عندهم طاعة رجل ، طاعة عمياء، لايُعمل عقله فى كل ما يراد منــــه، أو يؤمر به، بل يخضع ويذل ، ويسمع ويطيع٠ ولقد آمن الشيعة والصوفية أن من أسلـــم أمره ودينه لإمامه أو وليه، وعرف حقوقه ، وأداها ، ومات على ذلك لايهمه أن يصنع بعدها ما يشاء، أو أن يقصر فى بعض الفرائض والواجبات، أو يقع فى بعض المعاصي والسيئـــات تبعا لهواه، فإن الامام والولى سيجبران النقص ويشفعان لكل من تعلق بهما وتابع هواهمـا ومذهبهما ٠

إن هذا الأمر ، وهذه النتيجة تفسر لنا إيمان الشيعة والصوفية الأعمـى بجميـع أنواع الأساطير والغرائب فى المذاهب والأعمال والطقوس، وبجميع الخرافات التاريخيـــة والعقائدية والاجتماعية، ذلك الايمان المطلق ، والتسليم الكامل الذى يجعل من كان له قلـــب أو عقل، يكاد يموت خجلا وحياء٠

ثالثا : تعظيم القبور وعبادتها عند الشيعة والصوفية

تمهيـد :

إن الغلو الذى يدين به الشيعة والصوفية، وتعظيمهم وطاعتهم العمياء لبعض الخلق ، واعتقاد أنهم الوسيلة بين الله تعالى وخلقه، فلا يُتوجه إليه تعالى ولا يُطلب منه شئ إلا بواسطة هؤلاء، والإيمان بأن لهم جاها ومنزلة عند الله تعالى، تخولهم وتمنحهم حق التصرف فى الكون بأمر الله وإذنه، وأن شفاعتهم لا ترد فيما يشفعون فيه. أقول إن هذا الغلو جعل الشيعة يتتبعون قبور أئمتهم، ومن يعظمونهم ممن يرون فيهم العلم والفضل والخصوصية الخَلْقية، أو الدينية الشرعية فيما يزعمون ، ثم راحوا يشيدون على تلك القبور الأبنية والقباب العظيمة، ويجعلونها صروحا ، ويسمونها المشاهد والمزارات ، ويتخذونها ملاذا لهم، يلوذون بها فى السراء والضراء، ويجعلون من تلك القبور محلا لهم لممارسة أنواع الطقوس البدعية والشركية ، ويحجون إليها المرة بعد المرة، ويشدون إليها الرحال من مختلف البلاد والأمصار طلبا لنيل الحظوظ الدنيوية والأخروية. ولقد جعلوا لزوم تلك المشاهد، والاعتكاف حول تلك الأضرحة، وتقديم أنواع النذور لها من أهم الشعارات الدينية فى مذهبهم ودينهم. ويعتبر الشيعة أول من بنىْ المشاهد والمساجد والقباب على القبور فى الاسلام. فأحدثوا فى دين الله شرخا عظيما ، وأعادوا عبادة الأوثان ، واتخاذ الأنداد التى كانت أيام الجاهلية الأولى ، بعد أن جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجهاد فى هدم الأوثان ، وتحطيم الأصنام، وإزالة جميع الذرائع والوسائل التى قد تكون بابا للشرك بالله تعالى ، فحذر من الغلو عامة، ومن تعظيمه وإطرائه خاصة خشية وقوع أمته فيما وقع فيه أهل الكتاب من قبلهم. ولقد بالغ فى التحذير من البناء على قبور الصالحين ، وتعظيمهم خشية الوقوع فى الشرك بالله تعالى. فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الشيخان من حديث عائشة وعبد الله بن عباس قالا : " لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها ، كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: " لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ، يحذر ما صنعوا" . وعند مسلم" يحذر مثل ما صنعوا". (١)

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الصلاة باب ٥٥ ، وفى كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، وفى كتاب المغازى باب مرض النبى ووفاته، وفى كتاب اللباس باب الأكسية والخمائص. أنظر الفتح (١/٥٣٢) ، (٦/٤٩٤) ، (٨/١٤٠) (١٠/٢٧٧) . ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهى عن بناء المساجد على القبور... (١/٣٧٧).

ومن حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ٠ (١)

يحذر المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته أن تفعل ما فعله اليهود والنصارى من الغلو في تعظيمه، والبناء على قبره، فضلا عن الغلو فيمن هو دونه من أهل الصلاح والفضل ٠ وفى الأحاديث دلالة على عظيم شفقته على أمته من مشابهة أهل الكتاب، فها هو يحذر وينصح وهو يعاني من شدة ما نزل به فى مرض موته صلى الله عليه وسلم، وهذا يؤكد مدى خطورة هذا الأمر ، وهذا الفعل ٠

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عن أهل الكتاب: " إن أولئك، إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات، بنوا على قبره مسجدا ٠٠٠٠٠ أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" ٠ (٢)

ولقد دعا الله عز وجل ألا يجعل من قبره وثنا يعبد من دون الله، كما هو حال قبور أنبياء بني اسرائيل ٠ فقال صلى الله عليه وسلم فيمارواه عنه الإمام مالك رحمه الله مرسلا: " اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" (٣) ٠ ورواه الإمام أحمد رحمه الله مسندا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه: " اللهم لا تجعل قبرى وثنا ٠ لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ٠ (٤)

فالبناء على القبر باب من أبواب الولوج فى الغلو فى تعظيم صاحب القبر، غلوا يُفضي الى الشرك بصرف أنواع من العبادات له ، لذلك أخبر صلى الله عليه وسلم عن شدة غضب الله تعالى ولعنته على من يبنى المساجد على القبور، لأنها مطية الوقوع فى اتخاذ القبر والموضع وثنا، واتخاذ صاحبه معبودا من دون الله تعالى٠

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الصلاة باب ٥٥، الفتح(١/٥٣٢) ،ومسلم فى صحيحه فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور(١/٣٧٦)

(٢) رواه البخارى فى صحيحه في كتاب الصلاة باب الصلاة فى البيعة، الفتح(١/٥٣١)، وفى كتاب الجنائز باب بناء المسجد على القبر ٠الفتح(٣/٢٠٨) ،ومسلم فى صحيحه فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهى عن بناء المساجد على القبور ٠٠٠٠٠٠ (١/٣٧٥ـ٣٧٦) ٠

(٣) الموطأ ٠ كتاب قصر الصلاة فى السفر باب جامع الصلاة(١/١٧٢) ٠

(٤) مسند الإمام أحمد(٢/٢٤٦) ٠

ولقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته على إزالة كل ما من شأنه أن يكون سببا في غلو أصحابه، ومن بعدهم من أمته، في تعظيم الأنبياء والصالحين، حمايةً منه صلى الله عليه وسلم لجانب الاعتدال في جميع أمور الدين وأعماله، وحماية للتوحيد الذي جاء وُبعث من أجله صلى الله عليه وسلم. فكان يأمر أصحابه في عدة مناسبات بتسوية القبور، ويوصيهم عند بعثهم وإرسالهم الى المدن والأمصار بذلك أيضا، فقد صح أن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه أمر بقبر فسوي بالأرض، في أرض الروم، ثم قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها". (١) وفي رواية عند الامام أحمد أنه قال: " كان يأمرنا بتسوية القبور". (٢) وفي لفظ آخر عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " سووا قبوركم بالأرض" (٣).

وروى عبد الله بن الامام أحمد في زوائده على المسند من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة. فقال: من يأتي المدينة، فلا يدع قبراً إلا سواه، ولا صورةً إلا لطخها، ولا وثنا إلا كسره؟ قال: فقام رجل فقال: أنا.... قال علي رضى الله عنه: فانطلقت، ثم جئت فقلت: يا رسول الله! لم أدع بالمدينة قبراً إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها، ولا وثنا إلا كسرته، قال: فقال: من عاد، فصنع شيئا من ذلك، فقد كفر بما أنزل الله على محمد..." (٤)

وقد ثبت أن على بن أبي طالب أرسل أبا الهياج الأسدي الى اليمن وقال له: " ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته." (٥)

كما صح من حديث جابر رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصّص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه". (٦)

---

(١) رواه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر (٢/٦٦٦).
(٢) مسند الامام أحمد (٦/١٨).
(٣) نفس المصدر (٦/٢١).
(٤) المصدر السابق (١/١٣٨-١٣٩).
(٥) رواه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب الامر بتسوية القبر (٢/٦٦٦)
(٦) نفس المصدر (٢/٦٦٧).

يتبين من هذه النصوص مدى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحطيم وإزالة الاوثان من حياة المسلمين ، وكل ما من شأنه أن يكون ذريعة للوقوع فى الغلو وتعظيم الرجال . كما يتبين مدى فهم الصحابة رضى الله عنهم لهذا الجانب من الدين ،ومدى امتثالهم وحرصهم على طاعة ربهم، وطاعة رسولهم. ورغم هذا الوضوح فى هذه المسألة حيث جاء النهي عن البناء على القبور، وعن تجصيصها، وعن إيقاد السرج عليها، وحتى عن العكوف عندها والجلوس عليها، الى غير ذلك من صور التعظيم وألوان الغلو، رغم هذا فقد أبت الرافضة إلا رفض هذا الحق، فراحت تتتبع قبور من زعمتهم أئمة الدين ، ومن هو معظّم منهم من غير الائمة، يبنون عليها المساجد والمشاهد، ويشيدون على قبورهم الصروح العظيمة، ثم جعلوا من تلك المشاهد أماكن اعتكاف، وألزموا أنفسهم بتعظيمها وممارسة أنواع من الطقوس والعبادات فيها، منها القولية التى تتضمن عبارات بدعية وشركية تمثل قمة الغلو فى تعظيم الرجال ،واعتقاد قدرتهم على النفع والضر أحياءً وأمواتا. ومنها الفعلية التى تتضمن الذل والخضوع لغير الله تعالى ، وقد تتضمن بعض العبادات الفعلية والبدنية كالطواف، والاعتكاف ، وغير ذلك مما لاينبغى أن يصرف لغير الله تعالى .

وجاء الصوفية ، فوجدوا فى مذهب أهل الرفض بُغيتهم وضالتهم، حيث أنها تقوم على مافُطرت عليه نفوسهم وقلوبهم بفعل أنفسهم، وشيوخهم الذين أبوا فطرة الله التى فطر الناس عليها، فتعرضوا لها بالتبديل والتحريف حتى أشربت قلوبهم حب تعظيم الرجال وتقديسهم، فوجدوا فى دين الرافضة ما يروى هذا المشرب، فباركوا ذلك المنهج، وامتثلوا خطاهم ، واقتدوا بهم، وساروا على خطاهم، إشباعا لغرائزهم المريضة، وعقائدهم وأهوائهم الفاسدة. ولقد جعل الصوفية من البناء على القبور، وإقامة الأضرحة والقباب، لكل من يزعمونه ولياً أو صالحاً ، من أعظم القربات والطاعات فى دينهم وشريعتهم، كما اتخذوا من عمارتها وزيارتها وشد الرحال اليها، وحتى الطواف بها، والعكوف عليها الأيام والليالى، وتخصيصها بأنواع من الأذكار والأوراد والطاعات القولية والفعلية أهم شعاراتهم الدينية. فخصصوا لذلك أعيادا ومناسبات دينية صوفية يمارسون فيها ألوان الكفر والشرك باسم محبة الأولياء والصالحين وتعظيمهم .

وإن كان أهل الرفض هم أساتذة هذا الميدان الشركى، فإن الصوفية قد فاقوهم فملأوا الدنيا شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا بتلك الأوثان، ورفعوا عليها المساجد والقباب حتى غدت البلاد والديار الإسلامية ليس فيها قرية مهما صغرت – إلا ما رحم الله – إلا وقد شيدوا فيها وثنا أو أكثر يعبد من دون الله، فأعادوها هم وأسيادهم من الرافضة حياة جاهلية مشركة،كما كانت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أوأشد منها والعياذ بالله تعالى.

الشيعة والقبور :

روى الكليني بإسناده مرفوعا فيما نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يا على ! من زارني في حياتي أو بعد موتي ، أو زارك في حياتك أو بعد موتك ، أو زار ابنيك في حياتهما ، أو بعد موتهما ، ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها ، وشدائدها ، حتى أصيره معي في درجتي" . (١)

ولقد بوب في مصنفه الكافي أبوابا في ذكر فضائل زيارة الائمة ، فزعم فيما رواه بإسناده الى الصادق : أن من أتى قبر الحسين ، عارفا بحقه ، في غير يوم عيد ، كتب الله له عشرين حجة ، وعشرين عمرة مبرورات ، مقبولات ، وعشرين حجة وعمرة مع نبي مرسل أو إمام عدل . ومن أتاه في يوم عيد ، كتب الله له مائة حجة ، ومائة عمرة ، ومائة غزوة ، مع نبي مرسل ، أو إمام عدل ..... إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين يوم عرفة ، واغتسل من الفرات ، ثم توجه إليه ، كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها - وغزوة" . (٢)

وروى باسناده اليه أيضا قال : "إن من أتى قبر الحسين ، غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" . (٣)

وروى أيضا " إن من زار قبر علي الرضا - وهو ثامن أئمتهم المزعومين - بطوس ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وبنى له منبرا في حذاء منبر محمد وعلي ، حتى يفرغ الله من حساب الخلائق " . (٤)

وروى عن موسى الكاظم - سابعهم - أنه قال : " من زار قبر ولدي علي - وهو الرضا ، ثامنهم ، المدفون في إيران - كان له عند الله كسبعين حجة مبرورة ، ... ، وسبعين ألف حجة .... ومن زاره وبات عنده ليلة ، كان كمن زار الله في عرشه ... " (٥)

وروى بإسناده الى الصادق أنه قال : " إذا أردت زيارة الحسين ، فزره وأنت حزين مكروب ، أشعث مغبر ، جائع عطشان ، وسله الحوائج ، وانصرف عنه ... " (٦)

---

(١) فروع الكافي . كتاب الحج . أبواب الزيارات ، باب فضل الزيارات وثوابها (٤/٥٧٩) .
(٢) نفس المصدر (٤/٥٨٠) .
(٣) المصدر السابق (٤/٥٨٢) .
(٤) المصدر السابق (٤/٥٨٥) .
(٥) المصدر السابق والجزء والصفحة .
(٦) المصدر السابق ، كتاب الحج ، أبواب الزيارات ، باب النوادر (٤/٥٨٧) .

كما روى فيما نسبه الى أئمتهم" إن موضع قبر الحسين روضة من رياض الجنة ، ومنه معراج يُعرج منه بأعمال زواره الى السماء، وليس من ملَك، ولا نبي في السماوات، إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين ، ففوج ينزل ، وفوج يعرج". (١)

وروى باسناده الى محمد بن أبي العلاء قال : سمعت يحيى بن أكثم ـ قاضي سامراء ـ بعدما جهدت به، وناظرته ، وحاورته، وواصلته، وسألته عن علوم آل محمد. فقال : " بينا أنا ذات يوم ، دخلت أطوف بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت محمد بن علي الرضا ـ وهو إمامهم العاشر المزعوم ـ يطوف به، فناظرته في مسائل عندي ، فأخرجها لي. فقلت له: والله إني أريد أن أسألك مسألة، وإني والله لأستحي من ذلك . فقال لي: أنا أخبرك قبل أن تسألني . تسألني عن الإمام ؟ فقلت: هو والله هذا. فقال : أنا هو . فقلت: علامة؟ فكان في يده عصا ، فنطقت، وقالت: إن مولاي إمام هذا الزمان ، وهو الحجة". (٢)

هكذا يقومون بين يدي الكفر والشرك بالله تعالى بمثل هذه الروايات التي يخترعون لها الأسانيد التي تنتهي بمن جعلوا أقوالهم وأحوالهم من الحجج القاطعات في دينهم . مبالغةً في فضائل زوار قبورهم، وسؤال غير الله قضاء الحوائج . وفي قصة قاضي سامراء تقرير عدة مسائل من عقائدهم منها ، ادعائهم علم أئمتهم الغيب، ومعرفة ما في النفوس والصدور، والغلو في إثبات المعجزات والكرامات لأئمتهم . ثم عقيدتهم الخبيثة في تقديس القبور وعبادتها ، وهو الشاهد من إيراد هذه الرواية في هذا المبحث، ففيه أن الطواف حول قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أمر مشروع، فقد كان القاضي يفعله، وترويجا وإقناعا لشيعتهم بهذه البدعة ، زعم الرواة والوضاعون أن إمامهم العاشر كان يطوف بالقبر. وفي دينهم ، يعتبرون أقوال وأفعال وأحوال الأئمة من الأدلة الدينية، والحجج الشرعية التي لا تحتاج في إثباتها الى الأسانيد ، وذلك لما زعموه من عصمتهم واصطفائهم من قبل الله عز وجل.

وروى صدوق الشيعة ابن بابويه القمي بإسناده الى الصادق قال : " إن الله تبارك وتعالى يبدأ بالنظر الى زوار قبر الحسين بن علي عشية عرفة. فقيل له: وكيف ذاك ؟

---

(١) فروع الكافي ، كتاب الحج ، أبواب الزيارات، باب النوادر (٤/٥٨٨).

(٢) أصول الكافي ، كتاب الحجة ، باب ما يُفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة (١/٣٥٣).

قال : لأن فى أولئك أولاد زنا ، وليس فى هوءلاء أولاد زنا" . (١)

يأمل الشيعة فى تحويل الناس، وصرفهم عن المناسك والشعائر الإسلامية الى أخرى بدعية شركية، ولقد حرصوا قديما على إيجاد بدائل لشيعتهم عن الحج المشروع الى المقدسات الإسلامية، ومازالوا يفعلون . فقد حاول الخميني وزمرته من بعده صرف أنظار الشيعة عن مكة والمدينة . وفى رواية صدوقهم الهالك سنة ٣٨١هـ قلة حياء، وأسلوب رخيص فى قلب الحقائق والوقائع ، ولعله أصاب فيما ذهب إليه، فالشيعة ليس فيهم أولاد زنا ، وذلك ببركة دينهم ومذهبهم الذى أباح الزنا واللواط باسم المتعة، واجتهد دعاة الرفض فى التوسع فى المتعة للمساهمة فى كثرة الانجاب للأولاد الشرعيين فى دينهم، أولاد المتعة الدينية . ولقد صدق الصدوق فإن الشيعة لايعرفون الزنا فى حياتهم الاجتماعية، ولا محل له فيما بينهم، الأمر الذى يجعلهم بدون أولاد زنا ، لأنهم فى دينهم شرعيون مباركون لا يعرفون لهم آباءً، فالأئمة أباوءهم ، وعلماء الرفض آباوءهم ، وبذلك يفتخرون ، وبوسام المتعة يعتزون، فهنيئاً لأمة ليس فيها أولاد زنا ، فى حين تعج وتكتظ بأولاد المتعة المباركة فى هذا الدين .

وروى أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي بإسناده الى الباقر والصادق يقولان : " إن الله عوض الحسين من قتله، أن جعل الإمامة فى ذريته، والشفاء فى تربته ، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعد أيام زائريه، جائيا وراجعا ، من عمره" . (٢)

هنيئا للشيعة فى زيادة أيام أعمارهم، فمهما راح الشيعى وجاء قاصدا زيارة قبر الحسين ، وصرف فيها الأيام والليالى فإنها لا تعد من عمره . وهنيئا لهم ذلك الدواء الشافى من جميع الأمراض ، وهنيئا لهم ذلك الموضع المقدس المبارك الذى لا يُردّ فيه الدعاء، وأخيرا هنيئا لهم دينهم ومذهبهم .

وروى الطوسي بإسناده الى عمار بن أبي عمار أنه قال : " أمطرت السماء يوم قُتل الحسين ، دما عبيطا" . (٣)

وبإسناده الى الصادق قال : "من كانت له الى الله حاجة، فليقصد الى مسجد الكوفة، وليسبغ وضوءه ..... فإذا فرغ من الركعتين وتشهد وسلم، سأل الله، فإنها تُقضى ... " (٤)

---

(١) معانى الأخبار لابن بابويه القمى (ص/ ٣٩١_٣٩٢) .
(٢) أمالي الطوسي (١/ ٣٢٥) .
(٣) نفس المصدر (١/ ٣٣٩) .
(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٤٤) .

وباسناده الى إمامهم الرضا أنه سئل عن أكل الطين ، فقال : " كل طين حرام كالميتة والدم، وما أهل لغير الله به، ما خلا طين قبر الحسين، فإنه شفاء من كل داء" . (١)

وروى بإسناده الى إمامهم الصادق أنه قال : " إن الله تعالى ، جعل تربة جدي الحسين شفاءً من كل داء، وأمانا من كل خوف. فإذا تناولها أحدكم فليقبلها، وليضعها على عينيه، وليمرّها على سائر جسده، وليقل : اللهم بحق هذه التربة، وبحق من حل بها .. وبحق أبيه وأمه وأخيه ، والائمة من ولده ، وبحق الملائكة الحافين به إلا جعلتها شفاءً من كل داء، وبرءاً من كل مرض ، ونجاة من كل آفة ، وحرزا مما أخاف وأحذر، ثم يستعملها" . (٢)

وذكر الجزائري الرافضي رواية عن الريان بن شبيب في دخوله على إمامهم الرضا ، فذكر له حديثا طويلا عن مقتل الحسين، وفيه: "..... ولقد بكت السموات السبع والأرضون لقتله، لقد نزل الى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره، شُعث غُبر، الى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره وشيعته، وشعارهم "يالثارات الحسين". يا ابن شبيب ، لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده أنه لما قتل جدي الحسين، أمطرت السموات دما وترابا أحمر، يا ابن شبيب ! إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك ، غفر الله كل ذنب أذنبته، صغيرا كان أو كبيرا، قليلا كان أو كثيرا . يا ابن شبيب! إن سرّك أن تلقى الله عز وجل، ولا ذنب عليك ،فزر الحسين،.... يا ابن شبيب! إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى ، في الجنات، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا...." (٣)

مساكين هؤلاء الملائكة ، لقد تباطأوا النزول لنصرة الحسين حتى فات الفوت ، وقُتل رضي الله تعالى عنه، وها هم يكفّرون عن تأخرهم ذلك، وعدم امتثالهم بالبقاء عند قبره، وعدم العروج الى السماء حتى يقوم قائمهم المزعوم من عميق سباته، ولقد تأخر عنهم كثيرا هو الآخر ، فليبحث أئمة الرفض ودعاته عن عمل يكفّر فيه عدم خروجه من ذلك السرداب المزعوم .

---

(١) المصدرالسابق (١/٣٢٦-٣٢٧) .
(٢) المصدر السابق (١/٣٢٦) .
(٣) الأنوار النعمانية (٣/٢٣٩-٢٤٠) .

والشاهد من هذه الرواية استشهادهم بفعل الملائكة المزعومين ، وتعظيمهم للقبر والعكوف حوله تبريرا لأفعالهم الشنيعة حول القبور والأضرحة. وأمر آخر حرص الرافضة عليه قديما وحديثا ، وهو شحن الجوانب العاطفية، والمشاعر الوجدانية فى حياة شيعتهم بالطقوس الخاصة التى تتمثل بالعزاء والنياحة والبكاء، وتلاوة الأوراد والملاحم المأساوية، والأدعية الخاصة التى شرعوها لشيعتهم، وملوءها بالبدع، وأعمال الشرك من دعاء غير الله ، والاستغاثة بالأموات ، وطلب شفاعتهم، بأسلوب درامي يثير فى نفوس الشيعة والأتباع الأحزان ، ويملأ قلوبهم بالأحقاد ، ويشحن صدورهم بالكراهية للإسلام وأهله وخاصة رجاله الأوائل .

ولقد شرع دعاة الرفض لشيعتهم إقامة حفلات العزاء، والبكاء ، والنياحة، وضرب الصدور، وشق الجيوب، وجعلوهامن أعظم الطاعات والقربات فى دينهم ومذهبهم ، وحرصوا على عدم انقطاعها على مدار السنة فى مناسبات مختلفة، لا سيما مع بداية كل عام فى شهر محرم إحياءً لذكرى استشهاد الحسين بزعمهم ، وروجوا لأعمال الجاهلية فى تلك الأيام والمناسبات، بأنها من أعظم القرب الى الله تعالى، ومن أعظم مكفرات الذنوب والخطايا ، وحرموا الأعمال والمكاسب فى يوم استشهاده . كل هذا حرصا منهم على إحياء هذه المأساة ، وإشعال نارها فى النفوس ، ولقد زادوا فى تلك الحادثة التاريخية الأليمة، فكذبوا، وغلوا ليجعلوا منها نقطة الانطلاق الى شحن صدور الشيعة بالبغض والحقد لأهل السنة والجماعة، وللدين وأهله عامة، ولتدفع بالشيعة الى الثورة الدائمة على دولة الاسلام، وتفريق كلمة للمسلمين، وتبديد قوتهم بغية الوصول الى أهدافهم الخبيثة وتنفيذ مخططاتهم العدوانية .

ويذكر هذا الجزائرى أيضا رواية بزعم إسنادها الى جعفر الصادق وفيها :

"من أنشد فى الحسين شعرا فأبكى خمسين فله الجنة ،

ومن أنشد فى الحسين شعرا فأبكى ثلاثين فله الجنة ،

ومن أنشد فى الحسين شعرا فأبكى عشرين فله الجنة ،

ومن أنشد فى الحسين شعرا فأبكى عشرة فله الجنة ،

ومن أنشد فى الحسين شعرا فأبكى واحدا فله الجنة ،

ومن أنشد فى الحسين شعرا فتباكى فله الجنة ." (١)

---

(١) المصدر السابق (٣/٢٤٢ـ٢٤٣) .

ما أرخص الجنة فى دين الشيعة، وما أعظم فضل البكاء والنياحة، وعلو منزلة البكائين والنائحين ، فطوبى لهم هذا الدين الدرامي الحزين ، وجعلهم الله تعالى من أهل البكاء والحزن فى الدنيا والآخرة ، إشباعا لنفوسهم وقلوبهم التى تعشق الحزن والبكاء.

ومما أوردهالخوانساري الرافضى مما يستحث بههم الشيعة فى الحزن والبكاء ما قاله نظما :

" ألا نوحوا وضجوا بالبكاء	على السبط الشهيد بكربلاء
ألا نوحوا بسكب الدمع حزنا	عليه وامزجوه بالدماء
ألا نوحوا على من قد بكاه	رسول الله خير الأنبياء" (١)

وجاء فى الزيارة الجامعة المروية عن عاشر أئمتهم بزعمهم، والتى تلقاها جمع كبير من علمائهم وأئمة الدين عندهم بالقبول ما نصه: " ..... أُشهد الله، وأُشهدكم، أني مؤمن بكم .... مؤمن بإيابكم ، مصدق برجعتكم ، منتظر مرتقب لدولتكم، آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم، زائر لكم، لائذ عائذ بقبوركم، مستشفع الى الله عز وجل بكم، ومتقرب بكم اليه، ومقدمكم أمام طُلبتي وحوائجى وإرادتى فى كل أحوالي وأموري ....." (٢)

وفى عمدة الزائر لآيتهم حيدر الحسيني الكاظمي، أوردها بلفظها إلا أنه قال : " .... زائر لكم، عائذ بكم ، لائذ بقبوركم ..." (٣) ويقول عبد الله شُبَّر بعد إيراده لبعض النصوص الشيعية فى فضل زيارة أئمتهم المزعومين ما نصه: " ومن الطبيعي أن الانسان إذا زار عظيما من أمثال المعصومين عليهم السلام أن يتأثر بروحهم ، ويتغير من سيء الى حسن ، ومن حسن الى أحسن . وهذا ما نجده فى غالب أولئك الذين يُوفقون لزيارة النبي وأهل بيته الكرام. وكم رأينا عصاة آثمين تغير مسيرهم بزيارة أهل البيت ، وانقلبوا نفسيا وفكريا من الشذوذ الى الصراط المستقيم" . (٤)

---

(١) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات(١ / ٧٠) .

(٢) الأنوار اللامعة فى شرح الزيارة الجامعة(ص/٢٥ـ٢٦) .

(٣) عمدة الزائر فى الأدعية والزيارات(ص/ ٣٧٤) .

(٤) الأنوار اللامعة فى شرح الزيارة الجامعة(ص/ ١٠) .

ويقول أيضا : " وإن شعائر الحج الى الضرائح القدسية المنورة بتلك الأجساد الطيبة، والهياكل الملكوتية، ومناسك الزيارة للمشاهد المشرّفة بمضاجع أمناء الله على وحيه ، وودائع سره ، لمن أفضل ما نَدَبَ إليه الائمة الاطهار٠٠٠٠٠٠ فان فيها تتجه ألباب شيعتهم، وتنصرف قلوب مواليهم الى ما يلم شعثهم ، ويؤلف شتاتهم، ويجمع كلمتهم ، ويشد عرى جماعتهم ٠٠٠٠"[1] ٠

لقد دأب أهل البدع والضلال على تزيين باطلهم بزخارف القول والعبارة، وهنا يصف عبادة الأوثان ، وتعظيم الاضرحة والقبور بأنها شعائر الحج الى الضرائح القدسية المنورة، ترويجا لمذاهبهم ، وصرفا للناس عن شعائر الحج الحقيقية فى دين الله تعالى ٠ وها هو يشير الى هدف دعاة الرفض من تعظيم قبور الائمة وزيارتها، وهو أنها أماكن تجمع لهم، يتألفون فيما بينهم، ويستعيدون قوتهم وشوكتهم ، ويخططون لضرب الاسلام وأهله٠

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :" وقد صنف شيخهم ابن النعمان – المعروف عندهم بالمفيد – ، وهوشيخ الموسوي والطوسي – كتابا سماه" مناسك المشاهد" ، جعل قبور المخلوقين تُحج كما تُحج الكعبة البيت الحرام"٠[2]

فهذا إمام من أئمتهم فى العلم والدين الرافضي، قد كتب قديما ودعا الناس الى الحج وأداء مناسك المشاهد والقبور والأضرحة ، حيث انه قد هلك فى سنة٤١٣ من الهجرة، فهم دعاة شرك وعودة للأوثان والجاهلية الأولى من حين نشأتهم، ومازالوا على عهد الأوائل ودينهم فى جميع الاصول والفروع، ولقد تتبع الكاتب الإسلامى محمد البنداري الروايات الشيعية فى زيارة وتعظيم القبور، ودرسها، وقارن بينها، وكشف ما فيها من التناقض والغلو، ويقول :" بلغ عدد الأحاديث المروية فى هذا المجال ما يقارب(٤٥٨) حديثا ، منها(٣٣٨) فى زيارة قبر الحسين ، والبقية فى زيارة قبور الائمة عامة"[3] فجزاه الله خير الجزاء على دراسته وكشفه لباطل هؤلاء المتسترين بهذا الدين العظيم٠

وقد صنف المدعو/ على الأحمدي مصنفا يقع فى قرابة خمسمائة صفحة بعنوان : " التبرك، تبرك الصحابة والتابعين بآثار النبي والصالحين"، متسائلا :" هل هو شرك

---

(١) نفس المصدر (ص/١٧)٠

(٢) منهاج السنة النبوية (٤٧٦/١)٠

(٣) التشيع بين مفهوم الائمة والمفهوم الفارسى(ص/٢٥٥)٠

فى الدين أو دليل إيمان ويقين ؟ "وقد شحنه بالروايات الشيعية، والآثار الأخرى الساقطة ، متخذا من الطعن فى الخلفاء الراشدين ، وبقية الصحابة، وسبهم، وسب كل من سار على منهجهم فى التوحيد والإيمان ، متخذا من الطعن فى جميع علماء الدين والسنة سبيلا لإثبات ما تغلغل فى قلبه من حب وتعظيم القبور والأضرحة، والتوسل بها ، والاستشفاع والاستشفاء بها والطواف حولها ، والاستغاثة بالأموات، من أنها دين وإيمان وسنة قديمة مشروعة. وقد أكثر من النقل عن الائمة فيما نسبوه إليهم من الروايات التى تفوح منها رائحة الشرك وعبادة القبور والأوثان باسم الايمان واليقين المزعوم . وقد جعل الطواف حول قبر الرسول صلى الله عليه وسلم من السنن التى كان عليها سلف الأمة، فيقول : " ومما يمثل لنا احترام المسلمين لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، وتوسلهم، وتبركهم به ، وطوافهم حول قبره.... " (١) وأما قبر الحسين فقد جعل منه قِبْلة لهم، وملاذا من كل شر، ودواءً وشفاءً من كل سقم، وأمانا من كل خوف، وأن تربته وطينه لِمَا أخذ له ، وأن السجود على تربة قبره يخرق الحجب السبعة، وأنه يستحب السجود عليه، الى غير ذلك من الفوائد المزعومة التى نقل فى إثباتها الأحاديث والروايات الشيعية ، وقد أكثر حيث صدَّرها بقوله: " وردت أحاديث كثيرة فى التبرك والاستشفاء بتربة الحسين.. فى السجود عليها ،وأكلها للاستشفاء ، وفى تجهيز الميت، ودفنه... منها " (٢) ثم راح يوردها وخَتَمها بقوله: "هذا قسم من الروايات الكثيرة الواردة فى التبرك بتربة الحسين.... وفيما ذكرنا كفاية لمن أنصف وتدبر". (٣)

إن هذا الكتاب شاهد على مؤلفه، ومن شاكلَهُ من المبتدعة، ومن وافقهم من المتصوفة فى تعظيمهم القبور وعبادتها ، وأن مؤلفة فى ثنايا كتابه هذا ، يتباكى هو وأئمته الذين ينقل عنهم ، ويندبون حظهم، على مافعله أهل التوحيد والإخلاص، من هدمٍ للقبور والأضرحة، وإزالة لتلك المشاهد والمزارات التى كانت بلاد الحجاز تغص بها. فيقول مثلا عند ذكره لبعض تلك الآثار والابنية التى كانت محل عبادة وتبرك لهم ، ما نصه : ".... ولما أخذ الوهابيون مكة فى عصرنا هذا ، هدموه ومنعوا من زيارته على عادتهم فى المنع من التبرك بآثار الانبياء والصالحين.... " (٤)

---

(١) التبرك (ص/١٦١).
(٢) نفس المصدر (ص/٢٩٥).
(٣) المصدر السابق (ص/٣٠٤).
(٤) المصدر السابق (ص/٢٤٤).

ولقد استعمل فى حق أهل التوحيد عبارات شنيعة، وأوصاف تدل على ما فـــى قلبه وبطنه من الحقد والبغض للحق وأهله ، وهذه عادة أهل البدع والأهواء من وصـــف أهل الحق بالألقاب التى لا تليق إلا بهم أنفسهم وأمثالهم المبتدعة .

ويقول محدثهم وشيخهم محمد مهدى الحائري : " وينبغي لكل من يتقرب الى اللــه تعالى .... أن لا يترك زيارتهم وحضور مشاهدهم الشريفة والتوسل بهم والاستشفـــاع بهم ،.... وتعظيمهم إذ هو تعظيم لشعائر الله وتعمير قبورهم ..." (١) ثم يتذكـــر مافعله أهل التوحيد بامتثالهم أوامر الله تعالى ورسوله فيقول : " آه آه آه ، الأسف كـل الأسف على قبور أئمتنا وسادتنا فى البقيع وغير البقيع، مضى عليها سنون وهى مهدومة..... فاسمع هذه الثلمة التى ثلمت فى الإسلام فى هذا العصر المشئوم منهذه الطائفة الوهابية وانظر ماصدر منهم فى الطائف ومكة المشرفة والمدينة المعظمة ....." ثم ذكر هدمهـــم للقباب المتبركة بزعمه فذكر حتى قبة أبي طالب وعبد المطلب ... (٢) ثم يقـــول : "..... ثم منعوا الناس قول : يارسول الله، ويضربونهم ، وجعلوا ينادون غيرهـــم بلفظ يا مشرك ويا كافر، ويرمون من قال : يا محمد، يارسول الله، بالكفر والشـــرك .... ومنعوا عن مسح قبر النبي للتبرك والالتصاق به والتوجه إليه حال الدعاء...." (٣)

إنها شهادة من عدو، إنه يشهد على نفسه وأهل ملته أنهم يقولون فى دعائهـــم يارسول الله ويا محمد، وأنهم يتوجهون إليه حال الدعاء. ويتباكى على الاسلام بزعمه أنقيض الله من يذّب عنه ما نسب إليه من أنواع الضلالات وأعمال الشرك التى ما جاء الاســـلام إلا ليحاربها ليتحقق التوحيد لله عز وجل.

وذكر الحر العاملي الرافضى روايات كثيرة نسبها الى الأئمة المزعومين فى تعظيـــم القبور، فنسب الى الباقر قوله : " إن زيارة قبر الحسين فريضة على كل مؤمن ". ونســـب الى الباقر وابنه الصادق قولهما : " تارك الزيارة يموت منتقص الإيمان، منتقص الديـــن ". الى غير ذلك من الروايات الكثيرة المكذوبة فى فضل ومكانة زيارة القبور وتعظيمهـــا. (٤) وروى عنزيارة قبر الحسين : " منزار قبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجـــة مع القائم وألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعتق ألف رقبة، وحمل ألـــف

---

(١) شجرة طوبى (١/١٥٣ـ١٥٤).
(٢) نفس المصدر (١/١٥٤).
(٣) المصدر السابق (١/١٥٥).
(٤) وسائل الشيعة للحر العاملى (٥/٣٣٣) وما بعده .

فرس فى سبيل الله " ٠ وأيضا : " إن الله يتجلى لزوار الحسين قبل أهل عرفات" (١)
وهذا إمامهم الخمينى يزعم أن اقامة القبب والمراقد والأضرحة شرع ودين ٠ وقد ساق بعض الآيات القرآنية زاعما أنها تؤيده فى مذهبه الداعى الى الشرك بالله تعالى ٠ فذكر قول الله تعالى: " ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" (٢) وقول الله تعالى : " فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال " (٣) ، مدعيا أن البناء على القبور من تعظيم شعائر الله لأنها أماكن عبادة، وأنها من البيوت التى أذن الله أن ترفع فيها اسمه ، ويتوجه الناس فيها إليه بالعبادة، وينشغلون بالتسبيح والابتهال ٠ (٤)

ثم ، وعلى عادة أهل البدع ، تعرض لأهل الحق الذين ينكرون هذه الأعمال الشركية ناصحين لله تعالى ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ٠ فيلقبهم بالمشاغبين ، ويصفهم بأنهم من شتات الوهابيين (٥) ، ويزعم أن أهل الحق لم يهاجموا الشيعة وحدهم، بل هاجموا "جميع المسلمين من الشيعة وأهل السنة ، بل وجميع الفرق الدينية، مشركين وكفارا" محتجا على صحة ما ذهب إليه الرافضة والقبورية بأن جميع هؤلاء قد اتفقوا على مشروعية إقامة القبب والأضرحة الضخمة ، وأنهم قد شيدوا الكثير منها على قبور الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين بزعمه، ثم وصف من سماهم بالمشاغبين بأنهم " يحصرون التوحيد بحفنة من رعاة الابل المحرومين من الحضارة، وزمرة من شذاذ الآفاق من السائرين خلف هؤلاء " (٦) ٠ وقال أيضا : " فى كل عام يتوجه مئات الآلاف من الإيرانيين الى العراق والحجاز ، ويجدون أن قبر الرسول يقام فى وسط بلد سيئ المذهب" ٠ (٧)

ثم راح يذكر حال المنتسبين الى الإسلام فى كثير من بلاد المسلمين ، وواقعهم السيئ فى تعظيم القبور زاعما أن مئات الآلاف من "أهل السنة" يزورون قبر الرسول ويؤدون نفس الشعائر التى يؤديها الشيعة" ٠ (٨)

---

(١) نفس المصدر (٥/ ٣٤٧) ومابعده٠
(٢) سورة الحج/ ٣٢٠
(٣) سورة النور/ ٣٦٠
(٤) كشف الأسرار للخمينى(ص/ ٧٩ـ ٨٠) ٠
(٥) نفس المصدر (ص/ ٧٩) ٠
(٦) المصدر السابق (ص/ ٨١) ٠
(٧) المصدر السابق والصفحة٠
(٨) المصدر السابق والصفحة٠

ثم ذكر مشروعية الطواف حول الكعبة وتقبيل للحجر الأسود والسعي بين الصفا والمروة مدعيا أن ذلك ما هو إلا طواف وتقبيل لبعض الأحجار ، ثم يقول : "فالأجدر بكم أن تطالبوا بهدم الكعبة" . (١)

ثم ذكر حديثا طويلا فى فضل زيارة قبور الأئمة والبناء عليها فقال :

" ينقل الشيخ الطوسي عن أبي عامر — واعظ أهل الحجاز — قوله: إننى ذهبت الى الصادق ، وسألته: ما هو أجر من يزور أمير المؤمنين ويبنى قبره؟" فرد عليه فيما رفعه الى رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب ، فقال :"إن الله جعل قبرك وقبور أولادك بقعة من بقاع الجنة، وصحنا من صحونها، وان الله أدخل فى قلوب المختارين من خلقه، حبكم، وجعلهم يتحملون الأذى والذل ، من أجلكم، ويقومون بإعادة قبوركم ، ويأتون لزيارتكم تقربا الى الله وزلفى الى رسول الله، وهؤلاء مشمولون بشفاعتي ياعلى... إن من يبنى قبوركم ، ويأتي الى زيارتها ، يكون كمن شارك سليمان بن داود فى بناء القدس، ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سبعين حجة، غير حجة الإسلام ، وتمحى خطاياه، ويصبح كمن ولدته أمه توا. إننى أبشرك بذلك ، وبشر أنت محبيك بهذه النعمة التى لم ترها عين ، ولم تسمعها أذن، ولم تطرأ على بال أحد. إلا أن هناك توافه من الناس يلومون زائري قبوركم ، كما يلومون المرأة الزانية، إن هؤلاء شرار أمتى، والله لا يشملهم بشفاعتي.." (٢)

إن الاسلوب الشيعي الرافضي يتجلى فى هذا النص الذى نسبوه كذبا وزورا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريدون إقناع الغوغاء من الناس بأن عبادة القبور وتعظيمها سنة وشرع ودين. ولم يغفلوا عن الطعن فى أهل الحق من دعاة التوحيد الذين امتثلوا أمر الله تعالى وأمر رسوله فى هدم قلاع الشرك ، وصروح الوثنيات الجاهلية حين مكّنهم الله تعالى فى بعض أرضه . الأمر الذى مازال المبتدعة، وعباد القبور من الشيعة والصوفية يتباكون عليه، ويتحسرون ، ويتألمون عند ذكرهم تلك الأفعال التى وافقت فعل على ابن أبي طالب نفسه حين كان يرسلهويبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البلاد والأمصار، ثم أمره قواده الذين كان يرسلهم كماجاء فى قوله لأبي الهياج الأسدي المتقدم. (٣) فأين أنتم حتى من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فى أفعاله وأقواله يا من تتبجحون

---

(١) كشف الأسرار للخمينى (ص/٨١) .

(٢) نفس المصدر (ص/٨٣—٨٤) .

(٣) تقدم فى (ص/٣٧٦)

وتتظاهرون بمحبته وموالاتهوالاقتداء به والإئتمام بأفعاله وأقواله وأحواله ٠

وأختم ذكر مذهب الشيعة الرافضة فى تعظيمهم القبور، وصرف أنواع من العبادات، لأهلها من المقبورين الذين يعظمونهم، سواء كانوا من الائمة المزعومين ، أوغيرهم من أهل البيت المزعومين ، أو حتى من كان من غير أهل بيت النبوة ممن يصفونهم بالعلم والفضل ، ممن خدم دينهم ومذهبهم٠ أختم ذكر مذهبهم بنقلما جاء فيما يسمونه :

"دعاء الفرج لصاحب الأمر" ، وهو دعاء تلهج به السنة أهل الرفض، قديما وحديثا، يستحثون به غائبهم الذى طال انتظارهم له، الخروج من سردابه٠ وقد جاء فى هذا الدعاء: "٠٠٠٠ اللهم صل على محمد وآل محمد ، أولي الأمر الذين فرضت علينا طاعتهم٠٠٠٠٠ ففرج عنا بحقهم، فرجا عاجلا قريبا، كلمح البصر، أو هو أقرب٠ يا محمد يا علي ! يا علي يا محمد ! اكفيانى، فإنكما كافيان، وانصرانى فإنكما ناصران، يا مولاي ! يا صاحب الزمان ! الغوث الغوث الغوث، أدركني أدركني أدركني، الساعة الساعة الساعة ، العجل العجل العجل، يا أرحم الراحمين، بحق محمد وآله الطاهرين٠ " (١)

لقد أبت الرافضة تقديم اسم محمد على علي بن أبيطالب تقديما مطلقا حتى فى الذكر، فقد جعلوهما فى منزلة واحدة من حيث الفضل، والمكانة الدينية الشرعية٠ هذا فى مذهبهم ونصوصهم التى ملؤوا بها بعض كتبهم ومؤلفاتهم التى كتبوها تقية ، وصنفوها لغير أهل التشيع، وإلا فحقيقة مذهبهم أنهم يغلون فى علي بن أبي طالب غلوا يرفعونه به حتى على مقام النبوة والرسالة التى جعلها الله تعالى لنبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم، لقد جعلوا من بعثة رسول الله ودعوته التى جاء من أجلها هى دعوة الناس الى التشيع لعلي وولده من بعده٠

وها هم فى هذا الدعاء المبتدع يقدمون محمدا تارة ، وعليا تارة أخرى ،ويتوجهون بصرف العبادات لهما، والاستغاثة بهما، وطلب النصرة منهما، وكل هذا الشرك ، يفعلونه باسم محبة آل البيت ، وتعظيمهم ، ومعرفة حقوقهم المفروضة بزعمهم، وأدائها٠

---

(١) جاء نص هذا الدعاء ضمن نشرة توضيحية عن المعصومين المزعومين، وبعض تواريخهم وأحوالهم، وبذيل النشرة جاء ذكر" دعاء الفرج"٠ نشر وتوزيع مكتبة الماحوزى فى دولة البحرين٠

الصوفية والقبـــور :

يقول أبو حامد الغزالي : " زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبـــار ، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار" ، (١) هكذا يدسون السم فـــى العسل ، يذكرون مذاهب الفقهاء كمقدمة تمويها لباطلهم، ومذهبهم الفاسد الذى يجعلونـــه كالمقدمة الفقهية أو نتيجة لها ، وشتان بين هذا وذاك ، فما هى علاقة التبرك بقبـــور الصالحين بما ذكره من استحباب زيارة القبور التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلـــم ليتذكر بها الانسان الحي آخرته وموته، ويتعظ من تذكر الأموات، ورؤيته قبورهم، عســـاه ينتفع بذلك فى حياته، فيجتهد فى فعل الطاعات، وترك المنكرات .

لقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " نهيتكم عن زيارة القبـــور ، فزوروها .... " (٢)

وقال حين زار قبر أمه صلى الله عليه وسلم : " ... فزوروا القبور ، فإنها تذكـــر الموت" . (٣)

هذا ما جاء فى صحيح الامام مسلم رحمه الله، وجاء فى سنن أبي داود مـــن حديث بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نهيتكم عـــن زيارة القبور، فزوروها ، فإن فى زيارتها تذكرة" . (٤)

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول لاله صلى الله عليه وسلـــم "زوروا القبور ، فإنها تذكركم الآخرة" . (٥)

ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال :

---

(١) احياء علوم الدين ، بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به (٤/٤١٨) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز باب استئذان النبي ربه فى زيارة قبر أمه (٢/٦٧٢) .

(٣) نفس المصدر (٢/٦٧١) ، وعند الترمذى جاء قوله : " ... فإنها تذكر الآخرة" سنن الترمذى ،كتاب الجنائز باب ما جاء فى الرخصة فى زيارة القبور (٣/٣٦١) ، وعند ابن ماجه جاء قوله: " ... فانها تذكركم الموت" سنن ابن ماجه، كتـــاب الجنائز ، باب ماجاء فى زيارة قبور المشركين (١/٥٠١) .

(٤) سنن أبى داود ،كتاب الجنائز باب فى زيارة القبور (٣/٥٥٨) .

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى زيارة القبور (١/٥٠٠) .

"كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها تزهد فى الدنيا ، وتذكر الآخرة" . (١)

تفيد هذه النصوص مشروعية زيارة القبور وسنيتها ، وترغب فى فعلها بعد أن كانت محرمة، كما تبين العلة والغاية من زيارة القبور ، وهى لا تتعدى كونها تذكر الزائر الموت والآخرة ، وتزهده فى الدنيا ، الأمر الذى سيحمله بعد توفيق الله له على العمل لما بعد الموت ، والاستعداد لدار البرزخ الذى هو أول منزل من منازل الآخرة .

ولقد كان من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه يخرج الى البقيع ، ويسلم على أهلها من المسلمين ، ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة . فقد صح عنه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع ، فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غداً ، مؤجلون ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون . اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد .... " (٢)

وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه وأمته ما يستحب لهم فعله عند زيارتهم للمقابر . فعن عائشة رضي الله عنها : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من منزلها حتى جاء البقيع ، فقام ، فأطال فيه القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، .... وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرها أن جبريل عليه السلام أتاه وناداه قائلا له : "إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم" . فسألته عائشه رضي الله عنها : كيف أقول لهم يارسول الله ؟ قال : قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم المتقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " . (٣)

كما جاء فى تعليمه أصحابه وأمته عند زيارة القبور من حديث بريدة رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا الى المقابر . كان قائلهم يقول : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية" . (٤)

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ماجاء فى زيارة القبور (١/١ ٥٠) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٦٦٩/٢) .
(٣) نفس المصدر (٢/ ٦٧٠ ـ ٦٧١) .
(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر (٤٤٩/١) .

ومن هديه أيضا فى هذا الباب ما جاء من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، فقال : استغفروا لأخيكم ، وسلوا له بالتثبيت، فإنه الان يُسأل . " (١)

هذا هدى رسول الهدى وخير البرية فى زيارة القبور، وهذا ما علم به أصحابه وأرشدهم الى فعله إن هم زاروا القبور أو مروا عليها . والنصوص تفيد مشروعية الدعاء للأموات وطلب المغفرة لهم والرحمة ، والثبات على الحق عند السؤال فى البرزخ. إن ما جاء فى نصوص الشرع تبين وتفيد افتقار الميت وحاجته للأحياء ودعائهم وترحمهم عليه وطلب المغفرة له من الله عز وجل ، فالميت هوالذى ينتفع بزيارة إخوانه الأحياء إن هم اقتدوا وتمسكوا بهدي رسولهم فى هذا الباب .

أما الصوفية ، فقد جعلوا الأحياء يفتقرون لزيارة أمواتهم ومشايخهم ومن يزعمون فيهم الصلاح والولاية، ويقررون انتفاع الحي بزيارة الأموات ، وتعظيم قبورهم، ولا يستندون فى تقرير مذهبهم الى نص شرعي من كتاب أو سنة، إلا بعض ما يذكرونه من السنن التى يسوقونها تلبيسا وتمويها للحق بالباطل . كما يتضح من قول أبي حامد الغزالى المتقدم فى ذكره مذهبه مع المذهب الحق، وكما هو فعل الصوفية ، والمبتدعة عامة فى ترويج باطلهم ومذاهبهم .

ولقد تقرر فى شرع الله عز وجل ، وكذلك فى العقول والفطر السليمة أن الإنسان إذا مات انقطع عمله وإحسانه إلا مما استثناه الشرع الحنيف، كما جاء فى الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أوعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" . (٢)

ولكن الصوفية تقرر أن أعمال أوليائهم وصالحيهم لا تنقطع بموتهم، بل إنهم يؤمنون أن الشيخ قد لا ينفع مريديه فى حياته، مهما بقوا فى خدمته وطاعته، ولكنه بعد موته يفتح لهم من خزائنه وفيضه، ويؤمنون أن نفع شيوخهم ، وامداداتهم ، ومعارفهم ، لا تنقطع بموتهم، بل إنهم لا يستقرون فى قبورهم، بل ولا فى بلادهم، وأنهم يخرجون

---

(١) سنن أبى داود، كتاب الجنائز ، باب الاستغفار عند القبر للميت (٣/٥٥٠) .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الوصية، باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته (٣/١٢٥٥) .

يغيثون العباد والبلاد، الى غير ذلك من العقائد والأفكار المخالفة للاسلام، بل والأديان عامة، وكذا العقول ٠

إن جميع النصوص الشرعية تؤكد حاجة الميت للأحياء من أول لحظة ينتقل فيها من دار الحياة الدنيا الى دار البرزخ ،فالصلاة على الميت قد شرعت لاجتماع الناس والتضرع الى الله تعالى للميت الذى انقطع حبل عمله أن يغفر له، ويرحمه من ذنوبه وخطاياه، ولقد حث الشرع المسلمين الإخلاص فى الدعاء للميت رجاء رحمة الله تعالى له٠ ومع كثرة النصوص الشرعية فى هذا المعنى، إلا أن المبتدعة أبوا إلا المخالفة والتنكر لهذا الهدي العظيم، ليمارسوا حياة الجاهلية الأولى من تعظيم القبور، والوقوف عليها بالخشوع والخضوع والذل رجاء الانتفاع بها فى الدنيا والآخرة فى جلب المنافع والمصالح، ودفع الضر والشر٠ الأمر الذى حرم لأجله رسول الله صلى الله عليه وسلم زيارة القبور، و منع من الوقوف عليها ليخرج تعظيمها ومهابتها من قلوب المسلمين لأنه ذريعة لتعظيم غير الله، وصرف الخوف والرجاء له، وهذا لا شك أنه من الأمور التى تفضي الى الشرك بالله، أو هى من الشرك الخالص، ومن موانع إخلاص التوحيد لله تعالى ٠ ثم لما تقرر إخلاص العبودية لله تعالى، ونبذ الشرك ووسائله فى نفوس الصحابة رضي الله عنهم نسخ ذلك التحريم والنهي،بالأمر والحث على زيارتها مع النص على العلة والغاية من الزيارة٠ ولكن المبتدعة من الشيعة الرافضة ، والصوفية أبوا إلا العودة الى الوثنية والشرك والجاهلية الأولى ٠

يقول الهجويرى الصوفي :" وَقَعَت لي أنا على بن عثمان الجلابي واقعة ذات مرة، وقمت بكثير من المجاهدة، على أمل أن تحل تلك الواقعة، فلم تحل٠ وكانت قد وقعت لى مثل تلك الواقعة من قبل ، فأقمت مجاورا على قبر الشيخ أبي يزيد البسطامي الى أن حلت ، فقصدت هنالك هذه المرة أيضا، وبقيت على قبره مجاورا ثلاثة أشهر ، وكنت أغتسل كل يوم ثلاث مرات ، وأتوضأ ثلاثين مرة٠٠٠٠٠" (١)

والهجويرى إمام من أئمة التصوف فى القرن الخامس الهجري، وقد بنى لنفسه مسجدا قبل وفاته طمعا فى إنشاء ضريح له ليعبد من دون الله كالتى لأبي يزيد، حيث كان يتوجه إليه عند نزول الشدائد به، ويعتكف طمعا فى كشف الضر، وحصول النفع فى ذلك الموضع٠ وقد أنشأ له مريدوه ضريحا ضخما فى مدينة لاهور، وبنوا له قبة عظيمة ٠ وتصف هذا القبر الدكتورة إسعاد قنديل فى دراسة أعدتها لهذه الشخصية الصوفية ،

---

(١) كشف المحجوب (١/٢٦٦) ٠

وتصف الكتابات المنحرفة التى كتبت على جدران الضريح أو المعبد الصوفى. فتقول: " كُتب فى البوابة عبارة ترجمتها: من جاء الى بابه لم يذهب محروما" (١). لقد اعتقد فيه الاتباع كما اعتقد هو بأبي يزيد. هذه هى الصوفية، وهؤلاء هم أئمة ودعاة التصوف.

وتقول فى نهاية الدراسة ما نصه: " ولا يزال قبر الهجويرى مطافا لمئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، وموضعا لعبادة الأولياء، وخلوة ورع للنساك، يتجهون إليه ليعتكفوا فيه فترة الأربعينية .... وقد اشتهر عن قبر الهجويرى تحقيق حاجة كل ذى حاجة، إن هو طاف بروضته المنورة أربعين ليلة جمعة، أو أربعين يوما على التوالى. ويحتفل أهل الباكستان حكومة وشعبا بمولد الهجويرى كل عام، ويمتد الاحتفال بالعرس سبع ليال ". (٢)

يتخذون من قبور المنحرفين مكانا للعبادة، وملاذا عند الشدائد، ويطوفون حول القبر، والروضة المظلمة الأيام والليالى، ويطلبون قضاء الحوائج، ثم كل هذا لايعدونه شركا، أوعبادة لغير الله تعالى بحجة شيطانية خبيثة ألقاها إبليس فى أمنيّة أكابرهم وسدنتهم، فأقنعوا عوامهم والغوغاء بها، وهى أنهم إن فعلوا ذلك كله فإنهم لا يعتقدون فى صاحب القبر والضريح الربوبية.. زعموا أن هذه تنقذهم من الشرك، يوهمون الناس أنهم حريصون على إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك، وهم به غارقون، وإليه يدعون، قاتلهم الله.

وهذا شيخهم أبو العباس أحمد زروق الذى وضع لهم قواعد فى التصوف، وتلقوها بالقبول، يذكر جواز زيارة المقابر للانتفاع بها بحجة أن كل من يُتبرك به فى حياته، يجوز التبرك به بعد موته. مستدلا لقوله هذا بالحجة عندهم وصاحب القول الفصل أبو حامد الغزالى فى كتاب آداب السفر. ويقول إن ذلك يعرف فى الولى" من معرفة كراماته.... ومن جربت إجابة الدعاء عند قبره، وهو غير واحد فى الأقطار..." (٣)

يسوقون المناهج الشركية وكأنها مسلمات، وكأن الله تعالى لم يشرع لعباده التوجه إليه إلا بواسطة أهل الكرامات المزعومين، الذين نصبهم وسائط بينه وبين عامة خلقه وعباده. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

---

(١) نفس المصدر المقدمة (١/ ٩٣).
(٢) المصدر السابق (١/ ٩٤)
(٣) قواعد التصوف، القاعدة ١٥٤ (ص/ ٩٦-٩٧).

ويقول كبيرهم وإمامهم فى القرن العاشر عبد الوهاب الشعرانى فيما نقله عن شيخه وسيده علي الخواص : " من آداب المريد إذا زار شيخا فى قبره أن لايعتقد أنه ميت لا يسمعه٠٠٠٠، بل الأدب أن يعتقد حياته البرزخية ، لينال بركته٠ فإن العبد إذا زار وليا، وذكر الله عند قبره، فلابد أن ذلك الولى يجلس فى قبره، ويذكر الله معه، كما شهدنا ذلك مرارا مع الإمام الشافعي ، ومع ذي النون المصري، ومع جماعة من مشايخ القرافة ٠٠٠٠٠" (١)

أسلوب التلبيس الصوفى واضح، فالحياة البرزخية مقرره عند الجميع، ولكن أن يسمع مطلقا، ويجلس ،ويذكر مع الذاكر فمن دسائس الصوفية ٠ وكذا ذِكره الامام الشافعي رحمه الله تلبيسا وإيهاما منه أن علماء الأمة وفقهائها على هذا المنهج ، والمعتقد الخبيث٠ ثم يذكر ذا النون مساويا إياه بالامام الشافعي ، وشتان بين إمام من أئمة أهل السنة، وإمام من أئمة الضلال والانحراف٠ ودليل الشعراني هو عين دعواه، كما هو شأن المتصوفة، وأسيادهم الشيعة، وعامة أهل البدع والضلال تتساوى عندهم الأدلة والدعاوى ٠ فدليل الشعراني الذى أقنع به أهل التصوف ، وصدقوه ، وآمنوا بمقالاته ومذاهبه ، ما شاهده، ومرارا، يريد أنه شاهد جلوسهم وذكرهم وسماعهم عند زيارته غير الميمونة لهم فى قبورهم على حد زعمه ودعواه ٠

ويقول أيضا :" ومما من الله تبارك وتعالى به عليّ، معرفتي بالولى إذا زرته فى قبره، هل هو حاضر أو غائب ؟ فإن غالب الأولياء لهم السراح والإطلاق فى قبورهم فيذهبون ، ويجيئون، ثم زعم أن شيخه الخواص كان كذلك أيضا، فقال : عنه:" فكان إذا رأى إنسانا عازما على زيارة بعض الأولياء يقول له: إذهب بسرعة، فإنه عازم على الذهاب الى موضع كذا، وفى بعض الأوقات يقول له: لا ترح له ، فإنه ما هو هناك اليوم"٠ (٢)

ويقول أيضا: " وقد زرت مرة سيدى عمر بن الفارض، فلم أجده فى قبره٠ فجاء إليّ بعد ذلك، وقال : اعذرنى، فإنى كنت فى حاجة" ٠ ثم ذكر عن بعض الصوفية مثل هذا الهراء فى تحديد مواعيد لزيارات بعض شيوخهم ، ويختم ذلك قائلا:" وهذا أمر لايعرفه إلا من كشف الله تعالى عن بصيرته٠٠٠٠" (٣)

---

(١) الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية (١٦١/١)٠

(٢) لطائف المنن والأخلاق٠٠ (١٤٩/١)٠

(٣) نفس المصدر والصفحة ٠

صنف الشعرانى كتابه هذا مستدركا على نفسه، فقد صنف الطبقات وشحنها بكرامات وفضائل غيره من الأولياء المزعومين بغية تعظيمهم ، وتعظيم قبورهم ، وتلاحق نفسه فى هذا الكتاب فشحنه بالكرامات المزعومة والأحوال المكذوبة، والمقامات المفتراة مدعيا أن ذلك كله مما من الله تعالى به عليه، وخصه به دون غيره، تكريما له واصطفاءً. وسمى كتابه هذا " لطائف المنن والأخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق" وجعل له اسما آخر فقال : " المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى". ليوهم عباد الله أنه إنما تكلم وأشاع ما حصل له من الكرامات واللطائف المزعومة المكذوبة من باب بيان الواجب فى التحدث بنعم الله تعالى وإظهارها لخلقه، وأنه لا يريد شهرة ولا سمعة بذلك.

ويقرر الشعرانى هنا عقيدة صوفية خبيثة ، وهى تصرف الشيوخ حتى بعد موتهم ، واستمرار نفعهم لمريديهم ومحبيهم، وقضاء حوائجهم ، وإغاثتهم ليؤكد للصوفية صحة توجههم الى قبور مشايخهم والاستغاثة بهم وعبادتهم من دون الله تعالى . ويستدل على مذهبه هذا بدعواه رؤيته ذلك من بعض المشايخ وأسياده فى قبورهم حتى أن ابن الفارض اعتذر له عن عدم تواجده فى قبره حين زاره. وتأكيدا منه فى تضليل عباد الله يدّعى أن هذا الأمر لا يعرفه ولايؤمن به إلا من كشف الله عن بصيرته. والحق أنه لا يؤمن بهذا الهراء وغيره من عقائد المبتدعة إلا من كشف الله عنه ستر الايمان، وستر الحياء والعقل، وإلا من غرق فى أوحال الكفر والزندقة ، وغاص فى أعماق الردة والضلال، وتخبط فى ظلمات الجهل والهوى والعياذ بالله .

ويقول أحمد بن مبارك القطب المزعوم عن شيخه الذى يصفه بأنه غوث الزمان ، عبد العزيز الدباغ عندما ذكر بعض الموتى من ساداتهم ممن يكثر الناس زيارتهم، وقد ظهر بزعمهم انتفاع الناس بهم وشفاء مرضاهم عند تلك الأضرحة، قال : "إن قلوب أمة محمد لها شأن عظيم عند الله، ولو أنها اجتمعت على موضع لم يدفن فيه أحد، وظنت فيه وليا، وجعلت ترغب الى الله فى ذلك الموضع ، فإن الله يسرع لها بالاجابة..." (١)

المهم أن يُشرك بالله تعالى ، وألا يتوجه العبد إليه إلا بوسيلة بحسن الظن بها، ويعلق قلبه بتلك الوسيلة حتى ولو كان عدما أو حجرا أو وثنا. ما أقرب هذا القول الساقط من قول الخمينى المتقدم ذكره (٢). فالمهم أن تحسن الظن بأي شيء ، ثم تتعلق به وتجعله وسيلة لك فى قضاء الحوائج شريطة عدم اعتقاد ربوبية ذلك المدعو

---

(١) الإبريز من كلام عبد العزيز الدباغ (ص/ ٤٢٧).

(٢) راجع الشفاعة والشفعاء عند الشيعة (ص/ ٣٦٢ ومابعده).

أو المُتوسَل به. والمهم فى دين الرافضة والصوفية ألا يُعبد الله تعالى، ولا يُطلب منه نفع دنيوى أو أخروى ، ولا يُستغاث به حتى فى الشدائد والملمات، إلا بواسطة ووسيلة من الائمة والأولياء والصالحين المزعومين.

ولقد جاء فيما نقله أحمد بن مبارك عن شيوخ الصوفية ما نصه: " وليعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله الى جناب كرمه، منه يدخل ، ومنه يخرج ، وإليه يرجع ، وينزل بالشيخ حوائجه ، ومهماته الدينية والدنيوية، ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به، ويرجع فى ذلك الى الله للمريد كما يرجع المريد اليه. وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة فى النوم واليقظة ، فلا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه ، فهو أمانة الله عنده، ويستغيث الى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه.. " (١)

فالشيخ هو الذى يرفع الى الله حوائج المريدين الدينية والدنيوية ، المهم ألا يتوجه ولا يستغيث المريد الى الله تعالى بنفسه مباشرة دون واسطة من أولئك العفنين المنتنين ، الذين دأبوا على صرف الناس عن الدين الحق، ونصبوا أنفسهم آلهة تعبد من دون الله تعالى.

وقد نقل أحمد بن مبارك محاورة جرت بينه وبين شيخه الغوث المزعوم عبد العزيز الدباغ فيقول :

" وقلت له ذات يوم إنى أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها، فقال لى : ما هى ؟ فذكرت له ما حصل. فقال لي : لاتخف من هذه الاشياء، ولكن أكبر الكبائر فى حقك أن تمر عليك ساعة ولا أكون فى خاطرك، فهذه هى المعصية التى تضرك فى دينك ودنياك". (٢)

ويقول أيضا : " وقلت له مرة: يا سيدى ، إنى بعيد من الخير. فقال : اطرح عنك هذا، وانظر الى منزلتك عندى، فعليها تحمل ....." (٣)

فأكبر الكبائر فى دين الصوفية أن يغيب تعظيم الشيخ ومهابته من قلوب العباد ، أو أن يغفلوا عن ذكره ومحبته ، فغياب الشيخ عن خاطر المريد، وعدم استحضاره له فى لحظة من حياته، هى الحالقة التى تحلق الدين والإيمان، وتؤدى الى خسارته وهلاكه فى الدنيا والآخرة.

---

(١) الابريز من كلام الدباغ (ص/٤٢٢).
(٢) المصدر نفسه(ص/٤٢٣).
(٣) نفس المصدر والصفحة.

ثم ما أقرب هذا المنهج من كلام الرافضة، ونظريتهم التى تقدمت وتفيد بأن إياب الاتباع سيكون للأئمة ، وحسابهم عليهم، فالصوفية عليهم أن يراعوا منزلتهم عند شيوخهم ، ويهتموا بإرضاء الشيوخ ليفوزوا يوم الحساب ، فإنهم إنما يُحملون على منازلهم من شيوخهم لا على قدر إيمانهم وتقواهم لله تعالى • فالصوفى إن رضى عنه شيخه ففى الجنة مهما اقترف السيئات، وقصَّر فى الواجبات، كالشيعي تماما كما روى الكشي بإسناده الى عبيد ابن زرارة قال دخلت على أبي عبد الله – يعنى الصادق – ••• قال : قلت : رجل أحبكم آهو معكم ؟ قال : نعم• قلت : وإن زنا ، وإن سرق؟••• فأومأ برأسه نعم•(١)

وأما الصوفى محمد مهدى الرواس الرفاعي، فقد صنف كتابا ضخما سماه "بوارق الحقائق" يصف فيه ما لاقاه فى رحلاته الطويلة فى زيارات مشاهد وقبور من يعظمهم أويعبدهم من المقبورين فى مختلف البلاد الإسلامية • وكثيرا ما يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره يأمره بزيارة قبر فلان وفلان(٢)• فينطلق متمثلا ذلك الأمر ، ويشد الرحال الى حيث أُمر ، ويصف تلك الزيارات بعبارات صوفية شيعية، يفوح منها نتن الغلو والشرك بالله تعالى بأساليب وألفاظ مبتدعة، ويزعم أنه فى تلك الزيارات استمد من أولئك الأموات امدادات روحانية، وفيوضات عرفانية، وكشوفات نورانية، وعلوما لدنّية، وأنه بالجملة قد انتفع برحلاته وزياراته الغير المباركة انتفاعا عظيما على حد زعمه •

ويفتخر الرواسى بكتابه هذا، كما يتباهى به الصوفية عامة على أنه من أحسن ما صُنف فى الحث والترغيب بدين الصوفية عامة، وبعبادة القبور وتعظيمها خاصة• ويستعمل فى كتابه هذا أسلوبا يجمع فيه بين التصوف الذى يتظاهر به ويتقى ، وبين التشيع الذى هو حقيقة دينه ومذهبه •

يقول مثلا فى زيارته لقبر موسى بن جعفر الكاظم ما نصه: " صباح يوم الجمعة، انكشف لي مع حضوري حجاب الاسدال عن عوالم الأرواح، فأحدقت بي من كل جانب ، أرواح الائمة الطاهرين ، والآل المرضيين ، والمشايخ العارفين ، والمحبين ، والمقربين ، وعباد الله الصالحين ، وأعظم روح قام •••• هى روح سيدنا ومولانا ، باب الحوائج الى حضرة الصدق فى مقام التوكل المحض بمشهد التسليم، الامام موسى الكاظم، فحبى مظهر مطافى من حنان روحه الطاهرة الامامية"•(٣)

---

(١) اختيار معرفة الرجال– المعروف برجال الكشى(ص/ ٣٣٦–٣٣٧)•
(٢) بوارق الحقائق (ص/ ٢١٤)•
(٣) نفس المصدر (ص/ ٢١٣)•

وفى زيارته لقبر الحسين بن علي رضي الله عنهما يقول : " .... فدخلت المشهد الأنور الحسينى، فحفت بي شهداء الحضرة من كل جانب، ورأيت لامعة نور النبي تتجلى فى ذلك المشهد، ورأيت الخضر عليه السلام يطوف بالمرقد، ورأيت القطب الغوث صاحب الوقت بيده مكنسة ، ويكنس حائط القبة.... " (١)

يوهم هذا الصوفى الشيعي المنحرف أن من أدلة صحة مذهبهم فى تعظيم القبور أن أرواح من زعمهم بالأئمة الطاهرين، والآل المرضيين، والمشايخ العارفين، والمحبين ، والمقربين، وعباد الله الصالحين، كل هؤلاء عاكفون حاضرون فى ذلك الضريح الذى زاره ، لم يترك أحدا أبدا إلا وحشره فى ذلك الموضع. ثم يصف موسى الكاظم بأنه باب الحوائج ، فإليه تُرفع وبه يُستغاث فى قضائها، ولم ينس الرواس نصيب شيعيته وإماميته الرافضية من نفسه ومعتقده، فدس فى ثنايا كلامه تلك الألفاظ والعبارات، التى كشفت عن حقيقة ما يخفيه فى بطنه من الأفكار والمذاهب العفنة النتنة.

وفى مشهد الحسين المزعوم ، زعم أيضا أنه كان مليئا بالأولياء والأصفياء العاكفين فى ذلك المقام ، ولم يكتف بذلك حتى حشر رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ليؤكد إقراره على مذهبهم ، بل ومشاركته لهم بفعله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء بالخضر ليؤكد جواز صرف العبادات لمن يعظمونهم . فهذا الخضر الصالح العالم يطوف ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد يراه ويقره على ذلك، منعا لقائل أن يقول متنازلا لهم بوجود الخضر: أن ذلك ليس فى شرعنا. فها هو رسول الله فى دنيا التصوف يقر ذلك كله. ولا يعد ذلك شركا ما دام ، وكما تقدم، لا يعتقد فاعله ربوبية وألوهية من يصرف له تلك العبادات فى دين الصوفية والشيعة. ثم ها هو ا لقطب الغوث يقوم بعملية كنس وتنظيف المقام، يستحث بفعله ذلك هممالمتصوفة فى بذل المزيد من الغالي والنفيس ، ونذر الأنفس وحبسها ووقفها لخدمة الأضرحة والقباب.

ويستمر الرواس فى ذكر زياراته لمراقد أئمة الشيعة المزعومين، وينقل عن معظمهم الاستبشار به كمجدد لطريقة ثالث عشر الأئمة المزعومين ، أحمد الرفاعي، وذكر أنبعضهم كان يحثه على زيارة قرية أم عبيدة حيث قبر الولي والغوث المزعوم ، صاحب الطريقة الشيعية المتصوفة. ولقد حرص على زيارة قبورهم جميعا،وحتى ثاني عشرهم . ولما كان فى عقيدتهم ودينهم لا قبر له ولا ضريح لإيمانهم بحياته وبقائه، زعم أنه التقى به فى مشهد

---

(١) بوارق الحقائق (ص/٢١٦ـ٢١٧) .

على بن موسى الرضا الذى وصفه بأنه " الامام ، الهمام، قبلة أهل الباطن ، ولى اللـــه العظيم المنزلة والجاه، نائب جده رسول الله٠٠٠٠" فيقول مبينا لقاءه بمنتظرهم مانصــه "٠٠٠٠ وتَصَدَّر على منصة البروز من بطون الغياب سيدنا الامام الحجة المهدى٠٠٠ فرجفـت فرائصي لرؤيته، فقال : مرحبا بمنتَظِرِنا٠٠٠٠٠" (١)

يقول :" من بطون الغياب" مشيرا لعقيدتهم بغيبة الإمام الثاني عشر، واختفائــه في السراديب ، وكذلك الترحيب ووصفه بأنه من المنتظرين خروجه من ذلك السرداب،وانتهـاء غيبته لإقامة دولة الشيعة المزعومة٠ هيهات، هيهات لما توعدون، وانتظروا إنا منتظرون٠

وقد ذكر بعض أدلتهم التى يحتجون بها لتأكيد مذهبهم ، فذكر عن على بـــن الحسين ،زين العابدين فيما نسبه إليه قال :" من خرج من بيته لزيارة ولى لله تعالى ، لم يزيل يخوض فى الرحمة حتى يرجع الى مكانه، ويغفر له ذنوب ألف عام، ويكون غـــدا فى جوار الرحمن" ٠ (٢)

وذكر فيما نسبه الى الباقر قوله:" لو علم الزائر لمن يزور، وماله من الأجـــر، لمشى ، ولو على أجفان عينيه عوضا عن قدميه" ٠ (٣)

ثم زعم أن عارفا يقال له البجلي، "رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فـــى المنام ٠ فقال له: علِّمني شيئا ! فقال : وقوفك بين يدى ولي لله كحلب شاة، أو كشـي بيضة، خير لك من أن تعبد الله حتى تنقطع إربا إربا٠ قال: حيا كان أو ميتـــا ؟ قال : حيا كان أو ميتا" ٠ (٤)

إن النصوص عن الائمة المعصومين بزعمهم من أقوى الحجج والأدلة، ولا يحتـــاج فى صحتها وحجيتها الى معرفة آسانيدها وناقليها٠ وأما الأخذ المباشر عن رسول الله فأقـوى أدلتهم بعد الأخذ المباشر عن رب العزة والجلال، سواءزعم الرائي أن ذلك كان فى حـــال يقظته أو منامه ٠ وهذا الأخذ المباشر المزعوم أهم مصادر التشريع عند الصوفية، بـــل ان هذا المصدر جعلهم يسخرون من طريقة العلماء والمحدثين فى نقل السنة، وقواعدهم وأصولهم التى اعتمدوها فى إثبات النصوص وقبولها٠

---

(١) بوارق الحقائق (ص/٣١٨) ٠

(٢) نفس المصدر (ص/٢٢٣) ٠

(٣) نفس المصدر والصفحة ٠

(٤) نفس المصدر والصفحة٠

ولقد دأب الصوفية على تعظيم القبور، والاستغاثة بها سيما فى الشدائد ، وشد الرحال إليها، وقصدها خاصة فى قضاء الحوائج ،والاستشفاء من أنواع الأمراض. ويرددون أن قبر فلان مثلا مجرب فى كذا وكذا. فذكر ذلك من القدماء مثلا إمامهم القشيرى حيث يقول فى ترجمة معروف بن فيروز الكرخي :" كان من المشايخ الكبار، مجاب الدعوة ، يستشفى بقبره . يقول البغداديون : قبر معروف ترياق مجرب"[١] ونقل عنه قولا فيه من الوقاحة والجرأة على الله تعالى ما فيه، فذكر أنه" كان أستاذ السري السقطي . وقد قال له يوما : إذا كانت لك حاجة الى الله ، فأقسم عليه بى".[٢]

وينقل عبد الحليم محمود من المعاصرين، عمن وصفه بقاضي القضاة أنه قال عن قبر وضريح أبي العباس المرسي :" قبر سيدى أبو العباس عندنا ترياق مجرب. ماقصد الله عنده أحد فى شئ إلا استجاب له ، كما قال أهل بغداد فى قبر سيدنا معروف الكرخي..."[٣]

ثم أخذ الدكتور عبد الحليم يصف القبر، وما كتب فيه من الآيات، وغيرها ، وذكر من بنى على القبر" بناءا عظيما ، ومسجدا للصلاة، وصومعة للآذان، من أحسن صوامع الاسكندرية ، وحبس عليها حبسا كبيرا .... وصار رمزا عظيما، ومقاما كريما ". ثم يقول : نفعنا الله ببركاته فى الدنيا والاخرة".[٤]

وذكر ضريح أبي مدين فقال :" وقبر الشيخ أبي مدين معهود مشهود، وحوض للزائرين. رأيت قبور الأولياء كثيرا، فما رأيت أنور من قبره ، ولا أشرق ولا أظهر من سره ، وليس الخبر كالعيان، والدعاء عنده مستجاب ، قاله الأعيان . وقد وقفت على ذلك غير ما مرة، وأخبرنى به من جربه واختبرته".[٥]

فالقبور عندهم مواضع كريمة يستجاب فيها الدعاء، وينتفع بها العباد، وسوقا عظيمة للبركات والنفحات الروحانية يتعرض لها الزائرون المعظمون للأولياء فى دنيا الصوفية.

ويقول محمد السيد التجاني ناصحا الصوفية عند نزول الشدائد بهم، ومرشدا إياهم. فيقول :" ومما جرب لدفع كل شدة، هذان البيتان ، فاتخذهما لك عدة :

---

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٧٤).
(٢) نفس المصدر (١/ ٧٥).
(٣) العارف بالله أبو العباس المرسي (ص/ ١٧٢).
(٤) نفس المصدر والصفحة .
(٥) أبو مدين الغوث (ص/ ١٤٩).

إليك رسول الله أشكو نوائبا من الدهر لا يقوى لها المتحمل
وإني لأرجو أنها بك تنجلي فإنك لى جاه وحصن ومعقل "[1]

ونقل عن بعض علمائهم قوله : " إن زيارة قبور الصالحين ، والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين ، فمن أراد حاجة فليتوسل بهم الى الله تعالى، فإنهم الواسطة بين الله وخلقه" .[2]

ويقول محمد زكى ابراهيم رائد العشيرة المحمدية، وشيخ الطريقة الشاذلية : "وقصد الأماكن ، والمعالم المباركة التى يرجى فيها استجابة الدعاء، والتوسل كالمساجد، والأضرحة، شرع منصوص" .[3]

نعم شرع منصوص فى دين الصوفية والشيعة حيث تستوى حرمة المساجد والمقابر، أو قد تكون الأضرحة والقبور أعظم بركة، وأرجى لإجابة الدعاء من المساجد السُّنّية المجردة التى لا قبر فيها .

ثم يتحدث عن بركة قبور الصالحين فيقول فيما ينقله عن أئمة التصوف :

" فى الحصن الحصين يقول : وقد جربت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين ، وفى سفينة النجاة يقول : تحقق ذوو البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين ، والتشفع بهم معمول به عند علمائنا ...." ، وفى شرحى الشفا : وقبر الامام الجليل ابن فورك، يزار ويستجاب عنده الدعاء . وفى الرسالة القشيرية يقول : قبر معروف الكرخي ترياق مجرب . وفى عمدة المريد يقول : مدد الميت أقوى من مدد الحى، فزيارة القبور اعتبارا وتبركا شيء من معالم الاسلام" .[4]

ثم نقل نصوصا منسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستدل بها على باطله، مثل " من زار قبرى وجبت له شفاعتى ، ومن زار قبري كنت له شفيعا وشهيدا . ومن زارني كان فى جوارى يوم القيامة" .[5]

ثم يختم بحثه قائلا : " اللهم إنا نحب نبينا بما هو أهله ، فلا تحرمنا بركة زيارة قبره الشريف مرات ومرات، لنقتبس النفحات والبركات والأسرار والأنوار والفيوضات.. "[6]

---

(١) الفوز والنجاة فى الهجرة الى الله، والهنا والغنى لمن اصطفاه (ص/١٨٠ـ١٨١)
(٢) نفس المصدر (ص/١٩٩) .
(٣) الافهام والافحام، أو قضايا الوسيلة والقبور (ص/٤٨) .
(٤) نفس المصدر (ص/٦٧ـ٦٨) .
(٥) المصدر السابق (ص/١٣٧) .
(٦) المصدر السابق (ص/١٣٨) .

ثم جاء بفلسفة صوفية شيعية تحدد الشرك وعبادة غير الله تعالى. فيقول :
"إن الدعاء لا يكون عبادة إلا حين يعتقد الداعي ربوبية المدعو.... فإن تخلف اعتقاد الربوبية من الداعي استحال أن يكون الدعاء عبادة لا عقلا ولا شرعا . فاعتقاد الألوهية في المدعو..... هو العبادة ولو لم يقترن ذلك بقول ولاعمل ،وإلا فلا، هذا هوالقانون والأصل الأول". (١)

هذا هو الأصل الذى اخترعوه ليتسنى لهم ترويج الشرك بالله تعالى عن طريقه. وما أقرب هذا الأصل ،وهذا القول من قول الخميني المتقدم. (٢) حيث ينص على أن الشرك هو طلب الشيء من غير رب العالمين على أساس كونه إلها. وهذا يقول إن دعاء غير الله لا يكون عبادة للمدعو ، وشركا بالله تعالى إلا حين يعتقد الداعي ربوبيته وألوهية المدعو، فإن تخلف هذا الاعتقاد فليس من الشرك في شيء . متناسيا هو والخميني وغيرهما من الطواغيت أن مشركي الجاهلية الذين جاء الإسلام يحاربهم ما كانوا يعتقدون ربوبية وألوهية أصنامهم وأوثانهم ، لقد كانوا يؤمنون برب العزة خالقا ورازقا، ولكنهم يتوسلون بتلك الأوثان ، ويصرفون لها من أنواع العبادات التى لاينبغي صرفها لغير الله تعالى رجاء النفع، ودفع الضر لما اعتقدوا أن لها جاها ومنزلة عند الله تعالى ، فتوسلوا بها ، واستشفعوا بها، وجعلوها وسيلتهم الى الله عز وجل ، وواسطتهم فيما بينهم وبين ربهم تبارك وتعالى .

وها هى الشيعة والصوفية قد آعادوها، وجعلوها من أعظم أصولهم، وأهم شعاراتهم، واخترعوا لها من الأدلة العقلية التى فلسفت الشرك والكفر وجعلته من أهم الطاعات والقربات ، بل لا يتقرب المرء الى ربه إلا من هذا الطريق، كما اختلقوا لها أدلة زعموها شرعية نقلية، لفقوها ترويجا للشرك، ونشرا له ، بالاضافة الى باب الدعاوى التى هى أعظم أصل شرعي عندهم. وصوروا أن ما ذهبوا إليه هو الدين والشرع، وشنعوا على من خالفهم من دعاة التوحيد، وخوفوا العامة من التعرض للأئمة والأولياء حتى شاع في مختلف البلاد الإسلامية نصب الأوثان والبناء على القبور ثم تعظيمها وشد الرحال اليها ، والاستغاثة بها، واللجوء إليها حتى فى الملمات والشدائد، وعبادتها وطلب قضاء الحوائج الدنيوية والدينية منها، والاستشفاء بها، والطواف حولها، والنذر لها، الى غير ذلك من الصور الجاهلية التى عمت أرجاء البلاد الإسلامية حتى اعتاد على هذا الأمر الشيوخ ، وشاب عليه الأطفال حتى غدت وكأنها من المسلمات الدينية لتلقي الناس لها بالقبول والعياذ بالله. فلا تكاد قرية مهما صغرت ، وقل سكانها تخلو من ضريح لولي مزعوم أو امام منصوب مقهور، إلا ما رحم الله تعالى.

---

(١) الافهام والافحام، أو قضايا الوسيلة والقبور (ص/١٤٩-١٥٠) .

(٢) راجع الشفاعة والشفعاء عند الشيعة (ص/٣٦٢ ومابعده) .

المبحث السابع

الحلول

و

الإتحاد

المبحث السابع
الحلول و الإتحاد

تمهيـــد :

بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ونبيا الى عباده وخلقه ، علـى فترة من الرسل ، بعد أن مقتهم ، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وغيرهم ممـن كانواعلى التوحيد. لقد كان عامة الخلق يتخبطون فى ظلمات الجهل ، وضلالات الشـــرك ، وخرافات الوثنية التى جعلتهم يخلطون بين الحق تعالى وخلقه، ويُسوون بينه سبحانه وبيـن بعض خلقه فى الحقوق والواجبات، والطاعة والامتثال ، فجعلوا لشركاء من الجن والإنـس بزعمهم، وصرفوا لهم أنواعا من العبادات لما زعموه أنها تملك وتقدر وتتصرف وتنفع وتضر.

إن التوحيد الذى هو حق الله تعالى على جميع خلقه، إنسهم وجنهم، هو الغاية التى من أجلها أرسل الله تعالى رسوله محمدا ، بل رسله جميعا ، وهو أيضا الغاية مـن خلق الخلق فى هذه الحياة الدنيا.

قال الله تعالى : " وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون " (١) أى ليعبدوه ويطيعوه ويمتثلوا جميع أوامره سبحانه وتعالى، فهى غاية الخلق وعلته.

وقال تعالى : ولقد بعثنا فى كل آمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" . (٢)

وقال تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فى وصيته التى يوصي بها أُمته :

" قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلـوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا تقتلـوا النفس التى حرم ا لله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون " (٣) .ثم قال تعالى بعـد ذكر المحرمات الأُخرى : " وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكـم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " . (٤)

الى غير ذلك من الايات الكثيرات التى تنص على التوحيد وإخلاصه لله تعالـى باجتناب الطواغيت ، وإشراك غير الله معه فى شئ من الأفعال أو الصفات، ولقد حفلـت

---

(١) سورة الذاريات /٥٦.
(٢) سورة النحل /٣٦.
(٣) سورة الانعام/١٥١.
(٤) نفس السورة/١٥٣.

السنة الكريمة بكثير من الأحاديث التى بين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المسألة المهمة، كما اشتملت على صور عدة يتجلى فيها حرص الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على هذا الجانب،وحمايته من كل شائبة، وسده لجميع الأبواب والمنافذ التى قد تكون ذريعة للوقوع فيما ينافيه من الشرك بالله تعالى ٠

فقد صح عنه نهيه أمته عن الغلو وتحذيرهم منه، وحرصا منه صلى الله عليه وسلم على عدم وقوعهم فى الغلو نهاهم عن مدحه وإطرائه وتعظيمه بما يجاوزون به الحد الشرعى كما تقدم ذكره٠ (١)

كما زجرهم عن التشبه باليهود والنصارى فى تعظيم أنبيائهم وغلوهم فيهم، فنهاهم عليه الصلاة والسلام أن يبنوا على قبره خشية وقوعهم فى الشرك، وخشية استحقاقهم لعنة الله تعالى وغضبه على ذلك الفعل، كما تقدم بيانه وتفصيله٠ (٢)

كما نهاهم عليه الصلاة والسلام عن قولهم: " ما شاء الله وشئت" (٣) وجاء فى حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بيان خطورة مثل هذه الكلمة، حيث ذكر: "أن رجلا من المسلمين رأى فى النوم أنه لقي رجلا من أهل الكتاب فقال: نِعمَ القوم أنتم لولا أنكم تشركون٠تقولون : ماشاء الله وما شاء محمد ٠ وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: أما والله ، إن كنت لأعرفها لكم ٠ قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد" (٤) وفى هذا تحذير من اعتقاد مساواة مشيئة النبى بمشيئة الله تعالى، فضلا عن التصرف فى الكون، وغير ذلك من الأمور التى تفضي بصاحبها الى الشرك بأن يجعل لله تعالى ندا فى شيء من أفعاله أوصفاته٠ وفى حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: إن رجلا قال: يارسول الله ماشاء الله وشئت ٠ فقال: جعلتنى لله عدلا ٠ بل ما شاء الله وحده" (٥) وفى رواية قال: " ٠٠٠٠ جعلت لله ندا ؟ ما شاء الله وحده٠" (٦)

أين هذه اللفظة التى اعتبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعنى جعل الند والعدل والكفوء للحق تعالى ــ وقد لا يقصد قائلها ذلك المعنى ــ من فعل المنحرفين

---

(١) راجع أول المبحث السادس: تقديس القبور والأضرحة٠التمهيد(ص/ ٣٤٠ــ ٣٤٢)٠

(٢) راجع" تعظيم القبور وعبادتها عند الشيعة والصوفية ــ التمهيد(ص/٣٧٤ومابعده)٠

(٣) من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا حلف أحدكم فلا يقل ماشاء الله وشئت٠ ولكن ليقل : ماشاء الله ثم شئت"٠رواه ابن ماجة فى سننه فى كتاب الكفارات، باب النهى أن يقال ماشاء الله وشئت(١/٦٨٤)٠

(٤) نفس المصدر ــ سنن ابن ماجه (١/٦٨٥)٠

(٥) رواه الامام أحمد فى مسنده(١/٢٨٣،٣٤٧)٠

(٦) رواه أبو نعيم الأصبهانى فى حلية الأولياء(٤/٩٩)٠

الذين يعزمون العقد على الاستغاثة بغير الله تعالى وطلب قضاء الحوائج الدنيوية والأخروية منه، وغير ذلك من الأفعال الشركية ٠

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: " قام رسول الله حين أنزل الله تعالى " وأنذر عشيرتك الأقربين" [١] قال: يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا٠ يا بنى عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئا٠ يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئا٠ ويا صفية عمه رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا٠ ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا" ٠ [٢] يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتعلق قلوب العباد بربها وخالقها، فلا ترجو نفعا أو تخاف ضرا إلا منه وحده سبحانه وتعالى ، ولا تستغيث إلا به ، ولا تسأل إلا إياه ، ولا تستعين إلا به وحده فى جميع أمورها ٠

فخص بالذكر أقرب الناس إليه، ليدخل من سواهم من باب أولى٠

وفى هذا كله التمييز بين الخلق والخالق ، ونفي أية مشابهة بين الخالق والمخلوق٠ ففى هذه النصوص الشرعية، وغيرها كثير من كتاب وسنة،بيان كاف فى التفريق بين الحق والخلق ، وإعطاء الحق حقه، وعدم صرف شيء من حقوقه تعالى لأحد من خلقه مهما عظم شأنه، وعلت مكانته٠ فإن الفصل بين الحق والخلق فى الأسماء والصفات والأفعال والحقوق هو أصل الدين والتوحيد، بل أصل الديانات جميعا ، فالله تعالى واحد فى ذاته وأسمائه وصفاته وجميع أفعاله٠ لايشبهه أحد من خلقه، ولايَشْرَكُه أحد فى خَلْقه وفعله وأمره ونهيه وحتى ملكه٠ وهو سبحانه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء، فلايحتاج الى شركاء فى التدبير والتصريف٠ ولازم هذا أن الشرك بالله تعالى، مهما دق أو قل فى نظر فاعليه، هو أعظم ذنب عصي الله تعالى به، وهو سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الشرك أبدا ، بل انه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك من الذنوب والمعاصي لمن يشاء تبارك وتعالى٠

هذا هو التوحيد الذى يريده الله تعالى من عباده ، ويقوم على الفصل التام، والتمييز الكامل بين الحق تبارك وتعالى وبين الخلق ، فما كان من حقوق الله تعالى ، لا يصرف منها شيء لأحد من الخلق ، كائنا من كان٠

---

(١) سورة الشعراء/٢١٤٠

(٢) رواه البخاري فى صحيحه فى كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد فى الأقارب، الفتح(٥/٣٨٢)، وفى كتاب التفسير باب" وأنذر عشيرتك الأقربين ٠٠ الفتح(٨/٥٠١)وفى كتاب المناقب مختصرا، باب من انتسب الى آبائه فى الاسلام والجاهلية، الفتح(٦/٥٥١)٠ ورواه مسلم فى كتاب الايمان باب فى قوله تعالى "وأنذر عشيرتك الأقربين (١/١٩٢ـ١٩٣)٠

وأما توحيد المبتدعة فإنه شيء آخر، ويقوم أساسا على التعدي على حقوق رب العزة والجلال، وإشراك غيره معه سبحانه وتعالى فى كل شيء ابتداءً من المُلْك، حتى التصرف والتدبير فى الكون والعباد فى الدنيا والآخرة، فالتوحيد فى أعلى مراتبه، وأرقى مقاماته عندهم هو اتحاد الخالق بالمخلوق ، واشتراكهما فى كل شيء. فشتان بين توحيد أهل السنة والجماعة لربهم وخالقهم وإلههم، وبين توحيد المبتدعة من أهل التشيع والتصوف.

وفى هذا المبحث أذكر أولا مذهب أهل التصوف وأدلتهم وأقوالهم، ثم أذكر مذهب أهل التشيع ، خلافا لجميع المباحث، وذلك لأنني لم أجد فى مذهب أهل الرفض والتشيع الشيء الكثير فى هذه المسألة، خاصة عن متقدميهم وقدمائهم، كما هو الحال فى مذهب المتصوفين. وأرجو أن أتمكن من الحصول على مراجعهم القديمة، خاصة من اشتهر منهم بالتصوف لأتمكن من جمع المادة التى تتعلق بوحدة الوجود عند قدمائهم وأوائلهم .

والمراد بالحلول عند المبتدعة هو حلول شيء من خصائص الربوبية أو الألوهية فى بعض المخلوقين، فيعتقدون أن شيئا من ذات الله عز وجل قد حل فى بعض خلقه ، مما يمكنه من مشاركة الله تعالى فى الأمر أو الخلق أو التصريف والتدبير.

وأما الاتحاد، فهو اعتقادهم بأن الله تعالى قد يتحد كلية مع بعض خلقه اتحادا تاما، ويغلو غلاتهم فيعتقدون أن كل شيء فى الوجود هو الله تعالى، فالكل خالق وان تعددت الأشكال والصور، واختلفت الأسماء والأوصاف، من حيث الحقيقة والأصل بزعمهم . تعالى الله وتنزه عما يظن به الظالمون الجاحدون علوا كبيرا.

<u>مذهب الصوفية فى الحلول والاتحاد:</u>

إندس دعاة التصوف أول أمرهم فى صفوف الزهاد والعباد، متظاهرين بالدعوة الى حمل النفوس على الزهد القوى، والعبادة التى لا تطيقها النفوس . الأمر الذى أدى الى الغلو فى الزهد والعبادة ، ومجاوزة الحد الشرعي السُنّي فيهما، حتى اشتهر عن كثير من الناس الزهد فى المباحات والسنن الفطرية كالتبتل، وترك النوم، وغير ذلك من الأمور التى كانوا يقهرون أنفسهم على فعلها وتحملها. كما اشتهر عن طائفة منهم، كثرة العبادة من صلاة وذكر وغيره، فكانوا يزعمون أن فلانا يصلي كذا وكذا ركعة، وفلانا يذكر الله كذا وكذا مرة ، ويذكرون أعدادا من الركعات والختمات والأذكار التى لو قسمت على ساعات الليل والنهار، ما كانت لتسع نصفها أو أقل من ذلك .

ثم أخذ الصوفية يرتقون فى مذهبهم رويدا رويدا ، فظهر فيهم من يزعم أن من عظائم الذنوب أن يُعبد الله تعالى طمعا فى جنته، أو خوفا من ناره بدعوى أنه يستحق

العبادة استحقاقا ذاتيا من دافع المحبة الصادقة. وزعموا أن من عبد الله تعالى رجاء الجنة أومخافة النار فإنه يعد مشركا بالله تعالى فى محبته، غير صادق بها. ولعل رابعة العدوية هى من أوائل من نقلت التصوف فى جميع أفعاله واجتهاداته من تأثره بعوامل الخوف والرجاء الذى هو أصل الدين وأس العبادة وركناه العظيمان، الى إخضاعه وتأثره بعامل الحب والعشق الإلهى المزعوم.

ثم بدأ التغني والتبجح بالحب والعشق ، وأكثروا من ذلك حتى غدا من أعظم سماتهم وشعاراتهم . ثم غلوا فى هذا الجانب وجاوزوا ليس حد الشرع فحسب ، بل حتى حد العقل والحياء .

تقول رابعة :

" أحبك حبين : حب الهوى وحباً لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحُجُب حتى أراكا "

ثم شاعت لفظة الحب ، وتوسعوا كثيرا فى ادعائها، وكثرت عبارات المحبة المزعومة، وما يترتب عليها من الآثار والنتائج من كرامات وغيرها مما يزعمون . فنظموا أشعارا ودواوين، وكتبوا نثرا ورسائل لا تعد ولا تحصى، والفضل فى ذلك لعله يرجع لرابعة التى فتحت لهم هذا الباب ، وسنّت لهم هذه السنة السيئة التى انطلق منها الدعاة والكاذبون ، وتستر بها الزنادقة والملحدون.

ثم جاء أبو يزيد البسطامي فأوغل فى تلك الأحوال الصوفية، وجاء بكم هائل من الأقوال المنحرفة، والأفعال المشينة، وتلقاها عنه المنحرفون زاعمين صدورها عنه فى حال الفناء والاتحاد، وسموها باسم الشطحات ، مدعين أنها من وراء العقل والشرع، سترا لقبائحهم وتزيينا لباطلهم ، ودرءاً لرقابهم من إقامة الحدود والقصاص عليها زاعمين أن أحوالهم لا ينبغي أن تعرض على الشرع وحدوده لأنها من باب الفناء والمحو، وغير ذلك من الألفاظ والعبارات التى اصطلحوا عليها للستر على مذاهبهم وأحوالهم الفاسدة .

ثم جاء الحلاج الذى دأب أوائلهم ، ومازال أذنابهم يتباكون على مقتله، ويصفونه بأنه شهيد الحب الإلهى، رغم إجماع علماء عصره على وجوب قتله كفرا وردة عن دين الله تعالى ، كما تقدم تفصيله . جاء الحلاج فقال فى الاتحاد بين الخالق والمخلوق، والمحب والمحبوب نظما ونثرا، وفتق هذا المذهب ، وصبغه بعبارات من الغموض والسرية بمكان،

بدعوى انها مما خُص بها دون غيره، فقالها وهو فى حال القرب والتمكين مع محبوبه بزعمهم.

ثم جاء ابن الفارض الذى لقب نفسه بسلطان العاشقين، وألف ديوانا اختص بالحب والوحدة والاتحاد بين المحب ومحبوبة ، والعاشق ومعشوقه ، واستعمل فى ذلك عبارات يندى لها جبين من كان فيه ذرة من الحياء فضلا عن الايمان. ثم تبعه من الزنادقة والملحدين من أمن جانب الدولة والسلطان، وارتفع عنه الخوف من القضاة والفقهاء وأحكامهم ، إما لضعف السلطان الديني ، أو لقربهم من الحكام والسلاطين، وتفشي التصوف فى صفوف الأمراء، أو غير ذلك من الأسباب التى جعلتهم ينتقلون من حياة السرية والكتمان والغموض الى البوح بالكفر والزندقة والإلحاد كابن عربى، وعبد الحق بن سبعين، وعفيف الدين التلمسانى، وعبد الكريم الجيلى.

ولمعرفة مدى التطور فى هذا المذهب المنحرف، أذكر أقوال بعضهم للمقارنة والوقوف على مراحل الترقى فى الكفر والإلحاد فى الوحدة والاتحاد ، فبعد أقوال رابعة وأبياتها ،جاءت شطحات أبي يزيد ، ومن أعظمها قوله : "سبحاني، سبحاني ما أعظم شأني".

ثم جاء الحلاج. فقال مثلا : " أنا الحق" وقال :" ما فى الجبة غير الله " وقال أيضا :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

فاذ أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

وجاء ابن الفارض سلطانهم فى العشق المزعوم فقال :

"كلانا مصلٍ واحدٌ ساجدٌ الى ... حقيقة بالجمع فى كل سجدة

وما كان لي صلىّ سوايَ ولم تكن ... صلاتى لغيرى فى أداء كل ركعة

. . . .

أفاد اتخاذي حبُها لاتحادنا ... نوادر عن عاد المحبين شَذّتِ

. . . .

وعانقت ما شاهدت فى محو شاهدى ... بمشهده للصحو من بعد سكرتي

ففى الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... وذاتى بذاتى اذا تَحلّت تجلّتِ" (١)

---

(١) ديوان ابن الفارض ، القصيدة التائية الكبرى المسمى بنظم السلوك(ص/٣٥-٣٩).

وابن الفارض يتغنى ويتغزل بربه ومعبوده فى هذه القصيدة الخبيثة التى صور فيها ربه وإلهه ومعبوده على أنه أنثى، ويخاطبه بصيغة الأنوثة بعبارات تفتقر الى أقل مقامات الحياء والخجل ·

الحاصل أن دعوى المحبة هذه مرت بمراحل ، وتطورت من خلاله تطورا جعلهم يؤمنون ويعتقدون إيمان إبليس وفرعون وتوحيدهما· فزعم الحلاج قائلا: " وما كان فى أهل السماء موحد مثل إبليس" (١) وقال أيضا : " فصاحبيَّ واستاذيّ إبليس وفرعون، وإبليس هدد بالنار، وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق فى اليم وما رجع عن دعواه، ولم يُقرّا بالواسطة البتة ·········· .

وإن قتلت أو صلبت ، أو قطعت يداي ورجلاي ، مارجعت عن دعواي" (٢)

ثم جاء عبد الكريم الجيلى وأخلص لفكره الدفاع عن إبليس إخلاصا عظيما، فصور الفكرة والنظرية تصويرا دقيقا، وتعادلت عنده الفضائل والرذائل ، وتداخلت عنده الجنة والنار ، ولم يميز بين عبادة الله تعالى وعبادة الأوثان (٣) · كما تلقى فكرة الحب ووحدة الأديان عن شيخه ابن عربى، وبلورها وزخرفها بزخارف الأقوال تزيينا وترويجا لها· كل هذا الفساد باسم الحب والمحبة ولوازمها ونتائجها·

فالغلو ومجاوزة الحد فى حب الصوفية المزعوم لله تعالى قادهم الى ادعاء مشاركته فى ربوبيته وألوهيته، بل الى الاتحاد بين المحب والمحبوب، والمخلوق والخالق، حتى آمنوا أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى ، وأن العالم كله خيال لا حقيقة له · فتوحدت عندهم ذات الانسان المخلوق بذات الله الخالق · تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا·

يقسم الصوفية التوحيد الى أقسام، فالسراج الطوسي مثلا عقد بابا فى كتابه عن التوحيد: " باب التوحيد، وصفة الموحد، وحقيقة كلامهم فى معنى ذلك"· ثم ذكر أقوالا لذي النون المصري وجنيد البغدادي يتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة · ثم علق قائلا : " فالجوابان اللذان لذي النون والجنيد فى التوحيد ظاهران· أجابا عن توحيد العامة···" (٤)

---

(١) كتاب الطواسين، المطبوع مع أخبار الحلاج(طاسين الأزل والالتباس) (ص/٩٦) ·

(٢) نفس المصدر (ص/١٠٠) ·

(٣) راجع كتابه :الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل (٢/١٢٢) ومابعده·

(٤) اللمع للسراج الطوسي(ص/٤٩) ·

ثم قال : " وقد سُئل الجنيد عن توحيد الخاصة فقال : أن يكون العبد شبحا بين يدى الله عز وجل، تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته فى لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه.... بذهاب حسه وحركته، لقيام الحق له فيما أراد منه، وهو أن يرجع آخر العبد الى أوله، فيكون كما كان قبل أن يكون. وقال أيضا : التوحيد هو الخروج من ضيق الرسوم الزمانية، الى سعة فناء السرمدية". (١)

فتوحيد خاصتهم الإيمان بأنه لا فاعل إلا الله، ولا موجود بحق إلا هو. وبذلك يخرج العبد من طور البشرية الفانية وضيقها، الى سعة فناء الألوهية، ينتقل بزعمهم من دائرة الخلق والفناء الى الاتحاد بالحق .

ثم ذكر عن أحد شيوخهم لمّا سُئل عن التوحيد أنه أجاب بثلاثة أجوبة : " جواب منها فى توحيد العامة، وهو الانفراد بالوحدانية بذهاب رؤية الأضداد والأنداد والأشباه والأشكال، مع السكون الى معارضة الرغبة والرهبة... " (٢)

يريد أن سكون الانسان فى عبادته وتوحيده لله تعالى الى جانب الرغبة والرهبة ، فيرغب فى الجنة، ونعيم الله، ويرهب من النار وعقاب الله تعالى ، يتعارض مع بلوغ مراتب التوحيد العالية، أو الخاصة وقد شرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالرغبة ،والرهبة.

ثم قال : والجواب الثانى: توحيد أهل الحقائق على الظاهر، وهو الإقرار بالوحدانية ...... بإزالة معارضة الرهبة والرغبة". (٣)

أى يعبد الله تعالى بلا خوف ولا رجاء، ويعبده بالحب على زعمهم، تمهيدا للوقوع فى الفناء الذى هو مطية الاتحاد بزعمهم بين الحق والخلق.

ثم قال : والجواب الثالث : توحيد الخاصة، وهو أن يكون العبد بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدى الله تعالى تجرى عليه تصاريف تدبيره، وأحكام قدرته فى بحار توحيده بالفناء عن نفسه، وذهاب حسه بقيام الحق له فى مراده منه..." (٤)

المهم أن توحيد الخاصة لا يذكرون فيه أى لفظ يدل على توحيد الله تعالى أو نفي الأضداد والأنداد عنه سبحانه ، بل يركزون على أن الفاعل هو الله تعالى، فالوجود الحقيقي

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة .
(٢) المصدر السابق (ص/ ٥٠).
(٣) المصدر السابق (ص/ ٥١).
(٤) المصدر السابق والصفحة .

هو وجوده، وعلى الخواص السعي للاتحاد به تبارك وتعالى، بالفناء عن أنفسهم وما حولهم·

ثم ذكر عن رويم بن أحمد البغدادي حين سئل عن التوحيد أنه قال : " محو آثار البشرية ، وتجرد الألوهية" · (١)

يريد أن على المرء أن يمحو عن نفسه آثار البشرية والخلق بالفناء، لتتجلى فيه آثار وصفات الألوهية والربوبية، فلا يرى فى نفسه البشرية المخلوقةالفانية غير الله بزعمهم ، ولقد وضّح هذا المعنى بقوله: " للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه جل وعلا " · (٢)

فالحاصل أن التوحيد عند الصوفية شيء آخر غير ما هو معروف عند أهل السنة ، فالصوفية إذا ذكروا التوحيد فسروه بأنه اعتقاد أن الفاعل الحقيقي لجميع الأفعال هو الله سبحانه وتعالى، وأن هذا الاعتقاد لا يتحقق إلا بالفناء عن النفس والذات المخلوقة حتى لا يبقى لها وجود حقيقى فى ذهن ذلك الموحد بزعمهم ، فلا يرى غير الله تعالى فى الوجود كله، حتى ينظر الى جميع الموجودات حوله على أنها خيال بلا حقيقة· ويتضح هذا المعنى من خلال أقوال أئمتهم فى هذا الموضوع·

روى أبو نعيم الأصبهانى بإسناده الى أبي يزيد البسطامي أنه قال : " لم أزل أجول فى ميدان التوحيد، حتى خرجت الى دار التفريد، ثم لم أزل أجول فى دار التفريد حتى خرجت الى الديمومية، فشربت بكأسه شربة لا أظمأ من ذكره بعدها أبدا " · (٣)

وروى عنه أيضا بإسناده قال : " غبت عن الله ثلاثين سنة، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه، فلما خنست عنه، وجدته فى كل حال حتى كأنه أنا " · (٤)

فأبو يزيد كان على التوحيد وذكر الله تعالى وتنزيهه ثلاثين سنة، ثم خرج بتصوفه الى دار التفريد، فصار لا يرى غير الله تعالى ،فالذاكر والمذكور واحد، فحينئذ خنس عن ذكره، ثم ارتقى فى سلم التصوف الى الاتحاد بزعمه بالله تعالى حتى كأنه هو، فاستغنى عن ذكره وتوحيده·

لذلك روى عنه أيضا بإسناده اليه قال : "عجبت لمن عرف الله كيف يعبده؟ " (٥) لأنه قد تساوى عنده العابد والمعبود، واتحدا معا·

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة، والرسالة القشيرية (٢ / ٥٨٧) ·
(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى (١ / ٨٨) ·
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠ / ٣٥) ·
(٤) نفس المصدر والصفحة·
(٥) المصدر السابق (١٠ / ٣٧) ·

ويقول أيضا : " أول حج لى لم أر غير البيت، وفى المرة الثانية رأيت البيت ورب البيت، وفى المرة الثالثة رأيت الكل رب البيت، ولم أر أي بيت" • (١)

ويقول أيضا : "رأيت رب العزة فى النوم، فقلت: يارب كيف أجدك؟ فقال : فـــارق نفسك وتعال إليّ" • (٢)

فأبو يزيد يعجب ممن عرف الله تعالى ويعبده، لأنه يعبد نفسه فى دين أهـــل وحدة الوجود، ثم يتكلم عن نفسه فى رحلاته الى الحج، حيث فى المرة الثالثة عندما بلغ مبلـغ الرجال فى دين الصوفية رأى رب البيت ولم ير بيتا بزعمه، لأنه قد فارق نفسه واتحد بربـــه ومعبوده• الأمر الذى حمله على قلة الأدب فى أقواله وأفعاله مع الله تعالى، فصدرت عنـــه جملة عظيمة من أنواع الوقاحات التى تكفى الواحدة منها للحكم على صاحبها بالمروق من ديـــن الاسلام، تلك التى يزينها الصوفية ويصفونها بالشطحات ، فقد اشتهر بها أبو يزيد شهـــرة عظيمة• حتى صنف أحد محبيه ومريديه كتابا جمع فيها تلك الطامات وسماه" النور من كلمـــات أبي طيفور" • ولقد دأب الصوفية على الاعتماد على تلك الكلمات والشطحات ينهلون منهـــا عقائدهم وأخلاقهم وأحوالهم ، يتأسون بأبي يزيد فى طريقهم المزعوم الى الاتصال والاتحـــاد بربهم ومعبودهم•

فروى بالاسناد الى رجل من أصحابه دق عليه باب داره• فقال أبو يزيد: "من تطلب؟ فقال : أطلب أبا يزيد • فقال : مر، ويحك ، فليس فى الدار غير الله" • (٣)

وبالإسناد إليه أنه قال : " سبحاني سبحاني ما أعظم شأني• حسبي من نفسي حسبي، ترانـي عيون الخلق أني مثلهم، ولو رأونى كيف صفتي فى الغيب لماتوا دهشا" • (٤)

وقال أيضا : "أدخلني مدخلا أراني الخلق كلهم بين أصبعيّ" • (٥)

وقال أيضا : " سبحاني سبحاني ما أعظم سلطاني" • (٦)

---

(١) كشف المحجوب (٢/٥٧٣) •

(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى (١/٧٦) •

(٣) النور من كلمات أبى طيفور ـ المطبوع ضمن شطحات الصوفية (ص/٨٤) •

(٤) نفس المصدر (ص/١٠١) •

(٥) المصدر السابق (ص/١٠٢) •

(٦) المصدر السابق (ص/١٤٣) •

وقال أيضا لما قرأ رجل عنده: " إن بطش ربك لشديد" . قال : "وحياته إن بطشي أشد من بطشه" . (١)

وقال أيضا : " أدنى صفة العارف أن تجرى فيه صفات الحق ، ويجرى فيه جنس الربوبية" . (٢)

وقال أيضا : "رُفعت مرة حتى أقمت بين يديه فقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يريدون أن يروك . قال أبو يزيد: يا عزيزي إني لا أحب أن أراهم ، فإن أحببت ذلك مني فإني لا أقدر أن أخالفك؟ فزيّني بوحدانيتك حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك . فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك ، قال أبو يزيد: ففعل ذلك، فأقامني، وزينني، ورفعني. ثم قال : اخرج الى خلقي. فخطوت من عنده خطوة الى الخلق ، فلما كان الخطوة الثانية غُشي عليّ ، فنادى : ردوا حبيبي، فإنه لا يصبر عني" . (٣)

ولماسئل : " بم نلت ما نلت ؟ قال : انسلخت من نفسي كماتنسلخ الحية منجلدها ، ثم نظرت الى نفسي، فاذا أنا هو" . (٤)

هذه بعض أقواله التي مازال المتصوفة يتغنون بها ، ويجعلونها مثلا أعلى لهم زاعمين أنه قد بلغ مقاما عظيما ، ومنزلة رفيعة بمجاهداته وسلوكياته، وهم على سننه ماضون، رجاء البلوغ والوصول لتلك المنزلة. وأقواله هذه واضحة في بيان مقصده ومقصد أهل التصوف، ومدارها كلها على هدم دين الاسلام وأركان التوحيد من أساسه. وقد اختصرها أبو يزيد وبين زبدتها المتقدم أنه يهدف أن تجرى فيه صفات الحق وخصائص الربوبية. لذلك فقد روى عنه صاحب كتاب النور المزعوم بإسناده اليه أنه قال : " وددت أن قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على باب جهنم . فسأله رجل : ولم ذاك يا أبا يزيد؟ قال : إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد، فأكون رحمة للخلق" . (٥)

انهذه الشطحات من أعظم تراث الصوفية، ونبراسها في طريقها لمحاربة الأديان . ولقد جند بعض شيوخهم نفسه في إيجاد تأويلات لها دفاعا عن هذا المجرم الذى أظهر الجرأة

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة . والآية من سورة البروج / ١٢
(٢) المصدر السابق (ص/ ١٤٤) .
(٣) المصدر السابق (ص/ ١٤٩) .
(٤) المصدر السابق (ص/ ١٥١) .
(٥) المصدر السابق (ص/ ١٤٧) .

على الله تعالى، والوقاحة فى حقه سبحانه. فقد خصص السراج الطوسى بابا فى ذلك. فقال : "باب فى كلمات شطحيات تحكى عن أبى يزيد قد فسر الجنيد طرفا منها" (١) وقد بذل سيد الطائفة المزعومة الجنيد جهده فى الدفاع عن طيفور. وقد اعتذر عنه بالجملة فقال : " وكان من كلام أبي يزيد، لقوته وغوره وانتهاء معانيه، مغترف من بحر قد انفرد به، وجعل ذلك البحر له وحده" (٢) ثم أخذ فى الاعتذار عن بعض أقواله وأحواله على التفصيل.

ويقول أبو نعيم الأصبهانى بعد إيراده لجملة من شطحياته وأحواله مانصه: " اقتصرنا على هذا القدر من كلامه لما فيه من الإشارات العميقة التى لايصل الى الوقوف على مودعها إلا من غاص فى بحره، وشرب من صافى أمواج صدره، وفهم نافثات سره المتولدة المنتشرة من سكره"... (٣)

ويقول عبد الوهاب الشعراني: " وسئل أبو على الجوزجانى عن الألفاظ التى تحكى عن أبى يزيد فقال : " أبو يزيد نُسلِّم له حاله، ولعله تكلم بها على حد غلبة ، أو حال سكر. ومن أراد أن يرتقى الى مقام أبي يزيد، فليجاهد نفسه كما جاهد أبو يزيد، فهناك يفهم كلام أبي يزيد...." (٤)

فأبو يزيد يغرف من بحر وحدة الوجود، ذلك البحر الذى هو منتهى الصوفية فى توحيدهم ودينهم ، وهو مقام لا يليق إلابالخواص منهم أو خاصتهم أيضا.

ويقول الجنيد مبينا توحيدهم: " التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث ،والخروج عن الأوطان وقطع المحاب وترك ما علم وجهل ، وأن يكون الحق مكان الجميع". (٥)

إن هذا القول يحتاج الى وقفه وتأمل ، فإن كثيرا من علماء أهل السنة، وعامتهم يرددون الشطر الأول منه" إفراد القدم عن الحدث" أو" إفراد القديم عن الحادث" ، ويحتجون بهذا القول على أن صاحبه موحد، وموافق لمذهب أهل السنة والجماعة لأنه يرى أن المرء لا يكون

---

(١) اللمع للسراج الطوسى(ص/٤٥٩ـ٤٧٨).
(٢) نفس المصدر(ص/٤٥٩).
(٣) حلية الأولياء(١٠/٤١).
(٤) الطبقات الكبرى للشعرانى(١/٧٧).
(٥) الرسالة القشيرية(٢/٥٨٥ـ٥٨٦) ،والطبقات الكبرى للشعرانى(١/٨٥).

موحدا إلا إذا نزه وأفرد الحق عن الخلق. والمتأمل لنص كلام الجنيد بكامله يرى أن مذهبه في التوحيد هو عين وحدة الوجود، فهو يريد بالإفراد ما ذكره في نهاية قوله: " وأن يكون الحق مكان الجميع"، فيحمل مراده بإفراد القدم عن الحدث بأن يؤمن المرء بأن الحقيقة واحدة ، فلا يجوز أن يؤمن الموحد عندهم بأن للحق حقيقة، وللخلق حقيقة. ويجب إفراد الحق والقديم بالحقيقة والوجود، وأما الحدث والخلق فلا حقيقة لوجودهم . وبهذا يكون قد أفرد القديم عن مشابهة الحدث في عقيدتهم ودينهم. ويؤيد هذا المعنى ويؤكده ما جاء في تفسيره للتوحيد كما تقدم ذكره.(١)

وأما الحلاج ، فقد استفاد من أقوال من سبقه ، ممن ذكر حال الفناء والاتحاد مع الله تعالى، وبلورها بزندقته، وأظهر ما كتمه غيره، وكشف ما ستره من كان قبله حتى فضح التصوف والصوفية. ومن أقواله:

" يا إله الآلهة ، ويارب الأرباب ، .... ، رد إليّ نفسي لئلا يفتتن بي عبادك ، يا من هو أنا وأنا هو...."(٢)

وفي رسالة كتبها لأحد تلامذته فيها: " .... ستر الله عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر خفي، وحقيقة الكفر معرفة جلية... حتى يقول في ختامها: وإياك والتوحيد، والسلام".(٣)

وقال له تلميذه: "دلني على التوحيد. فقال: التوحيد خارج عن الكلمة حتى يعبر عنه. قلت: فما معنى لا اله إلا الله ؟ قال: كلمة شغل بها العامة لئلا يختلطوا بأهل التوحيد.. وقال: من زعم أنه يوحد الله فقد أشرك".(٤) فتوحيد أهل الحق عندهم حجاب وشاغل للعامة من الناس لئلا يبلغوا توحيد الصوفية. وفي هذا دلالة قاطعة على أن مرادهم من التوحيد أمر آخر عما يعتقده أهل السنة والجماعة، وعماجاء به الاسلام.

لذلك جاء عنه قوله:

"كفرت بدين الله والكفر واجب لدي وعند المسلمين قبيح"(٥)

فالكفر عندهم بتوحيد المسلمين ودينهم هو أول درجات الطريق في وصولهم الى اتحادهم

---

(١) راجع (ص/ ٤١٠) ومابعده .
(٢) أخبار الحلاج (ص/٢٩).
(٣) نفس المصدر (ص/٥٠).
(٤) المصدر السابق (ص/٥٦).
(٥) المصدر السابق (ص/٦٨).

مع ربهم. لذلك فانه يفتخر بتأسيه بابليس وفرعون وأنهما من أعظم أهل التوحيد حيث يقول "وماكان فى أهل السماء موحد مثل إبليس" (١) . ومعلوم أن مراده بالتوحيد هو ما عليه أهل التصوف والانحراف من وحدة الوجود.

وجاء فى شعره المنحرف:

"سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا فى خلقه ظاهرا ... فى صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب " (٢)

وأيضا :

" أنا أنت بلا شك ... فسبحانك سبحاني

فتوحيدك توحيدي ... وعصيانك عصياني

وإسخاطك إسخاطي ... وغفرانك غفراني

ولِمَ أُجلَدُ يا ربي ... إذا قيل هو الزاني" (٣)

فالحاصل أن الحلاج الملحد قد أظهر مذهبه الحلولي فى كثير من أقواله نظما ونثرا بصورة واضحة لا تحتمل أي تأويل ، فقد كشف السر الصوفي المزعوم فى وقت مبكر فاستحق القتل بزعم أكثرهم .

وُسئل أبو بكر الشبلي عن التوحيد عندهم فقال : " ويحك ! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل ...." (٤)

وقال أيضا : " التوحيد حجاب الموحد عن جمال الأحدية". (٥)

توحيد أهل الحق حجاب لأهله لئلا يختلطوا بأهل التوحيد على حد قول الحلاج المتقدم، ولئلا يشاهدوا جمال الأحدية أي الاتحاد بالله تعالى بزعمهم . تعالى الله ربنا العظيم عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

---

(١) الطواسين ـ مطبوع ضمن أخبار الملاح (ص/٩٦) .

(٢) مجموعة من شعر الحلاج ـ مطبوع ضمن أخباره وطواسينه (ص/١٢٧) .

(٣) نفس المصدر (ص/١٤٤) .

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهانى (١٠/٣٧٤) ، والرسالة القشيرية (٢/٥٨٦ـ٥٨٧)

(٥) كشف المحجوب (٢/٥٢٦) .

ثم جاء إمامهم أبو حامد الغزالي الذى آمن بأن المنقذ من الخسران فى الدارين يكمن فى كشوفات الصوفية وأنوارهم المزعومة ، حيث ينص على ذلك فيقول فى مقدمة كتابه الإحياء :
" .... العلم الذى يُتوجه به الى الآخرة ينقسم الى قسمين : علم المعاملة ، وعلم المكاشفة .... " (١)

ثم يوضحه فيقول : " وهو علم الصديقين والمقربين ، أعني علم المكاشفة ، فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب ..... وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها ، فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة ، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وتعالى وبصفاته .... وبأفعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة ... والمعرفة بمعنى النبوة ، والنبي ، ومعنى الوحي ، ومعنى الشيطان ، ومعنى لفظ الملائكة .... والمعرفة بملكوت السموات والأرض ..... ومعرفة الآخرة ، والجنة والنار ، وعذاب القبر ، والصراط ، والميزان ، والحساب ..... فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى العيان ... " (٢)

إن نظرية الكشف المزعومة قد دندن الغزالي حولها كثيرا ، وربطها بالعلوم الشرعية ، وبالأديان ، حتى جعلها أرقى العلوم وأعظمها وأهمها . وهذه النظرية الخبيثة هى التى شجعت التصوف الفلسفي بعد الغزالي على التطرف والغلو دون حرج بدعوى ، وكلهم يدّعي أنه توصل الى ما يزعمه من نتائج وعلوم لدنّية ، ومعرفة حقيقية ، بالكشف والمشاهدة لعالم الغيب والملكوت . والحق أنهم وجدوا بابا عظيما ولجوا فيه ومارسوا أنواع الغلو باسم علم المكاشفة الذى عدّوه أعظم العلوم الموصلة الى الجنة والنعيم .

فالغزالي شجع من جاء بعده ، كما أحرز للتصوف مكانة مرموقة فى التراث الإسلامي عند العامة من المسلمين ، ممن يجهلون حقائق التصوف وانحرافاته وبدعه . ومازال كثير من عوام المسلمين من أهل السنة ، بل وحتى بعض طلبة العلم منهم يردد عبارات الصوفية ، بحسن نية على أنها من التراث الإسلامي الذى يجب الاعتزاز به ، لأنه صدر عن أناس بلغوا القمة فى الزهد والعبادة بزعمهم ، الأمر الذى أوصلهم لمعرفة كثير من الأمور الغيبية بالكشف والاطلاع والمشاهدة التى أكرمهم الله تعالى بها . ويتخوف الكثير من أهل السنة أن يطعن فيهم وفى أقوالهم بهذه الحجة الشيطانية التى يخوف دعاة التصوف بها العامة . فيقول الغزالي مثلا مخوفا من ينكر هذا العلم ، أو ينكر على أهله : " وأقل عقوبة من ينكره

---

(١) إحياء علوم الدين (١ / ٤) .
(٢) نفس المصدر (١ / ١٨) .

أنه لا يذوق منه شيئا ....."(١) وهذا أقل ما قيل فيمن ينكر هذا الباطل وهذه البدعة . وقد تقدم ذكر شيء كثير مما يزعمه الظالمون تخويفا للعامة من التصدى لهم ولباطلهم.(٢)

ويقول الغزالي مبينا هذه العقيدة بعنوان" حقيقة الحقائق". فيقول : "من هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز الى يفاع الحقيقة، واستكملوا معراجهم، فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس فى الوجود إلا الله تعالى ....."(٣) ثم أخذ يدافع عن أهل الباطل وأقوالهم المنحرفة وأحوالهم المنكرة على ضوء ما قرره من نظريات الكشف والاطلاع والمعراج ليفتح بذلك باب شر عظيم على الاسلام وأهله. فيقول :" العارفون ـ بعد العروج الى سماء الحقيقة ـ اتفقوا على أنهم لم يروا فى الوجود إلا الواحد الحق.... وانتفت عنهم الكثرة بالكلية ، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه..... فلم يكن عندهم إلا الله، فسكروا سكرا دفع دونه سلطان عقولهم ،فقال أحدهم:" أنا الحق". وقال الآخر:" سبحاني ما أعظم شأني!" وقال آخر:" ما فى الجبة إلا الله". وكلام العشاق فى حال السكر يُطوى ولايُحكى".(٤)

فالغزالي استخدم اصطلاحات الفلاسفة والمتصوفة، وصبغها بصبغة شرعية دينية، وهذا شجع من جاءبعده من الباطنية فى بث سمومهم ونظرياتهم الخبيثة، حتى جعل ابن عربى والجيلى من نظرية وحدة الوجود الكفرية منتهى دعوة الرسل جميعا، وغاية الأديان، وأصل الشرع. ويقول أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء: "من رأى أن الأفعال كلها من الله، فهو موحد".(٥)

هذا هو الموحد فى دين هؤلاء المنحرفين .

وقد كتب ابن عربى رسالة الى الامام الرازى ، فيه:"..... قيل إن بعض الصادقين دعا الى الله سبحانه وتعالى بحقيقة التوحيد، فلم يستجب إلا الواحد بعد الواحد، فعجب من ذلك. فأوحى الله تعالى إليه: تريد أن تستجيب لك العقول؟ قال : نعم. قال : احجبني عنهم....."(٦)

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) انظر المبحث الثالث، موقفهم من القرآن والسنة(ص/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨) والمبحث الخامس (ص/) .

(٣) مشكاة الأنوار للغزالى (ص/٥٥) .

(٤) نفس المصدر (ص/٥٧) .

(٥) الطبقات الكبرى للشعرانى(١/٨٨) .

(٦) رسالة الشيخ الى الامام الرازى ـ ضمن مجموعة رسائل ابن عربى، الجزء الأول (ص/٩) .

حقيقة التوحيد هي نظريتهم الخبيثة التى تزعم وحدة الوجود. والحجاب المقصود هنا هو التوحيد الحق الذى عليه أهل الاسلام. وقوله هذا مستفاد من أقوال المتصوفة المتقدمين، مثل الحلاج (١) ، والشبلى (٢) .

ويقول ابن عربى أيضا : " وحقيقة علم التوحيد باطن المعرفة..... ولايسع معرفة ذلك الكافة، وإفشاء سر الربوبية كفر...... علم التوحيد، الاسم منه وحداني، فالتوحيد وصفه، وفوقه علم الاتحاد، فالوصف منه متحد. وفوقهما علم الوحدانية، فالاسم منه واحد. وفوق ذلك علم الأحدية، الاسم منه أحد. هذه أسماء لها صفات، وأوصاف لها أنوار.. " (٣)

فالتوحيد عندهم علم لا يسع معرفته عامة الناس، فيجب ستره عنهم، لأن فى كشفه لغير أهله إفشاء لسر الربوبية المفضي الى الكفر بزعمهم.

ويقول ابن عربى متلاعبا بنصوص القرآن الكريم بالتأويل والتحريف ترويجا لمذهبه الفاسد فى تفسير قول الله تعالى :"و ادخلي جنتي". (٤)

يقول : "ادخلي جنتي التى بها ستري، وليست جنتي سواك. فأنت تسترنى بذاتك، فلا أعرف إلا بك....فمن عرفك عرفني ......فإذا دخلت جنته، دخلت نفسك، فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التى عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها. فتكون صاحب معرفتين: معرفة به من حيث أنت ، ومعرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت .

فانت عبد وأنت رب ... لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد ... لمن له فى الخطاب عهد

.... فرضي الله عن عبيده، فهم مرضيون، ورضوا عنه فهو مرضي. فتقابلت الحضرتان تقابل الأمثال، والأمثال أضداد ، لأن المثلين لا يجتمعان إذ لايتميزان. وما ثمّ إلا متميز، فما ثمّ مثل ، فما ثمّ فى الوجود مثل ، فما فى الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشيء لا يضاد نفسه .

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن ... فما ثمّ موصول وما ثمّ بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى ... بعيني إلا عينه إذ أعاين " (٥)

---

(١) تقدم قوله فى ص/ ٤١٦
(٢) تقدم قوله فى ص/ ٤١٧
(٣) رسالة الشيخ الى الامام الرازى ــ ضمن مجموعة رسائل ابن عربى ـ الجزء الاول ، (ص/ ١٠ ــ ١١) .
(٤) سورة الفجر / ٣٠ .
(٥) شرح الفصوص/ الفص السابع: فص حكمة علية فى كلمة إسماعيلية (ص/ ١١٠ ــ ١١٥) .

فالوجود عنده، وعند من على شاكلته فى الضلال حقيقة واحدة، لأن إثبات حقيقة الحق وحقيقة الخلق يؤدى عندهم الى اجتماع المثلين والضدين ، وهذا محال على حسب بنيانهم الذى بنوا عليه عقائدهم ونظرياتهم المنحرفة ٠ وقد بنوا أصلهم الفاسد على مقدمة فاسدة تخمرت فى عقولهم وقلوبهم المريضة حيث أنهم زعموا أن قول الله تعالى :" رضي الله عنهم ورضوا عنه" تعنى أن الحق مرضي ، والخَلْق مرضيون ، فالكل عندهم مرضي، فإذاً الحق والخلق يتقابلان تقابل المثلين أو الضدين • وهذا غير لازم إلا فى عقول الذين استبدلوا الذى هو أدنىٰ بالذي هو خير، وابتعدوا عن الوحي، وعن الشرع ، واتباع سلف الأمة٠

ثم جاء عبد الكريم الجيلي وتبنى عقيدة التوحيد الصوفية، وفصّلها ، وجعلها أصل الشرع، وحرّف جملة عظيمة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية لتشهد له على مذهبه ومذهب قومه ، ولوىٰ الألفاظ الشرعية لتوافق اصطلاحاتهم لإيهام الغوغاء من شيعته أن مذهبهم هو أصل دين الله تعالى وشرعه ٠

يقول : " فإن العبد إذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يتجلى عليه باسمٍ أو صفةٍ ، فإنه يُفني العبد فناءً يُعدمه عن نفسه، ويسلبه عن وجوده، فإذا طمس النور العبدي، وفنى الروح الخَلْقي، أقام الحق سبحانه وتعالى فى الهيكل العبدى من غير حلول ٠٠٠٠ فاذا أقام الحق لطيفة من ذاته عوضا عن العبد، كان التجلي على تلك اللطيفة، فما تجلى إلا على نفسه ٠ لكنّا نسمى تلك اللطيفة الإلهية عبدا باعتبار أنها عوض عن العبد، وإلا فلا عبد ولارب، إذ بانتفاء المربوب انتفى اسم الرب، فما ثمّ إلا الله وحده الواحد الأحد"٠ (١)

يبنون نظرياتهم على مقدمات فاسدة يخترعونها ، ويبنون عليها الأحكام الفاسدة والنتائج المنحرفة ٠ يزعم أن الحق يقوم فى الهيكل العبدى بلا حلول ، فلسفة صوفية تعتمد على الرموز والغموض لتقرير الكفر والضلال، وصبغهما بصبغة شرعية ٠

ويقول :" ونحن أقرب إليه من حبل الوريد". (٢) لا تتقيد باسم العبد، فلولا الرب ما كان العبد، أنت أظهرتنى كما أنا أظهرتك ، فلولا عبوديتك لم تظهر لي ربوبية، أنت أوجدتني كما أنا أوجدتك ، فلولا وجودك ما كان وجودي ٠ حبيبي الدنو الدنو، حبيبي العلو العلو ٠٠٠ حبيبي كُلّي فى المطعوم ، تخيلني فى المهموم ٠٠٠٠ حبيبي شاهدني فى المحسوس، حبيبي المسني فى الملموس٠٠٠٠٠" (٣)

---

(١) الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل (١/ ٦٢)٠
(٢) سورة ق/١٦٠
(٣) الإنسان الكامل للجيلى(١/٦٥)٠

ويقول أيضا : " .... حبيبى إنيتك هي هويتى ، وأنت عين هو ، وما هو إلا أنا. حبيبى بساطتك تركيبي، وكثرتك واحديتي .... حبيبي أنت نقطة عليها دائرة الوجود، فكنت أنت العابد فيها والمعبود...." (١)

ويستمر فى التلاعب بالنصوص على هذا النحو ، فيصور أن رسالة موسى كانت على قسمين : قسم للعامة، وهو ما أُمر موسى بتبليغه للناس عامة، وقسم خاص وقد أمر بكتمه. فكتمه عن قومه، وهو الذى أظهره فرعون بدعواه الألوهية والربوبية لاتحاد الحق بالخلق عندهم. لذلك حُكم عليه بالكفر لإن إفشاء سر الربوبية كفر، وقد أفشاها فرعون. ولهذا قُتل فرعون، وظل موسى كاتما ذلك السر، ولو أفشاه لاتهمه الناس بقتل فرعون. أى أن موسى كان على عقيدة فرعون على حد تعبيره. ثم يزعم أن عيسى جاء وزاد على رسالة موسى أن أباح السر ، فلذلك ضل قومُه من بعده وكفروا. ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم فبلَّغ علم العامة للعامة، وأشار الى سر الربوبية على حد زعمه بإشارات لا يعقلها إلا الخاصة من الناس، وهم الصوفية. (٢) ثم يشرح حديث النزول على حسب مشربه المنحرف. فيقول : " .... والمعرفة الثالثة هو الذوق الإلهى الذى يسري فى وجود العبد، فينزل بها فى حقه من غيبه الى شهادته، يعني تظهر آثار الربوبية فى جسده ، فيكون يده لها القدرة ، ولسانه له التكوين، ورجله لها الخطوة، وعينه لا يُحجب عنها شيء، وسمعه يصغى به الى كل الوجود . والى هذا المعنى أشار عليه الصلاة والسلام بقوله : " حتى أكون سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يُبصر به" الحديث . فيكون الحق ظاهره وهو الباطن. فالحاصل أن المراد بنزول الرب ظهور آثاره وصفاته التى هى من مقتضيات الربوبية، والمراد" بسماء الدنيا" ظاهر جسم الولي...." (٣)

ثم يتكلم عن فاتحة الكتاب فيقول : "... وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله قد قسم الفاتحة بين عبده وبينه" إشارة الى أن الوجود منقسم بين الخلق والحق. فالإنسان الذى هو الخَلْق باعتبار ظاهره، هو الحق باعتبار باطنه. فالوجود منقسم بين باطن وظاهر ، ألا ترى الى الصفات النفسية إنما هى نفسها وعينها صفات محمد صلى الله عليه وسلم، وكما يقال فى الحق إنه حي عالم، يقال فى محمد إنه حي عالم ..... فهذه هى انقسام الفاتحة بين الحق تعالى وبين عبده. فالفاتحة بما دلت عليه إشارة الى هذا الهيكل الإنسانى الذى فتح الله به أقفال الوجود، وانقسامها بين العبد وربه إشارة الى أن الانسان، ولو كان خَلْقاً

---

(١) نفس المصدر السابق (١/٦٦).

(٢) المصدر السابق ، الباب السادس والثلاثون : فى التوراة (١/١١٤–١١٨).

(٣) المصدر السابق (١/١٢٩).

فالحق حقيقته، فكما أنه حاوٍ لأوصاف العبودية، كذلك هو حاوٍ لأوصاف الربوبية..." وهكذا يستمر في أسلوبه الصوفي المنحرف في التعرض للآيات والأحاديث، حتى يقول: "...فاستفتح فاتحة الوجود، وتحقق العابد أنه عين المعبود". (١) هذه هي غايتهم، حمل الناس على اعتقاد أن العابد هو عين المعبود، وأنه لا فرق بين الحق والخلق، فالكل واحد. فالعابد ماذا يعبد، ومن يعبد؟ وبهذا تتعطل الأحكام وتبطل الشرائع والأديان.

وقد صرح الجيلي أن" مداومة المرء على الكفر الصحيح ،وإقلال الطعام والمنام والكلام" وغير ذلك من الرياضات الصوفية هي سبب حصول الكرامات من المشي على الماء والطيران في الهواء وغير ذلك. (٢)

وعلى هذه النظرية الكفرية يرى الجيلي أن أفلاطون من أعاظم الأولياء وأنه قطب الزمان وواحد الأوان (٣) ، كمابزعم أنه حي باق الى يوم القيامة مثل الخضر لأنهما قد اشتركا في الشرب من ماء الحياة المزعوم. (٤)

وزعم أن أهل النار يتنعمون في نار جهنم ويتلذذون فيها، شأنهم في ذلك شأن أهل الجنة. (٥) كما زعم أن فيهم من هو أفضل عند الله من كثير من أهل الجنة (٦) . وأنه إنما أدخلهم فيها ليتجلى عليهم فيها.

هكذا يدّعي ويقرر باسم الكشف والاطلاع المزعوم، حشرك الله مع أفلاطون وأهل النار الذين يتنعمون لتكون محلا للتجلي.

ثم يستمر في تقرير كفره وزندقته فيقول معتذرا عن إبليس الذى كان اسمه عزازيل، أنه امتنع عن السجود لآدم معتقدا أنه إن فعل فيكون قد سجد لغير الله تعالى، فالتبس الأمر عليه ، لذلك سمي إبليس. وأما اللعن المذكور فإنه يلعن قبل يوم الدين ولأجل محدود ثم يرجع بزعمه الى القرب المحض من الحضرة الإلهية، وذلك بعد زوال جهنم بزعمه. (٧)

---

(١) نفس المصدر (١/١٢٩ـ١٣٠).
(٢) المصدر السابق (٢/١٤).
(٣) المصدر السابق (٢/٥٢).
(٤) المصدر السابق (٢/٦٢ـ٦٣).
(٥) المصدر السابق (٢/٥٣).
(٦) المصدر السابق (٢/٥٤).
(٧) المصدر السابق (٢/٦١ـ٦٣).

وحتى الكفار على اختلافهم فى الكفر والضلال عدّهم من العباد، وساواهم بأهل الأديـان عامة، وبأمة محمد خاصة. فيزعم أن الكفار وعبّاد الأوثان إنما يعبدون الله تعالى فى حقيقـة أمرهم، فيقول مقررا الكفر: " من عبد منهم الوثن فلسرٍ وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج فى كل فرد من أفراد ذرات الوجود ، فكان الله تعالى حقيقة تلك الأوثان التى يعبدونها، فما عبدوا إلا الله...... " (١) ثم هـكذا يفسر عبادة الفلاسفة والطبائعين والثنوية والمجـوس وعباد الكواكب وحتى الدهرية والبراهمة فضلا عن أهل الديانات، ويستدل بصحة مذاهبهم بقول الله تعالى: " كل حزب بما لديهم فرحون " (٢) يعني فى الدنيا والآخرة. كما يفسره هو ليوافـق نظرية الصوفية، ثم يقرر أن الحيوانات فى عبادة الله تعالى فيقول: " كالحرباء فإنها تعبـد الشمس، والجعل يعبد النتانة، وغيرهما من الحيوانات ، فما فى الوجود حيوان إلا وهـو يعبد الله تعالى" (٣) ثم يقول مقررا أن الكل فى عبادة الله: "... فمن عبده على الإطـلاق فهو موحد ،ومن عبده على التقييد فهو مشرك ، وكلهم عباد الله على الحقيقة لأجل وجـود الحق فيها، فإن الحق تعالى من حيث ذاته يقتضي أن لايظهر فى شيء إلا ويُعبد ذلـك الشيء، وقد ظهر فى ذرات الوجود، فمن الناس من عبد الطبائع وهى أصل العالم، ومنهـم من عبد الكواكب ، ومنهم من عبد المعدن، ومنهم من عبد النار، ولم يبق شيء فى الوجـود إلا وقد عبد شيئا من العالم، إلا المحمديون فإنهم عبدوه من حيث الإطلاق بغير تقييـده بشيء من أجزاء المحدثات..... فلهذا فازوا بدرجة القرب من قدم، فهؤلاء الذين أشـار إليهم الحق بقوله: " أولئك يُنادون من مكان قريب ". (٤) بخلاف من عبده من حيث الجهـة وقيّده بمظهر كالطبائع أو كالكواكب أو كالوثن أو غيرهم فإنهم المشار إليهم بقوله: " أولئـك ينادون من مكان بعيد" (٥) .... وبعد الوصول الى المنزل يتحد من نُودى من قريب ومـن نُودى من بعيد فافهم". (٦)

فالفرق بين أمة محمد، وجميع الكفار وعبّاد الأوثان أن هؤلاء ينادون لدخول الجنـة والمنزل من مكان قريب ، وأولئك من مكان بعيد، ثم يتساوون جميعا بعد دخول الجنـة

---

(١) نفس المصدر (٢/ ١٢٢) .
(٢) سورة المؤمنون/ ٥٣.
(٣) الانسان الكامل (٢/ ١٢٤).
(٤) لعل الآية فى مصاحف المبتدعة الخاصة، مما أُوحي به إليهم خاصة.
(٥) سورة فصلت/ ٤٤.
(٦) الانسان الكامل (٢/ ١٢٤ـ١٢٥).

فى دين الصوفية. والتفريق بينهم فى مكان النداء، استدل عليه بما نسبه الى الحق سبحانه وتعالى، ولعل النداء من مكان قريب هو مما أوحي إليه أو سمعه عن الله تعالى مباشرة أو لعله فى بعض مصاحف الصوفية أو أسيادهم الشيعة، لان هذه الآية المزعومة ليست موجودة فى كتاب الله تعالى الذى أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا الأساس يشرح ويفسر الشهادتين فيقول / : "٠٠٠٠ كلمة الشهادة مبنية على سلب وهى" لا" ،وإيجاب وهى"إلا" ، معناه لا وجود لشيء إلا الله . ولفظ اله فى قوله لا إله يراد به تلك الأوثان التى يعبدونها ، سماها الله تعالى الها كما سموها ، موافقة لهم لسر وجوده فى أعيانها ، فهي بوجوده آلهة حقا ، فكل معبود منها بظهور الحق فى عينه إله، لأنه تعالى عينها ، وهو الله حيثما ظهر مستحق الألوهية٠٠٠٠ فما فى الوجود شيء إلا الله تعالى، فهو تعالى عين جميع الموجودات . ولما كان الأمر موقوفا على الشهود والكشف قُرنت به لفظة الشهادة، فقيل أشهد بمعنى أنظر بعينى شهودا أن لا فى الوجود شيء إلا الله٠٠" (١)

هذا غيض من فيض من أقوال الكفر والإلحاد فى مذهب الصوفية، بدعوى أنه التوحيد الخاص الذى جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب. وقد أكون أطلت فى النقل من نصوصهم فى هذا الباب، خاصة عن الملحد الزنديق الجيلى الذى فصل مذهبهم غاية التفصيل ، وبينه غاية البيان ، راجيا التوفيق فى كشف اللثام عن هؤلاء اللئام، وتبصير الغافلين من أهل الحق بكفر هؤلاء المتسترين بالإسلام والصفاء، وبيان أنهم مارقون عن دين الإسلام،رغم انتسابهم إليه، وكشف حقائقهم وغاياتهم الخبيثة التى هى هدم هذا الدين وتقويض أركانه .

وحتى لا يقول قائل : تلك أمة قد خلت ، وصوفية اليوم لا تعتقد هذه العقيدة الكفرية. أذكر قول أبى الفيض المنوفي فى تعريفه حقيقة الولاية: " وأما الذين تولاهم الله من تلقائه، فهم الذين صلحوا لحضرته، وفُطروا على محبته، وغابوا عن حظوظهم وحظوظ خليقته، فلا يرون فى الوجود غيره ، ولا يشهدون سواه" . (٢)

غيابهم عن حظوظهم وحظوظ الخلق هو الفناء المزعوم المفضي بصاحبه ألا يرى فى الوجود شيئا غير الحق ،وأن عليه بعد فنائه عن الخلق ونفسه أن يتحد بربه.

ويقول عبد السلام بن بشيش فى صلاته ووِرده المزعوم ما نصه:" ٠٠٠ واقذف بي على الباطل فأدمغه، وزج بى فى بحار الأحديّة، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ، ولا أحس إلا بها، واجعل الحجاب الأعظم حياة

---

(١) نفس المصدر (٢/١٣٤) .

(٢) جمهرة الأولياء (١/١١٧) .

روحي ، ..... وانصرنى بك لك ، وأيدني بك لك واجمع بينى وبينك، وحل بيني وبين غيرك، الله الله الله ......" (١)

فالتوحيد أوحال عند القوم لأنه فى دينهم حجاب يحجب صاحبه عن بلوغ أرقى المقامات وهو الاتحاد بالله على زعمهم . تعالى الله عن كفرهم وزندقتهم علوا يليق بذاته سبحانه وتعالى .

مذهب الشيعة فى الحلول والاتحاد:

لم يشتهر المذهب الشيعي بتبني فكرة أو نظرية الحلول ووحدة الوجود، كما هو الحال عند الصوفية الذين جعلوا من الكفر التوحيد الخالص، ولكن الشيعة تؤمن بالحلول حيث أنهم يعتقدون أن فى أئمتهم بعض خصائص الربوبية والألوهية ، فالشيعة همأصحاب النور الإلهى الذى هو أصل الوجود ، ويعتقدون أن الأئمة خُلقوا من ذلك النور.

روى محمد بن النعمان المفيد بإسناده الى جعفر الصادق حديثا طويلا ، فيه : ...... إن الله تبارك وتعالى خلقنا من نور عظمته، وصنعنا برحمته ...." (٢)
وروى أبو جعفر الطوسي بإسناده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نسبه إليه قال : يا على ، خلقنى الله تعالى وأنت من نور الله حين خلق آدم، وأفرغ ذلك النور فى صلبه ، فأفضى بها الى عبد المطلب، ثم افترقا من عبد المطلب . أنا فى عبد الله، وأنت فى أبي طالب...." (٣)

لذلك تؤمن الشيعة باسلام أبى طالب وعبد المطلب وجميع آبائهم وأجدادهم، لأن ذلك النور المزعوم كان ينتقل فى أصلابهم . ثم إنهم يؤمنون بأن الطينة التى خلقوا منها طينة خاصة، فروى أبو جعفر الطوسي بإسناده الى رسول الله فيما ينسبه إليه قال لعلي وهو يبشره :".... إنى خُلقت أنا وأنت من طينة واحدة، وفضلت فضلة، فخلق الله منها شيعتنا...." (٤)

وأيضا قوله:" إن فى الفردوس لعينا أحلى من الشَّهْد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك ، فيها طينة خلقنا الله عز وجل منها، وخلق منها شيعتنا، فمن لميكن من تلك الطينة فليس منا ولا من شيعتنا." (٥)

---

(١) الصلاة العطرية فى الصلاة على خير البرية فى الوظائف الشاذلية (ص/ ٣) .
(٢) الاختصاص (ص/ ٢١٦) .
(٣) أمالي الشيخ الطوسي (١ / ٣٠١) .
(٤) نفس المصدر (٢ / ٧١) .
(٥) المصدر السابق (٢ / ٢٦٩) .

فالمسألة بأصل الخلقة، وليس بالأعمال . فمن كان مخلوقا من تلك الطينة الخاصة فهو مؤهل للفوز والفلاح ودخول الجنة، ومن كان مخلوقا من عامة الطين ورديئه فلا عبرة بأعماله وتقواه. نظرة مجوسية، حيث كانوايعتقدون أن ملوكهم مخلوقون من مادة أرقى من مادة عامتهم وأن دماءهم التى تجري فى عروقهم أرقى كذلك من دماء عامتهم.

إن هذه العقيدة فى خلق الأئمة هى التى جعلتهم يغلون فيهم وفى صفاتهم وخصائصهم غلوا جاوزوا بهم حدود المخلوقين فى قدراتهم وتصرفهم وعلومهم وأحوالهم كما مر فى مواضع عديدة من هذا البحث. والحاصل أن هذا الغلو سببه أنهم اعتقدوا حلول بعض خصائص وصفات الإلهية، والربوبية فى أئمتهم المزعومين . فالحلول عند الشيعة خاص بالأئمة دون غيرهم، فهو أخص منه فى مذهب الصوفية .

وقد روى شيخهم وصدوقهم ابن بابويه القمي باسناده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نسبه إليه قال لما دخل عليه ملَك له أربعة وعشرون وجها : " حبيبى جبريل ، لم أرك فى مثل هذه الصورة! فقال الملك: لست بجبرئيل، أنا محمود، بعثني الله عز وجل أن أزوج النور من النور. قال : مَنْ مِنْ مَنْ؟ قال : فاطمة من علي.... " (١)

وروى بإسناده الى جعفر الصادق حديثا طويلا ، فيه: " .... أما علمت أن محمدا وعليا صلوات الله عليهما كانا نورا بين يدى الله جل جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام . وأن الملائكة لما رأت ذلك النور.... فأوحى الله عز وجل إليهم: هذا نور من نوري ، أصله نبوة وفرعه إمامه ..... " (٢)

فالنور عندهم هو جزء من الإله ،منه كان النبي وعلي، وأولاده . وحتى فاطمة ، وقد روى ابن بابويه أنها كانت نورا قبل خلق الخلق، (٣) وأنها حوراء إنسية الى غير ذلك من الهراء والكلام الساقط الذى يزينون به عقيدتهم فى حلول الإله أو جزء منه فى بعض خلقه، تعالى الله وتقدس عما يزعمه الظالمون علوا كبيرا.

وأما عن نظرية وحدة الوجود، فقد تقدم فى المبحث الثاني، والمبحث الثالث من هذه الرسالة ذكر بعض الأعلام الذين اجتمعت فيهم جملة عظيمة من خصال الشر والفساد فى الفكر والاعتقاد، وفى الغاية والأهداف . فذكرت بعض من جمع بين التشيع والتصوف ، وبين الرفض والفلسفة، وفيهم من اشتهر بإيمانه بهذه العقيدة الخبيثة.

---

(١) معانى الأخبار، باب معنى تزويج النور من النور (ص/١٠٣-١٠٤) .

(٢) نفس المصدر باب معنى حمل النبي لعلي .... (ص/٣٥١) .

(٣) نفس المصدر (ص/٣٩٦) .

فمنهم الحسين بن منصور الحلّاج ، الشيعى المتصوف الداعية الى مذهب الحلول ووحدة الوجود • والحلاج، وإن أوردت ذكره فى عداد الصوفية ، فقد ثبت أنه من كبار أهل الرفض والتشيع، والدعاة الى مذهبهم ، حتى أن خواجتهم ونصير دينهم وملتهم محمد بن الحسن الطوسى قد أنكر قتله وصلبه ، ودافع عنه، وتأول كل أقواله ومذهبه فى الكفر والزندقة والحلول • (١)

ومنهم أيضا محمد بن على الشلمغاني ـ المعروف بابن أبى العزاقر ، وقد كان من غلاة الرافضة الدعاة ممن صنف فى مذهبهم فروعا وأصولا • واشتهر بالدعوة الى مذهب الحلول ، وادّعى حلول الإلهية فيه حتى أُخذ وقُتل كسلفه الحلاج• وقد قال فيه الامام الذهبى رحمه الله : " وكان هذا الشقى قد أظهر الرفض ، ثم قال بالتناسخ والحلول • • • " (٢)

ومنهم أيضا الخاجة محمد بن محمد بن الحسن الطوسي نصير دينهم وملتهم• يصفونه بأنه كان جامعا بين مسلكي الاستدلال والعرفان ، أي بين الفلسفة والكلام والتصوف، وقد اشتهر بمراسلاته ومكاتباته لصدر الدين القونوي الفيلسوف المتصوف ، تلميذ ابن عربى وربيبه ، وكانت فى قضايا التصوف ووحدة الوجود • وقد أشار الى عقيدته هذه فى بعض مصنفاته مثل " الفصول " ، ومثل " أوصاف الاشراف" • (٣)

ومنهم حيدر بن على العبيدي الآملي ، وقد اشتهر أنه من أصحاب الكشف الحقيقي ، وقد رد على الأشاعرة ومذهبهم وزعم أنهم لم يحققوا التوحيد، ولم يتخلصوا من الشرك الخفي، بحجة أنهم لم يصلوا الى مشاهدة جمال الحق فى الوجود كله، على مذهب وحدة الوجود • وقد صنف شرحا لفصوص ابن عربى• (٤) ومنهم محمد بن ابراهيم الشيرازى ، المشهور بصدر المتألهين ، وبكثرة تصانيفه فى الرفض والتصوف• وقد اشتهر بالتصريح والدعوة لنظرية وحدة الوجود، وصنف فيها رسالة : " طرح الكونين فى وحدة الوجود" حيث زعم أنه هو التوحيد الحقيقي الذى لا يشاب بالشرك • وهو ممن يعظم ابن عربى ويقدسه فى مصنفاته ورسائله• (٥)

ومنهم إمامهم فى هذا القرن ، وموحد شتات الرفض، وألوية الكفر والإلحاد تحت سقف التشيع المزعوم، الخمينى ابن مصطفى ، وقد صرح بهذه العقيدة فى عدة مصنفات له• (٦)

---

(١) راجع (ص/ ١٢٦) ومابعده ، (ص/ ١٠٩) وما بعده

(٢) راجع (ص/ ١٥١) ومابعده•

(٣) راجع (ص/ ١٥٥) ومابعده•

(٤) راجع (ص/ ١٥٩) ومابعده•

(٥) راجع (ص/ ١٦٨) ومابعده•

(٦) راجع (ص/ ١٧٥) ما يتعلق بالخميني ووحدة الوجود•

الحاصل أن أهل الرفض والتشيع فيهم من اشتهر بالتصريح والدعوة لهذه العقيـــــدة ، وصنف فيها ، تماما كما هو الحال عند الصوفية. فهم جميعا متفقون على هذه العقيدة أنهـــا أصل التوحيد والشرع في مذاهبهم، ومتفقون أيضا أنها تخص الخواص من أهل مذهبهم، ولاتصلح لعامتهم لأنها أرقى مقام في الدين والتوحيد. ولعل اشتهار الصوفية بهذه العقيدة أكثر مـــن أسيادهم الرافضة يرجع الى وفرة مصادرهم في هذه النظرية، وكثرة قراءتي لمصنفاتهم لانتسابهم الى أهل السنة الذين هم برءاء منهم براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام. ولعلي أتمكـــــن في المستقبل من الحصول على الكثير من مراجعهم الأصيلة والقديمة في العرفان والفلسفـــة ليتضح أن الرافضة هم الأصل في بث هذه النظرية أيضا كما هو شأنهم في جميع الضـــلالات والشرور، فهم أصل كل كفر، ومعدن كل الحاد في دين الله تعالى.

الخاتمة

الخاتمة

بعد توفيق الله تعالى اياى فى اتمام هذا البحث أذكر أهم النتائج والمسائل فيه فأقول مستعينا بالله وحده :

أولا : إن التشيع والتصوف لم يكن لهما أي وجود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنهما مما حدث وطرأ على الاسلام وأهله. فالتشيع نشأ تحت ستار محبة أهل البيت واندس دعاة الرفض بين صفوف المحبين لعلي وأهل بيت النبوة والمتشيعيين لهم تشيعا لم يكن إلا على صورته البسيطة. واستغل أولئك المندسون ما تعرض له أهل البيت من الاضطهاد ونزول البلاء بهم بفعل بعض الظالمين بعد عهد الخلافة الراشدة، الأمر الذى جعل العامة تزداد فى حبها وعطفها لأهل البيت . أقول استغل المجرمون تلك الحوادث والأحوال استغلالا بشعا فى بث رفضهم الذى أدى الى تطور التشيع من معناه اللغوى البسيط الى المعنى الاصطلاحي والغلو شيئا فشيئا بدعوى محبة آل البيت، والدفاع عنهم ورد مظالمهم من ظالميهم، وحقوقهم من مغتصبيهم.

وأما التصوف فقد نشأ أولا على أيدى أناس من الشيعة اندسوا فى صفوف الزهاد والعباد والصالحين لبث سمومهم وتحقيق أهدافهم . وتهيأت لهم الأجواء ، وساهم فى ظهورهم ما كان من إقبال العامة على محبة مظاهر الزهد والعبادة ، وتعلقهم بالزهاد والعبّاد والصالحين لِمَا رأوا من شدة انغماس الناس فى الملذات، وتوسع الحكام والولاة وأولى الأمر فى المباحات والشهوات وزينة الدنيا. فاستغل المنحرفون هذه الأجواء وتستروا بالزهد والتقشف ومحاربة الملذات والشهوات، ثم أخذ تصوفهم يتطور من الدعوة الى الزهد والعبادة ، ذلك المعنى البسيط الجميل الى المعاني المنحرفة المخالفة للشرائع والأديان ، والى العناصر الفكرية الغريبة عن الإسلام وأهله .

فالتشيع والتصوف قد اشتركا فى التستر والتظاهر والعمل تحت مظلات أصول دينية شرعية عظيمة المحبة فى نفوس المسلمين عامة. فتستر الشيعة وتظاهروا بحبهم آل البيت ، وتستر الصوفية وتظاهروا بالزهد والورع، ولكن وكما أن الفرق بين التشيع الأول ، والتشيع كما استقر فى أواخر العصر الأموى ، وأوائل العباسي عظيم، كذلك الفرق بين الزهد والتصوف وإن ادعى كل فريق منهم ما ادعاه من الأصالة والتاريخ، فأين تشيع أولئك المناصرين لعلي بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه وعنهم فى آرائهم وعقائدهم وحتى إسلامهم، وأين التشيع كعقيدة وفكر ومنهج كما رسمه وخططه هشام بن الحكم وزرارة بن أعين ، وميثم التمار وغيرهم من

المنحرفين قديما وحديثا ؟ وأين كذلك زهد رجال الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وورعهم وايمانهم، منزهد هؤلاء المنحرفين الضالين وعباداتهم وأذكارهم وأورادهم التى شرعوها لأنفسهم وأتباعهم مما لا تسعها ساعات الليل والنهار.

ثانيا : يشترك التشيع والتصوف فى كثير من المناهج التعليمية، والطرق التربوية المتبعة فى تربية أفرادهم وأتباعهم وتضليلهم عن الحق وأهله. فقد اعتمد كل فريق منهم على الدعاوى، وجعلوا منها أدلة ونصوصا يستدلون بها على أنها وقائع تاريخية وأدلة شرعية تؤيد مزاعمهم فى النشأة، والأصالة، وصحة المناهج والمبادئ العلمية والعملية ، كما اعتمدوا جميعا على التزوير والكذب، فكم زوروا فى الوقائع التاريخية، وكم كذبوا على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى سلف هذه الأمة فى سبيل غاياتهم وأهدافهم، كما اعتمدوا على اختراع بعض الأسس العقلية، والنظريات الفكرية، وزعموها مسلمات عقلية وشرعية، وانطلقوامن خلالها فى ترويج مذاهبهم . فزعمت الرافضة ، كمازعمت الصوفية ، كذباً وافتراءً بأن ما هم عليه من تشيع ورفض وتصوف ، هو روح الاسلام ولبه،وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان الداعي لذلك، والمصدر الأول لشرائعهم ومعتقداتهم . فالشيعة مازالت تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هوغارس بذرة التشيع والرفض ، وينسبون سلمان وعمار وغيرهما من سادات سلف الأمة الى مذاهبهم ، وكذلك الصوفية مازالوا يزعمون كذبا وافتراء وينسبون الى تصوفهم وانحرافهم سادات الصحابة وسلف الأمة من أمثال أبي بكر وعمر وغيرهما.

وزعموا أيضا بأن النصوص الشرعية لها ظاهر وباطن، وجعلوها نظرية مسلمة يلجأون إليها عند تعارض بعض النصوص الشرعية الثابتة ببعض مذاهبهم وعقائدهم ، فيزعمون أن لها تفسيرا غير ظاهرها المتبادر الى الأذهان والعقول ، تفسيرا باطنا لا يدركه إلا أهله ممن وقع فى أوحال الرفض والتصوف، وشرب من نتن منابعها. وأضافوا الى بدعتهم هذه ما يتأيد به باطلهم بزعمهم،فأعلنوا نظرية العلم اللدنّي ، فقالوابأن الله تعالى قد خصهم بعلم لايكتسب ، ولا يؤخذ بالتعلم والتلقى ، وإنما هو من لدن المولى تبارك وتعالى يخص به من يشاء من عباده من أهل الرفض أو التصوف بزعمهم. وقد جعل المنحرفون من هذه النظرية مأوى لجميع مخالفاتهم الشرعية فى العقائد والعبادات ، بمازعموه لأنفسهم من مصادر تشريعية خاصة كالأخذ عن الله تعالى مباشرة يقظة ومناما، وحيا أو هتافا أوإلهاما، وكذلك الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الكتب السماوية ، وعن الملائكة والأنبياء، وحتى إبليس فقد اشترك الشيعةوالصوفية فى الأخذ عنه والتلقى من علومه وفيوضه التى استفادوا منها فى العلم والفضائل فى مذاهبهم .

كما اشترك الشيعة والصوفية جميعا بالأخذ بمبدأ التقية فى دينهم ومناهجهم، ذلك المبدأ الذى وجدوا فيه الملجأ والمنجا لجميع فضائحهم وقبائحهم، والمنقذ لهم مما يقعون فيه من أخطاء وتناقضات. كماو جد المنحرفون فيه مهربا من بطش الحكام والقضاة والفقهاء من أهل الحق الذين كانوا لهم ولجميع أهل الزيغ والضلال بالمرصاد. واستطاع المنحرفون العمل تحت ظلال التقية وما يلحق به من الكتمانو السرية ، بحرية تامة، وكثرت أتباعهم ، وانتشرت ضلالاتهم بعد تبني هذا المنهج الخبيث حيث صوروالعامتهم أن التشيع والتصوف مما ينبغى كتمه عن عامة الناس لصعوبته وثقله على القلوب والنفوس، وأنهلايتحمله إلا من امتحنالله تعالى قلبه، ووجده أهلا لذلك، وزينوا لشيعتهم وأتباعهم صحة مذاهبهم ، ونظريتهم هذه خاصة بماكذبوا على الله تعالى وعلى رسوله، فنسبوا الى رسول الهدى ، وأئمة الدين من سلف هذهالأمة أنهم عملوا بالتقية وانتهجوا الكتمان والسرية فى حياتهم العملية، وفى رواياتهم القولية حتى آمن الأتباع بأن التقية دين وشرع وأنه لا إيمان لمنلا تقية له ، وأن القتل والقصاص واجب فى حق من باح السرولم يكتم ما ائتُمنعليه .

كما اشترك الشيعة و الصوفية واتفقوا فى موقفهم الخبيث من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسولهصلى الله عليه وسلم ، فحاربوا أهل الحق ،ووصفوهم بأقبح الأوصاف ، ولقبوهم بأشنع الألقاب، وحذروا الناس والعامة منأتباعهم، من الجلوس إليهم،والاستماع الى مواعظهم، فضلا عن الأخذ والتلقي من علومهم ، كل ذلك محاربة منهم للكتاب والسنة فى صورة محاربتهم لأهله وحملته ورواته من أهل الحق والفضل، بحجج اخترعوها وألقاب وضعوها . كما قلل الفريقانمن شأن العلم عامة لِمَا وجدوا فى الجهل من مكاسب وفوائد وتحقيق غاياتهم. وقد اجتهد دعاة المذهبين فى صرف أتباعهم عن الحق وأهله ، وتقليل شأنهما، حتى لا يبقى فى قلوب الأتباعوالمريدين محلا إلا لتعظيم هرائهم وطواغيتهم، التى زعموها علوما خاصة وأئمة وأولياء ، الذين جعلوا منهم حملة للعلم ، وخزائن للمعرفة دون غيرهم ، وأنهم المخصوصون بالأخذ عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبالفهم لنصوص الكتاب والسنة الظاهرة والباطنة.

ثالثا : يبالغ الشيعة والصوفية بأنهم المتميزون عن سائر الناس والفرق فى الدنيا والآخرة. ويزعمون أنهم عز الاسلام، ودعامته، وذروته ، وأن الرسول ماجاء إلا ليدعوا لما هم عليه من تشيع أو تصوف، وأن الله تعالى مابعثه إلا لذلك. ولقد صوروا لأتباعهم أنهم سبب كل خير ونعمة فى هذه الدنيا، فلولاهم لماأمطرت السماء، ولما نبت العشب ، ولما كان فى الدنيا شيئ من الطيبات. وأن البلاء والفتن والمصائب إنما تُدفع عنهم خاصة وعن أهل الأرض عامة بأئمتهم وأوليائهم .

ولقد تمكن الدعاة الوضاعون من إحكام أصول مذاهبهم وعقائدهم بما لايدع لأحد من الأتباع مجالا للبحث والنظر، ومناقشة الأصول والفروع، مما قد يؤدى الى التعرف على بطلان مذاهبهم وفساده. ولقد تمكن كل فريق منهم من جعل أتباعهم أدوات طائعة، تتقبل كل ما يمليه المذهب بلا تمييز بين حق وباطل، وجعلوهم يؤمنون إيمانا مطلقا بكل ما ينسب الى مذاهبهم من ترهات، وخرافات، مهما كانت مناقضة للعقل والنقل، وأصول الشرائع الإلهية. ولقد حرموا على أتباعهم إعمال عقولهم حتى فى فهم النصوص الشرعية، وفيما ينفعهم ويضرهم من أمور دينهم و دنياهم، الأمر الذى جعل الشيعة والصوفية يشتركون فى إحكام القيود العظيمة حول أعناق أتباعهم، ويسوقونهم الى مايريد الطواغيت والسدنة سوق البهائم، ويزجّون بهم فى المهالك كقرابين فى سبيل تحقيق غاياتهم وأهدافهم، ولقد سلك كل من الشيعة والصوفية فى سبيل تحقيق هذه الغاية مناهج شتى، مكنتهم من التحكم والتصرف فى الأتباع والمريدين، وجعلت منهم أتباعا يتلذذون فى تقديم الغالي والنفيس قربانا وتضحية لأساطينهم، والذى أراه أن أهم تلك المناهج تتلخص فيما يلى :

١) ما يردده كل فريق منهم قديما وحديثا أن ما هم عليه هو روح الاسلام وعصبه، وما زوروه لأتباعهم من نصوص آمنوا بها بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان الداعى الى أفكارهم وعقائدهم، وبزعم كل فريق منهم أنهم هم الذين قبلوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم خلافا لمن عداهم ممن انتكب عن الصراط المستقيم بزعمهم وعن دعوة الرسول. ثم أوّلوا جميع النصوص الشرعية التى تبين الاسلام والدين الحنيف وصراط الله المستقيم بالتأويلات الفاسدة، والتحريفات المنكرة، فما ترك الشيعة آية تدل على الحق والخير والفوز والنجاح إلا وزعموها نزلت فيهم وفى أئمتهم وما هم عليه من مذاهب وعقائد، ولا آية تدل على الباطل والشر والشرك والفساد إلا وجعلوها فى أعدائهم الذين هم أهل الحق وحملة الشرع والدين، وأنصار الله تعالى ورسوله. وكذلك الصوفية تلاعبوا بالنصوص الشرعية تلاعبا عظيما حتى جعلوا من نصوص التوحيد أدلة على باطلهم فى نظرية وحدة الوجود، ومن فرعون وإبليس أساتذة ودعاة للحق والتوحيد والايمان.

٢) ما اخترعوه ولفقوه من فضائل عظيمة لهم زعموها عند الله تعالى فى الدنيا والآخرة. فالطاعات والقربات والصالحات هى ما تفعله الشيعة والصوفية، وحسناتهم تتضاعف، وسيئاتهم تمحى وتتساقط، وذنوبهم تغتفر بفضل أئمتهم وأوليائهم. وبالغ الصوفية فزعموا أن الذنوب والمعاصى لا يُتصور وقوعها من أوليائهم، فأعمالهم وإن ظهرت فى صور المعاصي والذنوب هى فى حقيقتها قربات وطاعات. حتى زعم الفريقان أن الجنة إنما خلقت لهم، وأنه لن يدخلها

أحد ما لم يشفع له بدخولها الأئمة والأولياء . وبهذا أحكم الأفاكون قيدا عظيما حول أعناق أتباعهم وغوغائهم بما اخترعوه لهم من السيول الكثيرة فما اختُصوا به من فضل ومنزلة دون غيرهم، مما تؤهلهم لبلوغ الدرجات العلى فى دنياهم وأخراهم، إذ أن غاية كل امرئ أن تغفر ذنوبه، وتمحى سيئاته، وتتضاعف حسناته، وتقبل أعماله وطاعته ليفوز بالجنة وينجو من النار.

٣) ما جاوزوا به حد المعقول فى نظرية الإمامة والولاية ، فجعلوهما أهم مسائل الدين والإيمان، وبنوا عليهما أكثر مسائل مذاهبهم ونظرياتهم ، وانطلقوا من خلال هذه النظرية التى أحكموا صياغتها، فى نشر الباطل والفساد في الفكر والاعتقاد، وفى الفروع والعبادات، وفى نشر الشر والرذيلة فى السلوك والأخلاق.

فزعموا أن الإمامة والولاية منصب إلهي، واصطفاء رباني، واختيار لدنّي من المولى تبارك وتعالى ، ليس للمرء فيه كسب ولا اختيار. وزعموا أن الدين والاسلام لا يقوم بعد النبوة إلا بالامامة والولاية المزعومتين ، ولهذا رفع أولئك أئمتهم ، وهؤلاء أوليائهم عن مستوى الخلق ، وخصوهما بخصائص وفضائل تفوق ما للبشر من خصائص وصفات وقدرات ،وغلوا فيهم حتى فضل الشيعة أئمتهم، والصوفية أولياءهم وشيوخهم على الملائكة والمرسلين ،واخترعوا نصوصا كثيرة فى فضائل أئمتهم وأوليائهم ، وما لهم من المنزلة والزلفى والحقوق والخصائص والعلوم والقدرات ما هى أقرب الى الخرافة منها الى الوقائع والحقائق فضلا عن العقائد والأديان.

ولقد ساهم هذا الغلو فى اعتقاد حلول اللاهوت فى الناسوت ،فعبرت الرافضة عن هذا الكفر بقولهم إن أئمتهم خلقوا من نور الله تعالى ، وعبرت الصوفية عنه بشهود الحق ، تعبيرا منهم عن الحلول الذى تطور فيمابعد على أيدي غلاتهم وفلاسفتهم ومتكلميهم،فأعلنوا وصرحوا بعقيدة وحدة الوجود التى توّجت كل ضلالاتهم وبدعهم ومنكراتهم. وقد جعلت هذه النصوص المزعومة كل شيعي وصوفي يؤمن بإمامه ووليه ذلك الايمان الذى أراده طواغيتهم، ورسموه لهم،وجعلت منهم أدوات طائعة فى أيدى الأفاكين الوضاعين الذين لا يتورعون عن أي شئ مما حرمه الله تعالى . فاذا أرادوا من أتباعهم فعل شئ أو ترك شئ،ما عليهم إلا إضافة ذلك الشئ ، أمرا كان أو نهيا، الى الائمة والأولياء، الأمر الذى لايسع أى شيعي أو صوفي إلا الإيمان به والانقياد له والتسليم والإذعان لأنه من الحجج الشرعية الصادرة عمن يزعمون فيهم العصمة والحفظ، فلا يصدر عنهم خطأ أو باطل، ولا يأمرون إلا بحق وشرع، فهم المعصومون المحفوظون بعصمة الله تعالى وحفظه، وهم الذين يؤيدهم الله تبارك وتعالى بالوحي والإلهام والإخبار فلا يقولون إلا صدقا ، ولا يأمرون إلا بالحق .

٤) ما اخترعوه من مبدأ ظاهر الفساد والبطلان صونامنهم لمكانة الامام والولـــــــى ، وعلمهماوإخبارهما بالغيب وغيره، حتى لا يتهم أحدهما بالجهل أو الخطأ، ومجانبة الصواب، والوقـوع فى التناقض والتضاد فى الأقوال والأحكام والأحوال. ذلك أن كلا الفريقين لما زعموا العصمـــة والحفظ لأئمتهم وشيوخهم ، عصمة تجنبهم الخطأ والزلل ، والوقوع فى المعائب من صغائـــــر وكبائر ، ولماكان حقيقة أمرهم أنهم بشر ممن خلق الله تعالى تجري عليهم سننه سبحانـــــه وتعالى، ظهر منهم ما تعارض مع ما زعموه، من وقوع فى بعض الأخطاء فى بعض المسائـــــل العلمية، أو الشذوذ فى بعض الأفعال والأحوال ، ولما اكتشف ذلك بعض من وفقه الله تعالى ، وأراد هدايته عن الاستمرار فى الغوغائية، فصرح بما رآه واكتشفه. الأمر الذى جعل الدعاة مـن الفريقين ، تداركاً لأمرهم وأمر أئمتهم وشيوخهم، يخترعون مبدأ التقية والبداء، يصونون بهمـــا أخطاءهم واختلافهم فى الفتاوى والاحكام ودعاوى علم الغيب، ثم أحاطوا مذاهبهم بالسريـــــة والكتمان ، واستعملوا الرموز ، والإشارات الغامضة إخفاءً لعيوبهم وستراً لقبائحهم، وترويجـــاً لمذاهبهم. وبالغوا فى مزاعمهم حتى جعلوا التقية دين الأنبياء والمرسلين جميعا ، أخذوا بـــه وعملوا به ،وأمروا الناس به . وزعمت الرافضة أنه لا دين لمن لا تقية له، وقالت الصوفيـــة بوجوب قتل من أباح بالأسرار، وبما يجب كتمه، وزعموا أنه سر من أسرار الربوبية يجب صونه، ثم ستروا بدعهم ومنكراتهم وأهدافهم الحقيقية الخبيثة وراء هذه النظريات والمبادىء، وإذا مـــا بلغتهم النصوص الشرعية التى تتعارض ومذاهبهم زعموا أنها من باب التقية .

٥) ماملأوا به حياة أتباعهم وأيامهم من مناسبات دينية شرعية مزعومة ، فأشغلوا ساعات أيامهم فى سائر الأيام والشهور بماشرعوه لهم من الأعياد ، والاحتفالات الخاصة، والأذكار والأوراد ، التى تُتلى فى أماكن زعموها مقدسة . ذلك أن الشيعة والصوفية أقاموا مذاهبهم على تقديس أئمتهـــم وشيوخهم فى حياتهم ، وبعد مماتهم . الأمر الذى جعلهم يبالغون فى قدراتهم وخصائصهـــــم وتصرفهم فى الأكوان وفى مُلك الله تعالى وملكوته، وينسبون لهم المعجزات والكرامات التى لاتعـد ولا تحصى ، وغير ذلك من أنواع الغلو الذى حمل الأتباع على اعتقاد أن أئمتهم وأوليائهـــم قد خصوا ببعض صفات الربوبية والإلهية، فتهيأوا لتقديسهم وعبادتهم فى حياتهم وبعد مماتهـــــم رجاء كسب رضاهم، والفوز بالحسنى، لأنهم آمنوا بأن الويل والهلاك لمن خالف الإمام والولـى، والخسارة والبوار لمن غضب عليه أولئك المقدسون ولم يرضوا عنه. وقد حملهم هذا التقديـــــس على تشييد وبناء المشاهد والقباب على قبور أئمتهم وأوليائهم ، وبنوا عليها المساجد والمـــزارات، وعظموا تلك الأماكن وخصوها بأنواع من الأذكار والأوراد والطقوس التى زعموها مناسك لتلـــــك المشاهد ، وقد ملئت بالبدع وأعمال الشرك من دعاء غير الله تعالى ، والاستغاثة، والاستشفاء والاستشفاع بالمخلوقين، والتوسل بهم ، وجعلهم وسائط بين الحق والخلق، والطواف حـــول تلك القبور والأضرحة ، وغير ذلك من المنكرات الشرعية والعقلية، كماشرعوا لأتباعهم الحــــج

والزيارة الى تلك المشاهد ، وتعظيمها ، وجعلها أماكن مقدسة مباركة، يستجاب فيها الدعاء، وتقبل فيها الأعمال والطاعات والنذور، وغير ذلك من الأقوال والأفعال التى هى الى الشرك والوثنية أقرب منها الى الاسلام والإيمان كما شرعوا لهم تعظيم تلك البلاد والبقاع التى هى محل اجتماع طواغيتهم، ووكر شياطينهم ، بما اخترعوه لهم من نصوص شرعية فى أديانهم ومذاهبهم ، ونسبوها الى من زعموهم أئمة وأولياء، وحتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نصوص وروايات تفوح منها رائحة الشرك، والدعوة الى عبادة القبور، وتعظيم الأوثان باسم الإسلام والإيمان والإحسان، ثم اعتقدوا أن ذلك من مكفرات الذنوب والسيئات والخطايا ، وهو الأمر الذى ما جاء الاسلام، بل والأديان جميعا، ولا بعث الله تعالى رسله إلا لمحاربته وإزالته من حياة الخلق والعباد.

ولقد شرعوا إقامة الأعياد والموالد العظيمة التى يحجون إليها من مختلف البلاد ، ويتوافدون عليها من جميع الآفاق ، أعيادا وموالد لاتنقطع طوال أيام السنة، حرصا من الأفاكين، والدعاة الوضاعين على بقاء شيعتهم ومريديهم فى شغل تام عن أي شيء غير مذاهبهم مما قد يكون سببا فى فتح أبصارهم وإنارة بصائرهم ،ومعرفة الحق من الباطل، والشرك من التوحيد.

ويحرص أئمة الشيعة والصوفية ودعاتهم أشد الحرص على إحياء تلك المناسبات التى شرعوها لشيعتهم. فالرافضة تستغل إحياء مناسباتهم التى صبغوها بصبغة مأساوية ، كمأساة الحسين مثلا ، ويشعلون نارها فى نفوس الشيعة بما زادوه فيها وفى غيرها من مناسبات ، من الكذب والغلو ليجعلوا منها نقطة الانطلاق الى شحن صدور شيعتهم بالحقد والكراهية للمسلمين عامة، ولرجاله الأوائل خاصة، وليدفعوا بهم الى الثورة الدائمة على دولة الاسلام، وتفريق كلمة المسلمين، وتشتيت جمعهم، وتبديد قوتهم ، ليصلوا من خلال ذلك كله الى تحقيق غاياتهم الخبيثة ، وتنفيذ مخططاتهم العدوانية. وكذلك الصوفية يحرص دعاتهم على المشاركة فى مناسباتهم وموالدهم التى يحجون إليها، ويشدون إليها الرحال من كل فج وصوب ، ويستغلون تلك التجمعات العظيمة فى إحياء الشركيات والوثنيات فى نفوس وقلوب شيعتهم ويحرصون كل الحرص على عزلهم عن أهل الحق، وبث روح العداوة بين شيعتهم وبين عامة المسلمين، وأهل الحق منهم خاصة، بحجة أن أهل الإيمان والتوحيد يبغضون والأولياء. وعلم الله أنهم لا يبغضون إلا ما يبغضه خالقهم ومولاهم من الشرك والكفر والبدع والأهواء المنحرفة، وهكذا يزينون لمريديهم وأتباعهم ماينفرهم عن أهل الاسلام والتوحيد والعلم والفضل.

ولقد ساهمت هذه المناسبات بتمكين دعاة التشيع والتصوف من وضع منهج متكامل يستغرق أيام أتباعهم وأعوامهم، وقد شرعوا فيها تعظيم ما لم يأذن به الله تعالى من قبور وأماكن وبقاع من الأرض ، واستبدلوا بها تعظيم بيوت الله تعالى ، وما عظمه الله تعالى ورسوله، وشرعوا

لهم تلك الأوراد والأدعية واحتفالات العزاء والموالد التي شحنت صدور شيعتهم، وحملتهم على الاستماته في حب مذاهبهم ، والانحراف عن دين الله تعالى ، وعلى التضحية في سبيل أصولهم وعقائدهم وأفكارهم ، وعلى الولاء والامتثال والإذعان لكل طواغيتهم، ولما يملونه عليهم من أمر ونهي باسم المذهب، ولاءً وامتثالاً أعظم من ولائهم وامتثالهم لأمر الله تعالى وأمر رسوله، حتى آل أمرهم جميعا الى اتخاذ أئمتهم وأوليائهم أربابا من دون الله تعالى ، يستحلّون ما حرم الله تعالى ورسوله، ويحرمون ماأحل الله تعالى ورسوله، طاعة منهم لأربابهم وسدنتهم وطواغيتهم.

وبهذه الطقوس المقدسة تمكن الزنادقة من امتلاك مشاعر أتباعهم ، وتوجيه عاطفتهم ، وإشباعها ، ونجح دعاة الضلالة في تعطيل عقول وأفكار أتباعهم ، وعدم اعتراضهم على شيء مما تمليه أساطينهم، حتى مما ظهر فيه الخطأ والتناقض والتضاد، ومعارضة العقل والواقع والنصوص ، وهذا كله جعل من الشيعة والصوفية أمة تعتمد على ما يشحن به وجدانها من العواطف التي تلامس قلوبهم ومشاعرهم دون العقول. وقد أحسن الدعاة المنحرفون في أشباع هذه الرغبة مايكفل لهم عدم إعمال العقل والفكر، وكفل لهم بقاء أتباعهم في حظيرتي التشيع والتصوف كالانعام ، لا يفقهون ما يُدار حولهم ، ولا يعرفون ما يُراد بهم، ويتبعون كل ناعق، مستبدلين حياتهم العقلية والفكرية بالعواطف والمشاعر الوجدانية التي لايهتدون بها الى سبيل، ولا يميزون بها بين حق وباطل، ولا بين النور والظلمات .

وأخيرا أتوجه بهذه الكلمة الى أهل الحق عامة، والى طلبة العلم منهم وأصحاب الأقلام خاصة ناصحاً لهم ومحذرا من الانخداع بأساليب المنحرفين ومناهجهم التي يستدرجون بها عامة أهل السنة والجماعة وكتّابهم وطلبة العلم منهم خاصة، فأقول :

لقد دأب دعاة التشيع وعلماؤهم على ترديد الشعارات البراقة والهتافات والصيحات في مؤلفاتهم وخطبهم، وإقامة مهرجانات كلامية خطابية يتباكون فيها على حال المسلمين ، وتمزقهم الى أحزاب وفرق ، شتتت جمعهم ،وبددت قوتهم ،ومزقت كيانهم ودولتهم . ثم يظهرون لاتباعهم خاصة، وللسذج من عامة أهل الاسلام، بأنهم كانوا ومازالوا الدعاة الحقيقيين لإعادة المسلمين الى وحدتهم، وجمع كلمتهم أمام أعدائهم. ولقد أكثر دعاة الرفض في هذه الأيام من رفع هذه الشعارات الكاذبة ، والكلمات الجوفاء، ستراً لباطلهم ، واخفاءً لمساوئهم التاريخية والاجتماعية والدينية ، وترويجا لمعتقداتهم الفاسدة بين عامة المسلمين، وقد اجتهدوا في سبيل هذه المكيدة، وواصلوا عملهم دون كلل أو ملل حتى تمكنوا ونجحوا في كسب عدد

من العلماء وكتّاب المسلمين بعد أن خدعوهم بتلك الشعارات الكاذبة، والدموع الباردة التي يسكبونها بلا حياء عند التباكي على وحدة المسلمين وعزتهم ، وما آل إليه أمرهم من التفرق والتمزق والضعف. ولقد سقط من سقط من هؤلاء العلماء والكتّاب في مصائد ومكائد الرافضة لغفلتهم العظيمة، وجهلهم المركب في معرفة حقيقة الرفض والتشيع، وأهله، ولجهلهم في معرفة وسائلهم الخبيثة في نشر دينهم .

إن علماء الرافضة قد طربوا فرحا بهذا الكسب لهذا العدد من هؤلاء المغفلين الذين انخدعوا بشعارات الرافضة في دعواهم، وغيرها من الدعاوى. فتمسكوا بهم، وعقدوا عدة اجتماعات ولقاءات معهم ، تمخضت عن إنشاء جمعية، اعتبروها كسبا عظيما، وفوزا وانتصارا لهم على أهل السنة . وهي في حقيقتها وواقعها مهزلة دينية وتاريخية، ولكنهم أضافوها الى رصيدهم في أساليب تضليل علماء المسلمين السُنة وكتّابهم، وأصحاب الأقلام منهم ، وفي التعمية الشاملة على مساوئ الشيعة في التاريخ الإسلامي كله. ولقد وضعوا لهذه الجمعية اسما عاما ليروج على أهل الاسلام، فزعموا أنها جمعية" التقريب بين المذاهب الإسلامية" .وكأن الفرق بين الشيعة والسنة كالفرق بين المذهب الشافعي والمذهب الحنبلي من مذاهب أهل السنة. وهي في واقعها جمعية تهدف الى تمييع مذهب أهل السنة والجماعة، وخروج أهله منه شيئا فشيئا ، والدخول في حظيرة التشيع والرفض .

إن اتحاد المسلمين ، واجتماع كلمتهم، وإعادة عزتهم هو ما يجب أن يسعى إليه كل مسلم غيور على دينه، ومخلص له، وان يجتهد في سبيل تحقيق هذه الغاية بكل ما يستطيعه، وأن يبذل ما أمكنه من جهد ونفس ومال. ويجب أن يكون هذا الاتحاد على الحق والهدى ، وعلى أساس التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، إتحاد يقوم على عقيدة سلف هذه الأمة ومنهجها في الدين والحياة كما أمر الله تعالى في كتابه" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" .[1] ، وكما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما مسكتم بهما : كتاب الله، وسنة نبيه"[2] . وحدة لا تفرط بشيء من أصول الدين وما علم منه بالضرورة، ولا تتنازل عنه. لا وحدة

---

(١) سورة آل عمران/١٠٣.

(٢) الحديث في موطأ الامام مالك في كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر (٢/٨٩٩)، وهو من بلاغات الامام مالك رحمه الله، إلا أن له شواهد كثيرة في السنن والمسانيد.

تقوم على الطعن فى كتاب الله تعالى ، وفى سنة حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم ، وتقوم على لعن سلف هذه الأمة ، وأمهات المؤمنين ، وتكفيرهم والبراءة منهم، وتقوم على الغلو العظيم فى علي بن أبي طالب وبعض ولده، وغير ذلك من العظائم والموبقات. إن هذه دعوة الى الانسلاخ عن دين الله تعالى، والكفر بماجاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليست دعوة الى وحدة إسلامية كما يزعم أهلها. فلا تغتروا ببكائهم ودموعهم، ولا بصراخهم وعويلهم على ما حل بالاسلام وأهله. فإنهم والله سبب كل بلاء، وكارثة حلت بالاسلام وأهله، وإنهم أمة تجيد التمثيل وتتقن الأدوار المتعارضة المتناقضة، فهم أحفاد من قتل الحسين وأهل بيته، ثم بكى عليه، حين قال لهم على بن الحسين : هؤلاء يبكين علينا، فمن قتلنا ؟ ثم إن هذه أمة تؤمن وتدين بالتقية التى تسمح لهم إظهار خلاف مايبطنونه، خاصة عند الاجتماع بمن يخالفهم فى الفكر والاعتقاد، وتسمح لهم التظاهر بموافقة المخالفين فى سبيل الوصول الى غاياتهم الخبيثة، فالتقية هى التى أنقذتهم فى تأويل وتفسير الأحداث التاريخية والاجتماعية والدينية التى تهدم مذهبهم وأصولهم كبيعة علي لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وعدم خروجه عليهم ، واحترامه لهم، وحتى تزويجه ابنته من عمر بن الخطاب. وكذلك تنازل الحسن لمعاوية، وغيره من الأحداث التى لو لم تفسر بالتقية لكانت من أوضح الأدلة على بطلان هذا المذهب المنحرف. فكيف نتحد مع من هذا حالهم وهذا دينهم؟ وعلام نتحد؟ هل على كتاب الله الذى بين أيدينا أم الذى يزعمون أنه عندهم؟ ألا فانتبهوا واستيقظوا يا قوم قبل الفوت .

إن دعاة الرفض يريدون من أهل السنة التنازل عن معتقداتهم وأصولهم التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويريدون منا معشر أهل السنة أن نؤمن أولا بأن التشيع كالمذاهب الاسلامية فى الفروع . ثم بعد ذلك يكشفون عن غاية أخرى، وهى أن هذه المذاهب المعروفة بين أهل السنة هى من اجتهادات بعض الفقهاء والعلماء الذين يصح منهم الوقوع فى الخطأ، فى حين أن التشيع هو مذهب أهل البيت، وليس فيه إلا اجتهادات الأئمة، وهم الذين عصمهم الله تعالى بزعمهم ، فلا يصدر منهم إلا الحق والصواب .وما كان حقاً وصواباً أحق أن يُتّبع، ومن كان معصوما عن الخطأ والزلل أحق أن يقتدى به، ويتخذ إماما .وهذه هى غايتهم وهدفهم، وهذا ما يريده هؤلاء الدجالون الذين أفادتهم هذه الدعوى فى كسب بعض أهل الغفلة والغباء من كتّاب أهل السنة وحملة أقلامهم، كما نجحوا فى إقناع عوامهم وغوغائهم بأن مذهبهم هو الداعى الى الوحدة الاسلامية، وأن أهل السنة لايجيبون ، ولا يريدون للاسلام والمسلمين العز والمجد والاتحاد، بل يريدون له التمزق والتفرق .

كيف يريدونها وحدة إسلامية بينهم وبين أهل السنة فى حين أنهم متفرقون فيما بينهم

الى فرق وأحزاب تعصف بها الأهواء والشهوات والبدع والرذائل ، ويكفّر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا؟ فكيف يدعوننا الى الوحدة، وهم عاجزون عن توحيد صفوفهم وتجميع فرقهم وشراذمهم ؟ فهلا اتحدت الشيعة الرافضة فيما بينها على كتاب وسنة وإمام معصوم، وشرع ديني بأصوله وفروعه ، قبل تصدير هذه الدعوى الى خارج حدود التشيع . وهل من فقد الوحدة والاتحاد وتمزق الى أكثر من سبعين فرقة يكفّر بعضها بعضا، يملك ويقدر أن يعطي الوحدة الى غيره ممن يخالفه في الملة والدين والنحلة؟ ألا فلينبه الغافلون، ويستيقظ النائمون قبل الوقوع في أوحال الكفر والنفاق .

وأما الصوفيون فإنهم يعتبرون أنفسهم من أهل السنة والجماعة، فلا حاجة لهم الى مشاركة إخوانهم في الدعوة الى الوحدة والاتحاد . وإن مما يحز في النفس أن عامة أهل العلم والفضل من أهل السنة والجماعة يعتبرونهم كذلك ، فإنا لله وانا إليه راجعون .

ولقد تمكن دعاة التصوف من إجادة دورهم في التظاهر بأنهم من أهل السنة ، بل من زهّادهم وعبّادهم وصفوتهم ، فاخترعوا بعض الروايات السنية التي توهم انتسابهم الى السنة والجماعة، والتقيد بالكتاب والسنة، وقد تمكنوا من استدراج كثير من العلماء والكتّاب وخداعهم ، الأمر الذي يتجلى في تجاهل كثير منهم أقاويل الصوفية الواضحة التكفير ، وبركز على الأقوال الأخرى في الحِكَم والمواعظ ، والزهد والورع، وغيرها مما قاله المنحرفون من باب التقية والخداع والتمويه .

ثم إن الحِكَم والمواعظ، والنصح والإرشاد فكر إنساني عام، يقوله جميع أهل الملل والأديان ، ويهتمون به، ويتناقلونه عن أحبارهم ورهبانهم وصالحيهم في كل عصر، فلماذا يتناقل هؤلاء العلماء والكتّاب أقاويل الصوفية وكأنها فريدة عصرها، ووحيدة دهرها، حتى إن بعضهم عند اضطراره لذكر بعض أقوالهم المنحرفة، يلجأ الى التأويل والتبرير، ويبحث عن وجوه المعاذير تعظيماً منهم لأهل التصوف . وربما أعلن بعضهم بسذاجة وغفلة أن تلك الأقوال لم يقلها أصحابها، وإنما هي مما دُست عليهم ، وأضيفت الى التراث الصوفي تشويها وتنفيرا . وهذه هي الطامة الكبرى حيث قد استقر في نفوس هؤلاء أن المتصوفة أجل قدْرا وأعظم حالا من الوقوع في بعض الأخطاء، صغيرة كانت أم كبيرة لاعتقادهم أن أهل التصوف أناس مصلحون لايصدر منهم إلا ما فيه الخير والصلاح ، والواقع أنهم هم المفسدون الضالون، ولكن أكثر الناس لايعلمون .

ثم لا أدرى لماذا توصف كفرياتهم وزندقاتهم وحدها بأنها مدسوسة ، مع أن الانحراف والكفر الذى يصفونه بالشطح ظاهرة أساسية فى الفكر الصوفي قديمه وحديثه. وما الشطح فى واقعه وحقيقته إلا الكفر الصريح ،والجرأة العظيمة فى دين الله تعالى ، وقد زعم الصوفية أن الشطح والكفر أحوال تصدر عنهم فى حال محوهم وغيبتهم وسكرهم وفنائهم وفقدان شعورهم تلبيسا وتمويها لترويج الكفر والضلال . والذى يؤسف له حقا أن يعتذر بعض علماء أهل السنة وكتّابهم عن أولئك المنحرفين بمثل هذه الاعتذارات الشيطانية التى روج لها دعاة التصوف. ولِمَ لا تكون أقوالهم المستقيمة فى ظاهرها قد قيلت فى حال سكرهم وغيبتهم، أو تكون قد دُست فى تراثهم العفن ، ونُسبت الى شيوخهم وأوليائهم المنحرفين .

ثم هل الدس والزيف والإضافة قد نال منهم أُشهر مؤلفاتهم كاللمع ، والتعرف، والرسالة القشيرية، وطبقات الصوفية للسلمى ، وإحياء علوم الدين وغيرها ممايُعد من أعظم الأصول والتراث عندهم ، والتى صنفت للدفاع عن التصوف ، ولترويج أنه من مذاهب أهل السنة ،وأنه متصل بالإسلام وأهله. إن هذه الكتب وغيرها ، ولله الحمد والمنة، من أعظم ما اعتمده أهل العلم والفضل فى بيان التضاد والتناقض بين التصوف وبين الدين الإسلامى عامة، ومنهج أهل السنة والجماعة خاصة .

وأرجو من الله تعالى ألا يكون هؤلاء العلماء والكتّاب ـ أعنى أصحاب مدرسة تأويل الشطح الصوفي وتبريره ـ قد أثرت فيهم تلك الأساطير الخرافية، والهواجس الشيطانية التى أشاعها دعاة التصوف حول الشيوخ والأولياء تخويفا وتهديدا،لكل من تسول له نفسه بالتعرض والإنكار عليهم ، فضلا عمن يضمر الشر وسوء النية لهم أو من يصرح بكفرهم ومروقهم عن دين الله تعالى. ذلك المنهج الخبيث من التخويف والتحذير مع ما أضافوه لشيوخهم وأوليائهم منكرامات وتصرف فى الأكوان، وقدرتهم على جلب النفع ودفع الضر، أو إيصال الضرر والأذى بمن يتعرض لهم ولمقاماتهم ومنازلهم . وبهذا وغيره من المناهج تمكن الصوفيون من إيجاد من يخدمهم ويخدم أهدافهم ومصالحهم ومذاهبهم من غيرهم، خاصة من أهل السنة والجماعة.

والحق أن التصوف أبعد ما يكون عن الدين الاسلامى ، فضلا عن مذهب أهل السنة والجماعة ،وأنه أحد الأوجه الكثيرة للشرك والكفر والزندقة والالحاد. فالصراع بين أهل السنة وبين الصوفيين هو صراع بين التوحيد والشرك أو بين الإيمان والكفر. حلقة من حلقات الصراع المستمر بين التوحيد والشرك من أول ما بعث الله تعالى رسله وأنبياءه ، فإنهم مابُعثوا وأُرسلو إلا لبث الاسلام والتوحيد، ومحاربة الشرك فى هذه الدنيا. قال الله

تعالى: " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" (١) فدعوتهم واحدة، ورسالتهم واحدة ، وكذلك كانت أقوامهم، متفقين فيما يواجهون به رسلهم وأنبيائهم . قال الله تعالى :" ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك" (٢) .فالدعوة واحدة، والصراع واحد، توحيد وشرك ، وإيمان وكفر، ثم ينتصر التوحيد والإيمان بفضل الله تعالى وحده، ولكن يعود الشرك ، وتعود الأمم الى ما كانت عليه، وهكذا حتى جاء رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء كتاب الله الذى كشف دعاوى أهل الشرك والكفر وما تتستر به من أفعال وأقوال قد تروج كتعظيم الرسول، وآل بيته، وتعظيم الأولياء، ومحبتهم، والتوسل بصلاحهم وأعمالهم وذواتهم ، وغير ذلك مما يتذرع به المشركون، ويستترون به كفرهم. ولقد أخبر رسولنا صلى الله عليه وسلم أن الأمر سيعود كما كان قبل مبعثه ، التوحيد فيه غريب ، والموحدون فيه غرباء لقلتهم وضعفهم وهوانهم على الناس ، ولانتشار الشرك والأوثان، وتعظيم وعبادة غير الله تعالى . ولكنه ورغم ذلك قد بشرهم بأن طائفة ستظل على الحق والأمر العتيق، وأنه لا يضرهم كثرة مخالفيهم وخذلانهم لهم حتى يأتي أمر الله .

ولقد بدأت حركة الشرك المتستر بالدين وأصوله وآثاره أول ما ظهر فى الاسلام على أيدي دعاة الرفض باسم التشيع لآل البيت ومحبتهم ونصرتهم التى تطورت الى تقديس الرجال وتعظيمهم وعبادتهم، ثم تولى كبر هذا الشرك ونشره وبثه فى مختلف بلاد الاسلام وأهله أولئك الصوفيون المتسترون بثياب الزهد والورع .والصوفية رغم تعدد طرقها، وتشعب مناهجها ليست إلا فروعا مرتبطة بأصل، وأساليب يجمعها مبدأ ، ويوحدها هدف وهو الاتحاد بالله فى هذا العالم اتحادا حقيقيا ، وذلك بمحو الشخصية الإنسانية، والفناء عن كل شئ إلا الله تعالى بزعمهم حتى يدرك الصوفى ربه بالمكاشفة والمشاهدة المزعومتين لا بالبرهان، ويتصل به بالجذب والشوق والعشق والذوق، لا بالاعمال والطاعات والتقوى. وقد قال القشيرى: "الصوفيون هم قوم الوصال، لا قوم الاستدلال، يعرفون الله بالمشاهدة". وقال الجنيد: " التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة". والطرق الصوفية المتعددة فى أقطار العالم الإسلامى لا تخرج عن هذا الفكر المنحرف، وتقوم أساسا على تعظيم المخلوقين وعبادتهم، وتشتهر ببعض الشعوذات التى ينكرها الدين والعقل السوي، فما هى إلا صورة أخرى للتشيع والرفض ، ولا يقصدون من تعدد أساليبهم وطرقهم إلا التمويه على أهل السنة والجماعة، والتظاهر بأنهم منهم.

---

(١) سورة الأنبياء/٢٥

(٢) سورة فصلت/٤٣

أقول هذا ليستجمع أهل الحق هممهم فى معرفة الحق والباطل، وذب كل غريب عن دينهم وشرعهم ، ورفضه ومحاربته محافظة على صفاء دينهم وتنقيته من الشوائب والأكدار الصوفية والشيعية وغيرها . والحمد لله تعالى وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحابته، ومن سلك طريقهم، وسار على نهجهم الى يوم الدين .

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث المرفوعة

الصفحة

الصفحـــــة

الصفحـــــة

فهرس الآثار

فهرس الأبيات الشعرية

ثبت المراجع والمصادر العامة

- الأعلام ٠ خير الدين الزركلي ٠ دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة، سنة١٩٨٤م٠
- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، الامام ابن القيم، دار المعرفة، بيروت ٠
- الأنســـاب، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى سنة١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م٠
- البداية والنهاية في التاريخ ، الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ٠
- البدء والتاريـخ ، مطهر بن طاهر المقدسي ، طبع في باريس ، فرنسا سنة١٩١٦م٠
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحيـــاة، بيـروت٠
- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون، طبع في سنة١٣٩١هـ ، ١٩٧١م٠
- تاريخ الاسلام السياسي والديني و الثقافي والاجتماعي ، حسن ابراهيم حسن، دار النيـل للطباعة، نشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية سنة١٩٤٨م٠
- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـــي ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م
- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) ،أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتـــب العلمية ،بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م٠
- تاريخ بغـــداد ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت٠
- تاريخ الحكماء ، علي بن يوسف القفطي ، طبع لايبزيك بالمانيا سنة ١٩٠٣م٠
- تاريخ الشعوب الاسلامية، كارل بروكلمان ، ترجمة نبيهفارس ومنير بعلبكي ، دار العلـــم للملايين ، بيروت، الطبعة الأولى سنة١٩٤٩م، والخامسة سنة١٩٦٨م٠
- تاريخ الفلسفة الاسلامية ، هنري كوربان، منشورات عويدات ، بيروت، باريس ،الطبعـــة الثالثة سنة ١٩٨٣م٠
- تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة ، دار الأصفهاني للطباعة، جده سنة١٣٩٩هـ٠
- تبديد الظلام وتنبيه النيام في خطر التشيع على المسلمين والاسلام، ابراهيم بن سليمـان الجبهان، الطبعة لثالثة سنة١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م باذن ادارات البحـــوث بالرياض٠
- تذكرة الحفـــاظ، أبوعبد الله الذهبي، دار الفكر العربي ، سنة١٣٨٤هـ٠
- التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، محمد البنداري، دار عمار للنشر والتوزيــــع ، عمان ــ الاردن ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م٠
- التصـــوف ، المنشأ والمصادر ، احسان الهي ظهير، نشر دار ترجمان السنة، لاهـــور، باكستان ، الطبعة الأولى سنة١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م٠
- التصوف الاسلامي ، د٠ رينولد نيكلسون ، ترجمة نور الدين شريبة: نشر مكتبـــــة الخانجي بمصر، سنة١٣٧١هـ ، ١٩٥١م٠
- تفسير القرآن العظيم ، اسماعيل بن كثير الدمشقي ، مكتبة الدعوة الاسلامية، شبـــاب الازهر سنة١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م٠
- التفسير والمفسرون، د٠ محمد حسين الذهبي ، طبع مطبعة السعادة، نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م٠
- تقريب التهذيب ، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار نشر الكتب الاسلاميـة كوجرا غواله ،باكستان، الطبعة الأولى سنة١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م ، وطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، الطبعة الثانية، سنة١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف٠

- تلبيس ابليس ، عبد الرحمن بن الجوزى ، تحقيق د٠ الجميلى ، دار الكتاب العربى بيروت، الطبعة لاثالثة، سنة١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م٠
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهرى، مطابع سجل العرب بالقاهرة، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ودار الكتاب العربى سنة١٩٦٧م٠
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، الامام يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى، دار الكتب العلمية، بيروت٠
- جامع البيان عن تأويل آى القرآن، الامام محمد بن جرير الطبرى، دار الفكر، بيروت، سنة١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م٠
- الجامع الصحيح (سنن الترمذى)، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد شاكر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م٠
- الجامع لشعب الايمان، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، رسالة ماجستير فى مكتبة الجامعة الاسلامية قسم الدراسات العليا سنة١٤٠٦هـ، اعداد الطالب/ فلاح اسماعيل٠
- جريدة الشرق الأوسط ، عدد ٣٨٥٢ ، تاريخ ١٤٠٩/١١/١٢هـ ـ الموافق١٩٨٩/٦/٥م
- جمهرة اللغة٠ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى سنة١٣٤٥هـ ، وطبعة دار صادر ، بيروت ٠
- الحور العين ، ابو سعيد نشوان الحميرى، دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة لاثانية، سنة١٩٨٥م٠
- دائرة المعارف الاسلامية، نقلها الى العربية مجموعة من الكتاب ، دار المعرفة، بيروت ٠
- ديوان الأدب ، اسحاق بن ابراهيم الفارابى ، مطبعة الامامة بمصر سنة١٣٩٦هـ،١٩٧٦م٠
- الرفاعية، عبد الرحمن دمشقية، الطبعة الأولى سنة١٤١٠هـ ،١٩٩٠م، الرياض٠
- سنن ابن ماجه ، الحافظ محمد بن يزيد القزوينى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر٠
- سنن أبى داود ، الحافظ سليمان بن الاشعث السجستانى، اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ٠ نشر وتوزيع محمد على السد، حمص، الطبعة الاولى سنة١٣٨٨هـ ١٩٦٩م٠
- سنن الدارمى ، الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، تحقيق عبد الله هاشم يمانى، نشر حديث أكادمى ، فيصل أباد ـ باكستان٠
- سنن النسائى ، "المجتبى"٠ الحافظ أحمد بن شعيب النسائى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، الطبعة الأولى سنة١٣٨٣هـ،١٩٦٤م٠
- السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة٠ د٠ أحمد صبحى منصور، مطبعة الدعوة الاسلامية ، الطبعة الأولى سنة١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م٠
- سير أعلام النبلاء ، الامام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، مواسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الثانية، سنة١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م٠
- شرح العقيدة الاصفهانية ، شيخ الاسلام ابن تيمية، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، سنة ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م٠
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، عبد الحى بن العماد الحنبلى، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية سنة١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م٠

- شطحات الصوفية ، د. عبد الرحمن بدوى ، نشر وكالة المطبوعات بدولة الكويت، الطبعة الثانية سنة١٩٧٦م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضى أبو الفضل عياض اليحصبى، دار الفكر، بيروت.
- الشيعة فى الميزان، د. محمد يوسف النجرامى ، طبع مطبعة المدنى بمصر، نشر دار المدنى بجدة ، الطبعة الأولى سنة١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.
- الشيعة والسنة ، احسان الهى ظهير، نشر ادارة ترجمان السنة ، لاهور، باكستان ، الطبعة الرابعة والعشرون سنة١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.
- الشيعة والقرآن ، احسان الهى ظهير، نشر ادارة ترجمان السنن ، لاهور، باكستان. الطبعة الرابعة سنة١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م.
- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهرى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م ، والطبعة الثالثة، سنة١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.
- صحيح البخارى ، مع شرحه فتح البارى ، خدمة محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية بالرياض.
- صحيح مسلم ، الامام مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، طبع دار احياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٥م.
- الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة ، أحمد بن حجر الهيثمى المكى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- الصوفية فى الاسلام ، د. رينولد نيكلسون ، ترجمة نور الدين شريبة، نشر مكتبة الخانجى بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ ، ١٩٥١م.
- طبقات الشافعية، عبد الوهاب السبكى، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر، الطبعة الأولى سنة١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م.
- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، دار صادر ، بيروت.
- العبر فى خبر من غبر، الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، مصورة عن الطبعة الأولى.
- العقيدة والشريعة فى الاسلام، أجناس جولد تسيهر دار الرائد العربى – بيروت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصرى سنة١٩٤٦ . القاهرة.
- فجر الاسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الحادية عشرة سنة١٩٧٥م.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الاسلام ابن تيمية، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية ، بالرياض.
- الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر البغدادى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، نشر دار المعرفة ، بيروت.
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد على بن أحمد، المعروف بابن حزم الظاهرى، دار الجيل ، بيروت سنة١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.
- فضائح الباطنية ، أبوحامد محمد بن محمد الغزالى، تحقيق عبد الرحمن بدوى، موسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .
- الفهرست ، أبو الفرج محمد بن اسحاق، المعروف بابن النديم، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز ابادى، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة١٣٧١هـ، ١٩٥٢م، مطبعة موسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية سنة١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م (فى مجلد واحد) .

- الكامل فى التاريخ ،على بن محمد الشيبانى المعروف بابن الاثير ، دار صادر بيروت، سنة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- كتاب العين ، أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى، دار الرشيد للنشر، طبعة وزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية، تحقيق مهدى المخزومى وابراهيم السامرائى، وطبعة دار الحرية ببغداد سنة١٩٨٤م.
- الكشف عن حقيقة الصوفية، محمود عبد الرؤوف القاسم، دار الصحابة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م.
- لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
- لسان الميزان، الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت، الطبعة لثانية، سنة١٣٩٠هـ ، ١٩٧١م.
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد طبع باشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين- السعودية.
- مجموعة الرسائل والمسائل، شيخ الاسلام ابن تيمية. ،لجنة التراث العربى، توزيع دار الباز بمكة المكرمة، تخريج وتعليق محمد رشيد رضا.
- محاسن التأويل (تفسير القاسمى) ، محمد جمال الدين القاسمى، دار احياء الكتب العربية .
- المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة. على بن اسماعيل بن سيده ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، تحقيق عبد الستار فراج، الطبعة الأولى، سنة١٣٧٧هـ ، ١٩٥٩م.
- مختصر التحفة الاثنى عشرية، الشاه عبد العزيز الدهلوى، ترجمة علام الاسلمى، اختصار الالوسى وتحقيق وتعلية محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة١٣٧٣هـ.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان ، عبد الله بن أسعد اليافعى، منشورات مؤسسة الأعلمى ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م ، مصورة عن الطبعة الأولى طبع دائرة المعارف النظامية بحيدر اباد الدكن سنة١٣٧٧هـ .
- المستدرك على الصحيحين، الامام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابورى ، دار الكتاب العربى ، بيروت.
- مسند الامام أحمد بن حنبل ، المكتب الاسلامى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م . وطبعة دار المعارف بمصر، تحقيق أحمد شاكر سنة١٣٧٢هـ ، ١٩٥٣م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار احياء الكتب العربى ، عيسى البابى الحلبى وشركاه، الطبعة الأولى ، وطبعة شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م.
- المعجم الوسيط ، باشراف مجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف بمصر ،الطبعة الثانية سنة١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م.
- مفتاح دارالسعادة ومنشورولاية العلم والارادة، الامام ابن القيم، مطبعة الامام بمصر ، توزيع مكتبة المتنبى بالقاهرة.

ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، سنة١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م.

ـ مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، طبع بمطبعة دار العلم بتونس، نشر الدار التونسية ، الطبعة الأولى سنة١٩٨٤م.

ـ الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستانى، تحقيق محمد سيد كيلانى، دار صعب بيروت سنة١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.

ـ منهاج السنة النبوية، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع ونشر ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، الطبعة الأولى سنة١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.

ـ الموطأ ، الامام مالك بن أنس، تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه .

ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، الطبعة الأولى سنة١٣٨٢هـ ، ١٩٦٣م.

ـ ولاة مصر ، أو كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ابو عمر محمد بن يوسف الكندى، طبع بمطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت سنة١٩٠٨م، والطبعة المصورة عنها سنة ١٩٨٥م.

مراجع الرافضة ومصادرهم

- الاداب المعنوية للصلاة، الخميني بن مصطفى ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، الطبعة الثانية سنة١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.
- آمالي الشيخ الطوسي ، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مطبعة النعمان ، النجف سنة١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م.
- الاثنا عشرية في الرد على الصوفية، محمد بن الحسن الحر العاملي ، مطبعة دار الكتب العلمية، قم ، ايران سنة١٤٠٠هـ.
- الاحتجاج ، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ،الطبعة الثانية، سنة١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- الاختصاص، شيخ الشيعة محمد بن النعمان المفيد، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم ، ايران .
- اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي ، طبعة ايران ، مشهد سنة١٣٤٨هـ .
- أصل الشيعة وأصولها، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، الطبعة الرابعة سنة١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.
- أصول التشيع ، هاشم معروف الحسيني، دار القلم ، بيروت .
- أعيان الشيعة ، محسن أمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، شرح عبد الله شبر، طبع مؤسسة الوفاء ، بيروت، الطبعة الاولى، ونشر مكتبة الالفين، الكويت، سنة١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
- الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الانسانية، نعمة الله الموسوي الجزائري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الرابعة ، بيروت سنة١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، شيخ الشيعة محمد بن النعمان المفيد، طبع دار الكتاب الاسلامي ، بيروت سنة١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، محمد باقر المجلسي .
- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، مطبعة الأحمدي ، طهران، نشر مؤسسة الأعلمي ، طهران سنة١٤٠٤هـ.
- تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة، د. عبد الله فياض ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، الطبعة الثالثة سنة١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- تاريخ الشيعة، محمد حسين مظفر، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.
- تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر، دار صادر ، بيروت سنة١٣٧٩ هـ ، ١٩٦٠م.
- التبرك ، علي الأحمدي، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، سنة١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، أو شرح عقائد الصدوق ، شيخ الشيعة محمد بن النعمان المفيد ، دار الكتاب الاسلامي ، بيروت سنة١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- التنبيه والاشراف، علي بن الحسين بن علي المسعودي، مكتبة خياط، بيروت، سنة١٩٦٥م
- تنقيح المقال، الحسن بن عبد الله النجفي المامقاني ، طبع ايران سنة١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م
- جامع الرواة وازاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد، محمد بن علي الاردبيلي الحائري، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم ، ايران سنة١٤٠٣هـ.

- الحقائق فى محاسن الأخلاق ، محمد مرتضى المشهور بمحسن الفيض الكاشانى، مكتبة الالفين ، الكويت، الطبعة الثانية، سنة١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م٠
- حق اليقين فى معرفة أصول الدين، عبد الله شبز ، دار الأضواء ، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م٠
- الحكومة الاسلامية ، الخمينى ابن مصطفى ، مطابع صوت الخليج ، الكويت٠
- رجال الطوسى ، محمد بن الحسن الطوسى شيخ الطائفة الشيعية، منشورات المكتبة والمطبعة الحيدرية فى النجف ، الطبعة الاولى سنة١٣٨٠هـ، ١٩٦١م ، وطبعة موئسسة الوفاء ، بيروت، الطبعة الثالثة سنة١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م٠
- روح التشيع ، عبد الله نعمة، دار الفكر اللبنانى سنة١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م٠
- روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات ، محمد باقر الموسوى الخوانسارى الاصبهانى، الطبعة الثانية، طبعة ايران سنة١٣٤٧هـ٠
- رياض العلماء وحياض الفضلاء، عبد الله أفندى الاصبهانى، مطبعة الخيام، قم، ايران، سنة ١٤٠١هـ٠
- سر الصلاة وصلاة العارفين، الخمينى ابن‌مصطفى، ترجمة احمد الفهرى، موئسسة الاعلام الاسلامى٠
- شجرة طوبى، محمد مهدى الحائرى، منشورات موئسسة الاعلمى للمطبوعات، بيروت٠
- شرح دعاء السحر، الخمينى ابن مصطفى، تقديم أحمد الفهرى، موئسسة الوفاء ، بيروت، الطبعة الثانية سنة١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م٠
- الشيعة فى التاريخ، محمد حسين‌الزين، دار الاثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م٠
- الشيعة فى الميزان، محمد جواد مغنية، دار الجواد ودار التيار الجديد، بيروت ، الطبعة السادسة سنة١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م٠
- الصلة بين التصوف والتشيع ، د٠ مصطفى كامل الشيبى، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢م٠
- عقائد الامامية، محمد رضا المظفر، طبع دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة ، سنة١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م٠
- عمدة الزائر فى الأدعية والزيارات ، حيدر الحسنى الكاظمى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، الطبعة الثالثة سنة١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م٠
- عوالى اللئالئ العزيزية فى الاحاديث الدينية، محمد بن على بن ابراهيم الاحسائى ، المعروف بابن ابى جمهور ، مطبعة سيد الشهداء، قم ، ايران، الطبعة الاولى، سنة١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م٠
- فرق الشيعة ، الحسن بن موسى النوبختى، منشورات دار الأضواء ، بيروت،الطبعة الثانية سنة١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م٠
- الفصول المهمة فى أصول الائمة، محمد بن الحسن الحر العاملى، المطبعة الحيدرية بالنجف ، العراق، الطبعة الثانية سنة١٣٧٨هـ٠
- الفهرست ، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى، موئسسة الوفاء ، بيروت، الطبعة الثانية، سنة١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م٠
- فى ظلال التشيع ، محمد على الحسنى، مكتبة الألفين، الكويت، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، باذن من موئسسة الوفاء، بيروت٠
- قرة العيون فى المعارف والحكم، محسن الفيض الكاشانى، مطبوع مع الحقائق فى محاسن الاخلاق٠

- الكافى ، الاصول والفروع والروضة، محمد بن يعقوب الكلينى، دار الاضواء بيـــروت، سنة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.
- كتاب الزينة فى الكلمات الاسلامية العربية، القسم الثالث ، أبو حاتم أحمد بن حمـــدان الرازى، تحقيق عبد الله سلوم السامرائى، دار واسط للنشر، لنـــدن ، بغداد ، الطبعة الثانية سنة١٩٨٢م.
- كتاب الغيبـــة ، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى ، مكتبة الالفين، الكويت.
- كتاب المقالات والفرق ، سعد بن عبد الله الأشعرى القمى، مركز انتشارات علمـــى ، ايران، الطبعةالثانية، سنة١٣٦٠هـ.
- كشف الأســرار، الخمينى ابن مصطفى، طبع دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ، سنة ١٩٨٧م.
- الكنى والألقاب ، للاحقر عباس القمى، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان سنة١٣٥٧هـ.
- المحجة البيضاء فى تهذيب الاحياء، محمد بن مرتضى المشهور بمحسن الفيضى الكاشانى، موءسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت، الطبعة لاثانية سنة١٤٠٣هـ ،١٩٨٣م
- المراجعات ، عبد الحسين الموسوى ، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- مصباح الهداية الى الخلافة والولاية ، الخمينى ابن مصطفى ،تقديم احمد الفهرى،موءسسة الوفاء ، بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- معانى الأخبار ، محمد بن على بن بابويه القمى الملقب بالصدوق، دار المعرفة للطباعة والنشر ، سنة١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.
- نص الوصية الالهية ، السياسية للامام القائد الخمينى ابن مصطفى الموسوى ، نشــر وطبع موءسسة سولنا للطباعة ، الولايات المتحدة الامريكية، باشراف سفـارة الجمهورية الجزائرية فى أمريكا، قسم العناية بالجمهورية الاسلامية الايرانية.
- نهج البلاغــة ، اختيار الشريف الرضى وشرح محمد عبده، منشورات المكتبة الاهليـــة ، بيروت ، وطبعة دار الكتاب اللبنانى ودار الكتاب المصرى، الطبعة الثانية، سنة١٩٨٢، بتحقيق صبحى الصالح.
- هوية التشيــع ، د. أحمد الوائلى ، موءسسة أهل البيت، بيروت، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م.
- وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملى ، دار احياء التراث العربى ، الطبعة الخامسة سنة١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م.

مراجع الصوفية ومصادرهم

- أبحاث فى التصوف، د٠ عبد الحليم محمود، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، الطبعة الثانية سنة١٩٨٥م٠
- الابريز من كلام سيدى عبد العزيز، أحمد بن المبارك ، طبعة دار الفكر، بيروت ٠
- أبو مدين الغوث ، د٠ عبد الحليم محمود، طبع دار المعارف بمصر٠
- احياء علوم الدين، أبوحامد محمد بن محمد الغزالى، عالم الكتب ـ دمشق ٠
- أخبار الحلاج ، بعناية الناشر عبد الحفيظ محمد مدنى، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٩٧٠م ، نشر مكتبة الجندى ، مصر٠
- اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق القاشانى، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة١٩٨١م٠
- الافهام والاقحام، أو قضايا الوسيلة والقبور، محمد زكى ابراهيم، منشورات العشيرة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثالثة ،، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م٠
- الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل، عبد الكريم بن ابراهيم الجيلى، دار الفكر، بيروت ،الطبعة الرابعة سنة١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م٠
- الأنوار القدسية فى بيان أداب العبودية، عبد الوهاب الشعرانى ، مطبوع بهامش الطبقات الكبرى، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م٠
- الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية ٠ عبد الوهاب الشعرانى، مطبعة نصر، القاهرة، نشر المكتبة العلمية ومطبعتها، الطبعة الأولى سنة١٩٦٢م٠
- ايقاظ الهمم فى شرح الحكم، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسينى، مطبعة السعادة سنة ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م٠
- بوارق الحقائق، محمد مهدى الرواسى الرفاعى الصيادى ، طبع ونشر مكتبة النجاح، طرابلس ، ليبيا ٠
- التصوف الاسلامى بين الأصالة و الاقتباس ، عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل للنشر و التوزيع والطباعة، بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م٠
- التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق، د٠ زكى مبارك، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ٠
- التصوف الثورة الروحية فى الاسلام، د٠ أبو العلا عفيفى، دار الشعب للطباعة والنشر ، بيروت ٠
- التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد الكلاباذى، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة الطبعة لثانية سنة١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م٠
- جامع كرامات الأولياء، يوسف بن اسماعيل النبهانى، تحقيق ابراهيم عطوة، المكتبة الثقافية، بيروت سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م٠
- جمهرة الأولياء ، محمد المنوفى الحسينى، مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة الطبعة الأولى سنة١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م٠
- جواهر المعارف ، على حرازم المغربى الفاسى ، دار الجيل ، بيروت سنة١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م
- حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، مطبعة الديوان، الطبعة لثانية، سنة١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م٠
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت٠
- درر الغواص على فتاوى سيدى على الخواص ، عبد الوهاب الشعرانى، مطبوع بهامش كتاب الابريز للدباغ، الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية المصرية سنة١٣٠٦هـ٠

- ديوان ابن الفارض، عمر بن ابى الحسن بن مرشد ، المعروف بابن الفارض، طبع المركز الاسلامى للطباعة والنشر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٠
- رسائل ابن عربى ، ابو بكر بن عربى الحاتمى، دار احياء التراث العربى، مصورة عن طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى سنة ١٣٦١هـ ٠
- رسالة الاسراء الى مقام الأسرى ، أبو بكر بن عربى ، ضمن رسائل ابن عربى٠
- رسالة شكوى الغريب ، عبد الله بن محمد الميانجى الهمذانى، الملقب بعين القضاة الهمذانى، طبع مطبعة جامعة طهران ، تحقيق قعفيف عسيران ، سنة ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م٠
- رسالة الشيخ الى الامام الرازى، أبو بكر بن عربى، ضمن رسائل ابن عربى٠
- الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيرى، دار الكتب الحديثة ، القاهرة٠
- الرسالة اللدنية، أبوحامد الغزالى ، ضمن مجموعة رسائله، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م٠
- رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم، عمر بن سعد الفوقى الطورى ، بهامش جواهر المعانى، دار الجيل ، بيروت سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م٠
- سير الأولياء فى القرن السابع الهجرى ، حسين بن جمال الدين الأنصارى الخزرجى، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت : الطبعة الأولى٠
- شرح فصوص الحكم لابى بكر بن عربى، تحقيق محمود محمد غراب، مطبعة زيد بن ثابت، سنة ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م٠
- شفاء السائل لتهذيب المسائل ، عبد الرحمن بن خلدون ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى طبع استانبول ، تركيا سنة ١٣٧٨هـ ، ١٩٥٧م٠
- الصلاة العطرية فى الصلاة على خير البرية فى الوظائف الشاذلية، مطابع سحر ، الطبعة الاولى سنة ١٤٠٢هـ٠
- طبقات الصوفية ، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى، مطبعة المدنى، القاهرة، نشر مكتبة الخانجى بمصر، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م٠
- الطبقات الكبرى ، عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م٠
- الطواسين ، الحسين بن منصور الحلاج ، مطبوع ضمن أخبار الحلاج٠
- العارف بالله أبو العباس المرسى، د٠ عبد الحليم محمود، نشر وتوزيع مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ٠
- عوارف المعارف ، عمر بن محمد السهروردى ، مكتبة القاهرة بمصر٠
- الغنية لطالبى طريق الحق ، عبد القادر الجيلانى الحسنى، المكتبة الثقافية، بيروت٠
- الفتوحات المكية، ابو بكر بن عربى، مكتبة الثقافة الدينية بمصر، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م بالقاهرة، باشراف المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون بالتعاون مع معهد الدراسات العليا فى السوربون — فرنسا ٠
- الفوز والنجاة فى الهجرة الى الله، والهنا والغنى لمن اصطفاه واجتباه، محمد السيد التيجانى، مكتبة القاهرة بمصر٠
- قواعد التصوف ، أبوالعباس أحمد بن محمد بن زروق ، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، الطبعة لاثانية، سنة ١٣٩٦هـ ، سنة ١٩٧٦م٠
- قوت القلوب ، أبوطالب محمد بن على المكى، طبعة دار صادر، بيروت، وطبعتها المصورة عن طبعة المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦هـ٠

- كتاب التجليات، أبو بكر بن عربى، مطبوعضمن رسائل ابن عربى.
- كتاب التراجم ، أبو بكر بن عربى، مطبوع ضمن رسائل ابن عربى.
- كتاب الفناء فى المشاهدة ، أبو بكر بن عربى، مطبوع ضمن رسائل ابن عربى.
- كتاب الكتب ، أبو بكر بن عربى، مطبوع ضمن رسائل ابن عربى .
- كتاب مشارق أنوار القلب ومفاتح أسرار الغيوب، عبد الرحمن بن محمد الانصارىالمشهور بابن الدباغ ، تحقيق: هـ. رتير، دار صادر ، بيروت.
- كتاب الميم والواو والنون : أبو بكر بنعربى ، مطبوع ضمن رسائل ابن عربى.
- كشف المحجوب، على بن عثمان الغزنوى الهجويرى ، مطابع الأهرام التجارية، نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لجنة التعريف بالاسلام، بالقاهرة سنة ١٣٩٤هـ ، سنة١٩٧٤م.
- الكواكب الدرية فى تراجم الصوفية، عبد الروءوف المناوى، الطبعة الاولى سنة١٣٥٧هـ ، ١٩٣٨م.
- لطائف المنن فى مناقب أبى العباس المرسى وشيخه أبى الحسن، أحمد بنعطاء الله السكندرى ، مطبوع بهامش لطائف المنن والأخلاق.
- لطائف المنن والاخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق، او المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى، عبد الوهاب الشعرانى، المطبعة الميمنية بمصر سنة١٣٢١هـ.
- اللمع : أبو نصر السراج الطوسى، طبع ونشر دار الكتب الحديثة بمصر سنة١٣٨٠هـ ١٩٦٠م ، تحقيق عبد الحليم محمود.
- المجموعة الكاملة لموءلفات عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الثانية١٩٨٥م
- مجموعة منشعر الحلاج، الحسين بن منصور الحلاج، مطبوع ضمن اخبار الحلاج والطواسين .
- مشكاة الانوار، أبو حامد الغزالى، تحقيق د. أبو العلاعفيفى، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٣٨٢هـ، ١٩٦٤م.
- نشر المحاسن الغالية فى فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية ،عبد الله بن أسعد اليافعى .
- نقش الفصوص، أبو بكر بن عربى ، مطبوع ضمن رسائل ابن عربى.
- النور من كلمات أبى طيفور البسطامى، احد تلامذة طيفور لايعرف اسمه، مطبوع بذيل كتاب شطحات الصوفية ، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية سنة١٩٧٦، الكويت.

فهرس الموضوعـــات

الصفحة

الصفحـة

تم . والحمد لله

رب العالمين وصلاة

وسلام على عباده الذين

اصطفى

المدينة النبوية فى غرة المحرم عام

١٤١١هـ